تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الثامن والأربعون


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592171

Juybari

المجلد الثامن والاربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباری

ایران - قم

سورة الملك ثلاثون آية وهي نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿١﴾ الذي خلق الموت والحيوة
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴿٢﴾ الذي خلق سبع سموات
طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴿٣﴾ ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴿٤﴾ ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب
السعير ﴿٥﴾ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴿٦﴾ إذا ألقوا فيها سمعوا
لها شهيقاً وهي تفور ﴿٧﴾ تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴿٨﴾
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال
كبير ﴿٩﴾ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿١٠﴾ فاعترفوا بذنبهم
فسحقاً لأصحاب السعير ﴿١١﴾ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر

كَبِيْرٌ ﴿١٢﴾ وَاَسِرُّوْا قَوْلَكُمْ اَوِ اجْهَرُوْا بِهٖ اِنَّهٗ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿١٣﴾ اَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُوْلًا فَامْشُوْا فِيْ مَنَاكِبِهَا وَكُلُوْا مِنْ
رِّزْقِهٖ وَاِلَيْهِ النُّشُوْرُ ﴿١٥﴾ ءَاَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَآءِ اَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الْاَرْضَ فَاِذَا هِيَ تَمُوْرُ ﴿١٦﴾
اَمْ اَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَآءِ اَنْ يُّرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُوْنَ كَيْفَ نَذِيْرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِ ﴿١٨﴾ اَوَلَمْ يَرَوْا اِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صٰٓفّٰتٍ
وَّيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ اِلَّا الرَّحْمٰنُ اِنَّهٗ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيْرٌ ﴿١٩﴾ اَمَّنْ هٰذَا الَّذِيْ
هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُوْنِ الرَّحْمٰنِ اِنِ الْكٰفِرُوْنَ اِلَّا فِيْ غُرُوْرٍ ﴿٢٠﴾ اَمَّنْ هٰذَا
الَّذِيْ يَرْزُقُكُمْ اِنْ اَمْسَكَ رِزْقَهٗ بَلْ لَّجُّوْا فِيْ عُتُوٍّ وَّنُفُوْرٍ ﴿٢١﴾ اَفَمَنْ يَّمْشِيْ مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهٖٓ
اَهْدٰٓى اَمَّنْ يَّمْشِيْ سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِيْٓ اَنْشَاَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ قَلِيْلًا مَّا تَشْكُرُوْنَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِيْ ذَرَاَكُمْ فِي الْاَرْضِ وَاِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ
﴿٢٤﴾ وَيَقُوْلُوْنَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢٥﴾ قُلْ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاِنَّمَآ اَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ
﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَاَوْهُ زُلْفَةً سِيْٓـَٔتْ وُجُوْهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَقِيْلَ هٰذَا الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهٖ تَدَّعُوْنَ ﴿٢٧﴾
قُلْ اَرَءَيْتُمْ اِنْ اَهْلَكَنِيَ اللّٰهُ وَمَنْ مَّعِيَ اَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُّجِيْرُ الْكٰفِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
الرَّحْمٰنُ اٰمَنَّا بِهٖ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُوْنَ مَنْ هُوَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ اَرَءَيْتُمْ اِنْ اَصْبَحَ مَآؤُكُمْ
غَوْرًا فَمَنْ يَّاْتِيْكُمْ بِمَآءٍ مَّعِيْنٍ ﴿٣٠﴾

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ « تبارك الذى بيده الملك » في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في أمان الله حتى يصبح ، وفي أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة إن شاء الله .

اقول : رواه الشيخ الطبرسي في المجمع، والحر العاملي في وسائل الشيعة، والمجلسي في البحار ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين. وذلك ان التدبر فيما تستهدفه السورة من عظمة الله تعالى وقدرته التامة الشاملة ، وما فيها من الوعد والوعيد، والبشارة والانذار ، ومن النصرة والأمان في لواء الايمان و صالح العمل ، ومن الهلاك و العذاب على الكافرين يلهمنا بصحة الرواية و انطباقها على ما تحويه السورة فتدبر .

قال الله تعالى : «أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا في غرور » الملك : ٢٠)

و قال : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٩٨) .

وفي الكافي : باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر ، وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ، و من قرأها في ليلته. فقد أكثر و أطاب ولم يكتب بها من الغافلين ، و إني لأركع بها بعد عشاء الاخرة ، وأنا جالس وان والدي عليه السلام كان يقرؤها في يومه وليلته ، ومن قرأها إذا

دخل عليه فى قبره ناكر ونكير من قبل رجليه ، قالت رجلاه لهما : ليس لكما إلىّ ماقبلى سبيل قدكان هذا العبد يقوم علىّ فيقرأ سورة الملك فى كل يوم وليلة وإذا أتياه من قبل جوفه قال لهما : ليس لكما إلىّ ما قبلى سبيل ، قدكان هذا العبد أوعانى سورة الملك ، واذا أتياه من قبل لسانه ، قال لهما : ليس لكما إلىّ ما قبلى سبيل ، قدكان هذا العبد يقرأ بى فى كل يوم وليلة سورة الملك .

و فى الدعوات لقطب الدين الراوندى رحمة الله تعالى عليه : قال ابن عباس : ان رجلا ضرب خباءه على قبر ولم يعلم انه قبر فقرأ « تبارك الذى بيده الملك » فسمع صائحاً يقول : هى المنجية ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هى المنجية من عذاب القبر .

و فى الدر المنثور : عن ابن عباس قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى قال : إقرء « تبارك الذى بيده الملك » و علّمها أهلك و جميع ولدك ، وصبيان بيتك وجيرانك ، فانها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار ، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لوددت انها فى قلب كل انسان من امتى .

وفيه: عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انى لأجد فى كتاب الله سورة وهى ثلاثون آية من قرأها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة ، و محى له بها ثلاثون سيئة ، ورفع له ثلاثون درجة ، وبعث الله إليه ملكا من الملائكة يبسط عليه جناحه ويحفظه من كل سوء حتى يستيقظ ، وهى المجادلة يجادل عن صاحبها فى القبر وهى تبارك الذى بيده الملك .

وفيه : عن ابن عباس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من اشتكى ضرسه ،فليضع اصبعه عليه ، و ليقرأ هاتين الآيتين، سبع مرات : « و هوالذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر- إلى - يفقهون » الانعام : ۹۸) و« وهوالذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار- إلى - تشكرون » فانه يبرأ باذن الله .

وفى احكام القرآن : للقرطبى : روى الترمذى عن ابن عباس قال :ضرب

رجل من اصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر و هو لايحسب انه قبر،فاذا قبر انسان يقرأ سورة « الملك » حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فقال :يا رسول الله ، ضربت خبائى على قبر وأنا لاأحسب انه قبر: فاذا قبر انسان يقرأ سورة « الملك » حتى ختمها ؟ فقال رسول الله ﷺ : هى المانعة هى المنجية من عذاب القبر .

و فى تفسير الثعلبى : قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : وددت أن « تبارك الذى بيده الملك » فى قلب كل مؤمن .

وفى المجمع : ابى بن كعب عن النبى ﷺ قال : و من قرأ سورة تبارك فكأنما أحيا ليلة القدر .

وفى نور الثقلين: عن جابر وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ لاينام حتى يقرأ « الم تنزيل » و« تبارك الذى بيده الملك » .

وفى البرهان : روى عن النبى ﷺ انه قال: من قرأ هذه السورة ،وهى المنجية من عذاب القبر .

للخبر عن النبى ﷺ : أعطى من الاجر كمن أحيى ليلة الفطر، ومن حفظها كانت أنيسه فى قبره تدفع كل نازلة تهم به فى قبره من العذاب ، وتحرسه إلى يوم بعثه ، وتشفع له عند ربها وقربه حتى يدخل الجنة آمنا من وحشته و وحدته فى قبره .

و قال رسول الله ﷺ : من حفظها كانت له انساً فـى قبره ، و تشفع له عندالله يوم القيامة حتى يدخل الجنة آمناً ، ومن قرأها وأهداها إلى إخوانه أسرعت إليهم كالبرق الخاطف ، وخففت عنهم ماهم فيه وانستهم فى قبورهم .

وقال الصادق عليه السلام : من قرأها على ميت خفف الله عنه ماهو فيه ، واذا قرأت واهديت إلى الموتى اسرعت إليهم كالبرق الخاطف باذن الله تعالى .

اقول : و كل ذلك ـ بعد الغمض عما فى أكثر الروايات سنداً ـ لمن آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الاخر، وعمل صالحاً .

قال الله تعالى : « وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الّا خساراً » الاسراء : ٨٢) .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة تقرير لقدرة الله تعالى التامة الشاملة، وعظمته غير المحدودة بحد، وكمال علمه من دون انتهاء إلى حد، و لرحمته العامة التى ينال بها المؤمن والكافر، والغنم والذئب، والعالم العامل والمنافق الفاسق.. فى هذه الحياة الدنيا ولربوبيته فى مشاهد الكون ونواميسه وفيها تنويه بمطلق تصرف الله جل و علا فى هذا الكون تصرفاً مطلقاً، وإشارة إجمالية إلى حكمة خلق الموت والحياة خاصة وإلى حكمة الخلق كافة، وتذكر للناس بافضال الله تعالى، ونعمه عليهم.

كل ذلك لاختبارهم فى الحياة الدنيا، و معرفة صالحهم من فاسدهم، و مؤمنهم من كافرهم، ومخلصهم من منافقهم، ومطيعهم من عاصيهم، وضالّهم من مهتديهم.. لتوفيتهم جزاء أعمالهم فى دار الاخرة.

و فيها دعوة الناس مستمرة المدى إلى الايمان وصالح العمل، و تقريع شديد وتنديد إنذارى على طريق السئوال الاستنكارى مرة بعد اخرى، و وصف لمصير الكفار الاخروى من شأنها إثارة الفزع والندم فى الكفار، و حملهم على الارعواء وردود على ما كانوا يقولونه فى مواقف الجلال مع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

وفيها بشرى وتطمين وتثبيت للمؤمنين.

﴿النزول﴾

سورة الملك مكيّة نزلت بعد سورة الطور، و قبل سـورة الحاقة ، و هى السورة السابعة والسبعون نزولاً ، والسابعة والستون مصحفاً . وتشتمل على ثلاثين آية ، سبقت عليها ر ٤١٩٢ آية نزولاً و ر ٥٢٤١ آية مصحفا على التحقيق .

ومشتملة على ر ٣٣٠ كلمة وقيل : ر ٣٣٥ كلمة ، وعلى ر ١٣٠٠ حرفاً و قيل : ١٣١٣ حرفاً على مافى بعض التفاسير .

و لهذه السورة خمسة أسماء : أحدها ـ سورة المنجية لانها تنجى قارئها العامل بهامن عذاب القبر . ثانيها ـ سورة الواقية لانها تقى قارئها من عذاب القبر ثالثها ـ سورة المانعة لا نها تمنع أهوال القيامة و فزعها من قارئها . رابعها ـ سورة المجادلة لانها تجادل عن قارئها فى القبر نكيره ومنكره خامسها ـ سورة الملك لاشتمالها على كثيرمما ينبغى أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات و عموم القدرة ، والاحياء والاماتة واختبار الناس ،وغلبة الاعداء ونصرة الاولياء . و رفع الابنية لعبيده ، وتزيين بلاده ، والامن ورخص الاسعار . . .

فى اسباب النزول : للواحدى النيسابورى فى قوله تعالى : « وأسرّوا قو لكم أواجهروا به » الاية قال إبن عباس : نزلت فى المشر كين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخبره جبرئيل عليه السلام بماقالوا فيه، ونالوا منه ، فيقول بعضهم لبعض : أسرّوا قولكم لئلايسمع إله محمد .

وفى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن الاعمش فى

قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا » قال : لما رأوا ما لعلى بن أبى طالب عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا .

وفيه : عن سهل إبن عامر قال : نزلت فى على بن أبيطالب عليه السلام .

وفيه : باسناده عن عمرو بن أبى بكار التميمى عن أبى جعفر محمد بن على فى قوله : « فلما رأوه زلفة » قال : فلما رأوا مكان علىّ من النبى : « سيئت وجوه الذين كفروا » يعنى الذين كذّبوا بفضله .

وفيه : باسناده عن المغيرة قال :سمعت أبا جعفر يقول فى قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة » لما رأوا علياً عند الحوض مع رسول الله : « سيئت وجوه الذين كفروا »

وفيه : عن داود بن سرحان قال : سئلت جعفر بن محمد عن قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة » قال : هو على بن أبى طالب اذا رأوا منزلته ومكانه من الله اكلوا اكفّهم على ما فرّطوا فى ولايته .

وفى ينابيع المودة للقندوزى البلخى الحنفى فى قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا . . . » الاية ما لفظه : الحاكم بسنده من الاعمش عن محمد الباقر وجعفر الصادق رضى الله عنهما قالا: لما راى المخالفون المحاربون لعلى كرم الله وجهه انه عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا أى كفروا نعمة الله التى هى امامة علىّ . وقيل : هذا الذى كنتم به تدعون ان مخالفة على و محاربته وقتاله أمر لا ذنب له .

وفى الكافى : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا » الاية هذه نزلت فى أمير المؤمنين و أصحابه الذين عملوا ما عملوا يرون أمير المؤمنين عليه السلام فى أغبط الأماكن لهم فيسوء وجوههم ، ويقال لهم : « هذا الذى كنتم به تدّعون » الذى إنتحلتم إسمه . و فى رواية عنهم عليهم السلام : « هذا الذى كنتم به تكذّبون » يعنى أمير المؤمنين عليه السلام .

و فى رواية : ان كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و على

المؤمنين بالهلاك كما حكى الله عنهم فى آية اخـرى بقوله : « أم يقولون شاعر
نتربص بهريب المنون » وقوله : « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون
إلى أهليهم أبداً » فنزلت الاية : « قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أورحمنا
فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » .

﴿القراءة﴾

قرأ حمزة « من تفوّت » بتشديد الواو من باب التفعل ، والباقون « من تفاوت » من باب التفاعل ، وهذه قراءة مشهورة صحيحة اذ لا يقال فى تفاوت الامور: تفوت ، وعلى هذه القراءة ما بأيدى المسلمين من المصحف ، ومن قرأ غيرها جعل بابى التفعل والتفاعل بمعنى .

وقرأ حمزة وأبوعمرو « هل ترى » بالادغام ، والباقون من غير ادغام. وقرأ أبو جعفر «فسحقا» بضم السين والحاء والباقون بضم الاولى وسكون الثانية وهى القراءة المشهورة .

قرأ إبن كثير « النشور وأمنتم »بتخفيف الهمزة الاولى وجعلها واواً ،وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو «أمنتم» بهمزة واحدة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بأن تجعل بين بين ، وقرأ حمزة وإبن عامر « أء منتم » بهمزتين والباقون « ءاء منتم » بتوسيط ألف بين الهمزتين .

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر «نذيرى » و «نكيرى» باليائين ،والباقون بحذفهما لدلالة الكسرة عليهما ، وقرأ الثلاثة الاولون « سيئت » مثل ضربت .

وقرأ حمزة « أهلكنى الله » بسكون الياء ، والباقون بفتحها ، وقرأ نافع و أبو جعفر وإبن كثير وإبن عامر وعاصم وأبو عمرو « معى » بفتح الياء ، وقرأ حمزة « معى » بسكونها .

﴿الوقف والوصل﴾

« الملك ز » لنوع إختلاف بين الجملتين من حيث تقديم الظرف فى الاولى، و « قديرلا » لأن « الذى » بدل ، و « عملا ط » لتمام الكلام ، ومابعده إستيناف بيانى ، و « الغفور لا» لان مابعده صفة أو بدل ، و « طباقاً ط » لتمام الكلام و « تفاوت ط » لما تقدم و « البصر لا »لان ما بعده مفعول أى فانظر هـل تـرى ، و « جهنم ط » لتمام الكلام .

« تفورلا» لأن مابعده خبر آخرأوبدل ، و « الغيظ ط » لتمام الكلام ، و « من شىءٍ ج » لاحتمال أن مابعده من تمام قول الكفار، وأن يكون مقول قول محذوف للخزنة ، و « السعيرى » علامة العشر وتوضع عند إنتهاءِ عشر آيات .

« بذنبهم ج » لابتداءِ الشتم مع الفاءِ، و « به ط » لتمام جملة ، و «خلق ط» لتناهى الاستفهام مع أن الوا وتحسن حالاً ، و « الخبيرع » علامة انتهاءِ الر كوع وهوالحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين ، و « رزقه ط» لتمام الكلام، و « تمورلا » لان « أم » معادل « أم امنتم » و « حاصبا ط » لا بتداءِ التهديد ، و « يقبضن ط » لما تقدم و «الرحمن ط » لما ذكر

« فى غرورى ج » و « رزقه ج » و « الافئدة ط » و « عندالله ص » «رحمنا لا » لان مابعده جواب الشرط ، و « أليم لا » لجواب الاستفهام الاتى ، و «تو كلنا ج » لتمام الكلام والفاءِ ، و « معين ى » .

﴿ اللغة ﴾

٧١ - البلاء والابتلاء - ١٥٥

بلا فلاناً يبلوه بلواً وبلاءاً واوى - من باب نصر نحوقال - جرّبه وامتحنه و اختبره ، ويكون بالخير والشر، وبالنعمة والنقمة ، وبالحق والباطل ، و بالكفر والايمان ، وبالصلاح والفساد . . .

قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » الملك : ٢) أى ليعاملكم معاملة المختبرين لكم .

وقال : ونبلوكم بالشر والخير فتنة » الانبياء : ٣٥)

وقال : « هنالك تبلوا كل نفس ماأسلفت » يونس : ٣٠) أى تنكشف لكل نفس حقيقة عملها كما يكشف الابتلاء الحقيقة .

البلاء - إسم نحوسلام ـ : الغم وسمى بلاء من حيث انه يبلى الجسم .

قال الله تعالى : « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » الاعراف : ١٤١)

والبلاء :النصر قال تعالى : « وليبلى المؤمنين منه بلاءاً حسنا »الانفال:١٧)

اريد بالبلاء الحسن هنا : النصر أى يختبرهم به ليظهر كيف تكون حالهم بعد ذلك . البلاء : التكليف قال تعالى : « ان هذالهو البلاء المبين » الصافات :١٠٦)

سمى التكليف بلاءلوجوه: أحدها - أن التكاليف مشاق على الابدان فصارت من هذا الوجه بلاء . ثانيها - انها إختبارات ولهذا قال الله تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأخباركم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣١)

ثالثها - ان اختبارالله تعالى لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا واخرى بالمضار ليصبروا .

قال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس» البقرة : ١٥٥)وقال : « ورفع بعضكم فوق بعض ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام:١٦٥)فصار كلاهما محنةوالمحنة جميعاً بلاء والمحنة مقتضية للصبر والشكر ، وان القيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المحنة أعظم البلائين ، وبهذا النظر قال عمر بن الخطاب : بلينا بالضراء فصبرنا ، وبلينا بالسراء فلم نصبر

و لهذا قال الامام على عليه السلام : من وسّع عليه دنيافلم يعلم انه قد مكر به فهومخدوع عن عقله .

فالبلاء على ثلاثة أوجه : نعمة واختبار ومكروه فقوله تعالى : « لتبلون فى أموالكم وفى أنفسكم »آل عمران : ١٨٦) يريد توطين النفس على الصبر .

ان الله تعالى يبلو عباده بما يحبونه ليمتحن شكرهم وبما يكرهونه ليمتحن صبرهم قال : « ونبلوكم بالشر والخير »

وفى الحديث : « أعوذبك من الذنوب التى تنزل البلاء »

وفيه : « الحمدلله على ماأبلانا » أى أنعم علينا ، وتفضّل من الابلاءالذى هوإحسان وإنعام .

وفيه : « الحمدلله على ما أبلا وابتلى » أى على ما أبلى من النعم ، و ابتلى من النقم .

يقال : « وابتليت بهذا العلم » أى اختبرت به وامتحنت .

والبلية والبلوى والبلاء واحد ، والجمع : البلايا .

٥١ - الشهيق - ٨١٩

شهق يشهق شهاقاً وشهيقاً وتشهاقاً - من باب ضرب وعلم - : ردّد نفسه مع

سماع صوته من حلقه ، وشهق الرجل : اذا تنفس تنفساً كتنفس المتغيظ، وشهق: تردد البكاء فى صدره ، وشهق عين الناظر عليه : أصابه بعين .

الشهيق : ردّ النفس إلى الداخل فى طول ، والزفير: مدّه وإخراجه كذلك

قال الله تعالى : « إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور » الملك : ٧)

وقال : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » هود : ١٠٦)

والشهيق : أقبح الاصوات .

شهيق الحمار: آخر صوته، وزفيره : أوله ، وشهيق الحمار: نهيقه ،والشهيق الانين المرتفع جداً .

يقال : الشهقة ـ كالصيحة ـ يقال : شهق فلان شهقة فمات ، وفحل ذو شاهق و ذو صاهل إذا هاج وصال ، ويقال هو ذو شاهق : شديد الغضب .

ومن كلام الاطباء : العرق شاهق : هو الضارب إذا كان إلى فوق .

شهق يشهق شهوقاً ـ من باب منع ـ :إرتفع ، والشاهق : الجبل المرتفع والجمع : شواهق . يقال : جبال شاهق أى طويل عال ممتنع .

فى حديث بدء الوحى : «ليتردّى من رؤس شواهق الجبال » أى عواليها .

يقال : قد شهق شهوقاً : كل ما رفع من بناء أو غيره وطال فهو شاهق .

الشاهق : المرتفع من الجبال والابنية وغيرها .

٨٣- النكب - ١٥٥٨

نكب من الشيء ينكب نكبا ونكابة ونكوباً ـ من باب نصر ـ : عدل عنه ومال والوصف منه ناكب ، نكبت الريح : مالت عن مهبتها .

قال الله تعالى : « وان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لنا كبون » المؤمنون : ٧٤) أى عادلون عن سواء السبيل .

المنكب من الانسان وغيره : مجمع العضد والكتف ، والجمع مناكب ،

ومنه استعير للارض ، والمنكب من الارض : الموضع المرتفع .

قال الله تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها » الملك: ١٥) إستعارة المنكب للارض كاستعارة الظهر لها فى قوله تعالى: « ماترك على ظهرها من دابة » فاطر:٤٥) مناكب الارض فسّرت بالجبال على التشبيه إذهى ناتئة بارزة مناكب البعير، وفسّرت أيضا بجوانب الارض على التشبيه أيضا، فان منكبى البعير جانباه ، و المنكب : ناحية كل شيء و جانبه ، و فسّرت بطرق الارض .

نكب الشيء ينكبه نكباً ـ بفتح النون والكاف ـ من باب علم ـ :طرحه ، ونكب الاناء : أراق مافيه ، واستنظف مافيه ، ونكب البعير: أصابه داء النكب، ونكب الرجل : إشتكى منكبه. لازم ومتعد .

ونكّب عن الطريق : عدل وتنحّى ، ونكّب الشيء : نحّاه لازم ومتعد ، وتنكّب عن وجهى أى أعرض عنى .

يقال : رجل انكب عن الحق، وناكب عنه ومنكاب : مائل عنه ، و طريق منكوب : منحرف على غير قصد، وأنكبه الزمان : اتعبه وخذله و كسره وقلبه من الفوق إلى الاسفل . و فى حديث أهل البيت عليهم السلام : « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن » أى لامخلص له منها .

و نكب ـ بضمتين ـ جمع نكوب : كثير العدول عن الطريق والاستقامة . المنكوب : المصاب بنكبة .

النكبة ـ بالفتح : المرة ، و ما يصيب الانسان من الحوادث و المصائب جمعها : نكبات .

وفى الحديث : « ما من نكبة تصيب الانسان إلاّ بذنب » والنكبة فى قوله : « ماكان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرحة ولا نكبة الاّ امر بوضع الحناء عليه » فسّرت بالجراحة بحجر أوشوكة .

و النكبة فى قوله : « العذرة تذهب بالنكبة » أى البكارة تذهب بالطفرة و العشرة .

المنكبان : هما اليمين والشمال . والنكيب : دائرة الحافر والخف قامة نكباء : مائلة .

والنكباء : ريح ناكبة عن المهب ، ونكبه حوادث الدهر أى هيّت عليه هبوب النكباء .

و فى حديث حجة الوداع : « فقال باصبعه السبابة يرفعها إلى السماء و ينكبها إلى الناس » أى يميلها إليهم يريد بذلك أن يشهد الله عليهم يقال : نكبت الاناء نكباً ونكّبته تنكيبا : إذا أماله و كبّه .

٣- الكب والكباب - ١٢٧٦

كبّ الشيء يكبّه كباً - من باب نصر نحومدّ - : أسقطه وألقاه على وجهه . يقال : كبّ فلان إنائه : قلبه على رأسه لازم ومتعد .

قال الله تعالى : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار » النمل : ٩٠) أى ألقوا فيها على وجوههم . و كبّ البعير: عقره .

أكبّ على وجهه : سقط وانقلب على وجهه ، فهومكبّ .

قال الله تعالى : «أفمن يمشى مكبا على وجهه » الملك : ٢٢) أى متساقطاً وملقى على وجهه متعثراً فى مشيته .

فى الحديث : « وهل يكبّ الناس فى النار على متأخرهم إلاّ مصايد ألسنتهم وحصائد ألسنتهم ماقيل فى الناس وقطع به عليهم »

تكبّب الرجل :تلفّف فى ثوبه ، وانكبّ على أمر يفعله : لزمه ، والاكباب: الاقبال و الالزام و منه الحديث : « و عليك بالاكباب على صلاتك » أى لزومها والاقبال عليها ، و فى حديث : « فاكبوا رواحلهم على الطريق » أى

ألزموها الطريق .

المكباب و المكب ـ بالكسر ـ : الكثير النظر إلى الارض ، والمكبّبة : حنطة غبراء غليظة السنابل .

كبّب الرجل : عمل الكباب أى اللحم المشرح ، الكباب ـ بالفتح ـ اللحم المشرّح يشوى على النار ، ومنه حديث المحرمين : « أوقدنا ناراً و طرحنا عليه لحماً نكببه » والكباب ـ بالضم كغراب ـ : الكثير من الابل والغنم والتراب والطين اللازب والثرى ، وما تجعّد من الرمل ، والكبابة ـ كسحابة ـ : دواء صينى يشبه الفلفل الاسود ، وله خواص مذكورة فى كتب الطب .

الكبّة : الحملة وفى الحديث : « يأتى يوم القيامة مثل الكبة فتدفع فى ظهر المؤمن فتدخل الجنة فيقال هذا البر بالوالدين » .

الكبة : الزحام ، والصدمة بين الجبلين ، و الرمى فى الهوّة من الارض ، و غدّة شبه الخراج ، وأهل مصر يطلقونها على الطاعون ، وأهل الشام على لحم يحرض ، ويخلط مع دقيق الارز ويسوى منه كهيئة الرغفان الصغار ونحوها .

الكبة : الزحمة ، كبة الشتاء : شدّته ، و دفعته ، و عليه كبة أى عيال ، و كبة النار : صدمتها ، والكبة ـ بالضم ـ : الغزل ، والجماعة من الخيل و الابل العظيمة ، والثقيل . الكب ـ بالضم ـ : الحمض و الكبة ـ بالفتح ـ الشدة والدفعة فى القتال و الجرى و الحملة فى الحرب يقال : كانت لهم كبّة فى الحرب أى صرخة .

فى المفردات : الكبّ : إسقاط الشىء على وجهه والاكباب جعل وجهه مكبوباً على العمل .

و فى النهاية : يقال : كببته فأكبّ وأكبّ الرجل يكبّ على عمل يعمله اذا لزمه ، و فى حديث أبى قتادة : « فلما رأى الناس الميضاة تكابّوا عليها » أى إزدحموا وهى تفاعلوا من الكبة ـ بالضم ـ وهى الجماعة من الناس وغيرهم .

وفى اللسان : وكبّه لوجهه فانكبّ أى صرعه، يقال: كبّ الله عدو المسلمين، وأكبّ فلان على فلان يطالبه ، والفرس يكبّ الحمار إذا ألقاه على وجهه، والفارس يكبّ الوحش إذا طعنها فألقاها على وجوهها ، والكبّ : الشيء المجتمع من تراب وغيره .



﴿ النحو ﴾

١- (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيىء قدير)

« تبارك » فعل ماض من باب التفاعل ، ولا يستعمل الا بلفظ الماضى ، و يختصّ بالله تعالى ، فلا يتصرّف ، ومن ثمّ قيل : انه اسم فعل ماض ، و «الذى» موصولة فى موضع رفع على أنه فاعل الفعل ، و«بيده» متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و «الملك» مبتداء مؤخر ، و الجملة صلة الموصول ، و«هو» مبتداء و « على كل شيء » متعلق بقوله «قدير» وهو خبر المبتداء .

٢- (الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)

« الذى خلق» بدل من «الذى بيده الملك» ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو ، و« الموت» مفعول به«والحياة» عطف على «الموت»و«ليبلو كم» اللام للتعليل ، ومدخولها فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وضمير جمع الخطاب فى موضع نصب مفعول به ، و «أيكم» تعليق لان التقدير: «ليبلو كم فيعلم ايكم أحسن عملا » و ارتفع أى بالابتداء و انما لم يعمل فيه ما قبله لانه على أصل الاستفهام .

و قيل : «أيكم احسن عملا» مفعول ثان «ليبلو كم» على انه متضمن معنى العلم و ليس هذا من باب التعليق لان التعليق هو أن يكون الاستفهام سادّ مسد المفعولين جميعاً نحو: علمت أزيد منطلق .

و قيل : «أى» مبتداء و«أحسن» خبره و « عملا » تمييز، و«هو» مبتداء و «العزيز» خبره و «الغفور» خبر بعد خبر.

٣- (الذى خلق سبع سماوات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)

الكلام فى «الذى خلق» هو الكلام فى سابقه ، و «سبع سموات» مفعول به، و «طباقاً» جمع طبق - كجمل وجمال - نعت من «سبع سماوات» وقيل: جمع طبقة كرحبة ورحاب ، وقيل: منصوب على الحال لو اريد فى « سموات » معنى الالف و اللام على تقدير : ذات طباق ، وقيل : أى طوبقت طباقاً ، وقيل : وصف بالمصدر مبالغة أى مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا طارقها . و قيل «طباقاً» مفعول ثان لخلق بناء على أنه بمعنى جعل وصيّر .

«ما» نافية و «ترى» فعل مضارع للخطاب إفراداً ، و «فى خلق الرحمن » متعلق بقوله : «تفاوت» فانه مصدر من باب التفاعل يعمل عمل فعله ، و «فارجع» الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل أمر و « البصر » مفعول به ، و « هل» إستفهامية إنكارية و «من» فى الموردين زائدة جيئت لتأكيد النفى والانكار، أى لا تجد فى خلق الرحمن أقل تفاوت وفطور .

٤- (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير)

« كرتين» منصوب على المصدر ، كأنه قيل : فارجع البصر رجعتين ، و التثنية ههنا يراد بها الكثرة لاحقيقة ألاترى انه قال : «ينقلب إليك البصر الخ» فان البصر لاينقلب خاسئاً حسيراً مرتين ، وانما يصير كذلك بمراجعة و انما هذه التثنية على حد التثنية فى قولهم : لبيك وسعديك أى إلباباً بعد إلباب، و إسعاداً بعد إسعاد أى كلما دعوتنى أجبتك إجابة بعد إجابة من قولهم: ألب بالمكان إذا أقام به .

«ينقلب» فعل مضارع من باب الانفعال مجزوم بحرف الشرط المقدر لوقوع

فعل المضارع بعد الامر، و «خاسئاً» حال من «البصر» باعتبار ذيه، «وهو» الواو للحال و مدخولها مبتداء و «حسير» خبره، والجملة حال ثان، وقيل: «حسير» بمعنى حاسر، وقيل: بمعنى محسور.

٥- (و لقدزينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين وأعتد نالهم عذاب السعير)

«ولقد» الواو للقسم، واللام لتوطئة القسم، و «زينا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل، و «السماء» مفعول به، و «الدنيا» نعت من «السماء» «بمصابيح» جمع مصباح، غير منصرف لكونه منتهى الجموع، «و» للعطف و «جعلنا» عطف على «زينا» وضمير «ها» فى موضع نصب، مفعول به الاول راجع إلى «مصابيح» و قيل: راجع إلى «السماء» أى و جعلنا من عالم السماء رجوماً للشياطين.

و «رجوماً» جمع رجم مصدر سمى به مايرجم به مفعول ثان لفعل الجعل، و «للشياطين» جمع الشيطان من منتهى الجموع أيضا، متعلق بفعل الجعل، و «أعتدنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال - من عتد - عطف على «زينا» و «عذاب السعير» مفعول به.

٦- (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير)

«للذين» موصولة متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و «كفروا» صلتها و «بربهم» متعلق به و «عذاب جهنم» مبتداء مؤخر، و «جهنم» غير منصرف للعجمية مع العلمية، و «بئس» من أفعال الذم، و «المصير» إسمها على حذف المخصوص أى بئس المصير مصيرهم جهنم.

ويحتمل أن يكون «للذين» عطفاً على «لهم» أى واعتدنا للذين كفروا وهذا بناء على نصب «عذاب جهنم» و أن يكون «بربهم» على تقدير: بعذاب ربهم، فيكون الظرف معمول الظاهر على الاول، و معمول الظرف على الثانى.

٧- (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور)

«اذا» شرطية و «القوا» فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال،وأصله: القيوا ، فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى ماقبلها بعد حذف حركتهاثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين ، و ضمير «فيها» راجع إلى «جهنم» و « سمعوا » جواب للشرط ، و «شهيقا» مفعول به ، «و» للحال و «هى» مبتداء راجع إلى «جهنم» و «تفور» خبرها ، والجملة حال من «جهنم»

٨ ـ (تكاد تميز من الغليظ كلما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاء نانذير)

« تكاد » فعل مضارع من أفعال المقاربة و هذا الفعل للحصول ، وإسمه ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «جهنم» و «تميّز» فعل مضارع على حذف إحدى التائين من باب التفعل ، خبر لفعل المقاربة .

«كلما» منصوبة على الظرفية ، وناصبها الفعل الذى هو جواب فى المعنى نحو : «سئلهم» فى المقام ، وجائتها الظرفية من جهة «ما» لانها تحتمل لوجهين: أن تكون حرفاً مصدريا ، والجملة بعدها صلة لها ، فلامحل لها ، والاصل: كل وقت ثم عبر عن معنى المصدر بما والفعل ثم انيبا عن الزمان أى كل وقت القى فيها ، وأن تكون إسم نكرة بمعنى وقت ، فلاتحتاج على هذا إلى تقدير وقت، والجملة بعدها فى موضع خفض على الصفة ، فتحتاج إلى كل وقت القى فيها .

«القى» فعل ماض ، مبنى للمفعول من باب الافعال ، وضمير «فيها» راجع إلى «جهنم»و «فوج» مفعول به حقيقة ناب مناب الفاعل ظاهراً ، وضمير «سألهم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و« خزنتها» فاعل الفعل ، وضمير جمع الخطاب فى «يأتكم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و «نذير» فاعل الفعل ، و « قالوا» جواب السئوال ، و ضمير التكلم مع الغير فى «جاء نا» فى موضع نصب ، مفعول به و «نذير» فاعل الفعل .

٩ـ (فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء ان أنتم الافى ضلال كبير)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، «و قلنا» عطف على «فكذبنا» و «ما» نافية و «نزل» فعل ماض من باب التفعيل و «الله» فاعل الفعل، و «من» زائدة جيئت لتأكيد النفى ، وقيل : لتاكيد المنفى، و «ان» بمعنى «ما» للنفى ، و «أنتم» مبتداء و «فى ضلال» متعلق بمحذوف، وهو خبر المبتداءِ و« كبير » وصف من «ضلال»

١٠- (وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير)

«لو» للتمنى اشرب معنى الشرط ، و « كنا » فعل ماض للتكلم مع غيره من أفعال الناقصة ، وإسمها ضمير التكلم ، و «نسمع» فى موضع نصب خبرها ، «أو نعقل» عطف على «نسمع» و «ما» نافية و «كنا» جزاء الشرط و«فى أصحاب السعير» خبر لفعل الناقص و « فى » للمصاحبة كقوله تعالى : «ادخلوا فى امم» الاعراف: ٣٨) أى معهم، ويحتمل أن يكون التقدير : فى جملة أصحاب السعير، على حذف المضاف .

١١- (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير)

« فاعترفوا» الفاء للنتيجة ، ومدخولها فعل ماض من باب الافتعال و فى إفراد الذنب فى « بذنبهم » و جهان : أحدهما ـ انه اضيف إلى الجمع ، و ان الاضافة إلى الجمع تغنى عن جمع المضاف ، كما ان الاضافة إلى التثنية تغنى عن تثنية المضاف . ثانيهما ـ ان الذنب مصدر ، و هو يصلح للواحد و الجمع . وقيل : معناه الجمع .

« فسحقا » الفاء أيضاً للنتيجة وفى نصب السحق و جهان : أحدهما ـ أن يكون منصوباً على المصدر ، وجعل بدلا من اللفظ بالفعل أى فاسحقهم سحقاً. ثانيها ـ أن يكون منصوباً على تقدير: ألزمهم الله سحقاً .

و اللام فى « لاصحاب » للاستحقاق وهى الواقعة بين معنى و ذات كقوله تعالى: «ويل للمطففين»

١٢- (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

« ان » حرف تأكيد و «الذين» فى موضع نصب إسمها ، و «يخشون» صلة الموصول و «ربهم» مفعول به ، و «بالغيب» فى موضع نصب على الحال من ضمير الجمع ، و «لهم» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و «مغفرة» مبتداء مؤخر ، وابتدأ بالنكرة لكون الخبر ظرفاً مقدماً ، و الجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «أجر» عطف على «مغفرة» و « كبير» نعت من «أجر»

١٣- (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور)

« أسروا» فعل أمر من باب الافعال ، و «قولكم» مفعول به ، «أو اجهروا» عطف على «أسروا» و « انه» حرف تأكيد ، و الضمير فى موضع نصب ، إسمها و «عليم» خبرها و «بذات الصدور» متعلق بقوله : «عليم»

١٤- (ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

الاستفهام إنكارى ، و قد جاء «ألا» فى القرآن الكريم يراد بـ « لا » فيه معنى النفى فى موضعين فى إبتداء الكلام : أحدهما ـ قوله تعالى : « ألايعلم من خلق» ثانيهما ـ قوله تعالى : «ألايظن اولئك انهم مبعوثون» المطففين : ٤)

فى موضع «من» وجوه : أحدها ـ رفع على أنه فاعل « يعلم » و المفعول محذوف أى ألايعلم الخالق خلقه ، و قيل : على تقدير : ألايعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم . ثانيها ـ نصب ، مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر فى « خلق» أى ألايعلم الله من خلقه . و قيل : «من» بمعنى «ما» ويكون إشارة إلى مايسره الخلق ويجهرونه ويضمرونه فى صدورهم . ثالثها ـ أن يكون « من» إستفهامية فى موضع نصب بأنه مفعول « خلق » و فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الله تعالى .

« و » للحال و «هو» مبتداء و «اللطيف» خبره و« الخبير» خبر بعد خبر و الجملة حالية .

١٥- (هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه واليه النشور)

«هو» مبتداء و « الذى » موصولة ، و «جعل» صلتها ، و «لكم» متعلق بفعل الجعل ، و «الارض» مفعول به الاول ، و «ذلولاً» مفعول ثان فعول بمعنى الفاعل، يطلق على المذكر و المؤنث ، وعلى الجمع والافراد على السواء يقال : رجل ذلول وإمرأة ذلول وهكذا ..

«فامشوا» الفاء للتفريع، ومدخولها فعل أمر ، أصله : امشيوا نحو: اضربوا فثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ماقبلها بعد حذف حركتها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين . ومناكب : جمع منكب من منتهى الجموع و « كلوا» عطف على «امشوا» و «اليه» متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و «النشور» مبتداء مؤخر.

١٦- (ءامنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور)

الاستفهام إنكارى ، و «أمنتم» فعل ماض لجمع المخاطب المذكر ، وفى المقام ماجاء فى القرآن الكريم من اجتماع الهمزتين، وأما كونهما مفتوحتين ففى إحدى وثلاثين موضعاً...

و«من» موصولة فى موضع نصب، مفعول به، و«فى السماء» متعلق بمحذوف صلة الموصول ، و «أن يخسف بكم الارض» فى موضع نصب بدل من «من» بدل الاشتمال ، فاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى «من» باعتبار لفظه و المراد به الملائكة الموكلون على حوادث الكون ، و يحتمل أن يكون المراد بمن «الله» جل جلاله وهو الاظهر .

و « فى السماء أن يخسف » مما جاء فى التنزيل من اجتماع الهمزتين : أولهما مكسورة ، وثانيهما مفتوحة وهذا فى إحدى عشرة موضعاً .

« فاذا » ظرف المفاجأة معمول لقوله: «هى تمور» والجملة فى موضع نصب على الحال من «الارض»

١٧- (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)

«أن يرسل عليكم حاصبا» بدل من «من» بدل الاشتمال أيضا و « حاصباً » مفعول به و «فستعلمون» الفاء للتفريع ، و « كيف» خبر مقدم ، و « نذير » اسم الانذار ، ويحتمل أن يكون وصفاً بمعنى المنذر . وقيل : مصدر بمعنى الانذار، وهو مبتداء مؤخر على حذف ياء التكلم ، والجملة متعلّقة بقوله : « فستعلمون» والتقدير: فستعلمون محذور إنذارى أم لا .

١٨- (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير)

الواو للقسم ، واللام لتوطئة القسم ، و« كذّب» فعل ماض من باب التفعيل، و «الذين» موصولة فى موضع رفع، فاعل الفعل ، و «من قبلهم» متعلق بمحذوف صلتها ، و «فكيف» الفاء للتفريع ، ومدخولها خبر « كان» و «نكير» إسمها على حذف الياء كنذير .

١٩- (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكن الا الرحمن انه بكل شىء بصير)

الاستفهام تقريرى و «لم يروا» ليس من أفعال القلوب لأن المراد بالرؤية رؤية العين لارؤية القلب ، و«الطير» إسم لجماعة مايطير ومن ثم وصفت بالحال فى قوله : «صافات» و «يقبضن» وقيل : ان الجمع باعتبار إرادة إستغراق الجنس من «الطير»، و«فوقهم» ظرف لصافات، ويجوز أن يكون «فوقهم» حالاً ،و«صافات» حالاً من الضمير فى «فوقهم» أو من «الطير» «ويقبضن» عطف على «صافات» حملاً على المعنى أى يصففن و يقبضن أى صافات وقابضات ، و عطف الفعل المضارع على إسم الفاعل لما بينهما من المشابهة ، و «ما» حرف نفى و «يمسكهن» الفعل للاستقبال من باب الافعال وضمير الجمع فى موضع نصب، مفعول به و«الرحمن» فاعل الفعل، والجملة مستأنفة ويجوز أن تكون حالاً من الضمير فى « يقبضن »، ومفعول «يقبضن» محذوف أى أجنحتهن .

« انه » حرف تأكيد ، والضمير فى موضع نصب ، إسمها ، و « بكل شىء » متعلق بقوله « بصير » وهو خبر لحرف التاكيد .

٢٠- (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور)

«من» للاستفهام فى موضع رفع بالابتداء دخل عليه «أم» المنقطعة، و «هذا» خبره ، و «الذى» وصلته نعت من «من» كقوله تعالى : «من ذا الذى يشفع عنده» وقيل : «هذا» مبتداء ثان ، و «الذى» خبره وقد وصل بالمبتداء والخبر وهو قوله تعالى : «هو جندلكم» وقيل: عطف بيان من «هذا» و «ينصركم» فى موضع رفع وصف من «جند» محمول على اللفظ، ولو جمع على المعنى لجاز، وضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به .

«إن» حرف نفى، يعمل عمل «ما» و « الكافرون » إسمها و « إلاّ » حرف إستثناء ، و « فى غرور» خبرها .

٢١- (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور)

« إن امسك رزقه » شرط، جوابه محذوف يدل عليه ماقبله أى إن أمسك الله رزقكم فمن يرزقكم غيره « بل لجّوا الخ » جواب عن السئوال .

٢٢- (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم)

الاستفهام إنكارى و « من » موصولة مبتداء و « يمشى » صلته و « مكبا » حال من الضمير المستتر فى الفعل و « على وجهه » ظرف لغو متعلق بـ « مكبا » أو ظرف مستقر حال للتأكيد و « أهدى » افعل تفضيل خبر « من » و « أمن يمشى » عطف على الاولى: « أفمن يمشى » من عطف المفرد على المفرد كقولك : أزيد أفضل أم عمرو ، و خبر « من » الثانى محذوف ، و « سوياً » حال من فاعل « يمشى » الثانى .

٢٣- (قل هو الذى انشأكم و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا

ما تشكرون)

« هو » مبتداء و « الذى » فى موضع رفع خبره ، و «أنشأكم » فعل ماض من باب الافعال ، وموضع ضمير الخطاب نصب ، مفعول به ، و « جعل لكم الخ » عطف على « أنشاكم » و « قليلا » صفة مصدر محذوف أى تشكرون شكراً قليلا و « ما » زائدة ، وقيل : مصدرية ، والمعنى : قليلا شكركم .

٢٤- (قل هوالذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون)

« ذرأ » فعل ماض ، فاعله الضمير المستترفيه عائد إلى الله تعالى و موضع « كم » نصب ، مفعول به و « إليه » متعلق بـ « تحشرون » فعل مضارع لجمع المخاطب المذكر، مبنى للمفعول .

٢٥- (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

« هذا » فى موضع رفع بالابتداء و « الوعد » نعت من « هذا » و « متى » إسم إستفهام زمانى ، خبره وفيه ضمير يعود على « الوعد » و « إن كنتم صادقين» شرط محذوف انجزاء يدل عليه ما قبله .

٢٦- (قل انما العلم عندالله وانما أنا نذيرمبين)

جواب عن سؤالهم « متى هذاالوعد » عن زمان الحشر ، وعلى هذافتكون اللام فى « العلم » للعهد ، فان بالعلم العلم بوقت الحشر وليس العلم بوقته الا الله عزوجل ، وقيل : للجنس ، فالمعنى : انما حقيقة العلم عندالله تعالى، ولا يحاط بشىء منه الا باذنه جل وعلا . و « أنا » مبتداء و « نذير » خبره و « مبين » خبر بعد خبر .

٢٧- (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا و قيل هذا الذى كنتم به تدعون)

الفاء للترتيب ، وتفيدههنا التراخى و «لما» اذا دخلت على الفعل الماضى كانت لربط مضمون جملة بوجود مضمون جملة اخرى ، وفى كون « لما » هذه

حرفاً أوظرفاً خلاف ، و« رأوه » الضمير فى موضع نصب ، مفعول به الاول، راجع إلى « الوعد » و « زلفة » مفعول ثان، واستدل بعض النحويين بذلك على تعدّى رؤية العين إلى المفعولين.

« سيئت » فعل ماض مبنى للمفعول جواب ا « لما » و « وجوه » جمع وجه نابت مناب الفاعل ، اضيفت إلى « الذين » ، و « هذا » مبتداء و «الذى» موصولة خبره ، و « كنتم» فعل ماض لجمع المخاطب المذكر من الافعال الناقصة ،و« به» متعلق بـ« تدعون » و هو فعل مضارع من باب الافتعال فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص .

٢٨- (قل أرايتم ان اهلكنى الله ومن معى أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)

« أهلكنى » فعل ماض من باب الافعال ، والنون للوقاية ، والياء للتكلم ، مفعول به و «الله» فاعل الفعل ، و « من » موصولة فى موضع نصب و « معى »متعلق بمحذوف صلتها ، و«نا» فى « رحمنا » فى موضع نصب ، مفعول به ، و الفاء فى « فمن » جواب للجملة لان معنى « أرايتم » : انتبهوا ، فالتقدير : انتبهوا فمن يجير كما تقول : اجلس فزيد جالس ، و ليست الفاء جواباً للشرط ، و جواب الشرط مادلّ عليه « أرأيتم » ويجوز أن تكون الفاء زائدة ، وقام الاستفهام مقام مفعول « أرأيتم » كقولك : أرايت زيداً ما صنع .

و « من » إسم إستفهام فى موضع رفع بالابتداء و « يجير » فعل مضارع من باب الافعال خبره ، و « الكافرين » مفعول به .

٢٩- (قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين)

« هو » مبتداء و « الرحمن » خبره و « آمنا به » فى موضع رفع ، نعت من « الرحمن » و « عليه توكلنا » عطف على « آمنا به » و « فستعلمون » الفاء للترتيب ، و « من » إسم إستفهام فى موضع رفع بالابتداء و « هو » خبر ، و

يجوز العكس ، و « ضلال » متعلق بمحذوف و « مبين » نعت من « ضلال »

٣٠- (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن ياتيكم بماء معين)

« أصبح » من أفعال الناقصة « ماؤكم » إسمهاو « غوراً » خبرها و قيل : « غوراً » حال بناء على أن « أصبح » تامة و « غوراً » مصدر بمعنى غائر .

« فمن ياتيكم » فى الفاء وجهان : أحدهما - ماسبق فى « فمن يجير الكافرين » ثانيهما - جواب الشرط .

و فى « معين » و جهان : أحدهما - أن يكون فعيلا من « معن » الماء اذا كثر، فتكون الميم أصلية . ثانيهما - أن يكون إسم مفعول من « العين » فان أصله : معيون ، فثقلت الضمة على الياء ، فحذفت ، وبقيت الياء سا كنة والوا و ساكنة ، فحذفت الواو لسكونها وسكون الياء قبلها ، و كسر ماقبل الياء توطيداً لها لأنه ليس فى كلامهم ياء قبلها ضمة .

و قيل : حذفت الياء لسكونها وسكون الواو بعدها ، و أبدلت من الضمة قبلها كسرة ، فانقلب الواو ياء لانكسار ماقبلها .

﴿ البيان ﴾

١ - (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير)

تقديس وتمجيد وثناء على الله تعالى متعقباً بتنويه بمطلق تصرفه جل وعلا ، و إخبار بانه عز وجل يفيض على هذا الوجود من خير و بركة ينال به المؤمن و الكافر ، البر والفاجر، المطيع و العاصى ، والذئب والغنم . . . و بيده الملك و التصرف لايملك أحد معه شيئًا ، ولا يمنعه من شىء .

وفى إسناد البركة إلى الموصول إستشهاد بما فى حيّز الصلة على تحقق مضمونها ، وفى إيثار الفعل بصيغة الماضى من باب التفاعل مالايخفى على القارىء الخبير فتدبر جيداً .

وقوله تعالى : « بيده الملك » اليد : كناية عن القدرة التامة ، والاستيلاء الكامل وتدبير الامر وكمال تسلطه على الكون ومافيه و كونه متصرفاً كيف يشاء كتصرف ذى اليد فيما بيده ، يقال : هذه الدار فى يد فلان أى فى ملكه ، و هذا الامر بيد فلان أى هو المدبر له وان كان بينهما بون بعيد .

فالمعنى : تعالى و تعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتاً و صفة و فعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى الامور كلها ،وهو مبدأ الخيرات والبركات تفيض على هذا الوجود اطلاقاً .

وفى « الملك » إطلاق يشمل لكل ملك ، فهو جل وعلا يملك بنفسه كل شىء من جميع جهاته .

قيل: ذكر اليد تأكيد حيث ان أكثر التصرفات والعطايا باليد، وان الملك من صفات الفعل، والقدرة من صفات الذات.

وقيل: كل صفة من صفات الله تعالى إطلاقاً ترجع بالمآل إلى الصفات الذاتية.

ولا يخفى: ان في ذلك دقة تزل عندها الاقدام، و تقصر لديها الافهام، و تضطرب فيها الاقلام . . .

وان توصيفه تعالى بقوله: «الذي بيده الملك» أوسع من توصيفه بالمليك في قوله: «عند مليك مقتدر» القمر: ٥٥) وأصرح وآكد من توصيفه في قوله: «له الملك» التغابن: ١) وقوله: «مالك يوم الدين» الفاتحة: ٤)

و قوله تعالى: «وهو على كل شيء» عطف على الصلة لتقرير مضمونها و إفادة جريان أحكام ملكه جل وعلا في جلائل الامور ودقائقها... وفي الجملة إشارة إلى عدم محدودية قدرته، وعدم انتهائها إلى نهاية، وايماء إلى الحجة على إمكان ماسيأتي من أمر المعاد.

قيل: قوله تعالى: «وهو على شيء قدير»: أخص من قوله تعالى: «وهو بكل شيء عليم» اذلاشيء إلا و هو تعالى يعلمه، ولاشيء الا و يصح أن يكون معلوماً في نفسه، ولا يوصف جل وعلا بكونه قادراً على مالا يصح أن يكون مقدوراً في نفسه مثل ما تقضى وقته مما لا يبقى.

٢ـ (الذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا و هو العزيز الغفور)

وصف آخر لله تعالى، وشروع في تفصيل بعض أحكام الملك، وآثار القدرة، و بيان إبتنائهما على قوانين الحكم و المصالح، و استتباعهما لغايات جليلة، والموصول ـ الذي ـ بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه، ولعل تقديم الموت على الحياة لكون الاختبار والعبرة في الموت ما ليس منهما في الحياة.

قوله تعالى : « ليبلونكم » تقرير لحكمة الله تعالى فى خلق الانسان وموته وحياته اذ جعل ذلك وسيلة للاعتبار والاختبار حتى يظهر الاحسن من الجنس البشرى عملا ، و معرفة صالحهم من طالحهم لتوفيتهم جزاء أعمالهم فى دار الاخرة من غير حاجة إلى أعمالهم ولا ضعف وعجز من جزاءهم .

وفى ايثار المضارع دلالة على إستمرار الابتلاء مادامت الحياة والموت ، و ان الخطاب موجه إلى جميع الاذهان والعقول والقلوب إستهدافاً للتنبيه والاسترعاء والتذكير بعظمة الكون وخالقه ، وواجب الناس إزائه و تلقين جليل مستمر المدى فى كون الناس مدعوين إلى صالح العمل و التسابق فيه ، وكون حكمة خلقهم أو تميزهم عن سائر خلق الله تعالى متصلة بذلك .

و قوله تعالى : « أيكم أحسن عملا » فى ايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والاحسن فقط ايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضاً لكمال تعاضد الموجبات له ، وترغيب فى الترقى ، وحث على التعالى إلى مدارج الكمال الانسانى بعضدتى العلم والعمل ، وزجر عن مباشرة نقائضهما .

و قيل : فى الكلام ايماء إلى أن المقصود بالذات من الخلقة هو ايصال الخير من الجزاء ، حيث ذكر حسن العمل ، وامتياز من جاء بأحسنه ، فالمحسنون عملا هم المقصودون بالخلقة ، وغيرهم مقصودون لأجلهم .

وقوله تعالى : « و هو العزيز الغفور » تخويف وتطميع ، و جعل الانسان بين الخوف والرجاء ، واستغناء عن عمل الانسان لانه قوى لا يدانيه فى قوته أحد ، وليس هو فى حاجة إلى أحد ، وهو المتصف مع ذلك بالغفران والصفح و التسامح .

وفى الجملة من تعليم أمر سياسى لابد منه لكل راع من رب البيت و سيد القوم ورئيس الملة ما لا يخفى على أهله .

٣ـ (الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصرهل ترى من فطور)

فى تكرار الموصول بيان مظاهر الملك والقدرة و « ما ترى » خطاب عام شامل لكل من يصلح للخطاب و يمكنه الرؤية ، و يحتمل أن يكون الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله تعالى : « فى خلق الرحمن » وضع موضع « فيها » أو « فيهن » تعظيماً لخلق السموات كمافى قوله تعالى : « ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها » النازعات : ٢٧) و إشعاراً بعلة الحكم وبانه جل وعلا خلقها بقدرته رحمة شاملة لجميع الخلق، وتنبيهاً إلى سبب سلامتهن من التفاوت. وتناسبهن وإنسجامهن بانهن من خلق الرحمن خلقهن بواسع رحمته الشاملة ، ففى إضافة « خلق » إلى «الرحمن» إشارة إلى أن الغرض من الخلق هو إفاضة الرحمة على المخلوق على السواء كل بحسبه وما اقتضته الحكمة الالهية حتى يغيّر المخلوق مابنفسه ومن ثم لم يقل: « فى خلقه » . . .

وقوله تعالى : « من تفاوت » تنكير « تفاوت » فى سياق النفى ، و إدخال « من » عليه يفيد العموم .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » و نحن نرى فى جميع الخلق تفاوتاً عظيماً ، فان الأضداد كلها من خلقه ، و هى متفاوتة نحن والسموات أيضاً متفاوتة فى الصغر والكبر والارتفاع والانخفاض وغير ذلك . . . ؟؟؟

تجيب : ان المراد بالتفاوت هنا الخلل والعيب والنقص فى خلقه ، منها السموات ويؤيده قوله تعالى : « فارجع البصر هل ترى من فطور » أى من شقوق وصدوع فى السماء ، ولا من إختلال أو نقص فى نظام الوجود ،وفى هذا إلفات إلى قدرة الله تعالى، وإلى إحكام ما خلق، وان كل مخلوق مهما صغر شأنه و فئول شخصه هو

من صنع العليم الحكيم، فيه من روعة الصنعة وقدرة الصانع مافى أعظم المخلوقات وأروعها، فالمراد بنفى التفاوت اتصال التدبير وارتباط الاشياء بعضها ببعض من حيث الغايات والمنافع المترتبة على تفاعل بعضها فى بعض، فاصطكاك الاسباب المختلفة فى الخلقة و تنازعها كتشاجر كفتى الميزان وتصارعهما بالثقل و الخفة والارتفاع والانخفاض فانهما فى عين أنهما تختلفان تتفقان فى إعانة من بيده الميزان فيما يريده من تشخيص وزن السلعة الموزونة.

وقوله تعالى: «فارجع البصر هل ترى من فطور» دعـوة الانسان إلـى النظر بعقله فى مصداق قوله تعالى: «ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت» وصحته وإرجاع البصر ثانياً كناية عن المداقة والامعان فى النظر فان النظرة الاولى حمقاء

٤- (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير)

فى الامر بتكرير البصر فى خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع متراخياً فصلاً بعد فصل - كما تؤمى إليه كلمة «ثم» - إشعار بعدم وجدان العيب والنقص و الخلل فيها، فالمراد بالتثنية: التكرير والتكثير لان الكرة فى معنى التكرير.

والمعنى: كرّ رأيها الناظر بصرك إلى السماء مفكراً فى عجائبها و مستنبطاً غوامض تركيبها وارجعه رجعات كثيرة لقوله تعالى: «ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» فانه يدل على كثرة النظر اذ لا يصير حسيراً بمرتين كقولهم: لبيك و سعديك أى إلباباً بعد إلباب و اسعاداً بعد إسعاد، يعنى كلما دعـوتنى فأناذو إجابة بعد إجابة.

ففى «ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» إستعارتان: إحداهما - ان الخاسى: البعيد من خسىء الكلب إذا بعد، أو الذليل من رجل خاسى أى ذليل وقد خسّ أى خضع وذلّ. ثانيهما - الحسير: البعير المعيى الذى قد بلغ السير بمجهوده واعتصر عوده.

فالمعنى: ان البصر يرجع بعد سروحه فى طلب مراده و ابعاده فى غايات

مرامه كالا معيياً بعيداً عن إدراك بغيته خائباً من نيل طلبته .

وان اسلوب الايات الأربع تقريري قوى موجه إلى أفهام السامعين وعقولهم جاءت تمهيداً لما يأتى بعد من التنديد بالكفر وانذار الكافرين ، وان السؤال «هل ترى» والتحدى «ثم ارجع البصر كرتين» يزيدان على قوة الصورة العظيمة التى رسمتها الايات الاولى لمشاهد كون الله جل وعلا، وعلى تصوير شعور المرء بها ، وهو الشعور الدائم العام الذى لايستطيع أحد أن يتفلت منه حينما يرسل ببصره إلى السموات ، ويتفكر فى عظيم الابداع والاتقان والسعة التى لايحصيها ذهن ولايحيط بها بصر ، و فى الايتين الاخيرتين إشارة إلى أن النظام الجارى فى الكون نظام واحد، متصل الاجزاء مرتبط الأبعاض بحيث تؤدّى إلى مقاصدها من غير أن يفوّت بعضها غرض بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغاية المطلوبة .

٥- (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير)

تصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها ، وفيها تقرير لبعض آثار الملك ، وبيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن إثر بيان خلوّها عن شائبة القصور ، وفيها إلفات النظر إلى صفحة من صحف هذا الكون الشاسع التى يمكن أن يرتادها النظر ، وأن يقرأ فيها العقل آيات قدرة الله واحكام صنعه ، و ايماء إلى أن للعقل حدوداً ينبغى أن يقف لديها ، فان تجاوز حدوده رمى بشهب من الشكوك فاحترقها بنارها كما يحترق الشيطان الذى يصعّد فى السماء ويجاوز الحدود التى تحتملها طاقته .

وفيها تنبيه إلى أنه تعالى لبالمرصاد لكل مايجرؤ على حدود ، ويقف منه موقف المتمرد مهما خيل للناس انه قوى شديد كشياطين الجن مثلا الذين لهم فى أذهان السامعين صورة ضخمة مفزعة ، وأما تزيين الدنيا بالمصابيح فهو تعبير

متكرر ومتسق مع شعور الناس على اختلاف طبقاتهم بما تقع عليه أنظارهم من مشاهد السماء ونجومها وشهبها وبما فى أذهانهم من ذلك بسبيل العظة والتنويه. وسمى الكواكب مصابيح لانارتها وإضائتها .

وقوله تعالى: «وأعتدنا لهم عذاب السعير» وعيد شديد للشياطين ،وإشارة إلى أن هذا العذاب حاضر معدّ لهم منذ الدهر .

وفى ايثار الافعال الثلاث - زينا - جعلنا - أعتدنا - بالتكلم مع الغير تعظيم وتفخيم ، وفى الالتفات الثلاثة فى الاية عما فى الايات السابقة مما لا يخفى على القارئ المتدبر فتدبر واغتنم .

٦- (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير)

فى عطف الكفار على الشياطين ايماء إلى وحدة مصير الطائفتين و كونهم جميعا طبقة واحدة ،وفيه وعيد شديد وإنذار للكافرين وتقرير لموقفهم يوم القيامة إثر الوعيد للشياطين .

٧- (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور)

وصف لما يؤول إليه أمر الكفار من جهنم و فظائع أحوالها ، وصف يبعث الرعب ويثير الندم والفزع فيهم و يحملهم على الارعواء حيث يكون لها صوت مرعب من شهقها تشبيهاً لحسيسها المنكر الفظيع بصوت الحمار وشدة فورانها .

ان تسئل : الشهيق : ردّ النفس والصوت الخارج من الجوف عند تضايق القلب من الحزن الشديد والكمد الطويل ، وهو صوت مكروه السماع وهذا من صفات ذى النفس ، فكيف وصفت النار بذلك ؟

تجيب : ان الله تعالى وصفها بأن لها أصواتاً مقطعة تهول من سمعها ويصعق من قرب منها على سبيل الاستعارة لما فيها من إثارة الفزع والرعب فى المتمردين، فتحملهم على الارعواء وهو مما استهدفته الايات ...

٨- (تكاد تميز ، من الغيظ كلما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم

نذير قالوا بلى قد جاء نا نذير)

وصف آخر على سبيل الاستعارة حيث ان الغيظ صفة الانسان المغضب ، فوصفت النار بصفة المغيظ الغضبان الذى من شأنه اذا بلغ ذلك أن يبالغ فى الانتقام ويتجاوز الغايات فى الايقاع والايلام ، وقد جرت عادتهم فى صفة الانسان الشديد الغيظ أن يقولوا : يكاد فلان يتميز غيظاً أى تكاد أعصابه المتلاحمة تتزايل، وأخلاطه المتجاورة تتنافى وتتباعد من شدة اهتياج غيظه ، واحتدام طبعه فأجرى الله تعالى هذه الصفة التى هى أبلغ صفات الغضبان على نار جهنم لما وصفها بالغيظ ليكون التمثيل فى أقصى منازله وأعلا مراتبه . . .

قيل : و لعل السبب فى هذا المجاز هو ان الغضب حالة تحصل عند غليان دم القلب ، والدم عند الغليان يصير أعظم حجما ومقداراً ، فيمدد الاوعية حتى كادت تنشق وتنخرق ، فجعل ذكر هذا الازم كناية عن شدة الغضب .

و قوله تعالى : « كلما القى فيها فوج » مستأنف سيق لبيان حال أهل النار إثر بيان حال نفسها ، وفى التعبير عن سوق الكافرين إلى جهنم بالالقاء تحقير لهم و سلب الانسانية عنهم اذ يعاملون معهم معاملة مالاشأن له ، بحيث يطرح بعيداً من غير إلتفات إليه ، وفى كلمة «فوج» إشارة إلى أن الكافرين يلقون فيها جماعة جماعة .

و قوله تعالى : « سئلهم خزنتها ألم ياتكم نذير » تقرير لعدل الله تعالى الجارى فى خلقه بانه سبحانه لايعذب أحداً الاّ بعد قيام الحجة و إرسال الرسل إليه ، وتمرّده عن أمره على طريق السؤال التقريعى والتوبيخى ليزداد واعذاباً فوق عذاب ، وحسرة على حسرة .

وقوله تعالى : « قالوا بلى قد جاء نا نذير » اعتراف منهم بانه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية على طريق التحسر والتأسف على مافات عنهم ، والندم على ما مضى عليهم من التكذيب والتمرد والعصيان . . .

١٠- (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)

ملامة على أنفسهم لما كذّبوا رسل الله تعالى و آياته ، وندامة حين لا ينفعهم الندم ، وإقرار باستحقاقهم العذاب على طريق تعليق الحكم على الوصف و قد نفوا عن أنفسهم السماع والعقل تنزيلا لما عندهم منهما منزلة العدم حين لم ينتفعوا بهما .

وقدّم السمع على العقل لتقديم السماع على تعقل المسموع، وأمّا الجمع بين السمع والعقل فان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ، ولم يذكر البصر لانه ليس مداره ، فلابد للمكلف أن يسمع الكتاب وقول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ثم يتفكر فيهما . . .

قيل : قدم السمع على العقل لان استعماله من شأن عامة الناس وهم الا- كثرون ، والعقل شأن الخاصة وهم آحاد قليلون .

وذلك لان أكثر ما ينتفع بالسمع عامة الناس لقصورهم عن تعقل دقائق الامور ، و إدراك حقيقتها والاهتداء إلى مصالحها و مفاسدها ، و انما ينتفع بالعقل الخاصة .

و قيل : قدم السمع على العقل تنبيها إلى لزوم تقديم الارشاد و الهداية اذ لا يتم الدين الا بالتعليم .

١١- (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير)

تفصيح وإستنتاج عما حكى عنهم : بان ظهر عما ذكر انهم اعترفوا بذنوبهم فبها استحقوا العذاب كما تفصح به الفاء ان . . .

« فسحقا لأصحاب السعير » دعاء عليهم بالبعد عن الرحمة الالهية وتسجيل عليهم بصحبة النار والخلود فيها وايماء إلى أن هذا الاعتراف مما لا ينفع إذ فات أوانه ومضى وقته .

١٢- (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

دعوة الناس إلى الايمان ، و وعد للمؤمنين منهم بالمغفرة والاجر الكبير اجمالاً إثر بيان كفر الكافرين ووعيدهم بالنار والعذاب وما آل إليه أمرهم تفصيلا.

وفى ايثار الخشية بصيغة الاستقبال ، ووصفهم بها دون الايمان دلالة على ان الموضوع والحكم مستمرا المدى ، وان المقام مقام الانذار والوعيد .

ففى الاية تقرير لمصير المؤمنين تجاه بيان موقف الكافرين جرياً على الاسلوب القرآنى ، وفيها حث للناس على الايمان وتطمين وتثبيت وبشرى للمؤمنين فى الوقت نفسه .

١٣- (أسروا قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و لعل وجهه ان هذه دعوة للمخاطبين خاصة إلى الايمان بالغيب إثر الدعوة لكافة الناس إليه ، و يؤيده ما ورد فى النزول فراجع .

و فى الاية تهديد على المخاطبين و تقرير لجهلهم بواقع الامر : ان الله تعالى مطلع على الخفايا والسرائر، وفيها بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه جل وعلا .

وفى تقديم السر على الجهر ايذان بافتضاحهم ، ووقوع مايحذرونه من أول الامر، والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرّونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فاذا علم السرّ فكيف الجهر ؟ فان علمه جل وعلا بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء فى نفسه علم بالنسبة إلى الله تعالى أولأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ مامن شيء يجهر به الاّ وهو أومباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالباً ، فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية .

و قوله تعالى : « انه عليم بذات الصدور » تعليل لما قبله وتقرير له ، و فى صيغة الفعيل « عليم » وتحلية « الصدور » بلام الاستغراق ، و وصف الضمائر

بصاحبتيها من الجزالة مالاغاية ورائه، كأنه قيل: انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس ، وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لاتكاد تفارقها أصلا، فكيف يخفى عليه ما تسرّونه وتجهرون به .

١٤- (ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

إنكارونفى لعدم إحاطة علم الله تعالى بالخفايا والسرايا من جهة أي لايعلم السرّ والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها . و تقرير لما جاء في قوله تعالى : « واسروا قولكم الخ » من جهة اخرى . كأنه قال ألا يعلم سركم وجهركم من يعلم الدقائق والخفايا : جملتها وتفاصيلها .

وإقامة حجة برهانية ونصب أدلة على كمال علمه تعالى بنوع آخر، وذلك لأن الله جل وعلا هو الذى خلق الخلق كله ، ومن الضرورة ان الخالق يعلم عمل خلقه ومايدور في أذهانهم وماتخفيه صدورهم .

وإشارة إلى أن أحوال الاشياء وأعمالها غير خارجة عن خلقها لأنه جل و علا استدل بعلمه بمن خلق على علمه بخصوصيات أحواله وأعماله ، و لولا كون الأحوال والاعمال غير خارجة عن وجود موضوعاتها لم يتمّ الاستدلال ، على أن الاحوال والاعمال من مقتضيات موضوعاتها و الذى ينتسب إليه وجود الشيء ينتسب إليه آثاروجوده .

وقوله تعالى : « و هو اللطيف الخبير » حال من فاعل « يعلم » مؤكدة للانكاروالنفى أى ألا يعلم ذلك ، والحال انه المتوصل علمه إلى ماظهرمن خلقه وما بطن . وان الاسمين الكريمين من الاسماء الحسنى .

١٥- (هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه و اليه النشور)

شروع بعدّ نعم الله تعالى على عباده وتذكير بفضله عليهم بماكان من تسخيره الارض وتيسيره الانتفاع بخيراتها ليسعوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه .

و ان الخطاب موجه للناس كافة و إلفات لهم إلى إحسانه لهم إذخلقهم و أقامهم على خلافة الارض ، و جعل الحياة فيها ذلولاً لهم أى مذللة ميسرة لهم بما أوجد فيها من أسباب الحياة وأدوات العمل للعاملين فيها .

وفيه تحريص وترغيب إلى الكدّ والسعي المشروع في تحصيل الرزق وطلب الحلال . و في تقديم « لكم » على مفعولى « جعل » و قد كان من حقه التأخر عنهما إهتمام بما قدّم ، والتشويق إلى ماأخّر، فان ما حقه التقديم إذا أخّر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المتأخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده ، فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن .

وقوله تعالى : « ذلولاً » إستعارة لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب يقال : بعيرذلول وفرس ذلول اذاأمكن من ظهره وتصرّف على مراد راكبه وضد ذلك وصفهم للمركوب المانع لظهر والممتنع على راكبه بالصعب و المصعب ، والمعنى : ان الله جل و علا جعل الارض للناس كالمركوب الذلول ممكنة من الاستقرارعليها، والتصرف فيهاطائعةغيرمانعة ، ومذعنة غيرمدافعة ، فانالذلول: المسخرة للانتفاع بها بيسر وسهولة .

فى كنز العرفان : قال : «ذلولاً » أى لينة يسهل لكم السلوك فيهاو«مناكبها» جبالها أوجوانبها ، وهومثل لفرط التذلل فان منكب البعير ينبوعن أن يطأه الراكب ولايتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبهالم يبق شيء منها لم يتذلل .

وقوله تعالى : «فامشوافى مناكبها » الفاءلترتيب الامرعلى الجعل المذكور أى فاسلكوا فى ظهورها وأعاليها ، وأعلى كل شيء : منكبه .

والامر أمرإباحة ، واظهارامتنان ، ودعوة إلى العمل فى هذه الحياة الدنيا وإلى السعى فى الارض والضرب فى وجوهها المختلفة ، وتمثيل لفرط التذليل ، فان منكب البعيرأرق أعضائه وانباها عن أن يطأه الراكب بقدمه، فاذاجعل الارض

فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شىء لم يتذلل .

وفى تعدية الفعل « امشوا » بحرف الجر « فى » بدلاً عن « على » إشارة إلى أن ينفذ الانسان فى أعماق هذا المناكب وإلى أن يعمل على كشف أسرار هالا مجرد اتخاذها طريقاً يمشى عليه .

وقوله تعالى : « وإليه النشور » فى تقديم الجار إختصاص رجوع النشر بالله تعالى كناية عن إختصاص حكم النشور به جل وعلا والمعنى إلى الله وحده يرجع النشور : نشر الاموات باخراجهم من الارض وإحيائهم للحساب والجزاء ، و هذا هو خاتمة مطاف الانسان بعد انتهاء رحلته فى الارض . . فهو بعد هذه الرحلة تطوى صفحة وجوده على الارض ثم تنشر حياته من جديد بين يدى الله تعالى فى دار الاخرة .

ففى الجملة تحذير وتهديد للكافرين من المعاصى سراً وجهراً ومن مآلها، وتقرير بان مرجع الناس إلى الله تعالى فيحاسبهم على أعمالهم . . .

وفى الاية الكريمة نفسها تلقينات مهمة جليلة المدى :

أحدها ـ ان الله تعالى سخّر الدنيا لعباده كلهم ، فليس لاحد أن يمنع غيره من السعى فى مناكبها والانتفاع منها .

ثانيها ـ ان الله جل وعلا حثّ الجميع على السعى فى مناكبها ، فليس لأحد أن يأكل سعى غيره أو يسلبه ثمرات سعيه ويقعد هو عن السعى أم لا

ثالثها ـ ان الله تعالى سخر الدنيا ومنافعها لجميع الناس و لكنه نبههم إلى أن هذه المنافع لاتنال إلاّ بالسعى والعمل .

رابعها ـ ان الله جل وعلا قرّر ان الرزق الذى يستخرجه الناس من الارض هو فى الحقيقة رزقه لأنه هو الذى خلق مادته وأوجد القوى و الاسباب التى تساعد على إخراجه، فلاحق لأحد أن يدعيه لنفسه أو يحتكره من دون الناس

خامسها ـ ان الله تعالى أومى فى ختام الاية إلى أن فيما رزقوا به فى هذه

الحياة الدنيا حساب وجزاء فى دار الاخرة .

١٦- (ء أمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور)

تهديد و زجر للكافرين - سواء قلنا بعموم الخطاب أم لهم فقط - عن تكذيبهم وتمرّدهم على طريق سؤال إنكارى عما اذا كانوا آمنوا وهم يكذّبون رسل الله وآياته من أن يخسف الله تعالى بهم الارض ، فتميد تحت أقدامهم .

وفى تخصيص السماء بالذكر و بصيغة الافراد - و ملكه تعالى يعم العالم كله - تنبيه على أن الاله الذى تنفذ قدرته فى السماء لا من يعظّمونه فى الارض، وإلى علوّ سلطانه جل وعلا وتمكنه منهم ، فليس فى تحديد لوجوده سبحانه على مازعم بعض من لاشأن له فى فهم الكتاب السماوى ، وإشارة إلى أن نزول العذاب من السماء الدنيا .

١٧- (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)

إضراب عن التهديد بما ذكر ، و إنتقال إلى التهديد بوجه آخر ، وقوله تعالى : « فستعلمون كيف نذير» تفريع على التهديد السابق ، فيفيد تأكيده و يكون أيضاً تهديداً آخر .

١٨- (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير)

تصدير الجملة بالقسم المضمر لابراز كمال الاعتناء بمضمونها من تذكير الكافرين بما كان من تكذيب الامم السابقة و ماحلّ بهم من نقم الله جل وعلا، وما ابتلوا به من الهلاك والدمار ، وتسلية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتشديد التهديد لقومه ، ووجه الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إبراز الاعراض عنهم و إسقاطهم عن تشريف الخطاب لجها لاتهم و إهمالهم فى التدبر فى الايات التكوينية و التدوينية ، وعدم مخافتهم من عذاب ربهم .

٢٠- (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن

انه بكل شيء بصير)

إلفات نظر لهم إلى الطير التى تطير فى السماء فتبسط أجنحتها أو تقبضها ، وما يمسكها على السقوط الا الله القادر المتعال ، حيث ينطوى فى هذه الظاهرة دليل قاطع و برهان ساطع على قدرة الله جل و علا ، و حجة واضحة على كونه بصيراً بكل شيء مدبراً لكل شيء .

وفى ايثار «يقبضن» بصيغة المضارع دلالة على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات .

ان تسئل : لم قيل : « يقبضن » ولم يقل : « قابضات » ؟

تجيب : لان الاصل فى الطيران هو صف الاجنحة، فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك ، فجيىء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ، ويكون منهن القبض مرة بعد مرة اخرى كما يكون من السابح، وانما الحق نون النسوة تشبيهاً لها بالنساء السابحات فى الماء.

وقوله تعالى : « ما يمسكهن الا الرحمن» مستأنف بيانى كأن قائلا يقول : ماالمراد بالفات نظرهم إلى صفيف الطير ، وقبضهن فوقهم ؟

اجيب : بقوله تعالى : « ما يمسكهن الا الرحمن » .

وقوله تعالى : « انه بكل شيء بصير » تعليل لماسبق .

٢٠- (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور)

تنديد إنذارى آخر و تبكيت لهم بنفى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح بـه التعرض لعنوان الرحمانية ، و تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ، وهم مع ذلك تمادوا فى الغرور ، و تمردوا على دعوة الله جل و علا .

و« أم » فی « أمن » منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عزوجل إلى التبكيت بما ذكروالالتفات للتشديد فی ذلك ، ولاسبيل إلى تقدير الهمزة معها لأن مابعدها « من » الاستفهامية ، وايثار«هذا» لتحقير المشاراليه .

و قوله تعالى : «من دون الرحمن» إشارة إلى أن الله تعالى برحمته الواسعة يبقى الناس على وجه الارض مع كفرهم و تمرّدهم وطغيانهم ، و بهذه الـرحمة يعيش البر والفاجر، المؤمن والكافر ، المطيع والعاصی ، والطير فی جو السماء والدابة على وجه الارض . . .

وقوله تعالى : «إن الكافرون الاّ فی غرور» إعتراض مقرر لما قبله باع عليهم ماهم فيه من غاية الضلال ، وفی الالتفات إلى الغيبة ايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم ، و بيان قبائحهم لغيرهم ، والاظهار « الكافرون » فی موضع الاضمار «هم» لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به .

٢١- (أمن هذا الذی يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فی عتوونفور)

تنديد و توبيخ إنذاری آخـر باسلوب السؤال الانكاری عمن يمكن أن يرزقهم غيره إذاهوأمسك عليهم الرزق كشفاً عن ضلالتهم وجهالتهم و تعجيزهم عما يمكن أن يدّعوا ، ومع ذلك فقد تمادوا فی العتووالتمرد على دعوة الله جل وعلا والنفورمنها حيث صاروا بذلك مستحقين لهذا وذاك .

عن الفراء قال : قوله تعالى : « أمن هذا الذی يـرزقكم » الاية تعريف حجة ألزمها الله العباد فعرفوا وأقرّوابها و لـم يردّوالها جوابا فقال سبحانه : « بل لجوا فی عتوونفور »

٢٢- (أفمن يمشی مكباعلى وجهه أهدى أمن يمشی سوياً على صراط مستقيم) .

الفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وغرورهم فی مهاوی الغرور

وركوبهم فيه متن عشواء العتو والنفور ، فان تقدم الهمزة على الفاء صورة انما هولاقتضاء الصدارة ، وأما بحسب المعنى فبالعكس على ما هوالمشهورحتى لو كان مكان الهمزة « هل » لقيل « فهل من يمشى »

ومثل عام ضرب للمشرك والموحد ، للكافر والمؤمن ، للمهتدى و الضال ، و للمطيع و العاصى توضيحاً لهما و تحقيقاً لشأن مذهبيهما على طريق السؤال التنديدى الاخر عمن هوالافضل أهو الذى يمشى مكبا على وجهه لايرى طريقه؟ أم الذى هو المستقيم فى مشيته ، فيرى الطريق الواضح المستقيم ، ويسير فيه ؟ فشتان بين الطريقين وسالكيهما .

ان تسئل : كيف يستطيع المشى من كان مكبا على وجهه ؟

تجيب : هذه إستعارة والمراد بها صفة من يتخبط فى الضلال و ينحرف عن جادة الرشاد لانهم يصفون من تلك حاله بانه ماش على وجهه ، فيقولون : فلان يمشى على وجهه ، ويمضى على وجهه اذا كان كذلك .

وإنما شبهوه بالماشى على وجهه لانه لاينتفع بمواقع بصره إذ كان البصر فى الوجه ؛ وإذا كان الوجه مكبوباً على الارض كان الانسان كالا عمى الذى لايسلك جدداً ، ولايقصد سدداً ، ومن الدليل على قوله تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى » من الكنايات عن عمى البصر قوله تعالى فى مقابلة ذلك : « أمن يمشى سوياً » لان السوى ضد المنقوص فى خلقه والمبتلى فى بعض كرائم جسمه .

و فى الاستعارة من جعل المعقول بصورة المحسوس ليكون أبين للحجة وأوضح لطريق المحجة مالا يخفى . وفى الايات الستّ طلب إقرار منهم ببعض نعمه تعالى الشاملة ورحمته الواسعة لايستطيع أحد انكارها ليريهم قبح ماهم عليه من الكفر والتكذيب .

٢٣- (قل هو الذى انشاكم و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون)

أمر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه الخطاب إلى الكفار فى عرضة التذكير والتنديد والتقرير بأن الله تعالى هو الذى خلقهم فى البدء و وهبهم نعمة السمع و البصر والعقل مع تأنيبهم على قلة شكرهم لله جل و علا على هذه الافضال والنعم الظاهرة والباطنة ، و إبانة انهم لنعمة ربهم لكنود ، تلقين لهم ، و إلزام اياهم بتلك الحقائق سواء عقلوها أولم يعقلوها .

الاقتصار بالقوى الثلاثة من بين القوى . و عدم ذكر غيرها من اللمس و الذوق والشم وغيرها من القوى الباطنة لكون الاوليين طريقى الثالثة وسائر القوى خاضعة لها ، ويمكن أن يكون المراد بالسمع و البصر مطلق الحواس الظاهرة و المراد بالافئدة مطلق الحواس الباطنة من باب اطلاق الجزء و إرادة الكل مضافاً إلى أن ظهور آثار السمع والبصر فى الأعمال الحيوية أكثر من غيرها ففى الاية إشارة إلى مبادىء العلم الذى أنعم الله تعالى بها الانسان فمبدأ التصور هو الحس و العمدة فيه السمع والبصر و إن كان هناك غيرهما من اللمس و الذوق والشم ، ومبدأ الفكر هو الفؤاد .

وأما وجه إفراد « السمع » وجمع « الابصار » فان السمع إما مصدر والمصدر لايجمع ، وإما حسٌ فى الاذن فيكون للواحد والجمع ، واما البصر فهو العين او منه العين ، فيجمع بالابصار .

۲۴- (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون)

تذكير و وعيد و تنديد آخر بهم لتقرير قدرة الله تعالى على حشرهم إليه مادام هو الذى خلقهم و كثّرهم فى الارض ، وتخطئتهم على مازعموا من عجز الله سبحانه عن البعث والجزاء .

۲۵- (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

حكاية عن تساؤل الكافرين الجهلة المتمادين على جهلهم تساؤلاً يتضمن معنى الانكار والاستهزاء والاستخفاف والاستعجال منهم عن موعد تحقيق وعد البعث

والحساب والعذاب الاخروى اذاكان ذلك حقاً وصدقاً .

وجه الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وايثار الفعل بصيغة المضارع مالا يخفى لطفه .

٢٦- (قل انما العلم عندالله وانما أنا نذيرمبين)

أمر للنبى الكريم ﷺ باجابة المكذبين بان علم ذلك عندالله تعالى و انه ليس الاّ نذيراً ، ففى ختام الاية بيان لوظيفة النبى ﷺ .

ولا يخفى ان القصر لوكان لتخصيص شىء بشىء دون آخر فهوقصر إفراد ، و إن كان لتخصيص شىء بشىء مكان آخر إن اعتقد المخاطب فيه العكس فهو قصر قلب ، وإن تساويا عنده فهوقصر تعيين .

ان القصر الاول فى الاية يحتمل القلب إذ كان المكذبون يسئلون النبى ﷺ عن وقت الحشر بانه عالم به - ولوعلى سبيل السخرية والاستهزاء - فقلّب النبى ﷺ حكمهم فقال : « انما العلم عند الله » و يحتمل الافراد والتعيين باعتبارين آخرين و أما القصر الثانى فهو قصر قلب اذ كانوا مكذبين برسالته فقلّب حكمهم .

٢٧- (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا و قيل هذا الذى كنتم به تدعون)

الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين ، و ترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل : وقد أتاهم الموعودفرأوه الخ كقوله تعالى : «فلما رآه مستقراً عنده» النمل ٤٠) إلاّ ان المقدرهناك أمرواقع مرتب على ماقبله بالفاء وههنا أمرمنزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف .

ففى الاية توكيد لتحقيق وعدالله جل وعلا وتقرير لحال المكذبين عند نزول العذاب ومعاينته ، فلسوف يرون ذلك مما يزعمون فحينئذ تتجهم وجوههم هلعاً من العاقبة ، و يقال لهم : هذا هو مصداق وعد الله الذى كنتم تنكرونه و

تتعجلونه تعجل الساخر الجاحد .

وقوله تعالى : « سيئت وجوه الذين كفروا » فى موضع ضمير « هم » ذم عليهم بالكفر وتعليل للمساءة به ، وبيان للسبب الذى من أجله حلت بهم المساءة وهو انهم كانوا كافرين.

وإسناد السوء إلى الوجوه لأنها هى التى تجلى على صفحتها آثار المشاعر والاحاسيس والافكار التى تدور فى كيان الانسان من فرح أوحزن ، و من لذة أو ألم . . .

وقوله تعالى : « وقيل هذا الذى الخ » ردّ وتوبيخ لهم، وتعنيف وانذار و تشديد لعذابهم ، وفى ايثار الافعال الثلاثة - رأوا - سيئت - قيل - بصيغ الماضى دلالة على حتمية تحقق مضامينها . . .

وقوله تعالى : « به تدعون » فى تعدية الفعل بحرف الجر ، وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى « تهتفون » أو « تستعجلون » ونحوهما مما يدل على شدة الرغبة للشىء والطلب .

٢٨- (قل أرايتم ان أهلكنى الله ومن معى أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)

أمر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه سؤال إستنكارى للكفار جواباً عن تمنيهم موته صلى الله عليه وآله وسلم و من معه إذا كان يستطيع أحد أن يجيرهم من عذاب الله و بلائه الشديد إن مات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه قبل نزوله عليهم أورحمهم حين نزوله، وفى الاية حثّ الكافرين - تلويحاً - على طلب الخلاص بالايمان وصالح العمل .

وقيل : ان الاية تضمنت رداً على الكفار الذين كانوا يتربصون بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويتمنونه حتى يخلصوا منه ، وهو ما حكى فى قوله تعالى : « نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين » الطور : ٣٠- ٣١)

وقوله تعالى : « فمن يجير الكافرين الخ » فى وضع الظاهر موضع ضمير

«هم» تسجيل عليهم بالكفر، وتعليل لنفى الانجاء به وتهديد شديد عليهم بالعذاب واستحقاقهم به الذى لايصرفه عنهم أحد من صديق أوقريب .

٢٩- (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين)

أمر للنبى ﷺ أيضاً باعلان ايمانه و ايمان من معه ايماناً مطلقاً بالله تعالى ، و توكلهم عليه وحده ، و بانذار الكفار بانهم لن يلبثوا حتى يعرفوا من الفريقين المهتدى ، ومن هو المرتكس فى الضلالة .

ان تسئل : لم اخّر مفعول « آمنا » ولم يقل : « به آمنا » وقد قدّم مفعول « توكلنا » أولم يقل : « توكلنا عليه » ؟

تجيب : لان « آمنا » تعريض بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل : « آمنا » و لم نكفر كما كفرتم ثم قال : « و عليه توكلنا » خصوصاً لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من أموالكم وأولادكم اذ كانوا يقولون : «نحن أكثر أموالاً واولاداً ومانحن بمعذبين » وإشارة إلى أنهم لايرحمون فى الدارين لأنهم كفروا بالله تعالى واتكلوا على غيره .

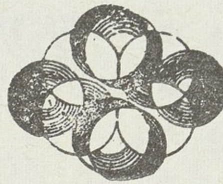
ويحتمل أن التقديم والتأخير إشارة إلى لزوم القصر فى التوكل إذ لايجوز التوكل على غيره ولابد من الايمان لكل مؤمن برسوله واليوم الاخر وبكتابه، فلاقصر فى الايمان بخلاف التوكل .

ان الكلام فى الفاء فى قوله تعالى : « فستعلمون » هو الكلام فى قوله تعالى: « فلما رأوه زلفة » و فى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و ايثار الفعل بصيغة المضارع ، وتنكير « ضلال » ووصفه بقوله : « مبين » من اللطائف مالايخفى على القارىء المتدبر .

٣٠- (قل أرايتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين)

أمر للنبى الكريم ﷺ بتوجيه سئوال إستنكارى للكفار عمن يستطيع أن يجرى لهم الماء الدائم إذا ما أصبح ماؤهم غائراً فى الارض .

و فيه دليل قاطع و برهان واضح على وجوب الاتكال على الله تعالى وحده في كل حاجة مع انه برهان آخر على كمال قدرته و وحدانيته ، وتوكيد لموقف حجاجي وجاهي قام بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والكفار ، و طلب إقرار منهم ببعض نعمه ليريهم قبح ماهم عليه من الكفر و التكذيب ، و تهديد لهم بأن يسلط الله جل و علا عليهم البلاء في هذه الحياة الدنيا ، وأن يرميهم بالمكاره ، و أن ينزع عنهم نعمه التي يعيشون فيها ، فلو ان الله تعالى ذهب بهذا الماء الذي هو قوام حياتهم وحياة حيوانهم ونباتهم فمن يأتيهم بجرعة منه ؟ وفي ايثار المصدر « غوراً » بدلاً عن إسم الفاعل « غائر » مبالغة في نضوب الماء وذهابه في الارض ، نظير : زيد عدل ، وعمرو رضى .



﴿الاعجاز﴾

و من وجوه الاعجاز القرآني هو علوه وثباته في مكانته التي قام عليها في علوها وشموخها - التي تظهر من هذه السورة بصراح - من غير تأثر بالاحداث العارضة التي كانت تدور في محيط الدعوة الاسلامية وفي كل وقت و مكان فلم ينفعل بها ، ولم يستجب لها بل كان ويكون دائماً حيث هو في علوه و سموه و سلطانه وقوته ، ينظر إلى الناس ، ينظر إلى المجتمع البشري، وينظر إلى الحياة من عل دون أن يهتز اويتأثر بما تهتز به الحياة أو يتأثر به الناس، أو ينفعل به الافراد ، اويتلون به المجتمع ... وذلك لان القرآن كلام من يملك الامر كله، من بيده ملكوت السموات والارض «تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير» إلى آخر السورة... ومن في قبضته كل جبار عنيد ...

فله جلال الحق ، وله عظمة الخالق، وله قدرة الباريء ، وله قوة الرزاق حيثما يكون ، ومتى يتلى ، وأينما يسمع ، فلا يزول هذا العلو ، ولاتنفصل عنه تلك العظمة ، ولاتضعف فيه هذه القوة ... فان تلك الصفات ليست شيئا عارضاً له وانما هي من كيانه وصميمه يعلو بها أبداً على كل كلام ، ويرتفع بها دائماً على كل قول ... علو النجم على الحصا ، وارتفاع السحاب على التراب .

وليس هذا العلو الشامخ وتلك العظمة البارزة في القرآن تعالياً أو تكبراً، وانما هي حقيقة لاصنعة فيها الا صنع الله تعالى كصنعه في هذا الوجود من غير تكلف ، وهل في علو الشمس على هذا الوجود الارضي علو او تكبر؟ ان أي قاريء للقرآن الكريم أو مستمع له : مؤمناً كان أو غير مؤمن يستولى عليه شعور بالتصاغر و التضاؤل أمام هذا الجلال ، و تلك العظمة التي تطلع عليه من

آيات الله جل وعلا ، والتي تشرف عليه من علو تحسّر دونه الابصار .

فالقرآن الكريم في جميع مخاطباته ومحاوراته ، وفي تحدياته ومجادلاته، وفي أوامره ونواهيه ، وفي وعده و وعيده ، وفي أمثاله و قصصه ، وفي مواعظه و نذره . . وفي كل حال منه انما يكون دائماً على هذا العلو الشامخ ، و في هذا المقام الرفيع الذي لاينال . . يتحدث إلى الناس حديث من يملك كل شيء ومن يقوم على كل شيء ، و من يدبر ويقدّر دون أن يقف أحد أمام سلطانه أو يحول دون أمر من أوامره وهو يقول : «الذى خلق سبع سموات طباقاً ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ـ ألا يعلم من خلق ـ هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً ـ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ـ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ـ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ـ هذا الذى يرزقكم . . . »

أمن الانسان من يملك في نفسه تلك الشجاعة . وهذه القوة ، وتلك العظمة التي يواجه بها الحياة كلها و الناس جميعهم متحدياً كل شيء ، جاعلا له كل شيء ليس لاحد معه مثقال ذرة من شيء ؟

أيكون ذلك إلاّ للاله الحق تبارك و تعالى الذى بيده كل شيء ويملك بحق كل شيء ، ويقدر بحق على كل شيء . .

ان أدعياء العظمة ، والملك والسلطان ليس لهم في ذات أنفسهم معين تنبع منه هذه العظمة، ويتدفق منه ذلك الملك وهذا السلطان ! ولذلك فهم إن استبد بهم الغرور في حال : « ان الكافرون الاّ في غرور » فتطاولوا وتشامخوا وعلوا في الناس وعتوا فانه لاتلبث هذه النار الكاذبة أن تنطفىء في نفوسهم لأى عارض يعرض لهم، وبأى نازلة تنزل بهم ، فتنحل قواهم، وتخور عزائمهم ، وتنكسر نفوسهم . . واذا هم في جلابيت الذلة والصغار . . واذا أصواتهم التي كانت عالية مزمجزة تخفت و تضعف ، وتتخادل فلاتكاد تسمع .

وهذا « نابليون » مثلا الذى عرفت الحياة قولته التي قالها في فورة انتصا

راته : « ليس هناك مستحيل » والذى قيل : انه محى هذا الكلمة من قاموس لغته ماذا كان يجرى على لسانه بعد أن هزم فى موقعة « و اترلوا » وبعد أن نفى فى « سانت هيلين » ؟

أترى كان يجرى على لسانه غير الكلمات الضارعة الخانعة التى تحدث عن نفس ضائعة ، وانسان مهزوم ؟

هكذا شأن الانسان دائماً . . تقوى نفسه فتقوى لذلك كلماته ، و يطغى غروره . . و يضعف فتضعف كلماته ، و ينهزم غروره ، و تموت دوافع التعالى و التعاظم التى كانت تملا كيانه ، وتتفجر على لسانه كلمات الارباب الذى يقوتون و يرزقون : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ - ٧)

« ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسّه الشر جزوعاً واذا مسّه الخير منوعاً » المعارج : ١٩ - ٢١)

« واذا مسّ الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه » يونس : ١٢)

ولقد صوّر القرآن الكريم فرعون فى صورتيه تلك . . فى علوه وعتوّه و فى استخزائه و انهياره . . فهو فى الحال الاولى جبار عنيد ، يريد أن يخرق الارض ، و أن يبلغ الجبال طولاً ، ينظر إلى الناس من حوله نظرة الخالق إلى خلقه : « ما علمت لكم من اله غيرى » القصص : ٣٨)

هكذا يهتف بهذه الكلمات المجنونة فى وجوه قومه ، ويلقى بها على الملاء وماذاك الآ لهذا الملك ، وهذا السلطان الذى بين يديه ! !

« أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » الزخرف : ٥١) ولقد ركبه هذا الغرور فدفع به إلى أن يهتف بهامانه أن يبنى له صرحاً يشرف منه على السماء . .

« فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى اله موسى »

القصص : ٣٨)

« ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى » المؤمن : ٣٦)

و انظر إلى هذا الجبروت ، و هذا الطغيان كيف يتحول إلى استجداء و استخزاء حين يدركه الغرق . . فيقول :آمنت ! ! ولكن بعد فوات الاوان . . .

« حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل و انا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين » يونس : ٩٠-٩١)

و كذلك قصّ القرآن قصة صاحب الجنتين الذى طلع عليهما يوماً فملكه الغرور واستبدّ به الضلال ، فقال : « ما اظن أن تبيد هذه أبداً » الكهف : ٣٥)

ثم ذهبت به هذه القولة الفاجرة إلى قولة اخرى أكثر منها ايغالاً فى الضلال والفجر . فقال بعدها : « وما اظن الساعة قائمة . . » الكهف : ٣٦)

ثم زيّن له هذا الغرور أن يركب مراكب الخيال والخبال . . فقال :« و لئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا . . » الكهف : ٣٦)

ثم انظر كيف يتخاذل ، ويستخزى ويصغر ويذل حين يتلفت يوماً فلا يجد لجنتيه أثراً « فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها و يقول ياليتنى لم اشرك بربى أحداً . . » الكهف : ٤٢)

ذلكم هم الناس . . علو وعتو ، . وتخاذل و إنكسار !

أما الخالق جل وعلا فمنزّه عن تلك العوارض التى تعرض للناس . .« ان ربى على صراط مستقيم» هود : ٥٦)

و « لاتأخذه سنة ولانوم له ما فى السموات ومافى الارض » البقرة : ٢٥٥)

ان القرآن الكريم - على ما ذكر - يطلع من آفاق عالية لايتحوّل عنها دائماً و لا يتزحزح عنها فى حال من أحواله و هذا العلو الشامخ وجه من وجوه الاعجاز القرآنى نجده بصراح فى هذه السورة و فى آية من آيات صدقها و أنها

كلام الحق جل وعلا : « و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » النساء : ٨٢)

اختلافاً فى منازله التى يطلع منها ، واختلافاً فى القوة التى ينطلق منها، واختلافاً فى الميزان الذى يزن به الخير و الشر . . إلى ما يقول به المفسرون من اختلاف فى المعنى . . علواً وإسفافاً ومن اختلاف فى الاسلوب . . قوة وضعفا.

ومن وجوه اعجاز هذه السورة إخبارها - فى زمن ركود العلم والتدبر بناموس الجاذبية العامة للارض بقوله تعالى : « أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير » : ١٩)

وفى سورة الرعد قال : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » : ٢)

وفيهما إشعار بارتفاع أجرام السماء والسموات بنسب من التباعد بعواميد غير مرئية من خطوط الجاذبية العامة قبل يفوه بذلك (اسحق نيوتون) بقرون.

فمن تدبّر فى القرآن الكريم حصل لنفسه جذبة جذب المغناطيس ، و لذة دونها كل لذة ذات بهجة للنفوس كما تحصل للمتفكرين فى كل وقت ومكان من العرب والعجم ، ومن الاسود والابيض ، والمسلم والكافر . .

وهى جواذب الطباع : جذبة من قصصه وأمثاله ، جذبة من اخباره وأحكامه ، جذبة من آدابه ومواعظه ، وجذبة وجذبة . . .

و لذلك ترى الفقهاء يفزعون إليه ، و الخطباء يستمدون منه ، والادباء يعتمدون عليه ، والسياسيين يتفكرون فيه . . .

وهو كهرباء القلوب وجذاب الارواح والنفوس وتبيان لاصناف العلوم.

و حكى إن بعض المتجبرين على الله قرئت عليه الاية : «قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » : ٣٠)

فقال : تأتينا به الفؤس والمكتل ، فذهب ماء عينيه .

وقال بعض المفسرين : وهذا من الاعجاز .

«التكرار»

وقد تكرر الامر برجوع البصر فى قوله تعالى : « فارجع البصر - ثم ارجع البصر كرتين » الملك : ٣ - ٤)

قيل : هى ثلاث مرات : أى فارجع البصر و هذه مرة « ثم ارجع البصر كرتين » فمجموعها ثلاث مرات .

ومن المحتمل أن يكون أربع مرات وذلك لدلالة قوله تعالى : « فارجع البصر » على مرة سابقة .

وعلى أى تقدير فلعل سبب التكرار : ان رجع البصر فى الكرة الاولى تحدٍّ من الله جل وعلا للعالم أن يكتشف الانسان خللاً فى إحكام خلق السموات اذ قال بعدها : « هل ترى من فطور » : شقوق .

وأما رجع البصر ثانياً فهو كالامر بالنظر فى ملكوت السموات . وهو متوجه إلى تحدى الانسان أن يحصى ما فيها من عجائب الخلق او يحيط بما فيها من كواكب وسيارات اذ قال بعدها : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » كما أعجز الخلق أن يعلموا شيئاً عن السموات الأخرى غير السماء الدنيا مهما استعانوا بوسائل الكشف فى طوال الاعصار . . . جيلا بعد جيل و كرة بعد كرة . فمهما حاولوا فان البصر سينقلب خاسئاً وهو حسير . والعجز متحقق من الانسان فى الكرتين فى الاولى : عجز عن إحصاء الكواكب والسيارات ، و فى الثانية عجز عن معرفة حقيقة السماء الدنيا والسموات الاخرى .

و أما تكرير « أ أمنتم من فى السماء » الملك : ١٦ و ١٧) فان الله تعالى

خوّفهم بالخسف اولاً لكونهم على الارض : ثم خوّفهم بقذف الشهب من السماء ولذلك جاء ثانية .

ثلاث سور يشتمل كل واحدة منها على ثلاثين آية :١-سورة السجدة . ٢-سورة الملك . ٣ - سورة الفجر .

سورتان مفتتحتان بصيغة « تبارك » أحدهما - سورة الفرقان . ثانيهما - سورة الملك .

ونشير فى المقام إلى صيغ أربع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية :

١ - جاءت كلمة (البلاء) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ٣٦مرة:

٢ - « « (الشهيق) « « « « « : مرتين:

أحدهما - سورة هود : ١٠٦) ثانيهما - سورة الملك : ٧)

٣ - « « (النكب) « « « « « : مرتين:

أحدهما - سورة المؤمنون : ٧٤) ثانيهما - سورة الملك : ١٥)

٤ - « « (الكب) « « « « « : مرتين:

أحدهما - سورة النمل: ٩٠) ثانيهما - سورة الملك : ٢٢)

﴿ التناسب ﴾

إن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى: فان هذه السورة نزلت بعد سورة الطور ، فتظهر المناسبة بينهما بالتدبر فى غرضهما . فتدبر جيداً .

و أما الثانية : فالتناسب بين هذه السورة وبين سورة التحريم فبامور :

أحدها ـ انه لما ختمت السابقة معرضاً للصراع بين الخير والشر،والنزاع بين أهل الحق و الباطل ، والتضاد بين أصحاب الطاعة والمعصية ، والحرب بين الايمان والكفر فيما كان من إمرأة نوح وإمراة لوط ، و خروجهما من المعركة خاسرتين كافرتين . . ثم ما كان من امرأة فرعون وصراعها مع قوى الشر المحدقة بها من كل جهة ثم انتصارها و خروجها من وسط هذا الظلام المطبق إلى حيث النور والهدى ، إلى حيث السعادة والكمال ، وإلى حيث العزة والجلال . . .

بدئت هذه السورة بقوله تعالى : « الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ليقرران نتيجة هذا الصراع بين المحقين ، والمبطلين، بين المحسنين والمسيئين ،بين المطيعين والعاصين ، و بين المؤمنين والكافرين ... انما تظهر على حقيقتها كاملة يوم القيامة ثم تكون حياة بعد هذا الموت ليحاسب الناس على ما عملوا فى الحياة الدنيا من خير أو شر ، من طاعة أو معصية ، ومن

صلاح أوفساد . . .

فكان من المناسب أن تلتقى هذه الحقيقة التى قررتها سورة « الملك » مع تلك الحقيقة التى ختمت بها سورة « التحريم » و بذلك يتأكد المراد منهما معاً .

ثانيها - انه لما اشير فى السابقة إلى أن الوصلة لاتنفع إلاّ بالطاعة ، وأصل الطاعة هى المعرفة والتصديق بالكلمات الالهية والعمل بمقتضاها اشير فى هذه السورة إلى دلائل المعرفة وآيات الربوبية .

فملاك الكرامة هوالايمان والتقوى ، و ان القومية والزوجية لمؤمن أو لكافر ليس لهما دخل فى الكرامة ما لم يكن الانسان مع الحق ، هذا ماأشير فى سورة التحريم ، واشير فى سورة الملك إلى ان الملك بيدالله تعالى فخلق العالم للامتحان من غيرفرق فيه بين أحد وأحد زوجة نبى أوزوجة كافر ، كريم النسب او وضيعه ، فما هو الملاك نتيجة الامتحان بلا ظلم على أحد من شركاء مجلس الامتحان من المكلفين ، وان الموت والحياة محكاه وان الدنيا دار الامتحان ، والاخرة دارالجزاء .

ثالثها - ان الله تعالى لما ضرب مثلا فى السورة السابقة للكفار بهاتين المرأتين الكافرتين ، و قدكانتا تحت عبدين صالحين ، و مثلا للمؤمنين بآسية و مريم المؤمنتين ، وقدكانت احداهما تحت عبدكافر باغ وطاغ، ولازوج للاخرى وقدكان أكثرقومهما كفاراً افتتح هذهالسورة بما يدلّ على كمال قدرته ،وإحاطة علمه ، وعزجلاله وقهره على خلقه .

رابعها - انه لما ختمت سورة التحريم المشتملة على غاية التعظيم لنبيه، واللطف به وبالمؤمنين ، وتهديد الكفار بالعذاب ، و انقطاع عذرهم فى الاخرة أردفت بسورة الملك المشتملة على بيان سلطنته المطلقة فى عالم الوجود و الكون كله ، و كمال علمه وقدرته ، وتهديد الكفار بورودهم فى النار، وانقطاع

عذرهم و اعترافهم باستحقاقهم العذاب وابطال قولهم بانكار المعاد واظهار اللطف بالمؤمنين ، افتتحت هذه السورة ببيان عظمة ذاته المقدسة ، و كثرة خيره و كمال قدرته بقوله تعالى : « تبارك الذى الخ »

و أما الثالثة : فان الله تعالى لما مجّد نفسه و قدّس ذاته ، و أخبر : ان بيده الملك والتصرف فى كل شىء بما يشاء و حيثما يريد لامعقب لحكمه ، و لا يسئل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ، أخبر : انه جل وعلا قدّر الموت والحياة للابتلاء ، فيعلم المخلص من المنافق ، والمؤمن من الكافر ، والطاغى من المطيع والخبيث من الطيب ، و ختم الخبر بالوعد والوعيد بانه تعالى هو الغالب على أمره ، وغافر ذنب عبده اذا تاب وأقلع عنه ليكون العبد بين الخوف و الرجاء و أما تقديم الموت على الحياة فلان أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه ، فقدّم لانه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الاية أهم ، وقيل : ان الموت نطفة وعلقة ومضغة، والحياة نفخ الروح،وقيل: اريد بالموت الدنيا، وبالحياة الاخرة ، فالدنيا أيام الموت ، والاخرة دار حيوان ، فالموت مقدم على الحياة

ثم أخذ بذكر متعلق الخلق ، ومظاهر قدرة الخالق ودلائل العلم والحكمة له جل وعلا بانه خلق سبع سموات بعضها فوق بعض من غير خلل فيها ولا شقوق كيفما ينظر الناظر مرة بعد اخرى اذ مهما كرّر النظر فيجد الناظر تمام التناسب والاستواء فى خلقها رحمة للعالمين .

ان الله تعالى لما بيّن خلوّ السموات من العيب والخلل ذكر أنها فى غاية الحسن والصفاء بتزيينه تعالى السماء الدنيا مع الاشارة إلى بعض أغراض التزيين بقوله جل وعلا : « ولقد زينا السماء الدنيا » وهذا مظهر آخر من مظاهر قدرة الله تعالى و علمه و حكمته و تدبيره فى خلقه ، و ختم الاية بتهديد الذين يريدون التجاوز عن حدودهم ، مع الايماء إلى انهم لايستطيعون ذلك .

ان الله تعالى لما ذكرانه أعدّ للمتجاوزين عن الحدود عذاب السعير أردف ذلك بذكر سوء عاقبة من لم يحسن امتحانه بحيث صار مردوداً فيه من الكفار و أذنابهم المنافقين ، و بتبعة كفرهم و وخامة أمرهم بانه قد أعدّ لهم عذاباً فى الاخرة بقوله : « وللذين كفروا بربهم الخ »

ثم أردف ببعض أهوال جهنم مضافاً إلى التعذيب بها ووصفها باوصاف تشيب من هولها الولدان ، وتصطك لسماعها الاسنان :

منها : قوله تعالى : « اذا القوا فيها الخ » وفيه بيان لفظائع أحوال جهنم بانها تفور بهم كما يفورما فى المرجل حين يغلى .

و منها : قوله تعالى : « تكاد تميّز من الغيظ » و فيه مبالغة فى شدة غضب جهنم ونارها عليهم .

و منها : قوله تعالى : « كلما القى فيها فوج الخ » و فيه تقرير لأحوال الملقين فيها . وقدّم السمع على العقل لأن استعماله من شأن عامة الناس و هم الاكثرون والعقل شأن الخاصة وهم آحاد قليلون مضافاً إلى أن السمع طريق التعقل .

ان الله تعالى لما ذكرانه الغالب القاهر على طائفة ، وانه الغافر للآخرين و كلتا الطائفتين فى عرضة الامتحان أشارأولاً إلى المغلوبين المقهورين من الكفار والمكذبين تفصيلا ، ثم أشارثانياً إلى المغفورين اجمالاً بقوله تعالى : « ان الذين يخشون ربهم » الاية و هم المقبولون فى الامتحان شملتهم الجوائز الاخروية ، فالكافر المردود غير مشمول لهذا الغفران .

مضافاً إلى ان الله تعالى لماذكر ما أعدّ للمجرمين من العذاب ذكر ما أعدّ للمتقين جمعاً بين الترهيب والترغيب، بين الانذار والبشارة ، وبين الوعد والوعيد

ثم أعاد الكلام إلى الكافرين على طريق الامتنان وإقامة الدلائل والبراهين على كمال قدرته وتوحيد ربوبيته واحاطة علمه دعوة لهم إلى ماسلكه المؤمنون ، والتهديد عليهم اذا خالفوهم بالهلاك والدمار فى الحياة الدنيا و العذاب والنار

في الاخرة ، و استشهد على صدق وعيده بما نزل على الامم السابقة المكذبين للرسل بقوله تعالى : «وأسرّوا قولكم - الى - فكيف كان نكير»

ومن المحتمل أن تكون مناسبة قوله تعالى : «ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور» ان الاية السابقة كانت دعوة موجهة من الله تعالى إلى الناس جميعاً أن يأخذوا أماكنهم من الارض ، و أن يعملوا قواهم كلها فيما أودع الله تعالى لهم فيها من خير ليقطفوا من ثمارها و يأكلو امن طيباتها .. و ذلك فى قوله تعالى : «هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و إليه النشور» و هذه الارض التى مكّن الله جل و علا للناس من السعى - من يمسكها ان تميدبهم ؟ و من يحفظ وجودهم عليها ، فلاتفتح فاها لتبتلعهم ؟ أليس ذلك من تدبير الحكيم العليم ؟ ومن رحمة الرحمن الرحيم ؟! . .

فمابال هؤلاء المشركين لايؤمنون بالله ، وقدجاءهم رسول كريم يدعوهم إلى الله ، ويحمل بين يديه كتاباً منيراً ، تنطق كل آية من آياته بمعجزة قاهرة متحدّية ؟ .

ثم ذكر من آثار القدرة الالهية التى يشاهدها كل انسان بقوله تعالى : «أو لم يروا إلى الطير الخ» وليست هى قدرة تقاوم ، وتظهر عند قدرته بقوله :«أمن هذا الذى هو جند لكم الخ» رداً على الكفرة الذين يدعون بانتصارهم من أموالهم و أولادهم و جنودهم ، كل ذلك كان غروراً منهم بقوله : « ان الكافرون الاّ في غرور » .

وفى ذكر طيران الطير فى جوّ السماء بعد ذكر جعل الارض ذلولاً والانسان يمشى على مناكبها مالا يخفى من اللطف .

ان الله تعالى لماوبّخ الكافرين على دعواهم : ان لهم ناصراً سوى الله و بخهم على دعواهم : ان لهم رازقاً غير الله ، و على اعتمادهم بآلهتهم فى ايصال

الخيرات اليهم بقوله تعالى : « أمن هذا الذى يرزقكم الخ » ثم أشار إلى عدم قابليتهم للهداية اذقست قلوبهم و عمت أبصارها ببيان ضرب المثل بقوله تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه الخ »

ان الله تعالى لما بيّن طريقى الهدى والضلالة ، طريقى الحق و الباطل ، طريقى السعادة و الشقاء ، و طريقى النور والظلمة ، و انه تعالى خلق الانسان للابتلاء على سبيل الاجمال ، و خلق السموات والارض مسخرة له ذكر ماوهب الانسان من وسائل الهدى وادوات الادراك و جعل له القوى الظاهرة والباطنة لنيله بالكمال ، و وصوله إلى السعادة و الجلال بقوله تعالى : « قل هو الذى أنشاكم وجعل لكم السمع والابصار الخ »

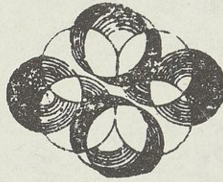
ثم أشار إلى ان الانسان لم ينتفعوا بتلك النعم ، ما قابلوا هذه النعمة : نعمة الانشاء ، نعمة السمع ، نعمة البصر ، ونعمة الافئدة بالشكر قلباً بالمعرفة، ولساناً بالذكر وعملاً بالعبادة .

وقدّم السمع لان فوائده أقوى من فوائد البصر فى الدعوة والارشاد ،فان السمع للخطاب ، و البصر للرؤية و مرتبة الخطاب أقدم ، فلاتتقدم كلمة على كلمة فى القرآن الكريم الاّ لسبب ولا تتأخر الاّ لسبب كما قدم السمع على البصر فى الذكر فى عديد من الآيات القرآنية ، و هى مسئلة يعرف سرّها علماء التشريح لانهم يدركون ان جهاز السمع أرقى و أعقد و أدق و أرهف من جهاز الابصار والأم لا يتوه سمعها عن صوت بكاء ولدها و تميزه من بين الاف الاصوات ، و تتوه عين الأم عن ولدها فى الزحام .

ثم أقام دليلاً متقناً و برهاناً قاطعاً على ان وراء هذه الدار : دار العمل والامتحان دار حساب و جزاء ، ثم أشار إلى مقالة الكافرين تجاه هذا الدليل والوعيد ثم أجابهم وبيّن وظيفة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : « قل هوالذى ذرأكم فى الارض ـ وانما أنانذير مبين »

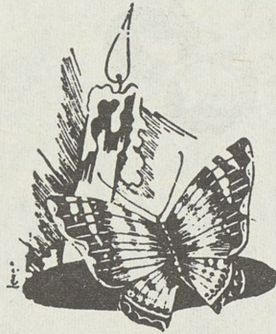
ثم أشار إلى حال الكفرة المكذبين حين نزول العذاب بهم صراحاً ،وشدة العذاب ضمنا بقوله تعالى : « فلما رأوه زلفة سيئت الخ »

ثم أشار تعالى فى الايات الثلاث الاخيرة إلى بعض مظاهر القدرة الالهية و إلى بعض آثار الرحمة الشاملة ، وان المناسبة بين بدء السورة وختمها مالايخفى على القارى الخبير فتدبر جيداً .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد كلاماً من الباحثين ما يدل على ان في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً ام متشابها فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم.



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١- (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير)

فى « تبارك » أقوال : ١- عن الحسن : أى تقدّس . ٢- عن أبى مسلم : أى تعالى وجلّ عما لا يجوز عليه فى ذاته وأفعاله .

٣- قيل : أى دام ، فهو الدائم الذى لا أول لوجوده ، ولا آخر لدوامه .

٤- قيل : أى تعالى بأنه الثابت الذى لم يزل ولا يزال .

٥- قيل : أى تعاظم بالحق من ثبوت الاشياء به إذ لولاه لبطل كل شىء لانه لا يصح سواه شىء إلاّ وهو مقدوره أو مقدور مقدوره الذى هو القدرة .

٦- قيل : أى تنزّه عن صفات المحدثين ، وتعاظم عن عوارض المخلوقين .

٧- قيل : أى تعالى من جميع البركات منه إلاّ أن هذا المعنى مضمر فى الصفة غير مصرّح به ، وإنما المصرّح به انه تعالى باستحقاق التعظيم .

٨- قيل : تبارك من البركة وهى النماء والزيادة ، والمراد ههنا : كثرة صدور الخيرات والبركات عنه تعالى فى الحسيّات حيث ان كثرة الخير و دوامه أيضا و نسبتها إلى الله جل وعلا هو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته و صفاته و أفعاله ، و صيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك ، فان ما يتصور نسبته إلى الله تعالى من الصيغ كالتكبر و نحوه إنما ينسب إلى الله سبحانه باعتبار غاياتها . . .

٩- قيل : إنها عقلية بأن كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات ناشئة من ناحية العقل، فتكون صيغة «تبارك» لافادة نماء تلك الخيرات وإزديادها شيئاً فشيئاً ، و آناً فآناً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة

على غاية الكمال و إنبائها عن نهاية التعظيم ، فلم يخبر استعما لها فى حق غيره تعالى و لا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه جل و علا .

أقول : إن التدبر فى سياق السورة حق التدبر يلهمنا بشمول البركة والنماء لطرفيها : الامور الحسية والعقلية حيث يمتنّ الانسان بنعمتى الحسية المادية والعقلية المعنوية ، والظاهرة والباطنة والدنيوية والاخروية ، كما يوعّده بنعمة ظاهرة و خفية ، و يهدّده بهلاك دنيوى و عذاب اخروى .

و هذا لا ينافى أن تكون صيغة « تبارك » تقديساً و ثناء على الله تعالى أيضاً .

و فى « الملك » أقوال : ١ ـ قيل : الملك : عالم الاجسام والملكوت : عالم الارواح والنفوس كقوله تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء »

فوصف الله تعالى ذاته باعتبار تصريفه عالم الاجسام والمادية بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ، وباعتبار تسخيره عالم الارواح والملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح الذى هو التنزيه ، فكل بما يناسبه حيث ان البركة والنمو والازدياد تناسب الاجسام ، والتنزيه يناسب المجردات عن المادة .

٢ ـ عن ابن عباس : بيده الملك يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء ويحيى و يميت ويغنى ويفقر ، و يعطى و يمنع .

فالملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ، ومعناه : الذى هو المالك و له الملك ، و يملك بنفسه كل شيء من جميع جهاته ، و يؤتى الملك من يشاء ، و يتصرف فى كل شيء كيفما أراد .

٣ ـ قيل: الملك: الأمر والنهى والسلطان أى التمكّن من سائر الموجودات يتصرف كيفما يشاء ، و حيثما يريد .

٤ ـ قيل : الملك : السلطنة على الناس .

٥ ـ قيل : الملك : القدرة الماديّة والغنى والثروة من غير السلطنة على

الناس .

٦ ـ عن محمد بن اسحق : الملك : ملك النبوة التى أعزّ بها من إتبعه و ذل بها من خالفه ، فيرسل نبيّاً و رسولاً إلى الناس .

٧ ـ قيل : الملك : تمام القدرة و إستحكامها .

٨ ـ قيل : الملك : ملك السموات والارض فى الدنيا والآخرة لقوله تعالى : « اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء . . . » و قوله تعالى : « مالك يوم الدين »

أقول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق ، فلا وجه للتخصيص من غير مخصص .

٢ـ(الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)

فى « الموت والحياة » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس والكلبى و مقاتل : إن الموت والحياة جسمان ، و إن الموت فى صورة كبش أملح لا يمرّ بشىء ولايجد رائحة شىء إلا مات ، وخلق الحياة فى صورة فرس أنثى بلقاء فوق الحمار و دون البغل لاتمرّ بشىء ولايجد رائحتها شىء إلا حيىّ ، ولاتطأ على شىء إلا حيىّ و هى التى أخذ السامرىّ من أثرها ، فالقاها على العجل فحيى ، وهى التى كان جبرئيل والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر .

٢ ـ قيل : إن الحياة صفة يتصف بها الموصوف بحيث يصح أن يعلم ويقدر ، والموت عدم هذه الصفة ، فالموت هو العدم الاصلى و ليس اعدامياً لكى يكون شيئا ، و خلق الموت هو الاماتة .

٣ ـ قيل: ان الموت صفة وجودية تضاد الحياة لأن العدم لايكون مخلوقاً والمعنى : قدّرهما أو أوجدهما .

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً : ان المراد بالموت : خلق الموت الدنيوى كناية لانه يقع فيها ، والمراد من الحياة : خلق الحياة الاخروية من حيث إن لاموت

فيها لقوله تعالى : « و ان الدار الاخرة لهى الحيوان » العنكبوت : ٦٤) .

٥ - قيل : هما عرضان يتعاقبان على كل من صح عليه الموت والحياة ، فالموت نظير الاعدام والحياة مثال الايجاد ، فتقديم الموت لأن الاصل فى الاشياء العدم و هذا على سبيل التمثيل و الا فالعرض لا يكون جوهراً .

قيل : ليس الموت أمراً عدمياً لتعلق الخلق به و هو لا يتعلق بالعدمى لأزلية الأعدام، ولماكان الموت من اعدام الملكات وأعدام الملكات لهاحظ ضعيف من الوجود ، وماله حظ من الوجود تعلق به الخلق، فالموت عدم ملكة الحياة كالعمى من البصر والظلمة من النور .

٦ - قيل : الموت : النوم والحياة : اليقظة بعد النوم .

و قيل : الموت : هوالانتقال من حال إلى حال كالنوم الذى هو أخ الموت فليس الموت فناء محض ، بل بالموت ينتقل الانسان من حال إلى حال آخر .

٧- قيل : ان الموت بمنزلة الابوة التى تنفى بموت الولد، وتوجد بولادة الولد ، و ليس لها وجود خارجى ، فالموت يوجد بفناء الحياة أو بقطعها .

وقيل : الموت : إنقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقته له ، والحياة تعلق الروح بالبدن ، و إتصاله به .

٨ - قيل: الموت دوران قبل انعقاد النطفة و بعدها إلى حين ولوج الروح ، والحياة بعد ولوج الروح . وقال مقاتل أيضاً : الموت: النطفة والعلقة والمضغة ، والحياة : نفخ الروح ، فصار انساناً لقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتاً فاحياكم » فقد خاطب الاحياء فى الدنيا بانهم كانوا أمواتهم قبل مجيئهم إليها .

و قيل : الحياة كل ما يصح بوجوده الاحساس ، والموت : ضده .

و قيل : الموت : هو عدم الحياة الذى من شأنه حياة و لا يفهم معناه الا بعد الحياة كالليل بالنسبة إلى النهار فان العدم يقابل الوجود فمالم يكن وجود

لايفهم العدم ، فبايجاد الوجود يحصل للعدم مفهوم .

٩ - قيل : الموت كناية عن الدّنيا ، والحياة كناية عن الآخرة ، والمعنى: خلق الدنيا و خلق الآخرة .

١٠ - قيل : الموت ليس بعدم محض و لا فناء صرف ، و إنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما و تبدل حال و إنتقال من دار إلى دار والحياة عكس ذلك .

فالموت عدم شيء مخصوص ومثله يتعلق به الخلق والايجاد بناء على أنه إعطاء الوجود ولوللغير دون إعطاء الوجود للشيء فى نفسه ، أو أن الخلق بمعنى التقدير أو الانشاء والاثبات دون الايجاد ، و هذه المعانى تجرى فى العدميات .

١١ - قيل : فى الكلام حذف مضاف أى خلق أسباب الموت والحياة .

١٢ - قيل : اريد بخلق الموت والحياة خلق زمان معين لهما بمدة لايعلمها الاّ الله تعالى ، فايجادهما عبارة عن ايجاد زمانهما مجازاً .

أقول : و ما يظهر من الروايات الآتية : إن الموت والحياة خلقان من مخلوقات الله تعالى و إن لم نكن ندرك الموت قبل إنقطاع حياتنا

و فى تقديم ذكر الموت على الحياة أقوال : ١ - قيل : قدّم ذكر الموت على الحياة لانه إلى القهر أقرب كما قدّم البنات على البنين فى قوله تعالى : « يهب لمن يشاء أناثا و يهب لمن يشاء الذكور » الشورى : ٤٩) .

٢ - قيل : قدم الموت على الحياة لأن الموت أقدم فان الأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الاموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحياة .

٣ - قيل : قدم لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه ، فقدمه لانه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم .

٤ - قيل : لو كان الموت أمراً وجودياً فتقديمه لأنه أدعى إلى حسن العمل و أقوى فى ترك الدنيا و لذاتها ، و لو كان أمراً عدمياً ، فتقديمه ظاهر .

٥ ـ قيل : قدّم الموت لتقدم العدم على الوجود على الاطلاق .

٦ ـ قيل : إن الموت مخلوق أولاً ، فتقديمه عليها لسبقه وجوداً .

أقول : والثالث هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

و فى قوله تعالى : « ليبلو كم أيكم أحسن عملاً » أقوال : ١ ـ قيل : أى ليعاملكم معاملة المختبر أى ليبلو العبد بموت من يعزّ عليه ليبيّن صبره وبالحياة ليبين شكره .

٢ـ عن الزجاج : أى خلق الموت للبعث و الجزاء وخلق الحياة للابتلاء . فاللام فى «ليبكو كم» تتعلق بخلق الاحياء لا بخلق الموت .

وقال الفراء والزجاج أيضاً : لم تقع البلوى على «أى» لان فيما بين البلوى و « أى» اضمار فعل كما تقول : بلوتكم لانظر أيكم أطوع و مثله قوله تعالى : « سلهم أيهم بذلك زعيم » أى سلهم ثم انظر إليهم «فأيكم » رفع بالابتداء و « أحسن » خبره .

والمعنى ليبلوكم فيعلم أو فينظر « أيكم » أحسن عملاً .

٣ـ قيل : خلق الموت للتعبد بالصبر عليه ، والحياة للتعبد بالشكر عليها .

٤ـ قيل : خلق الموت للاعتبار ، والحياة للتزود .

٥ـ قيل : أى ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهى . فيجازى كل عامل بقدر عمله .

٦ـ عن الحسن : أى ايكم أزهد فى الدنيا وأشد تركالها .

٧ـ قيل : أى أيكم أخلص الاعمال وأصوبها .

٨ـ قيل : أى أتمكم عقلا وأشد كم لله تعالى خوفاً و أحسنكم فيما أمر الله تعالى به عملاً وعمانهاكم عنه بعداً .

٩ـ عن السدى : أى ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكراً ، وأحسن استعداداً له وأشد خوفاً وحذراً وأحسن صبراً على موته وموت غيره ، وأيكم أكثر امتثالاً

للاوامر واجتناباً عن النواهي في حال حياته .

أقول : ولكل وجه ولكن التعميم هو المستفاد من ظاهر الاطلاق والمؤيد بالروايات الاتية فانتظر .

٣- (الذى خلق سبع سماوات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)

فى « طباقاً » أقوال : ١ - عن إبن عباس : أى بعضها فوق بعض ، و ملتزق منها أطرافها ، من طابق النعل اذا خصفها طبقاً عن طبق .

٢- قيل : أى ذات طباق . ٣- قيل : أى طوبقت طباقاً .

٤ - قيل : أى يشبه بعضها بعضاً فى الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام .

٥- قيل : طبقة بعد طبقة من غير مماسة .

أقول : والاخير هو المؤيد بالروايات الكثيرة ولقد سبق الكلام فى تفسير الذاريات مايفيد المقام فراجع .

وفى « من تفاوت » أقوال : ١- عن قتادة : من إختلاف وإضطراب وتباين فى الخلقة ولا تناقض من طريق الحكمة ، بل ترى أفعاله كلها سواء فى الحكمة ، وإن كانت متفاوتة فى الصور والهيئات يعنى فى خلق الاشياء على العموم .

٢- قيل : معناه : ماترى يا ابن آدم فى خلق السموات من عيب وإعوجاج إنما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت : عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ، ولا يلائمه ، ومنه قولهم خلق متفاوت ، وفى نقيضه متناصف .

٣- قيل : التفاوت : عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعض ماينا سبه و يضم بمالا يناسبه .

و المعنى : ما ترى فى خلق الرحمن من إعوجاج ولاتناقض ولاتباين بل هى مستقيمة مستوية دالة على خالقها ، و إن اختلفت صوره و صفاته : فما ترى من إختلال أو نقص فى نظام الوجود .

٤ـ قيل : الفوت : بعد الشيء عن الانسان بحيث يتعذر إدراكه قال تعالى : « وان فاتكم من أزواجكم إلى الكفار » الممتحنة :١١)

والتفاوت :الاختلاف في الاوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الاخر أو وصف كل واحد منهما الاخر .

والمعنى في الاية : انه ليس في السموات ما يخرج عن مقتضى الحكمة .

و قيل : المراد في نفي التفاوت : إتصال التدبير و إرتباط الاشياء بعضها ببعض من حيث الغايات و المنافع المترتبة على تفاعل بعضها في بعض فاصطكاك الأسباب المختلفة في الخلقة وتنازعها كتشاجر كفتي الميزان وتصارعهما بالثقل و الخفة والارتفاع والانخفاض ، فانهما في عين أنهما يختلفان يتفقان في إعانة من بيده الميزان فيما يريده من تشخيص وزن السلعة الموزونة ، فقدرتّب الله تعالى أجزاء الخلقة بحيث تؤدى إلى مقاصدها من غير أن يفوّت بعضها غرض بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغاية المطلوبة .

أقول : ولكل وجه من غير منافات بينها .

وفي قوله تعالى : « فارجع البصر » أقوال : ١ـ قيل : أي اردد طرفك إلى السماء ٢ـ قيل : أي قلّب البصر في السماء وأجله في جميع أنحائها .

٣ـ قيل : اجهد بالنظر إلى السماء ودقّق في النظر وأمعن فيه .

٤ـ قيل ،فردّ البصر وأدره في خلق الله تعالى واستقص في النظر مرة بعد اخرى والمعنى : انظر إلى السماء ثم ارجع النظر في السماء وأعده ثانياً وثالثاً . وحدّق بالبصر لتستيقن تمام تناسبها وإستواء خلقها .

اقول : والمعاني متقارب والمآل واحد .

وفي « من فطور » أقوال : ١ـ عن ابن عباس : أي من وهن .

٢ـ عن مجاهد والضحاك وسفيان : أي من شقوق وفتوق .

٣ـ عن قتادة : أي من خلل . ٤ـ عن السدى : أي من خروق .

٥ـ قيل : أي من صدوع

أقول : والثانى هو الانسب بمعناه اللغوى .

٤- (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

فى « خاسئاً » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى بعيداً عن نيل المراد .

٢ ـ قيل : خاشعاً صاغراً متباعداً عن أن يرى شيئا من ذلك يقال : خسأت الكلب أى أبعدته وطردته .

٣- قيل : بعيداً عن إصابة الملمس .

٤- قيل : ذليلاً لعدم إدراك خلل ، صاغراً منكسراً مذهولاً حائراً كليلاً مما يرى من العظمة وروائع الصنع والاتقان مستشعراً بعجزه عن درك الاسرار الربانية والاحاطة بها مستبيناً ضالة شأنه إزائها كأنه ذل كذلة من طلب شيئا ، فلم يجده وأبعد عنه .

٥- قيل : منزجراً مرتداً فى استخزاء أمام هذا الجلال الذى يبهر الابصار ويخلب العقول بعد أن يبلغ به التعب والاعياء غايته .

أقول : والثانى هو الانسب بمعناه اللغوى من غير تناف بينه وبين غيره .

وفى « حسير » أقوال : عن قتادة : اى كالّ معيّ تعب . ٢- قيل أى منقطع عن رؤية خلل . ٣- قيل : أى نادم . ٤- قيل : أى قصير .

أقول : والأول هو الأنسب بمعناه اللغوى .

٥- (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير)

فى «رجوماً» أقوال: الرجوم: هى الشهب على حذف المضاف أى جعلناشهباً لقوله تعالى: «الامن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» فالمصابيح لاتزول ولايرجم بها . ٢- عن أبى على جواباً لمن قال : كيف من غير أن ينقص ضوئه ولاصورته . وعن الجبائى: ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوماً للشياطين ، فاما الكواكب أنفسها ، فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى إفنائها .

فالضمير في « جعلناها » راجع إلى « مصابيح » على أن الرجم من نفس الكواكب ولايسقط كوكب نفسه ، فيكون الاستراق من موضع الكواكب .

٣- قيل : ان الاستراق يكون من الهوى الذى هودون موضع الكواكب.

٤- قيل : الرجوم هى الكواكب وهى زينة قبل أن يرجم بها الشياطين .

٥ - عن قتادة : خلق الله تعالى النجوم لثلاث : زينة للسماء ، و رجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات .. .

٦- قيل : أى جعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الانس .

٧- قيل : أى انا جعلنا مع الكواكب رجوماً للشياطين .

٨- قيل : الرجوم : هى الاحجار التى تحمل النار أو تتبدل ناراً باصطكاكها الجوى و المصابيح : الرجوم ليست هى الكرات إذ لايرجم بها الشياطين و انما يرجمون منها من قذائفها المنفصلة عنها وهى الاحجار السماوية التى تمطر أحياناً على شياطين الارض .

٩- قيل : إن الكواكب بنفسها تكون رجوماً للشياطين والمراد إمتناع الصعود إليها .

١٠- قيل : الرجوم : هى مجموع الكواكب الاصلية و الشهب السماوية التى تنفصل من الكواكب، فان الكواكب الاصلية لاتزول عن مستقرها، والكوكب والنجم يطلقان على الشهب كما يطلقان على الاجرام الاصلية .

أقول : وعلى الثاني أكثر المحققين .

و في « للشياطين » أقوال : ١- قيل : هم شياطين الانس وهم الاحكاميون من أهل التنجيم . ٢- قيل : هم شياطين الجن . ٣ - قيل : هم شياطين الانس و الجن .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وأعتدنا لهم عذاب السعير » أقوال : ١- قيل : أى هيأنا

لهؤلاء الشياطين الذين يريدون أن يسترقوا السمع عذاب واصب .

٢- قيل: أى عذاب السعير فى الاخرة لمن اقترف فى حياته الدنيوية بالمعاصى.

٣- قيل : أى لهؤلاء الشياطين عذاب النار فى الاخرة .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٧- (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور)

فى « شهيقا » أقوال : ١ - عن إبن عباس : الشهيق : صوت فظيع لجهنم عند إلقاء الكفار فيها ، وتشهق إليهم شهقة البلغة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف ، فتجذب جهنم هؤلاء الكفار إلى داخلها كما يجذب الهواء بالشهيق إلى داخل الصدر .

قيل : صوتها كصوت القدر عند فورانها و غليانها ، فيعظم بسماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هوله .

٢- عن عطاء : الشهيق : صوت يخرج من صدر الكفار بشدة كصوت الحمار عند إلقائهم فى النار . وقيل : انهم يصطرخون فيها بأصوات الحيوانات قبيحة المنظر ، منكرة الصوت .

٣- قيل : الشهيق : طول الزفير وهو ردّ النفس والزفير مدّه .

وقيل : الشهيق : صوت قوى من جوف الكفار . وقيل : سمعوا من أهلها الاصوات المنكرة لاتشبه بأصوات الانس والملائكة .

اقول : والاول هو المؤيد بالرواية الاتية فانتظر .

وفى « تفور » قولان : أحدهما -عن مجاهد : إن جهنم تغلى بالكفار كما يغلى الحبّ القليل فى الماء الكثير . فجهنّم تغلى بالكفار فترفعهم وتخفضهم .

ثانيهما - عن إبن عباس : تغلى بهم على المرجل ، و هذا من شدّة لهب النار وشدّة الغضب كما تقول : فلان تفور غيظاً .

اقول : ولكل وجه بلاتناف بينهما .

٨- (تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الـم يأتكم نذيرقالوا بلى قد جاء نا نذير)

فى قوله تعالى : « تميز » أقوال : ١-عن سعيدبن جبير : أى تتقطع وينفصل بعضها من بعض لشدة اللغيظ على أهلها .

يقال : فلان يتميزغيظاً ويتعصف غيظاً وغضباً،فطارت منه شعلة فى الارض وشعلة فى السماء إذا وصفوه بالافراط فى الغضب من قبل أن الغضب إنما يحدث حين غليان دم القلب والدم حين الغليان يأخذ حجماً أكبرمن حجمه، فتتمدد الاوعية الدموية فى البدن ، وكلما كان الغضب أشدكان تمددها أكثر حتى تكاد تتقطع وينفصل بعضها من بعض .

٢- عن إبن عباس والضحاك وابن زيد : أى تتفرّق تكاد يفارق بعضهابعضاً وتنفطرمن الغيظ على أهل المعاصى وأصحاب الذنوب غضباً لله تعالى وإنتقاماً له.

سميت شدة إلتهاب النارغيظاً على الكفار لأن المغتاظ هو المتقطع مما يجد من الالم الباعث على الايقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ .

٣- قيل : أى تنفجر من شدة الغليان ، من تميزت القدر اذا اشتدّ غليانها، ثم صارت الصفةخاصة الانسان المغضب ، ووصفت النار بصفة المغيظ الغضبان الذى من شأنه - إذا بلغ ذلك الحد - أن يبالغ فى الانتقام ويتجاوزالغايات فى الايقاع والايلام. ٤- قيل : أى تتشقق من الغضب على الكفار وقيل : أى تكاد تتلاشى من شدة الغضب .

اقول : وعلى الاول جمهور اللغويين .

٩- (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير)

فى «من شىء» أقوال : ١- قيل : من شىء يسيرفضلاً عن جمع تلك الايات الكثيرة . ٢- قيل : أى من شىء من كتاب . ٣- قيل : أى من شىء من رسول . ٤- قيل : أى من شىء من كتاب ورسول .

أقول: والتعميم هو المستفاد من وقوع النكرة فى سياق النفى وهو المؤيد بطرفى السورة نزولاً ومصحفاً فتدبر جيداً.

و فى قوله تعالى: «ان أنتم الاّ فى ضلال كبير» أقوال: ١- قيل: هذا كلام الملائكة يخاطبون به المكذبين بعد جوابهم عن سئوالهم بما أجابوا والمعنى: تقول لهم الملائكة: لستم اليوم إلاّ فى عذاب عظيم.

٢- قيل: هذا من تتمة كلام المكذبين للرسل والمعنى: قلنا للرسل فى الحياة الدنيا: لستم إلاّ فى ذهاب عن الصواب كبير فى قولكم ما أنزل الله علينا كتاباً.

٣- قيل: هذا كلام الرسل الذين كذّبهم الكفار تحكيه الملائكة لاولئك المكذبين.

أقول: والثانى هو المؤيد بالايات الكريمة...

١٠- (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير)

فى «نسمع أو نعقل» أقوال: ١- عن إبن عباس: أى نسمع الهدى ونعقله.

٢- عن الزجاج: أى نسمع سماع من يعى ويفكر أو نعقل عقل من يميّز وينظر.

٣- قيل: أى نسمع الانذار سماع من كان طالباً للحق وسماع تفهم، أو نعقله عقل متأمل متفكر.

٤- قيل: أى نسمع من الرسل ما جاؤنا به و وعدنا إليه وعلمنا بذلك، ونعقل عنهم ما جاؤنا من حجة الحق.

فالمراد بالسمع: إستجابة دعوة الرسل والالتزام بمقتضى قولهم ونصائحهم ومواعظهم، و المراد بالعقل: الالتزام بمقتضى ما يدعون إليه من الحق بتعقله والاهتداء العقلى إلى أنه حق، ومن الواجب أن يخضع الانسان للحق.

أقول: ان العبارات وإن كانت مختلفة ولكن حسنها واحد.

١٢- (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير)

فی قوله تعالی : « یخشون ربهم بالغیب » أقوال : ١ ـ قیل : أی یخافون ربهم وهم لایرونه ، فیؤمنون به خوفاً من عذابه ، فالمراد بالغیب غیب الرب .

٢ـ قیل : أی یخافون ربهم فی سرّهم وباطنهم وفی ظاهرهم وعلانیتهم .

٣ـ قیل : أی یخشون ربهم بالآخرة لأنها غیب ، فیؤمنون بها .

٤ـ قیل : أی یخافون ربهم بماغاب عن الابصار و منه العقل إذ به یعرف الرب تعالی ویخشی وانه سبحانه لا یعرف ولا یخشی بالحسّ .

وقیل : عدّخشیتهم خشیة بالغیب لکون ما آمنوا به محجوباً عنهم تحت حجب الغیب .

٥ ـ قیل : أی یخشون ربهم وهم غائبون عن أعین الناس ، فیترکون معاصی الله تعالی فی الخلوة کما یترکون فی الظاهر ، و یقومون بطاعته حیث لایراهم الاّ جل وعلا ، فهم مراقبون له فی السر والعلن .

٦ـ قیل : أی یخافون ربهم بعذابه وهوغیب عنهم قیل : هذا عذاب دنیوی یأتی بغتة من الهلاك والدمار ، وقیل : عذاب بعد من فی القبر ، و قیل : عذاب یوم القیامة من أهواله وناره .

أقول : والخامس هو المؤید بظاهر السیاق فتدبر فی الایات التالیة . . .

١٣ـ (و أسروا قولکم او اجهروا به انه علیم بذات الصدور)

فی خطاب الایة أقوال : ١ـعن إبن عباس : ان الایة نزلت فی المشرکین حین کانوا ینالون من النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیخبره جبرئیل علیه السلام فقال بعضهم لبعض: أسروا قولکم لکی لایسمع رب محمد صلی الله علیه وآله وسلم فنزلت الایة .

و قیل : خطاب من الله تعالی إلی المشرکین والمعنی : أبطنوا قولکم أیها المشرکون فی أمرمحمد أو أعلنوه .

٢ـ قیل : خطاب للمؤمنین الذین کانوا یخشون ربهم .

٣ـ قیل : خطاب لکافة الناس من المؤمنین والکافرین و من المشرکین

والمنافقين .

٤- قيل : خطاب لغير المؤمنين من الكفار و المشركين ، و من العصاة والمنافقين .

أقول : والاخير هوالانسب بخطاب الايات التالية . . .

١٤- ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾

فى قوله تعالى : « ألا يعلم من خلق » أقوال : ١- قيل : أى ألا يعلم ما فى الصدور من خلق الصدور على طريق الانكار والمعنى : من أوجد الاشياء بحكمته وواسع علمه و كمال قدرته يعلم ما ظهر منها وما بطن .

٢ ـ قيل : أى ألا يعلم سرّ العبد من خلقه ، فعلى الوجهين يكون « من خلق » بمعنى الخالق .

و المعنى : ألا يعلم الخالق ما خلقه سرّه و جهره ، ظاهره و باطنه على حذف المخلوق .

٣ ـ قيل : يكون « من خلق » بمعنى المخلوق ، و المعنى : ألا يعلم الله مخلوقه .

أقول : وعلى الاول أكثر المحققين .

١٥- ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه واليه النشور ﴾

فى « ذلولاً » أقوال : ١- قيل : أى سهلة ساكنة مسخرة تستقرون عليها و تعملون فيها ما تشتهون .

الذلول : المنقاد الذى يذل لك ، والمصدر الذل ـ بضم الذال ـ : و هو اللين والانقياد .

والمعنى : لم يجعل الله تعالى الارض بحيث يمتنع المشى فيها بالحزونة والغلظة . . .

٢- قيل : أى ثبت الله تعالى الارض بالجبال لئلاتزول بأهلها ، و لوكانت تتكفاه متماثلة لماكانت منقادة لنا .

٣- قيل : فى « ذلولاً » إشارة إلى تمكن الارض من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الآبار .

والمعنى : أوجد الله تعالى فى الارض من العيون لسقيكم و سقى أنعامكم وزروعكم وثماركم وسلك فيها السبل فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أرجائها لانواع المكاسب والتجارات ، فكلوا مما أوجده لكم فيها بفضله من واسع الارزاق ، فالارض موطأة للتصرف فيها والمسير عليها ويمكنكم زراعتها ، ومنقادة يسهل عليكم السلوك فيها والسكونة بها لتتوصلوا إلى ماينفعكم .

٤- قيل : أى جعل الله تعالى الارض قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال ومذللة ميسرة لهم بما أوجدفيها من أسباب الحياة وأدوات العمل للعالمين فيها .

اقول : ولكل وجه من غيرتناف بينها فتدبر .

وفى قوله تعالى : « فامشوا فى مناكبها » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة والضحاك وبشيربن كعب : أى فى جبالها وآكامها وأطرافها ونواحيها . . .

قيل : معناه : لكى تمشوا فى نواحيها وجبالها ، فاذاكانت هذه الامكنة مع شخوصها وإرتفاعها مذالة فقعرها أولى .

وهذا بناء على إرادة الخبر من لفظ الامر . وقيل : هذا أمر إباحة و فيه إظهار إمتنان .

٢- عن مجاهد : أى فى أطراف الارض وأرجائها . . .

٣- عن مجاهد أيضا والسدى والحسن : أى فى طرقها وفجاجها . . .

٤- عن مجاهد والحسن أيضاً والكلبى ومقاتل والفراء وإبن قتيبة : أى فى جوانبها فان منكبى الرجل : جانباه وأصل المنكب : الجانب .

فيكون كقوله تعالى : « والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » وقيل: معناه: امشوا حيث أردتم فقد جعلتها لكم ذلولاً لاتمتنع ومن ذلها انه تعالى لم يجعلها خشنة يمتنع المشى عليها ولاصلبة بحيث لايمكن حفرها و البناء عليها ، ولامتحركة على الاستقامة والاستدارة بل جعلها ساكنة في جو السماء عند المركز . وقيل : معنى ذلك : ان الله تعالى لماأصاب الناس في بعض الاحيان بالرجفات و الزلازل التى لاقرار معها على وجه الارض و خلق الجبال الملامس الصعبة المسالك لتكون للارض ثقلاوللخلق معقلا أعلمنا الله جل وعلا انه لولاما أنعم الله به علينا من تسكين الارض وتوطينها ونفى الحزون والوعوث عن أكثرها حتى أمكنت من التصرف على ظهرها لما كان عليها مثبت قدم و لا مسرح نعم .

٥- قيل : أى فى مرتفعاتها وظهورها وأعاليها وأعلى كل شىء:منكب له .

٦- قيل : المنكب : الجو المكتنف بالارض ما يمكن الطيران حولها من مدارها .

اقول : والرابع هو الانسب بمعناه اللغوى وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « و كلوا من رزقه » قولان : أحدهما - عن الحسن: أى و كلوا مما أحله لكم من الاطعمة و غيرها مما أنبت الله فى الارض والجبال من الزروع والاشجار حلالاً ، وقدر ذلك لكم بانواع التصرف .

ثانيهما - قيل : أى كلما أتيته لكم من النعم الظاهرة والباطنة . ومن النعم المادية والمعنوية .

اقول : والاول هو الانسب بكلمة الاكل .

وفى قوله : « وإليه النشور » أقوال : ١- قيل : أى إلى الله تعالى مرجعكم.

٢- قيل : أى إلى حكمه تعالى مرجعكم يوم القيامة . ٣- عن الجبائى : و إلى الله الاحياء للمحاسبة فهومالك النشوروالقادر عليه .

٣- قيل : أى ان الذى خلق السماء لاتفاوت فيها والارض ذلولاً قادر على أن ينشر كم من قبور كم .

٤- قيل : أى ينبغى أن يكون مشيكم فى الارض وأكلكم من رزق الله مشى من يعلم وأكل من يتيقن ان المصير إلى الله تعالى ، والمراد بذلك:التحذير من المعاصى سراً وجهراً .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

١٦- (ء أمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور)

فى قوله تعالى : «ء أمنتم من فى السماء» أقوال :١- قيل : ١- على تقدير : ءأمنتم من ملكوت الله تعالى فى السماء لأنها مسكن ملائكته و محل عرشه و كرسيه و اللوح المحفوظ ، ومنها تنزل أقضيته و كتبه وأوامره ونواهيه . . .

وذلك لأن الله سبحانه ليس فى السماء ولافى غيرها من جهة خاصة لكونه منزهاً عن كل مكان وجهة وانما هو المحيط بكل شىء علماً وتدبيراً .

٢- قيل : ان الكافرين لما كانوا يعتقدون التشبيه وانه سبحانه فى السماء خوطبوا حسب إعتقادهم .

٣- قيل : أى ءأمنتم من فى السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته وخص السماء و إن عم ملكه تنبيهاً على أن الاله الذى تنفذ قدرته فى السماء لا من يعظمونه فى الارض .

٤- قيل: « من فى السماء »إشارة إلى الملائكة المقيمين فيها ،والموكلين على حوادث الكون وأما إرجاع ضمير الافراد إلى «من» فباعتبار لفظه.

وقيل : إشارة إلى جبرئيل ، وهو الملك الموكل بالعذاب وعقاب الكافرين

٥ - قيل : أى ءأمنتم خالق من فى السماء أن يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون .

٦- قيل : ءأمنتم من فوق السماء كقوله تعالى : « فسيحوا فى الارض » أى

فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير، والمعنى : انه مدبرها ومالكها .

٧- قيل : ء أمنتم من على السماء كقوله تعالى : « و لا صلبنكم فى جذوع النخل » أى عليها .

٨- قيل : أى ء أمنتم عذاب من فى السماء سلطانه وتدبيره ، و امره ونهيه، وحكمه وقضائه ومنها ينزل الوحى والرحمة والعذاب . . .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق و خاصة الآية التالية .

١٧ - (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)

فى قوله تعالى : «حاصبا» أقوال : ١ - قيل : الحاصب : حجارة ترمى من السماء كما أرسلها الله تعالى على قوم لوط وأصحاب الفيل .

٢ - قيل : الحاصب : ريح فيها حجارة و حصاة .

والمعنى: أن يرسل عليكم ريحاً ذات حجارة صغار دقيقة فترميكم بالحصباء أرسل على قوم لوط .

٣ - قيل : الحاصب : سحاب فيه حجارة .

والمعنى : أن يرسل عليكم سحاباً يحصب عليكم الحجارة .

أقول : والاخير هو الانسب بما جاء فى قصة لوط .

وفى قوله تعالى : «نذير» أقوال : ١- قيل : أى إنذارى إذا عاينتم العذاب .

٢ - قيل : أى عاقبة إنذارى إياكم بالكتاب والرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٣- عن إبن عباس والضحاك و عطاء : النذير: المنذر يعنى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فستعلمون صدقه و عاقبة تكذيبهم به .

اقول : والاول هو المؤيد بظاهر السياق .

١٨ - (و لقد كذب الدين من قبلهم فكيف كان نكير)

فى «نكير» أقوال : عن أبى مسلم : النكير: عقاب المنكر. ٢- عن الواحدى: أى تغييرى ما بهم من النعم . ٣ - قيل : أى إنكارى عليهم و عذابى و عقوبتى

لهم و نقمى عليهم باهلاكهم و إستئصالهم .

اقول : و على الاخير أكثر المفسرين .

١٩ - (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير)

في «صافات و يقبضن» أقوال : ١ - قيل : أي باسطات أجنحتهن في جو السماء عند طيرانها لانهن إذا بسطنها صففن قوائمها صفاً ، ويضربن بها جنوبهن. وقيل : أي باسطات أجنحتهن لانهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً. عن أبن جعفر النحاس : يقال للطائر إذا بسط جناحيه : صافّ ، و اذا ضمهما فاصابا جنبه : قابض لانه يقبضهما .

٢ - قيل : أي تصفّ أجنحتها في الهواء فوق رؤسهم ، و يقبضن أجنحتهن بعد بسطها إذا وقفن من الطيران ، و هذا معنى الطيران ، و هو بسط الجناح و قبضه بعد البسط أي يضربن بأرجلهن ويبسطن أجنحتهن تارة ويقبضن تارة اخرى فالجو للطائر كالماء للسابح .

٣ - عن قتادة و مجاهد : أي بسطن أجنحتهن حيناً و يقبضنها حيناً آخر.

٤ - قيل : معناه : ان من الطير مايضرب بجناحه فيصفّ ، ومنه مايمسكه فيدفّ و منه الصفيف والدفيف .

٥ - عن على بن عيسى : الصف : وضع الاشياء المتوالية على خط مستقيم ، والقبض : جمع الاشياء عن حال البسط ، والامساك : اللزوم المانع من السقوط .

اقول : والاخير هو الاظهر .

٢٠- (امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور)

فى قوله تعالى : « إن الكافرون إلا في غرور » أقوال : ١ - قيل : أي ليس الكافرون إلاّ في غرور من الشيطان يغرّهم بأن العذاب لاينزل بهم ، ولو أنزل

دفعه أصنامهم ، فغرهم بهذه الامانى الباطلة .

٢- قيل : ما الكافرون الآ فى أمر لاحقيقة له من عبادة الاوثان يتوهمون ان ذلك ينفعهم والامر بخلافه ،فكانوا فى غرور من ظنهم ان آلهتهم تقرّبهم إلى الله تعالى زلفى وأنها تنفع أوتضرّ .

٣- قيل : غرّت الحياة الدنيا المشركين بالله الغرور .

أقول : والمآل واحد فتدبر .

٢٢- (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم)

فى الآية أقوال : ١- عن إبن عباس : أى أفمن يمشى منكساً رأسه لاينظر أمامه ولا يمينه ولاشماله ، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشى سوياً معتدلاً مستقيم القامة ناظراً مابين يديه وعن يمينه وشماله هذا فى الحياة الدنيا .

٢ - عن إبن عباس أيضا ومجاهد والضحاك : أى أفمن يمشى مكباً على وجهه ويمشى فى الضلالة أهدى أم من يمشى على صراط مستقيم ، ويمشى مهتديا عن ابن عباس و الكلبى و مقاتل:عنى بالذى يمشى مكباً على وجهه أبا جهل ، وبالذى يمشى سوياً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عن ابن عباس أيضا هذا بين أبى جهل وحمزة .

وعن عكرمة : هذا بين أبى جهل وعمار ياسر .

والمراد بالمكب على وجهه : الاعمى الذى لايهتدى إلى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكبّ على وجهه ، و انه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له ، ومن نكس رأسه إلى الارض فهو لايبصر الطريق ولامن يستقبله ينظر أمامه ولايمينه ولا شماله و هو الكافر المقلد لايدرى أمحق هو أم مبطل هذا أهدى أم من يمشى مستوياً قائما الطريق و جميع جهاته كلها فيضع

قدمه حيث لايبصر وهو المؤمن الذى سالك طريق الحق وطرفه و استقام عليه و أمكنه دفع المضار عن نفسه وجلب المنافع إليها على طريق واضح قيم .

٣- عن قتادة : هو الكافر أكبّ على معاصى الله فى الدنيا ، فحشره الله يوم القيامة على وجهه . والمعنى : أفمن يمشى مكبا على وجهه يوم القيامة أهدى أم من يمشى سوياً يومئذ إذكان على طاعة الله تعالى ، فيحشره على طاعته،وذلك لان الكافر أكب على معاصى الله تعالى فى الدنيا حشره الله يوم القيامة على وجهه

وقيل : للنبى ﷺ : يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : ان الذى أمشاه على رجليه قادر على أن يحشره يوم القيامة على وجهه .

٤- قيل : أى أفمن يمشى أعمى كمن يمشى بصيراً ، ومن يخبط فى الضلال كمن يخرط الظلمات إلى النور ، ومن يمشى عالماً كمن يمشى جاهلاً .

وهذا عام فى الكافر والمؤمن،وفى المنافق والمخلص ، وفى المطيع والعاصى وان الكافر لايدرى أعلى حق هو أم على باطل ، وان المنافق أهدى أو المخلص الذى يمشى سوياً معتدلاً يبصر للطريق وهو على الايمان والاخلاص .

٥- قيل : أى أفمن يمشى أيها الناس مكباً على وجهه لايبصر ما بين يديه وما عن يمينه وشماله أهدى أشد إستقامة على الطريق ، وأهدى له أم من يمشى سوياً مشى بنى آدم على قدميه على صراط مستقيم على طريق لاإعوجاج له .

ومن غير مراء ان الكافر بلجاجه فى عتو عجيب ونفور من الحق و يسلك سبيلاً وهو مكب على وجهه لايرى ما فى الطريق من إرتفاع وإنخفاض و مزالق ومعاثر ليس كمن يمشى سوياً على سواء السبيل بحيث يرى موضع قدميه و ما يواجهه من الطريق على إستقامة ، وما يقصده من الغاية .

وإن الكافر يسير سبيل الحياة الجافة ويعاند الحق على علم به ولكنه يغمض عن معرفة ما عليه أن يعرفه والعمل بما عليه أن يعمل به ، ولا يخضع للحق حتى يكون على بصيرة من الامر ويسلك سبيل الحياة الانسانية يليق بالانسان لايستوى

المؤمن المستبصر الباحث عن الحق .

اقول : و على الثاني أكثر المفسرين من غير خلاف بينه و بين بعض الاقوال الآخر .

٢٤- (قل هوالذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون)

فى قوله تعالى : « ذرأكم فى الارض » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى خلقكم فى الارض . ٢- عن إبن شجرة : أى نشر كم فى الارض وفرّقكم على ظهرها .

٣- قيل : أى أظهر كم وأوجد كم أشخاصكم . ٤- قيل : أى خلقكم متعلّقين بالارض إذلا يتم للانسان كمال الا بأعمال متعلقة بالمادة الارضية بما زينّها الله جل وعلا بما تنجذب إليه النفس الانسانية فى حياتها المعجلة ليمتاز به الصالح من الطالح قال تعالى : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً » الكهف : ٨)

اقول : و كل وردفى معنى الذرء لغة .

٢٥- (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

فى « الوعد » أقوال : ١- عن أبى مسلم: الوعد : العذاب النازل بعاد وثمود وغيرهما لقوله بعد ذلك : « فلما رأوه » ٢- قيل : الوعد : عذاب الاخرة على أن « فلما رأوه » يحمل على المستقبل نظير « وسيق » والمعنى :

يقول المشركون متى يكون ماتعدنا من الحشر إلى الله و عذاب القيامة إن كنتم صادقين فى وعدكم ايانا ما تعدوننا . ٣- قيل : الوعد : الخسف والحاصب والبعث والجزاء .

اقول : ان عموم السياق يؤيد الاخير فتأمل جيداً .

٢٧- (فلما راوه زلفة سيئت وجوه الدين كفروا و قيل هذا الذى كنتم به تدعون)

فى قوله تعالى: « فلما رأوه زلفة » أقوال :١- عن مجاهد والحسن وابن زيد

أى فلما رأى المشركون العذاب قريبة معاينة وحاضرة يوم بدر .

وذلك لصيغ الماضى - رأوه - سيئت - قيل - التى تدل على وقوع العذاب و سوء الوجوه ومضى القول .

٢- قيل : أى فلما رأوا العذاب قريباً بالمعاينة يوم القيامة ، وان اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى : اذا بعثوا ورأوا عذاب القيامة بعدماقامت .

٣- عن ابن عباس : أى لما رأوا عملهم السيّىء قريباً .

٤- قيل : أى فلما رأوا الحشر ويوم القيامة قد قامت .

٥- قيل : أى إذرأوا العذاب فى الدنيا ، وفى الاخرة .

٦- قيل : أى فلما رأوا الوعد المذكور قريباً قد أشرف عليهم .

أقول :و السياق يؤيد الخامس وفى معناه السادس .

وفى قوله تعالى: « سيئت » أقوال: ١- عن إبن عباس : أى اسودّت وجوههم و علتها الكآبة ،فقبحت وجوههم بالسواد . ٢- قيل : أى ظهرت عليها آثار النعم والحسرة ، ونالهم السوء والخزى ، والمعنى : فعل بهاالسوء .

٣- عن الزجاج : أى تبيّن فيها السوء أى ساءهم ذلك العذاب و ظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم كقوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه »

أقول : ولكل وجه من غيرتناف بينها .

وفى القائل فى « قيل » أقوال : ١- قيل : القائل هم الملائكة بأمر من الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء المكذبين ٢- قيل : القائل من الكفار يقوله بعضهم لبعض يوم القيامة . ٣ - القائل من المؤمنين يقوله لهؤلاء المكذبين حين انهزموا ، و من الملائكة يقوله لهم يوم القيامة .

اقول : والاخير هو الانسب بما قدّمناه .

وفى قوله تعالى : « تدّعون » أقوال : ١- عن إبن زيد والفراء : أى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله من قولهم : إن كان هذا هوالحق من عندك وقال

الفراء : تدّعون وتدعون واحد مثل تدّخرون وتدخرون .

٢- عن الحسن : أى هوتدعون من الدعوى أى تدعون أن لاجنة ولانار .

٣- قيل : أى تهتفون وتطلبون يوم القيامة للحساب والجزاء . ٤- قيل :أى تتمنّون وتسئلون .

٥- عن إبن عباس : أى تكذبون وتأويله : هذا الذى كنتم من أجله تدعون الأباطيل والاحاديث . . .

٦- قيل : أى هذا الذى كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم .

٧- قيل : أى يقال لهؤلاء المكذبين : هذا هو مصداق وعدالله الذى كنتم تنكرونه وتتعجلونه من عذاب الدنيا تعجل الساخر الجاحد ، وانكم لا تبعثون يوم القيامة ولاتحاسبون ولا تعذّبون فيه .

اقول : والاخيرهو الانسب بعموم السياق .

٢٨- (قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)

فى الاية أقوال : ١- قيل: أى قل يامحمد لهؤلاء الكفرة: أرأيتم إن أماتنى الله تعالى والذين آمنوا بالله و برسوله وباليوم الاخر كما تقصدون أو رحمنابتأخير آجالنا فلم يعذبنا، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم موجع استحقوه بكفرهم ، ومن الذى ينفعهم فى دفع العذاب عنهم .

٢- قيل : أى قل يا رسول الله : إن الكفار كانوا يتمنون موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وموت أصحابه والمعنى: قل لهم: إن أهلكنى الله ومن معى ذلك بأن يميتنى ويميت أصحابه ، فمن الذى ينفعكم ويؤمنكم من العذاب ، فانه واقع بكم لامحالة .

٣- قيل : أى أرأيتم ان عذبنى الله ومن معى أورحمنا أى غفر لنا فمن يجيركم أى نحن مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجير كم مع كفركم من العذاب ولارجاء لكم كما للمؤمنين. عن إبن عباس وإبن كيسان .

٤ـ قيل : إن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك كما حكى الله تعالى عنهم فى آية اخرى بقوله تعالى : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » وقوله جل و علا : « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً » فنزلت الاية ثم أمره أن يقول لهم : ان هلاكى أورحمتى لاتجير كم من عذاب الله .

والمعنى : أخبرونى عن فائدة موتى لكم : سواء أماتنى الله ، والمؤمنين بى أوأخر أجلنا فأى راحة لكم فى ذلك ، وأى منفعة لكم فيه ، و من ذا الذى يجير كم من عذاب الله إذا نزل بكم أتظنون ان الاصنام اوغيرها تجير كم وهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب : فتقصروا بالتوحيد والنبوة والبعث ؟

فلا مجير لكم من عذاب الله بسبب كفر كم الموجب لهذا العذاب سواء هلكنا كما تتمنون ففزنا برحمة الله أو انتصرنا عليكم و رفعنا شأن الاسلام كما نرجو، فكلا الامرين فيه ظفر بما ينبغى و نيل لمانحب ونهوى .

٥ـ قيل : أى قل . أرأيتم ان اهلكنى الله و من معى كما تتمنون فننقلب إلى الجنة أورحمنا بالنصرة ، وإمهال المدة كما نرجو ، فمن يجير الكافرين من عذاب النار ، فنحن متربصون لاحدى الحسنيين ، وأنتم ها لكون بالهلاك الذى لاهلاك بعده ، وإن أهلكنا الله بالموت فمن يخلصكم من النار بعد موت هداتكم وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم فمن ينجيكم من العذاب ، فان المقتول على أيدينا هالك ، و إن أهلكنا الله فى الاخرة بذنوبنا ، و نحن له مسلمون ، فأى خلاص ومناص للكافرين و ان رحمنا لأجل الايمان فمن يرحم الكافرين و لا ايمان لهم .

٦ ـ قيل : معناه : قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المكذبين ! أخبرونى إن أهلككم الله تعالى بسبب الكفر والطغيان ورحمنى والمؤمنين فمن يعيذ الكافرين من عذاب موجع .

أقول : والاخير هو المؤيد بالرواية الاتية فانتظر وهو الانسب بسياق التهديد وان كان الاكثر على الاول وقريب منه الثانى كما أشرنا فى البيان .

٣٠- (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن ياتيكم بماء معين)

فى قوله تعالى : « بماء معين » أقوال : ١- عن إبن عباس : اى بماء عذب .

٢- عن قتادة والضحاك والكلبى : أى بماء جار على وجه الارض سهل المأخذ تصل إليه الأيدى يشربونه عذباً زلالاً ، ولاجواب لكم أن تقولوا : هو الله تعالى واذاً فلم تجعلون مالايقدر على الشىء شريكاً فى العبادة لمن هو قادر على كل شىء فلابد لهم من أن يقولوا : لايأتينا به الا الله فقل لهم لم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم .

٣ - عن إبن عباس أيضاً وإبن جبير و أبى مسلم والجبائى : أى ماء ظاهر تراه العيون .

عن مقاتل : انه أراد بقوله : « ماؤكم » بئر زمزم وبئر ميمون و هى بئر عادية قديمة ، وكان ماؤهم فى هاتين البئرين ، والمعين الذى تناله الدلاء وتراه العيون .

٤- قيل : اريد بماء معين ان الله تعالى هو المنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولاتشركوا به شيئاً .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

«التفسير والتأويل»

١ - (تبارك الذى بيده الملك و هو على كل شىء قدير)

تعاظم و تعالى و كثر خيره و بركاته على جميع خلقه ، و خاصة الانسان حين أفاض نعمه الظاهرة الحسية والمادية من الخلق والتكوين ، والخفية العقلية والمعنوية من الامر والتشريع على كافر و مسلم ، على برّ و فاجر ، وعلى مطيع و عاص فكل مبتلى بها فعليهم الايمان والشكر تجاهها .

قال الله تعالى: « ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » الاعراف:٥٤)

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين - ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٢ - ١٤)

وقال : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً » الفرقان : ١ - ٦٢) .

وقال : « الله الذى جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الاّ هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » غافر: ٦٤-٦٥) .

« الذى بيده الملك » : ملك الدنيا والاخرة و سلطانهما ، نافذ فيهما أمره وقضاءه فانه الملك الحقيقى الذى يدخل تحت قدرته ماسواه ، وهو الذى يستوى على الكون ، و يحيط به و بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها فيفعل مايشاء .

قال الله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك

ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » آل عمران : ٢٦) .

و قال : « لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير » . المائدة : ١٢٠)

وقال : « وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة » الانعام: ٧٣)

وقال : « ان الله له ملك السموات والارض يحيى و يميت و مالكم من دون الله من ولى و لا نصير » التوبة : ١١٦) .

و قال : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك » الاسراء : ١١١) .

و قال : « يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم » غافر: ١٦ - ١٧) .

« وهو على كل شيء » من الاشياء الممكنة الواقعة في عالم الطبع ، و عالم الملكوت «قدير» : قادر على الايجاد والاعدام ، قادر على الانعام والانتقام ، قادر على الاهلاك والانجاء ، قادر على الاعطاء والمنع ، قادر على الاعزاز والاذلال ، و قادر على الاحياء والاماتة ، فانه قادر مطلق ذو قدرة لايمنعه من فعله مانع ، و لا يحول بينه و بين مايريد عجز ، فانه مبالغ في القدرة على كل شيء ، فله التصرف التام في خلقه حسب مقتضى إرادته و مشيئته المبنية على الحكم البالغة بلامنازع ولامدافع . . . قال الله تعالى: « قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثر هم لا يعلمون » الانعام : ٣٧) .

وقال: « أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم » الاسراء : ٩٩) .

و قال : « أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض و لم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣) .

و قال : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ـ و ان الله على نصرهم لقدير » الحج : ٣٨ ـ ٣٩) .

وقال : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » الانعام : ٦٥)

وقال : « أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم و كانوا أشد منهم قوة و ما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات و لا فى الارض انه كان عليما قديراً » فاطر : ٤٤)

٢ - (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور)

الله تعالى هو الذى خلق الموت و الحياة ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف من الامر والنهى، وبالخير والشر ، وبالحسنة والسيئة، وبالعلم والجهل ، وبالغنى والفقر ، و بالاموال والانفس والاولاد . . . أيكم أصوبكم عملا ، أيكم أسرع فى طاعة الله جل وعلا وإلى طلب رضاه ، أيكم أورع عن محارم الله تعالى ، أيكم أكثر ذكراً للموت و استعداداً له ، و أيكم أشد خوفاً من عذاب الله تعالى و حذراً من حسابه يوم القيامة .

اذ جعل الله تعالى الدنيا دار العمل بعد ما خلق الانسان مختاراً فيه ، وجعل الاخرة دار الحساب بما عمله الانسان فى الدنيا باختياره .

قال الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » الانبياء : ٣٥) .

وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين » البقرة : ١٥٥) .

و قال : « لتبلون فى أموالكم و أنفسكم » آل عمران : ١٨٦) .

وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام : ١٦٥) .

و قال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » الكهف : ٧) .

وقال : «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين و نبلوأخبار كم» محمد ﷺ : ٣١) .

وقال : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاءالله لجعلكم امة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » المائدة : ٤٨) .

« وهوالعزيز » الذى لا يغلبه غالب ولا يمنعه مانع عما أراد لان الملك والقدرة المطلقتين له وحده ، فهوالغالب الذى لايعجزه عقاب من أساء فسينتقم ممن تجاوز عن دينه و ممن عصاه .

«الغفور» : يغفر لمن تاب و آمن ، فانه كثير المغفرة والستر لذنوب عباده لو لم تخرجهم من مدار الدين و محور الانسانية .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام » آل عمران : ٤) .

و قال : « عفى الله عما سلف و من عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذوانتقام » المائدة : ٩٥) .

وقال : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » طه : ٨٢) .

٣ ـ (الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)

الله تعالى هوالذى خلق سبع سماوات طبقة طبقة بعضها فوق بعض من غير مماسة و عماد ترى و لكل سماء أمر يخصّها .

قال الله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد : ٢) .

و قال : « فقضاهن سبع سموات فى يومين و أوحى فى كل سماء أمرها »

فصلت : ١٢) .

ما ترى أيها المخاطب فى خلق الرحمن مايخرج عن مقتضى الحكمة من إختلال وعيب ونقص وعدم تناسب . و إن كنت فى ريب من هذا فارجع البصر مرّة بعد مرّة هل ترى فى خلق الرحمن كافة ، وفى خلق السموات خاصة شقوق و فتوق ، و ان هذه هى السماء الدنيا السقف المحفوظ لاشقوق فيها .

قال تعالى : « و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً » الانبياء : ٣٢) .

٣ - (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً و هو حسير) .

ثم انظر فى خلق الرحمن وفى ملكوت السموات والارض أيها المخاطب مرّة بعد مرّة اخرى على سبيل التتبع والتصفح هل تجد فيه تفاوتاً أو عيباً أو خللاً أو عدم تناسب كلا ثم كلا لان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقق الحقائق و يرفع غشاوة الاوهام ، بل يرجع إليك البصر مبعداً مصغراً منقبضة مهينة والحال هو كليل معيا لم يجد فطوراً ، ومنقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك .

قال الله تعالى : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » الاعراف : ١٨٥) .

و قال : « و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض و ليكون من الموقنين » الانعام : ٧٥) .

٥ - و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير) .

أقسم الله جل جلاله بذاته : انا زينا السماء الدنيا التى هى أدنى السبع إلينا بكواكب مضيئة بالليل كتزيين الناس منازلهم ومعابدهم بالسروج، تضيئهم ليلاً ، ولها شهب ترجم بها رجوماً لشياطين الانس والجن اذا أرادوا استراق السمع والسفر إليها ، وهيّأنا لهم وادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعّرة المشعلة تحيط

بهم فى جوّ السماء .

قال الله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظنا ها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين » الحجر: ١٦-١٨)

وقال : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب و حفظا من كل شيطان مارد . لا يسّمّعون إلى الملاء الاعلى و يقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » الصافات : ٦-١٠)

و قال تعالى حكاية عن الجن : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهبا وانا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » الجن : ٨ - ٩)

وقال : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا - يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » الرحمن : ٣٣ - ٣٥)

٦- (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير)

واعتدنا للذين كفروا بربهم وكذّبوا بآيات الله ورسله وباليوم الاخر عذاب جهنم ، وبئس المصير مصير الكافرين إلى جهنم وخلودها .

قال الله تعالى : « انا اعتدنا جهنم للكافرين نزولاً » الكهف : ١٠٢)

وقال : « والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير » التغابن : ١٠)

وقال : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار » ابراهيم : ٢٨-٣٠) .

وقال : « اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا »

الكهف : ١٠٦)

وقال : « اولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصاً » النساء : ١٢١)

٧- (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور)

إذا طرح اولئك الكفار فى جهنم كالحطب الذى يطرح فى النار من غير دقة وترحـمّ سمعوا هؤلاء الملقون فى جهنم لها وقع وصياح وصوت منكر كصوت المتغيظ من شدة الغضب عليهم ، والنار تغلى ، وترتفع بالغلاء غليان القدر بالماء الذى فيه بغاية الشدة من شدة التلهب و التسعر ، فهم لايزالون صاعدين فيها واوها - بطين كالحبّ الذى فى الماء المغلى لاقرارلهم فيها .

قال الله تعالى : « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه فى العذاب الشديد » ق : ٢٤-٢٦)

و قال : « بل كذّبوا بالساعة و اعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً اذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً و زفيراً و اذا القوا منها مكاناضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً » الفرقان : ١١ - ١٣)

وقال : « فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » هود : ١٠٦)

وقال: « ولاتجعل مع الله إلهاآخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً» الاسراء:٣٩)

وقال : « ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة إعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير »فصلت:٤٠)

٨- (تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم ياتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير)

تقرب أن تتقطع جهنم من شدة الغيظ على أهلها من المكذبين من الانس والجن كلما القى فى نارها جماعة جماعة منهم يسئل عنهم خزنتها - وهم الملائكة الموكلون المدبرون لانواع عذابها - بطريق التوبيخ والتقريع أيها الكفرة:ألم يأتكم فى الحياة الدنيا من قبل ربكم مخوّف من رسول ونبى يخوّفكم من عذاب

هذا اليوم وأهواله ومن عذاب جهنم ونارها حتى تحذروا ؟

قالوا هؤلاء الكفرة في جواب الخزنة اعترافاً بجرمهم واستحقاقهم العذاب بسبب كفرهم : بلى أيها الخزنة قدجاءنا نذير عظيم الشأن ، كثير المعجزات واضح البينة ، وقاطع البرهان . . .

قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون - ووفيت كل نفس ما عملت و هو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى اذاجاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » الزمر : ٦٨-٧٢) و قال : « ساصليه سقر وما أدراك ماسقر لاتبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر و ما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة » المدثر : ٢٦ - ٣١)

وقال : « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق - قالوا أولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى » غافر : ١٥ - ٥٠)

و قال : « يا معشر الجن و الانس ألم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الانعام : ١٣٠)

٩- (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير)

فكذبنا ذلك النذير وقلنا لهم مكذبين بهم : ما نزل الله عليكم من شيء من آيات الله ، ولا أنتم على شيء برسالة منه ، وما أنتم أيها المدعون للرسالة و نزول الوحي اليكم الا منحرفين عن طريق الحق الواضح ، كبير دعواكم الرسالة وما تتلون علينا انه من الله ، فانتم كاذبون في دعواكم .

قال الله تعالى حكاية عن المكذبين : « قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل

الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون » يس : ١٥)

وقال : « فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه » القمر : ٢٤)

وقال : « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » الانعام : ٩١)

وقال : « اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » القلم : ١٥)

١٠- (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)

وقال هولاء المكذبون الذين يلقون في نار جهنم لخزنتها تحسّراً و تندماً : لو كنا نسمع مواعظ الرسل و نصائحهم سماع القبول و نستجيب دعوتهم إياناً إلى طريق الهدى و ننتفع بها و نهتدى بهداهم أو نعقل عقل متأمل متفكر فيما أنزل الله تعالى إلى رسله من الايات البينات والحجج الواضحات و نؤمن بالله و رسله و كتبه و باليوم الاخر في الحياة الدنيا ما كنا اليوم في زمرة أصحاب النار المسعّرة المشتعلة من مستحقيها .

و ذلك ان المكذبين اذا تتلى عليهم آيات الله تعالى ولوّا مستكبرين ولا يستجيبون دعوة الرسل و كانوا مكذبين بها و متخذيها هزواً و لعباً و هم شر الدواب وأتباع الهواى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا .

قال الله تعالى : « وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم » لقمان : ٧)

وقال : « ويل لكل أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم و إذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز أليم » الجاثية : ٧ - ١١)

وقال : « إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » فاطر : ١٤)

وقال : « أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » الفرقان : ٤٤)

وقال : « ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون » الانفال : ٢١ ـ ٢٢)

وقال : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩)

وقال حكاية عنهم : « وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين » المدثر : ٤٥ و ٤٦)

١١ ـ (فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير)

فاعترف هؤلاء المكذبون بذنبهم من الكفر وتكذيبهم الرسل وعصيانهم يوم لاينفعهم الاعتراف بالذنب والاقرار باستحقاقهم العذاب، فبعداً لأصحاب النار المسعرة المشتعلة عن رحمة الله تعالى والخلود فيها .

وهذا دعاء عليهم بالبعد عن رحمة الله تعالى ورضوانه والويل عليهم .

قال الله تعالى: « فبعداً للقوم الظالمين ـ فبعداً لقوم لايؤمنون » المؤمنون: ٤١ ـ ٤٤)

و قال : « فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم » غافر : ١١ ـ ١٢)

وقال : « وويل للكافرين من عذاب شديد » ابراهيم : ٢)

وقال : « وإذا الجحيم سعّرت » التكوير : ١٢)

١٢ ـ (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

ان الذين يخشون ربهم ، وهم غائبون من أعين الناس ، فلا يعصون الله جل وعلا سراً كما لايعصونه علانية ، ويراقبون له تعالى ظاهراً وباطنا ويطيعون الله تعالى و رسوله، واذ اتتلى عليهم آيات الله وجلت قلوبهم و تقشعر جلودهم ،

ويتبعون الذكر، ولايخافون من أحد غير الله تعالى و يخافون سوء الحساب ، لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وأجر كبير فى الاخرة لا يوصف بالبيان و رضوان الله جل وعلا اكبر من ذالك وهم الفائزون حقاً خلاف هؤلاء المكذبين الذين سبق ذكرهم .

قال الله تعالى : «انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله و رسوله و يخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » النور : ٥١ ـ ٥٢)

و قال : « أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب و الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية و يدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ١٩-٢٤)

وقال : « انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه و إلى المصير وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت الا نذير » الفاطر : ١٨-٢٣)

و قال : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء » الزمر : ٢٣)

وقال : « من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق: ٣٣ ـ ٣٥)

وقال « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه » البينة : ٧-٨)

١٣- (وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور)

وأضمروا أيها الكفار والطغاة ما تقولونه أو اعلنوه ان الله تعالى عليم بذات الصدور، فان السر والعلن ،والظاهر والخفى، والجهر والابطان عندالله تعالى سيان، يعلم قبل أن تنطقوا بما فى صدوركم كما يعلم ما تكلّمون به ، ويعلم مافى قلوبكم من نية الخير والشر، ومن النية الحسنة والنية السيئة. ويعلم ما يجول فى صدوركم وأفكاركم . . .

وان الاية تهديد للمستكبرين وتسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نظير قوله تعالى: « ثم انتم تمترون وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سرّكم و جهركم ويعلم ما تكسبون » الانعام : ٢ ـ ٣)

وقال : « ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » هود : ٥)

وقال : « فلايحزنك قولهم انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون » يس : ٧٦)

وقال : « يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرّون و ما تعلنون والله عليم بذات الصدور » التغابن : ٤)

١٤- (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

كيف لايعلم الله جل وعلا بما فى ضمائر خلقه ، وظواهره ، و هو خلق هذا العالم الشاسع ، والحال انه تعالى العالم بدقائق الامور ، المطلع ببواطنها و ظواهرها . . .

وذلك لان الخلق هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد إلى الشىء لابد وأن يكون عالماً بحقيقته كيفية وكمية ، فخالق السر يعلمه ، وخالق الظاهر

عليم به ، فانهما عنده سيان لانه خالقهما وعلام الغيوب لايعزب عنه شيء .

« اللطيف » : العالم بالاشياء التى يخفى علمها على العالمين ، يقال : ان لطف الله تعالى بعباده عجيب ويراد به دقائق تدبيره لهم .

واللطيف : العالم بدقائق الاشياء يرى أثر النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء وهو تعالى لطيف فى ذاته يرى كل شيء ولا يراه أحد .

و « الخبير » : بظواهر الاشياء وبواطنها، ويعلم عواقب الامور، ويفعل على تفكر وتدبير .

قال الله تعالى : « بديع السموات والارض ـ وخلق كل شيءٍ وهو بكل شيء عليم لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » الانعام : ١٠١-١٠٣)

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « ربنا انك تعلم مانخفى و ما نعلن و ما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء » ابراهيم : ٣٨)

وقال : « ربكم أعلم بما فى أنفسكم » الاسراء : ٢٥)

وقال : « واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » البقرة : ٢٣٥)

١٥- (هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه واليه النشور)

الله جل وعلا هو الذى جعل لكم الارض سهلة منقادة مسخرة ، تستقرّون عليها وجعلها قراراً وبساطاً وفراشاً ومهداً ومكّنكم فيها ، وسلك لكم فيها سبلاً وجعل خلالها أنهاراً ، فامشوا فى سهلها وجبالها ، فى برّها وبحرها ، فى جوانبها وأطرافها ، وفى حولها ومدارها ، وكلوا من رزق الله تعالى حلالاً طيباً مما رزقكم و لا تعثوا فيها مفسدين إذ إليه تعالى يرجع نشركم باخراجكم من الارض و إحيائكم للحساب والجزاء والاية فى عرضة الامتنان والارشاد والتهديد .

كقوله تعالى : « الله الذى جعل لكم الارض قراراً » غافر : ٦٤)

وقال : « أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً » النمل : ٦١)

وقال : « والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلا فجاجاً» نوح : ١٩_ ٢٠)

وقال : «الذى جعل لكم الارض فراشاً و السماء بناء وأنزل من السماءماءاً فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون» البقرة:٢٢)

و قال : « وهو الذى مدّ الارض و جعل فيها رواسى و أنها راً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون» الرعد : ٣)

وقال: «الذى جعل لكم الارض‌مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل‌من‌السماء ماءاً فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى » طه : ٥٣ _ ٥٥)

و قال : « و لقد مكّنّاكم فى الارض و جعلنالكم فيها معايش قليلا ما تشكرون» الاعراف : ١٠)

و قال : «ألم تر ان الله سخّر لكم مافى الارض و الفلك تجرى فى البحر بأمره» الحج : ٦٥)

وقال : «فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا و اشكروا نعمت‌الله » النحل : ١١٤)

وقال : « خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جرادمنتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر: ٧ _ ٨)

١٦ - (ء أمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور)

ء أمنتم أيها الكافرون عن عذاب من فى السماء تدبيره وأمره ، وحكمه وقضاؤه أن يأمرالارض بالشق فتهتزّ و تضطرب فاذن تبتلعكم و تبطنكم كما بطنت قارون .

ونظير الاية فى الانذار و التخويف قوله تعالى : «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا أومن تحت أرجلكم» الانعام : ٦٥)

وقوله : «أفأمن أهل القرى أن ياتيهم باسنا بياتاوهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم باسناً ضحى و هم يلعبون أفأمنوا مكرالله فلا يأمن مكرالله الا القوم الخاسرون» الاعراف : ٩٧-٩٩)

وقوله: «أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أوياتيهم العذاب من حيث لايشعرون» النحل: ٤٥)

وقال تعالى : «أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر» الاسراء : ٦٨)

وقال : «فخسفنا به و بداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين» القصص : ٨١)

وقال : «إن نشأ نخسف بهم الارض أونسقط عليهم كسفامن السماء ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب» سباء : ٩)

١٧ - (ام امنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)

بل أمنتم أيها المكذبون عن عذاب من فى السماء أمره وتدبيره أن يرسل عليكم سحاباً مخوفة ترميكم وتمطر كم بحجارة من سجيل كما أرسل على قوم لوط فيهلككم بها ، فستعلمون أيها الكفرة عند معاينة العذاب كيف يكون انذارى بالعذاب والهلاك والدمار بسبب كفر كم وعصيانكم .

قال الله تعالى : « كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط - فذوقوا عذابى ونذر » القمر:٣٣- ٣٩)

وقال «أفأمن الذين مكرواالسيئاتأن يخسف الله بهم الارض» النحل : ٤٥)

و قال : « وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لاية » الشعراء : ١٧٣-١٧٤).

وقال : « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لايات للمتوسمين» الحجر: ٧٤- ٧٥)

وقال : «وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد» هود : ٨٢-٨٣)

١٨- (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير)

و اقسم بالله تعالى قد كذّب الذين رسلى وجحدوا رسالتهم من قبل هؤلاء المكذبين من قريش من كفار الامم السالفة كقوم نوح و عاد و ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأصحاب الرّس فحاق بهم من سوء العذاب وحلّ بهم من البأس، فكيف كان عقابى بهم غير معهود ،وعذابى الدهاء الصعب الفظيع لا يعرف مثله،وهذا هو عذاب الاستئصال فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

قال الله تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا » الانعام: ١٤٧-١٤٨).

وقال : « وان يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات و بالزبر و بالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير » فاطر : ٢٥ _ ٢٦) .

وقال : « كذبت قبلهم قوم نوح و عاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط و أصحاب الأيكة اولئك الاحزاب إن كل الاّ كذّب الرسل فحق عقاب » ص : ١٢ - ١٤) .

و قال : « و ما آتيناهم من كتب يدرسونها و ما أرسلنا إليهم قبلك من نذير و كذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذّبوا رسلى فكيف كان نكير » سباء : ٤٤ _ ٤٥) .

و قال : « و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذابا نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً أعدالله لهم عذاباً شديداً فاتقواالله يا اولى الالباب » الطلاق : ٨ ـ ٩) .

وقال : « كذّب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون » الزمر : ٢٥ ـ ٢٦) .

١٩ - (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير)

أولم ير هؤلاء المشركون قدرتنا وغفلوا عنها ، و لم ينظروا إلى الطيور فوقهم باسطات أجنحتهن فى جوّ السماء حين طيرانها تارة ويضممنها تارة اخرى ما يمسك الطيور فى الجو عن الوقوع والسقوط حالتى البسط والقبض على خلاف مقتضى طبيعة الاجسام الثقيلة من النزول إلى الارض والانجذاب إليها إلاالله تعالى بتوطئة الهواء لهن ولولا ذلك لسقطن ، فانه جل وعلا ألهمهن حركات تساعد على الجرى فى الهواء المسافات البعيدة لتحصيل أقواتهن ، والبحث عن أرزاقهن . وذلّل الهواء لطير الطيور كما ذلّل الارض لمشى الآدمى .

ان الله تعالى عليم بكيفية إبداع المبدعات وتدبير المصنوعات ، عليم بدقائق الاشياء و جليّها ، عليم بجميع الاشياء ، عليم بفائدتها لعباده ، و عليم بما خلقه الله جل و علا على السنن الالهية و عليم بأعمال عباده .

قال الله تعالى : « الم يروا إلى الطير مسخرات فى جوّ السماء مايمسكهن الاّ الله ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون » النحل : ٧٩) .

و قال : « ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون » الحجرات : ١٨) .

وقال: « والله بماتعملون بصير له ملك السموات والارض » الحديد : ٤ـ٥)

٢٠- (أمن هذا الذى هوجندلكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور)

بل من هذا الذى هو حزب لكم و منعة عنكم العذاب أيها المشركون والمكذّبون ان أراداللّه جل وعلا بكم سوءاً بسبب كفركم وطغيانكم فينصركم ويدفع عنكم العذاب من غيراللّه تعالى، ليس الكافرون الاّ فى خداع من الشيطان الذى يغرّهم بان لاحساب و لا عقاب ، لا عذاب و لا ثواب . . .

ان الاية فى معنى قوله تعالى : « قل من ذاالذى يعصمكم من اللّه إن أراد بكم سوءاً » الاحزاب : ١٧) .

و قوله: «قل فمن يملك لكم من اللّه شيئا إن أراد بكم ضرّاً » الفتح : ١١).

وقوله : « واذا أراداللّه بقوم سوءاً فلا مردّ له و مالهم من دونه من وال » الرعد : ١١) .

و قوله : « و ما أنتم بمعجزين فى الارض و ما لكم من دون اللّه من ولى و لا نصير » الشورى : ٣١) .

وقوله: « والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون» الاعراف : ١٩٧) .

وقوله : « يعدهم ويمنّيهم ومايعدهم الشيطان الاّغروراً » النساء :١٢٠).

وقوله: « ياأيهاالناس ان وعداللّه حق فلا تغرّنكم الحياةالدنيا ولايغرّنكم باللّه الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » فاطر : ٥ ـ ٦) .

٢١ - (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو و نفور)

أم من هذاالذى يطعمكم ويسقيكم ويأتى باقواتكم بزعمكم أيهاالمشركون ان أمسك اللّه تعالى رزقه بامساك المطر وغيره من أسباب الرزق بل تمادوا هؤلاء المشركون فى تكبر وعناد ، و أصرّوا فى طغيان ولجاج ، وتمردوا على دعوةاللّه

تعالى و أعرضوا عن الحق ، و تباعدوا عن قبوله .

قال الله تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون - فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً استكباراً فى الارض » فاطر : ٢ - ٤٢) .

و قال : « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً - و اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا و ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً » الفرقان : ٢١ - ٦٠)

وقال : « ولقد صرّفنا فى هذا القرآن ليذّكّروا وما يزيدهم الا نفوراً - واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء : ٤١ - ٤٤)

٢٢- (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم)

أفمن يمشى متساقطاً على وجهه فى الضلالة ، وملقى على الكفر و الشرك والطغيان ومنهمكاً فى الشهوات ومتاع الحياة الدنيا ، ولا يرى لنفسه حداً منها هو أهدى أمن يمشى سوياً على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه : و يمشى مهتدياً صائناً لنفسه و حافظا لدينه ، رأس ماله الايمان ، و زاده التقوى و صالح العمل لا يستويان اذ لا يستوى الاعمى والبصير ، لا يستوى الكفر والايمان ، لا يستوى النور والظلمة ، لا يستوى الجاهل والعالم ، لا يستوى الاحياء والاموات ، ولا يستوى المطيع والعاصى . . .

قال الله تعالى : « و ما يستوى الاعمى والبصير و لا الظلمات و لا النور و لا الظل و لا الحرور و ما يستوى الاحياء و لا الاموات » فاطر : ١٩ - ٢٢) .

و قال : « مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون » هود : ٢٤) .

و قال : « وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا و عملوا الصالحات و لا المسيء قليلا ما تتذكرون » غافر : ٥٨) .

وقال: « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون» الحشر : ٢٠) .

و ان الاية الكريمة ردّ على الكفار والمشركين الذين كانوا يدّعون بانهم أهدى من المؤمنين نظير قوله تعالى : «الم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » النساء : ٥١) .

و قوله: « قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون » يونس : ٣٥) .

و قوله : « قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » الاسراء : ٨٤) .

و ما ورد فى المقام فمن التأويل فانتظر و تدبر .

٢٣ - (قل هو الذى انشاكم و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) .

قل يامحمد لهؤلاء المكذبين بالبعث والحساب والجزاء : الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم و لم تكونوا شيئا ، و صوّركم فاحسن صوركم ، و جعل لكم السمع لتسمعوا به آيات الله تعالى ، و تعملوا بموجبها و ترفعوا بها حوائجكم فى حياتكم الدنيوية ، وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى ، وتتعظوا بمواعظها و تنصّحوا بنصائحها . . . و جعل لكم الابصار لتبصروا بها و تنظروا إلى الايات الكونية من الآفاقية والانفسية ، و إلى الايات التدوينية ، و تعيشوا فى الحياة الدنيا عيشاً هنيئاً ، وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها فيما تسمعون ، وتفكروا فيما

تبصرون ، فتقولوا بعد ما تدبّر تم فيه ، وتحصلوا بها المعارف الاسلامية والحكم والحقائق ، وترتقوا إلى مدارج الكمال الانسانى و إلى خير الدنيا وسعادة الاخرة بعضدى العلم والعمل . . .

« قليلا ما تشكرون » ربكم على هذه النعم التى أنعمها عليكم باستعمالها فيما خلقت لأجله لان الله تعالى خلق تلك القوى لخير دنيا كم ، وصلاح آخرتكم ، و أنتم تستعملونها فى الشر والفساد لكم و لمجتمعكم . . .

قال الله تعالى : « الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سوّاه و نفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون » السجدة : ٧ ـ ٩) .

وقال : « أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » مريم:٦٧) .

وقال : « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم ينشىء النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير » العنكبوت : ١٩ ـ ٢٠) .

و قال : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٢ ـ ٣) .

وقال : « وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » الذاريات : ٢٠ ـ ٢١) .

وقال : « ولقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم و أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » الاحقاف : ٢٦) .

و قال : « و لقد مكنا كم فى الارض و جعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » الاعراف : ١٠) .

و قال : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا و جعل لكم

السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » النحل : ٧٨) .

و قال : « و قليل من عبادى الشكور » سباء : ١٣) .

ان الانسان قوى ّ بالقدر الذى وهبه‌الله تعالى من القوة عالم بالقدر الذى أعطاه‌الله جل وعلا من العلم ، فينبغى أن يتذكر خالق هذه القوى ويشكر له ، ولا يغترّ ولا ينخدع بما يقسم‌الله تعالى له من القدرة والعلم .

و ان الانسان مستخلف فى‌هذه الارض باذن‌الله جل‌وعز موهوب من‌القوة والقدرة والعلم مايشاءالله ، وهو حاميه و رازقه و معطيه ، ولو تخلت عنه يدالله لحظة لسحقته أقل القوى المسخرة له ولأكله الذباب ، وماهوأصغر من‌الذباب ، و لكنه باذن‌الله تعالى و رعايته محفوظ ، فليعرف الانسان من أين يستمد هذا التكريم ، و ذلك الفضل العظيم ؟

٢٤ - (قل هو الذى ذرأكم فى الارض و اليه تحشرون) .

قل يامحمد لهؤلاء المكذبين بالبعث والجزاء : الله تعالى هوالذى‌خلقكم وكثّر نسلكم و بثكم فى الارض لتتسابقوا فى مضمار الحياة الانسانية و عمارة الارض و استدرار خيراتها . فليس معنى الذرأ : الخلق فقط .

قال‌الله تعالى : « فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الانعام أزواجاً يذرؤكم فيه » الشورى : ١١) .

و قال : « و ما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون » النحل : ١٣) .

و قال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » الكهف : ٨) .

هذا ولكن الدول الجبابرة والملوك الطاغية الكبيرة تتسابق اليوم فى مضمار التسلح وحرمان الجائعين والمستضعفين من خيرات الارض وبركاتها لتكون وقفا على مصانع الموت التى يملكها الطغاة المحتكرون المفسدون فى الحرث

والنسل .

وتقول الاحصاءات : ان ما تنفقه دون العالم مجتمعة على السلاح أكثر مما تنفقه على التعليم والصحة معاً .

وإلى الله تحشرون من الارض يوم القيامة فيأخذ المفسدين في الارض بجرمهم و جريرتهم فيجازى كلاً بعمله ، و من كان قادراً على البدء فالاعادة له هيّن .

قال الله تعالى : « و يوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذّبتم بآياتي و لم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون » النمل : ٨٣ ـ ٨٥) .

و قال : « يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي و نميت و إلينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير » ق : ٤٢ ـ ٤٤) .

٢٥ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) .

و يقول هؤلاء المكذبون بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاءهم به و بالحشر والحساب والجزاء من ضرط عتوهم و عنادهم استهزاءاً و سخرية وتهكما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين : متى يقع هذا الوعد الذي تعدنا به من الخسف والحاصب في الحياة الدنيا ، والحشر والجزاء في الاخرة إن كنتم صادقين فيما تدّعون و تقولون ؟

ان سياق هذه السورة في شمول الوعد والامتنان نظير سياق سورة النمل : « و مكروا مكراً و مكرنا مكراً و هم لايشعرون ـ الى قوله تعالى ـ : ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين » : ٥٠ ـ ٧١) وسياق سورة يس : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء و ما كنا منزلين ـ الى ـ و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ـ فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون الاّ ما كنتم تعملون ، يس : ٢٨ ـ ٥٤) .

۲۶ - (قل انما العلم عندالله و انما أنا نذير مبين)

قل يامحمد لهؤلاءِ المكذبين : انما العلم بوقت الهلاك والدمار ، وبوقت الساعة والحشر والجزاء على وجه التعيين عندالله تعالى ، فعلم ذلك عند بارىء النسم لايعلمه الا ّهو، وقد أمرني ان اخبركم بان ذلك كائن لامحالة فاحذروه ، ثم ذكر وظيفة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك بقوله تعالى : « و انما أنا نذير مبين» : منذر من عند ربى بالهلاك والدمار للمكذبين فى الحياة الدنيا، وبالنار والعذاب فى الاخرة و مخوّ فكم عنهما ، أبيّن لكم الشرائع ، وما اوحى إلىّ مما حلل لكم وماحرّم عليكم و اكون على بينة من ربى وقد بلغتكم ما ارسلت به إليكم ، و إلى الله جل و علا ترجعون لامحالة .

قال الله تعالى: « قل انى على بينة من ربى و كذّبتم به ماعندى ماتستعجلون به ان الحكم الا ّ لله » الانعام : ۵۷) .

و قال : « فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عندالله و ابلغكم ما ارسلت به » الاحقاف : ۲۲ ـ ۲۳) .

و قال : « إليه يرد علم الساعة » فصلت : ۴۷) .

و قال : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ » الكهف : ۱۱۰) .

و قال : « ان أتبع الا ّ ما يوحى إلىّ » يونس : ۱۵) .

وقال : « يسئلونك عن الساعة أيان مرسيها قل انما علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها الا ّ هو ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم الا ّ بغتة ـ إن أنا الا ّ نذير و بشير لقوم يؤمنون » الاعراف : ۱۸۷ ـ ۱۸۹) .

و قال : « وتبارك الذى له ملك السموات والارض و ما بينهما وعنده علم الساعة و إليه ترجعون » الزخرف : ۸۵) .

۲۷- (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا و قيل هذا الذى كنتم به تدعون)

فحين رأى هؤلاء المكذبون العذاب الموعود قد أشرف عليهم سيئت وجوههم بسبب كفرهم وتكذيبهم إذ علت وجوههم الكآبة والحزون والخسران، و آثار الذلة والندامة ، و غشيتها القترة والسواد اذ جاءهم من أمرالله تعالى ما لم يكونوا يحتسبون « و بدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون و بدالهم سيئات ما كسبوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ـ و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين » الزمر : ٤٧ـ٦٠) .

و قال : « و أسرّوا الندامة لما رأوا العذاب و قضى بينهم بالقسط و هم لايظلمون» يونس : ٥٤)

وقال تعالى : « يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فاما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» آل عمران:١٠٦)

وقال : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» يونس : ٢٧)

و قال : « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى اذا رأوا مايوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً» مريم : ٧٥)

ويقال لهم على سبيل التقريع و التوبيخ : هذا الذى كنتم به تطلبون و تستعجلون به خلاف ماوعدتم به على سبيل التكذيب والاستهزاء بالوعد اذ تقولون لرسول الله : « إئتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين» الاحقاف : ٢٢)

« قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً او نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ماوقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون» يونس : ٥٠ ـ ٥١)

وماورد فى المقام فمن باب التأويل فتدبر .

٢٨- (قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)

قل يامحمد ﷺ لهؤلاءِ المكذبين- موبخاً ومهدّداً ومتحدياً-: أخبرونى ! إن أهلككم الله جل وعلا بسبب كفركم وتكذيبكم ، ورحمنى و الذين آمنوا بالله تعالى ورسولهو باليوم الاخر فمن يعيذ الكافرين من الهلاك وينجيهم من عذاب موجع أى ليس لكم من ينجيكم من الهلاك والعذاب .

وليس المراد بالاهلاك إهلاك النبى ﷺ والمؤمنين كقوله تعالى: «وانا أوإياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» سباء : ٢٤)

أهلك الله الظالم : أنزل به العقاب و الضرّ فى الدنيا و الاخرة و قد جاء حديث إهلاك الاقوام أو القرى التى كذبت الرسل وكان عقابهم الاستئصال الجماعى بمواضع عديدة فى القرآن الكريم على سبيل التهديد :كقوله تعالى : « أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة و أكثر جمعا » القصص : ٧٨)

وقوله : « وأنه أهلك عاداً الاولى وثمود فما أبقى» النجم : ٥٠ ـ ٥١)

و قوله : « و كم من قرية أهلكنا هافجائها باسنا بياتا أوهم قائلون ـ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الارض ـ قال رب لوشئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بمافعل السفهاء منا ـ أفتهلكنا بمافعل المبطلون» الاعراف: ٤ـ١٢٩ـ١٥٥ ـ ١٧٣)

وقوله : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم ـ فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» الانعام : ٦)

والاية فى معنى قوله تعالى : « ذلكم الله ربكم له الملك و الذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر : ١٣ـ ١٤)

وقوله : « فويل للذين كفروا من النار» ص : ٢٧)

وقوله : «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم و بئس المصير اذا القوا فيها

سمعوا لها شهيقا وهى تفور» الملك : ٦ - ٧)

٢٩- (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين - على طريق الدعوة تلويحاً ، والتوبيخ و التهديد صراحاً - : الله تعالى هو الرحمن الذى عمّت رحمته جميع الخلائق فى هذه الحياة الدنيا ، أدعوكم اليه تعالى ، آمنا به و ملائكته و كتبه و رسله وباليوم الاخر ، وعلى الله جل وعلا وحده اعتمدنا فى جميع امورنا و به وحده وثاقتنا فيها لا على غيره لانا نعلم أن ماسواه أياماكان بمعزل من النفع والضرر، فلن نتكل على ما أنتم متكلون عليه من الآلهة و الاموال و الاولاد و العدد والعدد ...

فستعلمون معاشر الكفار عن قريب ألبتة من هو فى ضلال مبين اليوم أنحن أم أنتم : منا أو منكم .

والاية فى معنى قوله تعالى : «و ان ربكم الرحمن فاتبعونى و أطيعوا أمرى - قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى و من اهتدى» طه : ٩٠ - ١٣٥)

و قوله تعالى : «و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلا» الفرقان : ٤٢)

٣٠- (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين: أخبرونى يامعشر الكفار إن صارماؤكم غائراً فى الارض إلى أن ينقطع عن النبع و الجريان ، فمن يأتيكم بماء عذب ظاهر جار على وجه الارض تراه العيون تشربونه زلالا ؟ ألكم فئة تنصركم فى ذلك من دون الله و ماكان منتصراً ؟ فكيف تشركون به و تكذبون بآياته و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتنكرون أن يبعثكم للحساب والجزاء :

قال الله تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب» الزمر : ٢١)

و قال : « أفرأيتم الماء الذى تشربون، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلو لاتشكرون» الواقعة : ٦٨ ـ ٧٠)

وقال : « أولم يروا انانسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاتا كل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون» السجدة : ٢٧)

وقال : « أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا » الكهف : ٤١)

وماورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللب .



﴿ جملة المعاني ﴾

٥٢٤٢- (تبارك الذى بيده الملك وهوعلى كل شىء قدير)

تعاظم وتعالى وكثر خيره وبركاته على جميع خلقه الذى بيده ملك الدنيا والاخرة وسلطانهما ، نافذفيهماأمره وقضاءه ، مستقل بملكوت كل شىءلايزاحمه فى ملكه أحد . فانه جل وعلا قادرعلى كل شىء من الاشياء الممكنة الواقعةفى عالم الطبع ، وعالم الملكوت .

٥٢٤٣- (الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً و هـو العزيز الغفور)

الله جل وعلا هوالذى خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف من الامروالنهى . . . أيكم أصوبكم عملاً ، والله تعالى هوالغالب القاهر لايغلبه غالب ، وهوالغفورلمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

٥٢٤٤- (الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصرهل ترى من فطور)

الله تعالى هوالذى خلق سبع سموات طبقة طبقة ، بعضها فوق بعض من غير مماسة وعماد ترى ،لاترى أيها المخاطب فى خلق الرحمن ما يخرج عن مقتضى الحكمة من اختلال ، و إن كنت فى ريب من هذا فارجع البصر مرّة بعد مرّة اخرى هل ترى فى خلق الرحمان من نقص وشقوق .

٥٢٤٥- (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصرخاسئاً وهوحسير)

ثم انظر فى خلق الرحمن مرّة بعد مرّة أيها المخاطب على سبيل التتبع

والتصفح ، و ان فعلت ذلك يرجع اليك بصرك مبعداً مهينة ، والحال هو كليل معيا .

٥٢٤٦- (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين و أعتدنالهم عذاب السعير)

أقسم تعالى بذاته : انا زينا السماء الدنيا بكواكب مضيئة بالليل ، وجعلنا ها رجوماً لشياطين الانس والجن اذا استراقوا السمع ، وهيّأنالهم عذاب النار المسعّرة المشتعلة تحيط بهم في جو السماء .

٥٢٤٧- (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير)

و اعتدنا للذين كفروا بربهم و كذّبوا بايات الله ورسله و باليوم الاخر عذاب جهنم ، وبئس المصير مصيرهم إلى جهنم والخلود فيها .

٥٢٤٨- (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور)

إذا طرح هؤلاء المكذبون في جهنم - كالحطب الذي يطرح في النار من غير دقة وترحم - سمعوا لجهنم صياحاً كصيحة المتغيظ من شدة الغضب عليهم ، و هي تغلي من شدة التلهب والتسعر .

٥٢٤٩- (تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير)

تقرب أن تتقطع جهنم من شدة الغيظ على أهلها من مكذبي الجن والانس بربهم و رسله ، كلما طرح في جهنم جماعة جماعة منهم يسئل عنهم خزنتها - توبيخاً وتقريعاً - أيها المكذبون : ألم يأتكم في الدنيا من قبل ربكم من رسول يخوّ فكم من عذاب هذا اليوم فتحذروا ؟

قال هؤلاء المكذبون في جواب الخزنة إعترافاً بجرمهم : بلى أيتها الخزنة قدجاءنا نذير عظيم الشأن ، كثير المعجزات وقاطع البرهان .

٥٢٥٠- (فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء ان أنتم الافي ضلال كبير)

فكذبنا ذلك النذير ، وقلنا لهم مكذبين بهم : ما نزّل الله عليكم من شيء من آيات الله تعالى ، ولاأنتم على شيء برسالة منه ، و ما أنتم فـى دعـوا كم إلا منحرفين عن طريق الحق ، كبير دعواكم الرسالة ونزول الوحى عليكم .

٥٢٥١- (وقالوا لوكنانسمع أونعقل ماكنا فى أصحاب السعير)

وقال هؤلاء المكذبون إذ يلقون فى جهنم لخزنتها تحسّراً وتندماً: لو كنا نسمع مواعظ الرسل سماع القبول ، و نهتدى بهداهم أو نعقل عقل متأمل فيما يتلون علينا من آيات الله ونؤمن به جل وعلا ما كنا اليوم من زمرة أصحاب النار المسعّرة المشتعلة من مستحقيها .

٥٢٥٢- (فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير)

فاعترف هؤلاء المكذبون بتكذيبهم الرسل ، فبعداً لاصحاب النار المسعرة المشتعلة عن رحمة الله تعالى والخلود فى جهنم .

٥٢٥٣- (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

ان الذين يخشون ربّهم ، و هم غائبون عن أعين الناس ، فلا يعصون الله تعالى سراً كمالايعصونه علانية ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير لايوصف بالبيان .

٥٢٥٤- (وأسروا قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور)

وأضمروا أيها المكذبون ما تقولونه أو اعلنوه فان الله تعالى يعلم بما فى الصدور ، فالجهر والسر عنده سيان .

٥٢٥٥- (الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

كيف لايعلم الله جل وعلا بما فى ضمائر خلقه والله تعالى هو خالق الخلق وهو العالم بدقائق الاشياء ، الخبير بظواهر الاشياء وبواطنها . . .

٥٢٥٦- (هوالذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوامن رزقه واليه النشور)

الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض سهلة منقادة مسخـرة ، تستقرون

عليها ، فامشوا فى سهلها وجبالها ، وفى جوانبها و مدارها ، و كلوا من رزق الله جل ّ وعلا حلالاً طيباً مما رزقكم ، وإلى الله نشركم للحساب والجزاء .

٥٢٥٧- (ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور)

ءأمنتم أيها الكافرون عن عذاب من فى السماء تدبيره وأمره أن يأمر الارض بالشق فتبتلعكم كما تبطنكم كما بطنت قارون .

٥٢٥٨- (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير)

بل ء أمنتم أيها المكذبون عن عذاب من فى السماء حكمه و قضاءه أن يرسل عليكم سحاباً مخوفة تمطر كم بحجارة من سجيل ، فستعلمون أيها الكفرة عند معاينة العذاب كيف يكون إنذارى بالعذاب .

٥٢٥٩- (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير)

واقسم بعزتى وجلالى أن قد كذّب الامم السالفة رسلى من قبل مشركى مكة ، فحل بهم عذابى ، فكيف كان عقابى بهم .

٥٢٦٠- (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير)

أولم يرهؤلاء المشركون قدرتنا ، وغفلوا عنها ، ولم ينظروا إلى الطيور فوقهم باسطات أجنحتهن فى جوّ السماء حين طيرانها تارة ويضممنها تارة اخرى ما يمسك تلك الطيور الا ّ الله برحمته الواسعة فانه جل وعلا عليم بدقائق الاشياء وبأعمال عباده .

٥٢٦١- (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور)

بل من هذا الذى هو حزب لكم ومنعة عنكم العذاب أيها المشركون إن أراد الله جل وعلا بكم سوءاً بسبب كفركم فينصركم و يدفع عنكم العذاب من

دون الله جل وعلا ، ما الكافرون إلا في خداع من الشيطان الذى يغرّهم بان لا بعث ولاجزاء .

٥٢٦٢- (امن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور)

أم من ذا الذى يرزقكم أيها المشركون غير الله تعالى ان أمسك الله جل وعلا رزقه عنكم ، بل تمادّى هؤلاء المشركون فى لجاج وإعراض عن الحق .

٥٢٦٣- (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم)

أفمن يمشى متساقطاً على وجهه فى الضلالة والشرك أهدى أمن يمشى سوياً على طريق مستقيم لااعوجاج فيه .

٥٢٦٤ - (قل هو الذى انشاكم و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة قليلا ما تشكرون)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالبعث والجزاء : الله تعالى هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، وجعل لكم السمع لتسمعوا به آيات الله جل و علا والابصار لتبصروا بها و تنظروا إلى الايات الافاقية والانفسية ، والافئدة لتعقلوا بها فيما تسمعون وتبصرون ، قليلا ماتشكرون ربكم على هذه النعم التى أنعمها عليكم باستعمالها فيما خلقت لأجله .

٥٢٦٥- (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالبعث والجزاء : الله جل و علا هو الذى خلقكم و كثّر نسلكم و بثكم فى الارض، وإلى الله تعالى تحشرون للحساب والجزاء

٥٢٦٦- (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

ويقول المكذبون بالحشر والجزاء عناداً وإستهزاءاً وتهكماً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين : متى يقع هذا الوعد الذى تعدنا به ؟إن كنتم صادقين فى وعدكم ؟

٥٢٦٧- (قل انما العلم عندالله وانما أنا نذير مبين)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين : انما العلم بوقت الموعود على وجه التعيين عند الله تعالى ، وليس وظيفتى بيانه ، وانما انا منذر أبيّن لكم ما نزل إلىّ من عند ربى .

٥٢٦٨ - (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون)

فحين راى هؤلاء المكذبون العذاب الموعود قد أشرف عليهم سيئت وجوههم إذ علت وجوههم الكآبة وآثار الذلة بسبب كفرهم ، ويقال لهم عندئذ ـ تقريعاً وتوبيخاً ـ : هذا الذى كنتم تستعجلونه .

٥٢٦٩ - (قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى اورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ـ متحدياً ومهدداً ـ : أخبرونى إن أهلككم الله جل وعلا بسبب كفركم ورحمنى والمؤمنين فمن يعيذ الكافرين من الهلاك و ينجيهم من عذاب موجع .

٥٢٧٠ - (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين)

قل لهم : الله تعالى هو الذى وسعت رحمته كل شىء فى الحياة الدنيا آمنا به وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر ، وعلى الله جل وعلا وحده اعتمدنا فى جميع امورنا وبه وحده وثاقتنا فيها الاعلى غيره ، فستعلمون معاشر الكفار عن قريب البتة من هو فى ضلال ظاهر اليوم أنحن أم أنتم ؟

٥٢٧١ - (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين)

قل لهم : أخبرونى يا معشر المكذبين إن صار ماؤكم ذاهباً فى الارض إلى أن ينقطع عن النبع والجريان فمن يأتيكم بماء عذب ظاهر جار على وجه الارض تراه العيون تشربونه زلالاً ؟ .

﴿ بحث روائي ﴾

في تاريخ الخلفاء للسيوطي : عن الباقر عليه السلام قال : ان خاتم علي بن ابيطالب عليه السلام كان من ورق نقشه : « نعم القادر الله »

وفيه : عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم علي عليه السلام : « الملك لله »

وفي روضة الكافي : باسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الله عزوجل خلق الحياة قبل الموت .

أقول : فيه دلالة على ان الموت أمر وجودي ، والمراد بالموت : الموت الطارىء على الحياة ، فتقديم الموت على الحياة في الذكر لانه أدعى إلى الايمان و صالح العمل وأقوى في ترك الكفر والمعاصي ، و أوجب لعدم وثوق الانسان بالدنيا ولذاتها الفانية .

وفي اصول الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : الحياة والموت خلقان من خلق الله ، فاذا جاء الموت ، فدخل في الانسان لم يدخل في شيء الا وقد خرجت منه الحياة .

وفيه : باسناده عن سفيان بن عيينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » قال : ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً و انما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة (الخشية خ) ثم قال : الابقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عزوجل ، والنية أفضل من العمل ، ألا وإن النية هي العمل ثم تلا

قوله عزوجل : « قل كل يعمل على شاكلته » يعني على نيته .

اقول : ان الانسان يتصف بحسن العمل تارة بكثرة العمل ، واخرى باصابته و شدة رعاية شرائطه ، فنفى الامام عليه السلام الاول بقوله : « ليس يعني أكثر كم عملاً » فان مجرد العمل من غير خلوص فيه لا يعتدّ به بل هو تضييع للعمر ، و أثبت الثاني بقوله : « ولكن أصوبكم عملاً » لان صواب العمل ماكان خالصاً من شوائب الرياء والفساد ، وهذا هو الذي يوجب القرب من الله تعالى حسب مراتب الخلوص .

ثم بيّن الاصابة وحصرها في أمرين بقوله : « انما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة » و في بعض النسخ « الخشية » بدل « الحسنة » والمعنى على الاصل : صواب العمل أن يكون موافقاً لامر الله تعالى ، و لا يكون فيه بدعة ، والمعنى على النسخة الثانية : ان مدار الاصابة على الخشية و تلزمها النية الصادقة .

وان المراد بالنية الصادقة : إنبعاث القلب نحو الطاعة وصالح العمل ابتغاء لوجه الله تعالى وعدم إفساده بالرياء والمن والأذى وما اليها من موجبات فساد الطاعة والعمل الصالح، ومن ثم قال الامام عليه السلام : الابقاء على العمل حتى يخلص من الدنيا بلا شوائب الموجبة لنقصه وفساده أشد من العمل نفسه .

ثم استشهد الامام عليه السلام على ان مدار العمل صحة و فساداً ونقصاً و كمالاً على النية بقوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته »

وفي العيون : باسناده عن أبي الصلت الهروي قال ـ فيما سئل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال ـ : و أما قوله عز و جل : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » فانه عزوجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته و عبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة لانه لم يزل عليما بكل شيء .

فقال المأمون : فرّجت عني يا أبا الحسن فرّج الله عنك .

و فى الاحتجاج : فى رسالة الامام أبى الحسن على بن محمد العسكرى عليه السلام إلى أهل الاهواز حين سئلوه عن الجبر والتفويض - إلى أن قال - : أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سئله عباية بن ربعى الاسدى عن الاستطاعة ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام تملكها من دون الله أومع الله ؟ فسكت عباية بن ربعى ، فقال له: قل يا عباية قال : و ماأقول ؟ قال : ان قلت : تملكها مع الله قتلتك ، و إن قلت : تملكها من دون الله قتلتك قال : وما أقول ياأمير المؤمنين ؟ قال : تملكها بالله الذى لاتملكها من دونه ، فان ملككها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، و هو المالك لما ملكت ، والمالك لما عليه أقدرك أما سمعت الناس يسئلون الحول والقوة حيث يقولون: لاحول ولاقوة إلاّ بالله ؟

فقال الرجل : ماتأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : لاحول نبأعن معاصى الله الاّ بعصمة الله ، ولاقوة لناعلى طاعة الله الاّ بعون الله ، قال : فوثب الرجل وقبّل يديه ورجليه ، ثم قال عليه السلام فى قوله تعالى : « ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأخباركم » وفى قوله : « سنستدرجهم من حيث لايعلمون» وفى قوله : « ان يقولوا آمناوهم لايفتنون » وفى قوله : « ولقدفتنا سليمان »وفى قوله تعالى : « ولقدفتناقومك من بعدك وأضلهم السامرى » و قول موسى : « ان هى الاّ فتنتك » و قوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » و قوله : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم »وقوله :« انابلوناهم كمابلونا أصحاب الجنة » وقوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » وقوله : « و اذابتلى ابراهيم ربه ولو شاء الله لانتصر منهم و لكن ليبلوبعضكم ببعض » ان جميعها جائت فى القرآن بمعنى الاختبار .الحديث .

وفى المجمع : قال أبوقتادة : سئلت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى : «أيكم أحسن عملا » ماعنى به ؟ فقال : يقول: أيكم أحسن عقلاً ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمرالله عزوجل به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوّعاً .

وفيه : عن إبن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا قوله تعالى : « تبارك الذى بيده الملك - إلى قوله - أيكم أحسن عملاً » ثم قال : أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « الذى خلق سبع سماوات طباقاً » قال بعضها طبق لبعض ، و « من تفاوت » قال : من فساد و « ثم ارجع البصر » قال : انظر فى ملكوت السماوات والارض ، و « هو حسير » قال : أى منقطع و « بمصابيح » : بالنجوم .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبة - : « فمن فرّغ قلبه ، و أعمل فكره ليعلم كيف أقمت عرشك ، و كيف ذرأت خلقك ، و كيف علّقت فى الهواء سماواتك ، و كيف مددت على مور الماء أرضك ، رجع طرفه حسيراً ، وعقله مبهوراً ، وسمعه والهاً وفكره حائراً .

و فى الاحتجاج : باسناده عن الامام باقر العلوم عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل و فيه خطبة الغدير قال - بعد أن ذكر علياً وأولاده عليهم السلام : ألا ان أعدائهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً و هى تفور ولها زفير كلما دخلت امة لعنت اختها .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « سمعوا لها شهيقا » قال : وقعاً و « تكاد تميّز من الغيظ » قال : على أعداء الله و « سئلهم خزنتها ألم ياتكم نذير » قال : وهم الملائكة الذين يعذبونهم بالنار « وقلنا مانزل الله من شىء » قال . فيقولون لهم : « إن أنتم إلاّ فى ضلال كبير » قال : أى فى عذاب شديد .

و فى العلل : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام انه سئله رجل فقال : لأىّ شىء بعث الله الانبياء و الرسل إلى الناس ؟ فقال : لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولئلا يقولوا ماجاءنا من بشير ونذير ، وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عزوجل يقول حكاية عن خزنة جهنم ، و احتجاجهم على

أهل النار بالانبياء والرسل : « ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير »

وفي الكافي : عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث قال - : وأنزل في تبارك : « كلما ألقي فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير » فهولاء مشركون .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » قال: قد سمعوا وعقلوا ولكنهم لم يطيعوا ولم يقبلوا ، والدليل على أنهم قد سمعوا وعقلوا ولم يقبلوا قوله : « فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير » .

وفي رواية : عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :

« لقد ندم الفاجر يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير فقال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم »

وفي رواية : أن رجلا قال : يا رسول الله ماأعقل فلاناً النصراني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مه إن الكافر لاعقل له أما سمعت قول الله تعالى : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »

وفي رواية : قال صلى الله عليه وآله وسلم : مه فان العاقل من يعمل بطاعة الله .

وفي البرهان : عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث يذكر فيه أهل النار فيقولون : إن عذبنا ربنا لم يكن ظلمنا شيئا قال : فيقول مالك : « فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير » أي بعداً لاصحاب السعير .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « انه عليم بذات الصدور » قال: بالضمائر و « ذلولاً » قال : أي فراشاً و « مناكبها » قال : أي في أطرافها .

في الكافي : باسناده عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان القلوب أربعة

قلب فيه نفاق وايمان ، وقلب منكوس ، وقلب مطبوع ، وقلب أزهر أجرد ، فقلت ما الازهر ؟ قال : فيه كهيئة السراج ، فاما المطبوع فقلب المنافق ، وأما الازهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر وأما المنكوس فقلب المشرك ثم قرأ هذه الاية : « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » فاما القلب الذى فيه ايمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف فان أدرك أحدهم أجله على نفاق هلك، وان أدركه على ايمانه نجى .

قوله عليه السلام : « قلب فيه نفاق وايمان » : هو قلب من آمن ببعض ماجاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجحد بعضه أو الشاك الذى يعبد الله على حرف.

وقيل : ان المراد بالطائف : الطائف الشيطانى الذى ربما يمسّ الانسان قال تعالى : « ان الذين اتقوا اذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذاهم مبصرون » الاعراف : ٢٠١)

فالمعنى : انهم يعيشون مع طائف شيطانى يمسّهم حيناً بعد حين فان أدركهم الأجل والطائف معهم هلكوا وإن أدركهم وهم فى حال الايمان نجوا .

وفيه : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال : قلت : « أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » قال : ان الله ضرب مثلا من حاد عن ولاية على عليه السلام كمن يمشي على وجهه لا يهتدى لامره ، وجعل من تبعه سوياً على صراط مستقيم ، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام .

اقول : وقد أوردنا روايات كثيرة فى تفسير (سورة الفاتحة) عن طريق العامة : ان الامام على عليه السلام هو الصراط المستقيم فراجع وما ورد فى نزول هذه السورة - الملك - يؤيد ذلك فحملها على الجرى غير وجيه .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن سعد بن الخفاف عن أبى جعفر عليه السلام قال : القلوب (القلب خ) أربعة : قلب فيه نفاق وايمان ، وقلب منكوس ، وقلب

مطبوع ، وقلب أزهر أنور قلت : ما الازهر ؟ فقال : فيه كهيئة السراج ، فاما المطبوع فقلب المنافق ، و أما الازهر فقلب المؤمن ، إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر ، وأما المنكوس فقلب المشرك ثم قرأ هذه الاية : « أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » فاما القلب الذي فيه ايمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف فان أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك و إن أدركه على ايمانه نجى .

وفي روضة الكافي : باسناده عن الفضيل قال : دخلت مع أبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متكىء على فنظر إلى الناس ، ونحن على باب بني شيبة فقال: يا فضيل هكذا كان يطوفون في الجاهلية لا يعرفون حقاً ولا يدينون ديناً ، يافضيل انظر إليهم مكبين على وجوههم لعنهم الله من خلق مسخور بهم مكبين على وجوههم .

ثم تلا هذه الاية : « أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » يعني والله علياً عليه السلام والاوصياء ثم تلا هذه الاية: « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون» أمير المؤمنين عليه السلام يافضيل لم يتسم بهذا الاسم غير علي عليه السلام الا مفتر كذاب إلى يوم البأس هذا . الحديث .

وفيه : باسناده عن يوسف بن أبي سعيد قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ذات يوم فقال لي : اذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح صلى الله عليه أول من يدعى به ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم فيقال له: من يشهد لك ؟ فيقول : محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله قال : فيخرج نوح عليه السلام فيتخطا الناس حتى يجيىء إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه علي عليه السلام وهو قول الله عزوجل : « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا » فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله : يا محمد إن الله تبارك وتعالى سئلني هل بلغت ؟ فقلت : نعم فقال: من

يشهد لك ؟ فقلت : محمد صلى الله عليه وآله فيقول : يا جعفر يا حمزة اذهبا و أشهدا له أنه قد بلّغ ، فقال أبوعبدالله عليه السلام ! فجعفر وحمزة هما الشاهدان للانبياء عليهم السلام بما بلّغوا ، فقلت : جعلت فداك فعليّ عليه السلام أين هو ؟ فقال : هو أعظم منزلة من ذلك .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: « فستعلمون من هو في ضلال مبين » : يا معشر المكذبين حيث أنبأتكم رسالة ربي في ولاية علي عليه السلام والائمة من بعده فستعلمون من هو في ضلال مبين .

وفي البرهان : عن أبي بصير قال :سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قوله عزو جل : « قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » قال عليه السلام : هذه الاية ماكان الله يهلك محمداً صلى الله عليه وآله ولا من كان معه من المؤمنين ، وهوخير ولدآدم عليه السلام ولكن قال عزوجل : « قل أرأيتم إن أهلككم الله جميعا أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » .

قول : أي يكون معنى الاية كذلك .

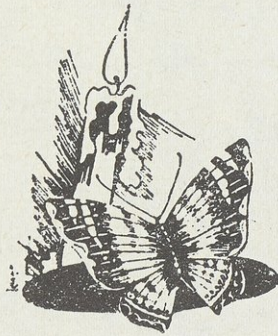
وفي اصول الكافي : باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : « قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » قال : إذاغاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بامام جديد .

و في غيبة الشيخ قدس سره باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال : قلت له : ما تأويل قول الله : « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراًفمن يأتيكم بماء معين » : فقال : إذا فقدتم أمامكم فلم تروه فماذا تصنعون ؟

اقول : إن الماء كناية عن علم الامام لاشتراكهما في كون أحدهماسبب حياة الجسم ، والاخر سبب حياة الروح غير مستبعد ، والمعين : الماء الجاري على وجه الارض .

وفي اكمال الدين : باسناده عن أبي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال في قول

الله عزوجل : « قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين» فقال : هذه نزلت فى القائم يقول : إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لاتدرون أين هو؟فمن يأتيكم بامام ظاهر يأتيكم باخبار السماءوالارض و حلال الله جلوعز و حرامه ثم قال : والله ماجاء تأويل الاية ولابد أن يجيىء تأويلها .



﴿ بحث فقهي ﴾

في كنز العرفان في فقه القرآن للفاضل المقداد رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » الملك : ١٥)

قال : وفي الاية دلالة على جواز الرزق خلافاً للصوفية حيث منعوا من ذلك لاشتماله على مساعدة الظلمة باعطاء التمغاء والباج و هو جهل منهم فان ذلك الاعطاء غير مقصود بالذات بل لو أمكن المنع لما اعطوا شيئاً ، وفي الحديث أنه لما نزل : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » انقطع رجال من الصحابة في بيوتهم واشتغلوا بالعبادة وثوقاً بما ضمن الله لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فعاب عليهم ذلك وقال : اني لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه يقول : اللهم ارزقني ويترك الطلب .

ثم طلب الرزق ينقسم بانقسام الاحكام الخمسة: واجب وهو ما اضطر الانسان إليه ولا جهة له غيره ، وندب وهو ما قصد به زيادة في المال للتوسعة على العيال واعطاء المحاويج والافضال على الغير ، ومباح وهو ماقصد به جمع المال الخالي عن جهة منهي عنها ، ومكروه وهو مااشتمل على ما ينبغي التنزه عنه ، وحرام وهو ما اشتمل على وجه قبيح .

وفي طلب الحلال للعود على العيال أجر عظيم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله »

أقول : وقد سبق الكلام حول الرزق تفصيلا في سورة الذاريات فراجع

﴿ بحث مذهبي ﴾

تستدل المجسمة بقوله تعالى : « تبارك الذى بيده الملك » على جسمية الله سبحانه حيث ان اليد اضيفت إلى ضمير « الله » جل جلاله كما فى قوله تعالى « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى » ص : ٧٥)

أقول: وقد اتفق المفسرون على أن المقصود باليد فى الاية الاولى: استقلاله تعالى بملكوت كل شيء ، وان الاية فى معنى قوله عز وجل : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » آل عمران : ٢٦) على أن المقصود باليد الحصر فى ملكه تعالى .

وقوله تعالى : « وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون » المؤمنون: ٨٨) أى يمنع من يشاء و يعطى من يشاء لا يزاحمه فى ملكه أحد ، وهو الله الواحد القهار .

وان اليد فى قوله تعالى : « لما خلقت بيدى » كناية عن مزيد عناية بل كناية عن عناية خاصة بشأن الانسان ، فكأنه تعالى خلق آدم أبا البشر بلا توسيط سبب كما فى سائر المخلوقات . . .

و قوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » الملك : ٢) تقرير لحكمة الله جل وعلا فى خلق الانسان ، وبيان لغرض خلق الموت والحياة إذ جعلهما وسيلتى الاعتبار والامتحان والاختبار . . .

و فيه رد على الأشاعرة إذ زعمت : إن الافعال غير معللة بالأغراض . . . و

تأويل بعض الاشاعرة كالفخر - بان هذا يشبه الغرض ، ولا يكون في نفسه غرض بل ذكر فيه حرف الغرض - يخالف النصّ ، ويعارض الكتاب والسنة .

وقد استدل بعض المحققين بقوله تعالى : « و لقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » الملك : ٥) على استحالة السفر إلى الكواكب فضلاً عن العبور من سماء إلى سماء - بالشهب المنفصلة منها اذا أرادوا إستراق السمع إذ قال الله تعالى : « و لقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر : ١٦ - ١٨)

و قال : « إنا زيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسّمّعون إلى الملأ الاعلى ويقذفون من كلّ جانب دحوراً و لهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » الصافات : ٦ - ١٠)

وقال : « وإنا لمسنا السّماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً و انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » الجنّ ٨ - ٩) هذا بناء على أن المراد من الشياطين : شياطين الجن والانس .

وأما إدعاء طغاة الغرب ، ومستكبري الشرق - وهما توأمان يرتضعان من لبن واحد - فكذب محض، وليس هذا الاّ توطئة بينهما لتخويف الناس، واستعباد الخلق واستعمار الممالك ، واستثمار الملل وهضم حقوقهم و امتصاص دمائهم خذ لهما الله القادر العزيز الجبار ما داما عليها .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « وجعلناها رجوماً للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » قال : وفي هذا دلالة على أن الشياطين مكلفة .

ان تسئل : ان الشيطان خلق من النار . والنار لا تحرق النار بل تقويها ، فكيف يعقل أن يقال : ان الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب النارية .

تجيب: ان هذه الشبهة السخيفة ناشئة عن أبي حنيفة اذ كان يقول: ان الشيء لايؤثر في نفسه، فأجاب عنها بهلول اذ أخذ قطعة من طين فضرب بها ناصية أبي حنيفة فصاح متوجعاً، فقال بهلول: أليس الانسان خلق من طين؟ فكيف يؤذيه؟.

و يستدل بقوله تعالى: « سئلهم خزنتها ألم ياتكم نذير - إلى - فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لا صحاب السعير » الملك: ٨ - ١١) على أن الله سبحانه لا يعذب أحداً يوم القيامة إلاّ بعد إقامة الحجة وإرسال الرسول إليه كما لايعذّب أحداً في الحياة الدنيا الاّ بعدها إذقال: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »الاسراء: ١٥)

ففي ذلك ردّ على الأشاعرة اذقالت: إن أدخل الله الخلائق بأجمعهم النار فلم يكن جوراً إذ الظلم هو التصرف فيما لايملكه المتصرف أو وضع الشيء في غير موضعه، وهو المالك المطلق، فلا يتصور منه ظلم، ولاينسب إليه جور.

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى حكاية عن المكذبين: « لو كنّا نسمع أو نعقل » قال: « ودلّ هذا على أن الكافر لم يعط من العقل شيئاً»

أقول: وهذا مردود بنفس الآية الكريمة فانها تثبت لهم العقل و تنفي انتفاعهم به، واستعمالهم اياه في كمالهم وسعادتهم، إذ لو لم يعط الكافر من العقل شيئا لكان مجنوناً ولاتكليف عليه، ومن البديهي أنه مكلف.

و استدلت الاشاعرة بقوله تعالى: « وأسرّوا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا من خلق وهو اللطيف الخبير » الملك: ١٣ - ١٤) على أن كل سر أو جهر من القول فهو مما خلقه الله.

أقول: وهذا مردود بما أوردنا في النزول: ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعضهم: أسرّوا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنزلت: انه لافرق عندالله جل وعلا بين الجهر والا خفات، انه يعلم ما تختلج به صدوركم قبل النطق به، ثم جاء التعقيب معللا. « ألا يعلم » أي خفايا جوانحكم - « من خلق » أي من خلقكم، فهو أعرف بخباياكم قبل

مظاهر كم « وهو اللطيف الخبير » فلا يعزب عنه شيء ، وإن دق ولطف.

إذن فلا دلالة في الآية الكريمة إنه تعالى خلق الخواطر والألفاظ كما زعمته الأشاعرة وأذنابهم ممن يحاولون تحريف الكلم عن مواضعه .

قال بعض الاعلام : في عد الارض ذلولاً والبشر على مناكبها « ذلولاً فامشوا في مناكبها » الملك : ١٥) دلالة تلويحية إلى كروية الارض و سيارتها على ما أدت إليه الابحاث العلمية أخيراً .

واستدل المجسمة بقوله تعالى : «ء أمنتم من في السماء » الملك : ١٦) على كون الله سبحانه على جهة الفوق تحددبها الاجسام.

اقول : وهذا مردود بما انتفت الجسمية عن ذاته المقدسة عقلاو نقلا بحيث لم يبق مجال لتصوير الجهة له سبحانه إطلاقاً .

وأما الاية فقد سبق في تفسيرها : ان المقصود بكونه تعالى في السماء كون تدبيره لشؤن خلقه ينزل من مكان علي وهو عالم من وراء المادة فراجع.

في تفسير الفخر : في قوله تعالى : « ما يمسكهن الا الرحمن » قال : هل تدل هذه الآية أن الافعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله ؟ قال : قلنا : نعم و ذلك لان إستمساك الطير في الهواء فعل اختياري للطير ثم قال : فهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى .

اقول : و هذا قياس مع الفارق مضافاً إلى أن الاستمساك فعل اختياري لاالامساك الذي اضيف إلى الله تعالى . وان قوة الطيران التي أودعها الله تعالى في الطيور التي تطير بها في جو السماء مخلوقة لله تعالى ، و أما استعمالها فبارادتها وقد عمي قلب الفخر عن الفرق بينهما ، وعن الفروق بين الانسان المكلف والطير في الهواء ،مع أن الجزاء على الفعل لا على القوة .

﴿ الموت و حقيقته ﴾

قال الله تعالى : « الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » الملك : ٢) وقدجاء أنواع الموت فى القرآن الكريم بحسب أنواع الحياة فيه :

احدها ـ الموت : عبارة عن زوال القوة الحاسّة الحيوانية ، وإبانة الروح عن الجسد ، وهوعدم الحياة وسلبها عن الحى ، وانقطاع النفس عنه .

قال الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون » العنكبوت:٥٧)

وقال : « قل ان الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم » الجمعة :٨)

فليس الموت عدم الحياة صرفاً بل انما هو انتقال من نشأة من نشآة الحياة إلى نشأة اخرى. إما فى تنعم وإما فى عذاب قال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون »آل عمران : ١٦٩) .

وقدورد عن الطريقين : انه لماقتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا فلان يافلان يافلان قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ؟ فهل وجدتم ماوعد كم ربكم حقا ؟

فقيل : يا رسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا ّ انهم لايقدرون على الجواب .

وقدورد صحيحاً ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة .

وهذا نص صريح على ان الموت ليس الا ّ من انتقال حال إلى حال اخرى وليس هو انعدام كما زعم الملحدون وأذنابهم .

قال تعالى: « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » السجدة ١١) إذن فلا مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياة على أنى لواخذ عدمياً كما عند العرف فهو عدم ملكة الحياة ، و له حظ من الوجود يصح تعلق الخلق به كالعمى من البصر والظلمة من النور . . .

ثانيها ـ الموت : عبارة عن حالة الانسان قبل اتصال الحياة والروح به ، و ذلك حين كان نطفة أو قبل ذلك قال الله تعالى : « كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » البقرة : ٢٨) عنى بموتهم حالة النطفة أوما قبل ذلك .

و من ثم كان للانسان موتتان اذ قال تعالى : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين » غافر : ١١) وقديهمل هذا النظر فلايكون إلا الموتة بعدالحياة

ومن هذا إنه يقال : الموت لمادة الحيوان و النبات التى يتولدان منها كالبيضة للفروج و النواة للنخلة والبذر للزرع ، ويقال : هذا ما هو بازاء القوة النامية الموجودة فىالانسان والحيوان والنبات على سبيل التشبيه والتمثيل

قال الله تعالى : « وتخرج الحى من الميت » آل عمران : ٢٧) أريد بالميت مادة الحى كالنطفة للانسان والبيضة للفروج والنواة للنخلة .

و قال : « فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » الروم : ٢٤)

وقال : « لنحيى به بلدة ميتا » الفرقان : ٤٩) جاء « ميتا » وصفا ل « بلدة » للذهب بها مذهب البلد والمراد بموتها انه لانبات بها .

يقال للارض التى بها نبات : ميت قال تعالى : « فأحيى به الارض بعد موتها » البقرة : ١٦٤)

ثالثها ـ الموت : مالاحياة فيه ولاروح فيه قال تعالى : « أموات غير أحياء » النحل : ٢١) هذا فى الأصنام جعلها أمواتاً إذكانت جمادات لاروح فيها .

رابعها ـ الموت : الضلالة والجهالة والعناد واللجاج التى توجب موت القلب وكدورة العقل وانحراف الفطرة . . . وقد يعبّر عنها بزوال القوة العاقلة.

قال الله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصمّ الدعاء إذا و لّوا مدبرين و ما أنت بهادى العمى من ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » النمل : ٨٠ ـ ٨١) فمن لاروح الايمان فيه فهو ميت .

وقال : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » الانعام : ١٢٢) أى ضالاً عن الهدى .

خامسهاـ الموت : الاهوال والاسباب التى هى خليقة أن تفضى إلى الموت من الحزن والغيظ . . . يقال : أحاط به الموت من كل جانب .

قال الله تعالى : « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » ابراهيم: ١٧)

ويقال : مات فلان بغيظه إذا اشتدّ أسفه وغيظه حتى كأنه مات ، و يأتى هذا فى الدعاء فيقال : من بغيظك .

قال الله تعالى: « واذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم » آل عمران : ١١٩)

سادسهاـ الموت : النوم ، يقال : النوم موت خفيف ، و الموت نوم ثقيل ولذلك سماهما الله تعالى توفيا فقال : «الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الاخرى إلى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤٢)

هذا ما حققناه فى الايات الكريمة وأماما يدور عليه البحث فى المقام فهو الموت الذى هو نهاية كل حىّ فى هذا الوجود مظهره خمود الشعور و تلاشى الادراك ودخول الجسد الحيوانى فى حالة تحلل واستحالاته إلى الاصول التى تكوّن منها ، لايخلو حىٌ مهما سفل فى درجة الحيوانية من الشعور بثقل الموت وشناعته فتراه يهرب منه جهده ، ويدافعه بكل ما اوتيه من الوسائل ولكنه يضطر للخضوع

له في النهاية لأن عوامله تحتاط به من كل مكان، فتعجزه عن المقاومة ،فيستسلم له مكرها ويموت كماشاء له القدر .

لم يطرح مسئلة الموت والحياة على بساط البحث من أنواع الحيوان غير الانسان لاتساع دائرة فكره ، وعجز تلك الكائنات من متابعة النظر والتأمل فى الامور المعقولة ، فعنى بهذه المسئلة من زمان بعيد أى الزمان الذى أقام فيه الدين ، ولكنه حلّ هذه المسئلة على ضروب شتى بحسب مدركاته فى كل جيل ذهب فى ذلك كل مذهب حتى جاءت الاديان الكبرى : اليهودية و المسيحية والاسلامية ، فجعلت هذه المسئلة من امهات مسائلها ، وأسست عليها كثيراً من طقوسها ، و ليس هنا موضع لتفصيل مرامى كل منها وانما نقول :

انها كلها أجمعت « فى شكلها الحاضر » على أن الموت ليس بشىء غير انتقال الروح من غلافها الطينى إلى عالم وراء هذا العالم كانت فيه قبل دخولها فى الجسد ، وانها هنالك تثاب أو تعاقب على حسب أعمالها فى هذا العالم الذى دفعت إليه لتبتلى فيه .

و ان الاديان فى « شكلها الحاضر » بهذا القيد لان البوذية فى شكلها الاول على بعض الاقوال كانت لاتقول بحياة بعد الموت بل كان الموت هو المخلص للانسان من شقاء هذا العالم لا لما يكون وراءه من الحياة الابدية فى عالم أرقى من هذا العالم بل لانه باب الفناء الابدى الذى لاشعور بعده .

والديانة اليهودية فى عهدها الاول لم تعن بخلود الروح ولم تذكره بحرف وما نشأ فيها ذلك الا بعد دخولها فى دور جديد فى الاجيال التالية ، وكانت الفلسفة العقلية تشايع هذه الاديان ، وتوافقها على اعتبار الموت حالة انتقالية من عالم إلى عالم ، وكان فيثاغورس وافلاطون وأرسطو من أقطاب هذه الفلسفة .

و لكن نشأ بجانبهم مفكرون آخرون كانوا يذهبون غير هذا المذهب .

و يعتبرون الموت نهاية الحياة منكرين كل وجود وراءهذا الوجود المحسوس فكان الصراع شديداً بين هذين المذهبين حتى جاءت الفلسفة الحسية فى أوروبا منذ القرن السادس عشر، فنصرت ملحدة الفلسفة اليونانية، وأخذت فى مناقضة الديانات ومكافحتها و كاد يتم لها الغلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر لولا ان الخالق الذى خلق الموت والحياة ، وقدر لكل منهما دائرة من الوجود لم يرد أن يضل الناس ضلالاً نهائياً، ففتح للمستبصرين باباً إلى عالم الروح ظهرت بمظهر التنويم المغناطيسى ، والمباحث الروحية التجريبية المسماة: « اسبرتزم» فكانت سداً منيعاً دون غلبة المذهب المادى ، فوقف حيث وصل إليه.

ثم اضطر للنكوص على عقبه أمام المشاهدات المحسوسة التى كانت تتالى الغيث الدافق بواسطة علماء من الفيزيولوجيين والطبيعيين والجيولوجيين و غيرهم ، فأثبتوا ان الموت ليس هو الا حالة انتقال من حياة أرضية ضيقة مشوبة بالاكدار إلى حياة علوية راقية حافلة بانواع الجمال ، و كتبوا فى ذلك كتبا تهدم تعاليم الالحاد واخراس الملحدين الذين قنعوا من الجهاد العلمى بان يكونوا رسل الفناء ، ونذر التلاشى والثبور، ومادروا أن مذهبهم هذا لو صح لكان أحسن ما يفعله الغيور المحب لخيره وخير ذويه أن يلقى بنفسه من حالق تخلصا من هذه الحياة المشوبة بالاكدار ، أو يقذف نفسه بين احضان البهيمية منغمساً فى حمأة الشهوات والملاذ البدنية حتى ينتهى وجوده على مالا يتفق و مصلحة العائشين معه فى صعيد واحد .

ولكن الله جلت قدرته لم يترك لهؤلاء النذر المشؤمين مجالاً يجولون فيه بعد ظهور هذا النور العلوى فقبعوا حيث هم يتحينون الفرص لنفث سمومهم فى الاذهان وهيهات « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً »

﴿ كلام فلسفي في الموت ﴾

ومن البديهى ان لكل شيء حركة جبلـيّة وشوقاً طبيعيا إلى جانب القدس والسعادة والى الخير والكمال ، وعبودية ذاتية فى طلب القرب إلى الله جل وعلا سواء يشعر به له أم لا .

وهذا مشاهد فى اكثر الاشياء عامة وفى الانسان خاصة لكونه أشرف الانواع الواقعة تحت الكون و الفساد ، فان كلّ من له أدنى تحدس يجد انـه من لدن حدوثه وحداثته إلى كهولته وشيخوخته له إنتقالات فطرية ، وتغيّرات طبيعية يتوجه بها إلى ماهو الوجهة الكبرى مع قطع النظر عن تحصيله ، و إكتسابات الكمالات والسعادات عقلا وشرعاً ، وعن أضدادها من النقائص و الشقاوات أيضاً كذلك وتلك الانتقالات والتغيرات هى بحسب الباطن .

و باطن الانسان هو نفسه الناطقة التى لاقوام لها فى ذاتها فى أول تكونها بغير البدن الذى هو بمنزلة مركب لوجودها لغاية ضعفها و قلة قوامها فى أول التكون ، وأول ما اقتضت النفس ، و توجهت إليه هو تكميل نشأتها الحسية ، و تعمير مملكتها ومعسكر جنودها التى هى البدن وقواه و جميعها تكون من أهل هذا العالم .

ثم إذا كملت هذه النشأة لها وعمرت هذه المملكة وقويت جنودها اخذت فى تحصيل نشأة اخرى لها ، وتوجهت إلى عالم آخر ومنزل أقرب إلى بارئها ومبدئها وهكذا يتدرج فى تكميل ذاتها وتعمير باطنها ،فكلما ازدادت فى تقوية جوهرها

المعنوى نقصت فى صورتها الظاهرية وضعفت قواها الحسية و انكسرت جنودها التى هى أشخاص عالم الحسى لعدم توجهها الطبيعى إلى جنسيتها ، وقلة رغبتها الجبلية إلى تقويتها لكونها فى السفر و السلوك نحو عالمها الباطنى و نشأتها الروحانى .

فاذا انتهت فى سيرها إلى عتبة باب من أبواب الاخرة التى يكون عند الاحتضار وهى نهاية السفر إلى الاخرة وبداية السفر فيها عرض لها الموت فى هذه الدار فينتقل من دار إلى دار كانتقاله من بطن امه إلى الدار الدنيا ، فالموت عبارة عن الولادة فى الدار الاخرة .

وقد ثبت ان نفس الانسان ناقصة فى أوّل تكوّنها كالجنين ، فتربى وتتكمل فى الحياة الدنيا كما يتربى الجنين فى بطن امه ، فثبت بهذه المقدمات ان الموت طبيعى للنفس و كل طبيعى لشىء خير وتمام ، فكل خير وتمام فهو حق له ، فالموت حق للنفس الناطقة ، فاما الهلاك والفساد الذى يطرء البدن ، فانما له بالعرض لا بالذات فهو من باب الشرور الواقعة بالعرض لاجل رعاية جانب النفس لكونها أشرف من البدن ، فالعدالة الالهية تقتضى رعاية ما هو الاشرف والافضل وهو النفس التى يكون موت البدن حياتها وتمامها على انك لو نظرت حق النظر إلى البدن بما هو بدن لعلمت ان أنيّته و ذاته انما يكون بالنفس ، فاذا انقطع النظر عن النفس لم يبق للبدن من أنيته وهو حقيقة الآ العناصر والاجزاء البسيطة و هى بحالها .

وقال بعض الظرفاء : ان الموت أثر تجلّى الحق لموسى النفس الناطقة ، فيندك جبل البدن لكونه من عالم الملك وتجلّيه تعالى انما يكون فى عالم الملكوت للنفس الناطقة التى قويت نسبتها إلى ذلك العالم ، فعندما قويت بشىء بجهة الروحانية والملكوتية اضمحلت منه جهة الجسمانية والملكية لانهما ضدّان والدنيا والاخرة ضرتان لا تجتمعان .

ان تسئل : لو كانت النفوس متوجهة بحسب جبلتها نحو الآخرة ، فلم جعل في طبعها ما يضاد ذلك وهو كراهة الموت والفناء .

تجيب : ان الله تعالى جعل لواجب حكمته في طبع النفوس محبة الوجود والبقاء وجعل في جبلتها كراهة الفناء ، وهذا حق جبلي للنفس لكون الوجود خيراً صرفاً ونوراً محضاً وبقائه خيرية الخير ونورية النور فشهوة النفوس للبقاء وكراهتها للفناء ليست الا لحكمة وغاية ، وهي طلب بقائها الاخروي و إتصالها بعالم الملكوت الذي هو عالم الدوام والبقاء .

فمحبة مطلق الوجود و كراهة مطلق الفناء مرتكزة في طبع النفوس وذاتها بحيث أودعها الله جل وعلا فيها ، و حيث تيقن ان بقائها ودوامها في هذه النشأة الحسّية أمر مستحيل ، فلو لم يكن لها نشأة اخرى ينتقل هي إليها لكان ما ارتكز في النفس وأودع في جبلتها من جهة البقاء السرمدي والحياة الابدية باطلاً ضايعاً ولا باطل في الطبيعة قطّ .

وأما كراهة النفس لموت الجسدي الذي هو عايق عن حياتها السرمدية وبقائها الابدي ـ مع ما ارتكز فيها من التوجه الجبلي لها إلى الدار الآخرة و الحركة الفطرية إلى القرب من الله تعالى والاجتناب عن عالم الظلمات والحجب الجسمانية ـ فلها سببان .

احدهما ـ فاعلي . **ثانيهما** ـ غائي .

أما السبب الفاعلي فان للنفس نشآت ثلاثة : حسّية ، وخيالية ، و عقلية ، وللنشأة الحسية غلبة على الانسان ، ومادامت هذه الحسية باقية للانسان يجري أحكامها على النفس في هذه الدار ،ويؤثر فيها من هذه الجهة، ولذلك يتألم ويتضرر ويتفرّق الاتصال والافتراق بالنار وسائر المنافيات الحسّية ، لا من جهة كونها جوهراً ناطقاً وذاتاً عقلية ذات نشأة روحانية وعالم ملكوتي، بل من حيث كونها جوهراً حسّاساً ذات نشأة حسّية وعالم دنياوي، فتوحشها من الموت البدني و كراهتها للفناء الحسّي انما يكون لها بحصّة من هذه النشأة الطبيعة ، حيث ان الموت

ليس بألم للنفس بل للجسد .

وأما ما يقتضيه العقل التام ، وقوة الباطن، وغلبة سلطان الملكوت والتشوق إلى الله تعالى ، ومجاورة ملكوته ومقربيه فهو محبة الموت الطبيعي والوحشة عن حياة هذه النشأة و مشاهدة حيوانات الدنيا ، فان وحشة أهل الباطن و أصحاب المعرفة مجاورة أحياء هذا العالم أشد من وحشة الانسان الحي عن مجاورة الاموات بكثير .

واما السبب الغائي والحكمة في كراهة الموت فهو ان إرادة الله جل وعلا وقصده في ابداع الالم في جبلة الحيوان والوجع والخوف في طبعه عما يلحق أبدانه من الآفات العارضة ، والعاهات الواردة عليها ، وخاصة الموت ليس من باب العقوبة كلها كماظنته أصحاب التناسخ ، بل حساً لنفوسها على حفظ أبدانها، و كلاية أجسادها ، وصيانة هيا كلها من الافات العارضة لها ، فان الأجساد لا شعور لها في ذاتها ، ولا قدرة لها على جر منفعة إليها ، ولا دفع مضرة منها ، فلو لم يكن ذلك لتهاونت النفوس بالاجسام وخذلتها، وأسلمتها إلى المهالك قبل فناء أعمارها و انقضاء آجالها ، ولهلكت دفعة واحدة في أسرع مدة قبل تحصيل نشأة اخرى للنفس وتعمير الباطن وذلك ينافي المصلحة الكلية والحكمة الكمالية .

بحث روائى

فى اكراه الموت و الخوف منه

وقدوردت روايات كثيرة فى المقام نشير إلى نبذة منها :

١- فى قرب الاسناد باسناده عن الامام على عليه السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : مالى يا رسول الله لا احب الموت ؟ فقال له : ألك مال ؟ قال :نعم قال : فقدّمته ؟ قال : لاقال : فمن ثم لاتحبّ الموت لان قلب الرجل عندمتاعه .

٢- وفيه باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت ريحانة المؤمن .

٣- وفيه عن مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام ان روح آدم عليه السلام لما امرت ان تدخل فيه وكرهته فامرها أن تدخل كرهاً و تخرج كرهاً .

أقول : وذلك لان الروح لما كانت من عالم الملكوت وهى لاتناسب البدن فلما خلقها الله خلقاً تحتاج فى تصرّفها و أعمالها وترقياتها إلى البدن ، فكانها تعلّقت به كرهاً ، فلما أنست به ونسيت ماكانت عليه صعبت عليها مفارقتها للبدن أو انه لما كانت محتاجة إلى البدن ورأته ضائعة مختلّة لا يمكنها إعمالها فيما تريد فارقته كرهاً .

٤- فى معانى الاخبار باسناده عن جعفر ابن محمد عليه السلام قال : كان للحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام صديق و كان ماجناً فتباطأ عليه أياماً ، فجاءه يوماً

فقال له الحسن عليه السلام : كيف أصبحت ؟ فقال : يا ابن رسول الله أصبحت بخلاف ما احب ويحب الله ، ويحب الشيطان فضحك الحسن عليه السلام ثم قال : و كيف ذاك ؟ قال : لأن الله عزوجل يحب ان اطيعه ولا اعصيه ولست كذلك ، والشيطان يحب أن أعصى الله ولا اطيعه ، ولست كذلك ، وأنا احب أن لا اموت ولست كذلك .

فقام إليه رجل فقال : يا ابن رسول الله ما بالنا نكره الموت و لا نحبه ؟ قال : فقال الحسن عليه السلام : انكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب .

٥- في الكافي : عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي ذر فقال : يا باذر ما لنا نكره الموت ؟ فقال : لانكم عمرتم الدنيا وأخربتم الاخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب ، فقال له : فكيف ترى قدومنا على الله ! فقال : أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء منكم فكالآبق يرد على مولاه ، قال : فكيف ترى حالنا عندالله ؟ قال : أعرضوا أعمالكم على الكتاب ، ان الله يقول : « ان الابرار لفي نعيم و ان الفجار لفي جحيم » قال : فقال الرجل : فأين رحمة الله ؟ قال : رحمة الله قريب من المحسنين وغيرها من الروايات الواردة في المقام . . .

و أما كلمات العلماء فيتخذ القائلون بخلود الروح اعتماداً على الادلة العقلية الخوف من الموت وحب الخلود من الادلة على بقاء الروح بعد الموت قائلين : ان الخالق جلت قدرته لم يكن ليوجد هذا الحب للخلود عبثاً فلولم يكن الخلود مقدراً للروح لما شعرت به ، ولو شعرت به لما مالت إليه ، فميلها إليه هذا الميل الشديد وذعرها من الفناء الذعر العظيم من الادلة القاطعة على أنه مقدر لها لامحالة والا فان هذا الشعور منها يكون جزافاً والجزاف لا يصح أن يوجد في صنع الله ولا في صنع النواميس الحكيمة التي تقود هذا الوجود .

هذه بعض حجج الفلاسفة العقليين ، و لكن الماديين يزعمون ان الخلود

هوى من أهواء النفس لايرتكز على حقيقة وان الذعر من الموت لايكون الا في الادوار التي لايحسن الموت فيها من عمر الانسان و لكنه متى بلغ العمر غايته و جد الانسان في نفسه نزوعاً إلى الراحة الابدية ، فضعف حبه للحيـاة و تمنى الموت كما يتمنى المتعب النوم وفقد الاحساس إلى حين .

و لكن إعتراف كبار المفكرين وأقطاب العلماء الذين بلغوا الشيخـوخـة ينقض هذا الزعم ، فانهم أجمعوا على أنهم يخافون الموت ويحبون الخلود ولا يرغبون في تلك الحالة التي يذهب فيها الشعور ويتلاشى معها الادراك .



﴿ كلام في علاج الخوف من الموت ﴾

وقد كتب العلامة الفيلسوف ابن مسكويه رسالة في علاج الخوف من الموت ينبغي ذكرها لما فيها من فوائد جمة :

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

لما كان أعظم مايلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت و كان هذا الخوف عاماً وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب ان أقول: ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لايدرى ما الموت على الحقيقة أو لايعلم إلى أين تصير نفسه أو لانه يظن انه اذا انحل و بطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وان العالم سيبقى بعده كان هو موجوداً أو ليس هو موجوداً كما يظنه من جهل بقاء النفس و كيفية معادها ، أو لانه يظن ان للموت ألماً عظيماً غير ألم الامراض التى ربما تقدمته وأدت ، و كانت سبب حلوله ، أو لانه يعتقد أن عقوبة تحل به بعد الموت ، أو لانه متحير لايدرى إلى أى شىء يقدم الموت ، أو لانه يأسف على مايخلفه من المال و القنيات و هذه كلها ظنون باطلة لاحقيقة لها .

أما من جهل الموت و لم يدر ما هو فأنا ابيّن له : ان الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها ، و هى الاعضاء التى مجموعها يسمى بدناً كما يترك الصناع مثلا استعمال آلاته ، فان النفس جوهر غيرجسمانى وليست

عرضاً وانها غير فاسدة،وهذا البيان يحتاج إلى علوم تتقدمه وذلك مبين مشروح في موضعه .

فاذا فارق الجوهر البدن بقي البقاء الذى يخصّه ، ولقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ، ولاسبيل إلى فنائه وعدمه ، فان الجوهر لايفنى من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته ، وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب و الاضافات التى بينه و بين الاجسام باضدادها ، فاما الجوهر فلا ضدّ له و كل شيء يفسد فانما يفسد من ضدّه ، و أنت ان تأملت الجوهر الجسمانى الذى هو أخص من ذلك الجوهر الكريم واستقرأت حاله وجدته غير فان . ولايتلاشى من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه إلى بعض ، فيبطل خواص شيء منه و أعراضه .

فاما الجوهر نفسه فهو باق ولاسبيل إلى عدمه و بطلانه، أما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل استحالة ولا تغيّراً في ذاته ، و انما يقبل كمالاته و تمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟

أما من يخاف الموت لانه لايعلم إلى أين تصير نفسه ، أولانه يظن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه ، فقد انحل ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس و كيفية السعادة ، فليس يخاف الموت على الحقيقة وانمايجهل ما ينبغى أن يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذهو سبب الخوف ، وهذا الجهل هوالذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن و اختاروا عليه النصب والسهر ورأوا ان الراحة الحقيقية التى يستراح بها من الجهل هى الراحة بالحقيقة وأن التعب الحقيقى هو لقب الجهل لانه مرض مزمن للنفس و البرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية .

فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا به وهجموا على حقيقته ووصلوا إلى الروح والراحة ، هانت عليهم امور الدنيا كلها و استحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة الخسيسة والمطالب التى تؤدى إليها إذ كانت قليلة

الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء ، كثيرة الهموم إذا وجدت ، عظيمة الغموم إذا فقدت ، فاقتصروا فيها على المقدار الضرورى فى الحياة و تسلوا من فضول الجيش التى فيها ما ذكرت من العيوب وما لم أذكره ولانها مع ذلك بلانهاية .

وذلك ان الانسان اذابلغ منها غاية تداعت إلى غاية اخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء إلى أمد ، و هذا هو الموت لامخافة منه ، والحرص عليه هو الحرص على الزائل ، والشغل به هو الشغل بالباطل ، ولذلك جزم الحكماء بان الموت موتان : موت إرادى وموت طبيعى و كذلك الحياة حياتان : حياة ارادية وحياة طبيعية ، وعنوا بالموت الارادى اماتة الشهوات وترك التعرض لها ، وعنوا بالحياة الارادية ما يسعى لها الانسان فى الحياة الدنيا من المآكل و المشارب والشهوات ، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدى فى الغبطة الابدية بما تستفيده من العلوم ، و تبرأ به من الجهل و لذلك وصى أفلاطون الحكيم طالب الحكمة بان قال له : مت بالارادة تحى بالطبيعة على أن من خاف الموت الطبيعى من الانسان ، فقد خاف ماينبغى أن يرجوه وذلك أن هذا الموت هو حد الانسان لانه حى ناطق مائت ، فالموت تمامه و كماله ، وبه يصير إلى أفقه الاعلى .

ومن علم ان كل شيء مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصله ، لان جنس الانسان هو الحى وفصوله هو الناطق والمائت علم انه مستحيل إلى جنسه و فصوله لان كل مركب لا محالة يستحيل إلى الشيء الذى منه تركب ، فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالاً ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟

وذلك ان الناقص اذاخاف أن يتم فقد حل من نفسه على غاية الجهل ، فاذن يجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام و يطلب كل مايتمه و يكمله و يشرفه ويعلى منزلته و يحل رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الاسر لامن الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيداً ويثق بان الجوهر

الشريف الالهى إذ اتخاص من الجوهر الكثيف الجثمانى خلاص نقاء وصفو لا خلاص مزاج و كدرفقد سعد وعاد إلى ملكوته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين و خالطه بين الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه و نجى من أضداده و أغياره . . .

من ههنا تعلم أن من فارقت نفسه بدنه وهى مشتاقة إليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهى فى غاية الشقاء والألم من ذاتها وجوهرها سالكة إلى أبعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها ولاقرارلها .

أما من يظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الامراض التى ربما قدمته و أدّت إليه فقد ظن ظناكاذ بالان الألم انما يكون للحى والحى هو القابل أثر النفس، وأما الجسم الذى ليس فيه أثر النفس فانه لايألم ولايحسّ فاذن الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لايألم له لان البدن إنماكان يألم ويحسّ بالنفس وحصول أثرها فيه فاذا صارجسماً لاأثر فيه للنفس ، فلاحسّ له ولاألم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس ولامؤلم فانه كان يحسّ ويألم به .

وأما من خاف الموت لأجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق منه بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوب وأفعال سيئة يستحق عليها العقاب وهومع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لاعلى الحسنات فهو إذن خائف من ذنوبه لامن الموت، ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه أن يحترز من ذلك الذنب و يجتنبه والافعال الرديئة التى تسمى ذنوباً انما تصدرعن هيئات رديئة .

والافعال الرديئة هى الرذائل التى أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه ، وهذه الجملة هو جاهل و ما ينبغى أن يخاف منه وخائف ممالاأثرله ولا خوف منه، وعلاج الجهل العلم و من علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقاً مستقيماً إلى غرض أفضى إليه لامحالة، وهذه الثقة التى تكون بالعلم هى اليقين ، وهى حال المستيقن فى دينه المستكمل بحكمته .

وأما من زعم انه ليس يخاف الموت ، وانما يحزن على ما يخلفه من أهل وولد ومال ، ويأسف على مايفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فينبغي أن يبين له أن الحزن لأجل ألم ومكروه على مالا يجدى عليه الحزن طائلاً ، وان الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لامحالة ، فمن أحب أن لايفسد فقد أحب أن لايكون ، ومن أحب أن لايكون فقد أحب فساد ذاته و كأنه يجب أن يفسد وأن لايفسد ويحب أن يكون وأن لايكون وهذا محال .

وأيضا لوجاز أن يبقى الانسان لبقى من كان قبلنا و لوبقى الناس على ماهم عليه من التناسل ولم يموتوا لماوسعتهم الارض وأنت تتبين ذلك مما أقول : ترى لو أن رجلا واحداً ممن كان منذ أربعماة سنة هوموجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن يحصى أولاده الموجودين كأمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه ، ثم ولدله أولادولاولاده أولاد ، وبقى كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد كم مقدار من يجتمع منهم فى وقتنا هذا ؟ فانك تجدأ كثر من عشرة آلاف رجل ، وذلك ان بقيتهم الآن مع ما أصابهم من الموت والقتل أكثر من ماة ألف رجل .

واحسب كل من فى ذلك العصر كذلك فانهم اذاتضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ، ثم امسح بسيط الارض ، فانه محدود معروف المساحة لتعلم أن الارض لاتسعهم قياماً متراصين فكيف قعوداً أو متفرقين ولا يبقى موضع لعمارة تفضل عنهم ولامكان لزراعة ولامسير لاحد ، وذلك فى مدة يسيرة من الزمان ، فكيف اذا امتد الزمان ؟

فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية ، ويكره الموت ، ويظن ان ذلك ممكن من الجهل ، فاذن الحكمة البالغة والعدد المبسوط بالتدبير الالهى هو الصواب الذى لامعدل عنه ، وهوغاية الجود الذى ليس وراءه غاية ، فالخائف من الموت هوالخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه ، فالموت إذن

ليس بردىء وانما الردى هوالخوف منه، فالخائف منه هو الجاهل به و بذاته و حقيقة الموت هى مفارقة النفس البدن ، وهوليس فساداً للنفس و انما هو فساد للتركيب .

فاما جوهر النفس الذى هوذات الانسان ولبّه وخلاصته ، فهوباق و ليس بجسم فليلزم فيه مالزم فى الاجسام بل لايلزم شىء من أعراض الاجسام أى لايتزاحم فى المكان لانه لايحتال إلى مكان، ولايحرص على البقاءِ الزمانى لاستغنائه عن الزمان، وانما استفادهذا الجوهر بالخواص والاجسام كمالاً، فاذا كمل بها ثم تخلص منها صار إلى عالمه الشريف القريب إلى بارئه ومنشئه عزوجل .

و الرجل الذى يتصدق عن أخيه الميت و يقتضى عنه الدين يسعد بذلك الميت ، وذلك ان النفس ان كانت واحدة كما زعم جماعة ، فالمتصدق نفسه وتلك الاخرى و سائرها شىء واحد ، و إن كانت غير واحدة ، فلا يفصل المتصدق ذلك الفصل الاّ بمشاكلة تلك النفس ، وعلى هذا أيضاً شبه بشىء واحد والسلام .



﴿الموت و التكامل النفسانى﴾

ان الله تعالى خلق الانسان للسير إلى مدارج الكمال النفسانى اللائق به ، فلا بدله من جانبين سواء بسواء : جانب سلبى وهو الموت ، و جانب ايجابى و هو الحياة .

وذلك لان الموت وذكره وسيلة وحيدة تمنع الانسان عن الانهماك فـى الشهوات المانعة من التكامل النفسى لكونه عبرة للاحياء ، فيوجب تقرّب الانسان إلى الله تعالى بالمعرفة والعمل اذ خلقه الله جل وعلا لذلك « و ما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

وان الحياة ظرف للعبودية و صالح العمل وبذلك يعلم سرّ تقديم الموت على الحياة فى الذكر اذقال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أحسن عملاً » الملك : ٢) .

ان الموت أمر عظيم هائل ، وما بعده أعظم ، وفى ذكره فوائد كثيرة :

منها : النفرة عن اللذات الفانية ، و عن الانهماك فى الشهوات الموجبة للانحطاط الأنسانى ، والمانعة عن التدرج إلى الكمال النفسانى .

ومنها : الشوق إلى اللذات الباقية الاخروية والعمل لها لان الاخرة هى مظهر الكمال الانسانى الذى استكمل فى الحياة الدنيا ، إذ لا يظهر الكمال الاّ بعد الموت ، و من هنا لا يكره الكامل الموت ، فانه بكماله يعلم انه يلقى آثاره بعد موته ، فيشتاق إلى لقائها « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً » المزمل : ٢٠) « من كان يرجو القاء الله فان أجل الله لآت » العنكبوت: ٥)

« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف : ١١٠)

فجدير للانسان أن يفرّغ قلبه عن ذكرما سواه ، و يجلس فى خلوة ، و يباشرذكر الموت بصميم قلبه،ويتفكر أولاً فى أقرانه وأشكاله الذى مضوافيتذكر هم واحداً واحداً ، ويتذكر حرمهم و آمالهم و ركونهم إلى الاموال والا ولاد والعدد والعددوالجاه والمقام، ثم يتذكر مصارعهم عندالموت، وتحسّرهم على فوات العمر وتضييعه فيمالايعنيه ، ثم يتذكر فى أجسادهم كيف تمزّقت فى التراب و صارت جيفة يأكلها الديدان ، ثم يرجع إلى نفسه ، ويعلم انه كواحد منهم،أمله كآمالهم ، ومصرعه كمصرعهم ، ثم ينظر فى أعضائه كيف تتفتت ؟ و إلى حدقته كيف تأكلها الديدان ؟ و إلى لسانه كيف يصير جيفة ؟ و إلى فيه كيف يصير مسدوداً ؟

فاذا فعلت ذلك تفعل لما بعدموتك عملاً ينجيك من الاهوال والعذاب التى لايأمن منها الاّ المؤمن الصالح وآت الرحمن عبداً .

وأصل الغفلة عن الموت هوطول الامل قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عمر : « اذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء ، و اذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، وخذمن حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبدالله لاتدرى ما إسمك غداً »

فجدير لكل انسان أن يذكرالموت دائماً بحيث لم يبق له من الموت الاّ كشف الغطاء ليزداد به وضوحاً لايزداديقيناً ، وهذا معنى قول مولى الموحدين على عليه السلام : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً »

وذلك لان الناظر إلى غيره من وراء الستر لايزداد الستريقيناً بل وضوحاً، فالموت كالستر ينبغى لكل انسان أن يرى من وراء الستر المستور حتى يكون المراد من ذكر الموت قطع علاقة قلبه عن ما يفارقه بالموت لااليقين بما بعد

الموت بالموت ، فالموت سبب الانكشاف لاسبب اليقين بما بعد الموت .

قيل لبعض الظرفاء : كيف أنت؟ قال: أموت قليلاً قليلاً لان الانسان اذا جاوز الاربعين يشبه ثوباً خرق يحتاج إلى الوصلة ، فاذا وصلت تزيد عليه الوصلة واحدة بعد واحدة إلى أن لا تمكن الوصلة فيه ، فكذلك الانسان بعد الاربعين ، فيقل نور عينيه ثم تضعف قوة سماعه ثم لا تحسن قوة هاضمته...

و من الفوائد : ما قيل : لولا الموت لادّعى كل الناس الربوبية وغيرها من الفوائد لا يسعها المقام ، ونشير إلى نبذة ماورد فيه :

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام - في خطبة - : « ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير »

أقول : وهذا كأن يقال: إذا أحببت ألاّ تحسد أحداً فاكثر ذكر الموت ،و اعلم أنك ومن تحسده عن قليل من عديد الهلكى .

وفيه : قال عليه السلام : « أكثروا ذكر الموت ، و يوم خروجكم من قبوركم ويوم وقوفكم بين يدي الله عزوجل يهن عليكم المصاب (تهن عليكم المصائب خ)

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدس سره - في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رضوان الله تعالى عليه - : يا أباذر أتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : بلى يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فاقصر الأمل ، واجعل الموت نصب عينك ، واستحي من الله حق الحياء

وفي الدعائم : وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه أوصى رجلاً من الانصار، فقال : اوصيك بذكر الموت ، فانه يسلّيك عن أمر الدنيا .

وفيه : وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فقيل : يا رسول الله فما هادم اللذات؟ قال : الموت، فان أكيس المؤمنين اكثرهم ذكراً للموت ، وأشدّهم له إستعداداً .

وفيه : وعن جعفر بن محمد عليه السلام انه أوصى بعض أصحابه ، فقال: أكثروا ذكر الموت فانه ما أكثر ذكر الموت انسان الاّ زهد في الدنيا .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالرحمن بن الحجاج عن أبى عبدالله عليه السلام قال ـ فى حديث ـ : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله .

وفى أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : ان قوماً أتوا نبياً لهم، فقالوا :ادع لنا ربنا يرفع عنا الموت فدعا لهم ، فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الموت ، وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل، وكثروا النسل ، وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وامه وجدّه وجدّ جده ويوفيهم و يتعاهدهم ، فشغلوا عن طلب المعاش ، فاتوه ، فقالوا : سل ربك أن يردّنا إلى آجالنا التى كنا عليها ، فسئل ربه عزوجل ، فردّهم إلى آجالهم .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثروا ذكر هادم اللذات ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الموت ، فماذكره عبد على الحقيقة فى سعة الاّ ضاقت عليه الدنيا ، ولا فى شدة الاّ اتسعت عليه .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن أبى محمد العسكرى عن آبائه عليهم السلام قال : قيل لامير المؤمنين عليه السلام : ما الاستعداد للموت ؟ قال : أداء الفرائض و اجتناب المحارم ، والاشتمال على المكارم ، ثم لايبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، والله ما يبالى ابن أبى طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

وفى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى خطبة الوسيلة عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : لاغائب أقرب من الموت ، أيها الناس انه من مشى على وجه الارض فانه يصير إلى بطنها ، والليل والنهار مسرعان فى هدم الاعمار ، ولكل ذى رمق قوت ، و لكل حبة آكل ، و أنت قوت الموت ، و ان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد لن ينجو من الموت غنيى بماله ، ولا فقير لاقلاله .

وفى أمالى الطوسى قدس سره : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يوصى أصحابه بذكر الموت ، فيقول : أكثروا ذكر الموت ، فانه هادم اللذات ، حائل بينكم وبين الشهوات .

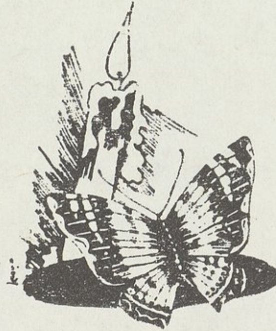
وفيه : ومن كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام : أيها الناس أصبحتم أغراضاً، تنتضل فيكم المنايا، و أموالكم نهب للمصائب ، ما طعمتم فى الدنيا من طعام ، فلكم فيه غصص وماشربتموه من شراب فلكم فيه شرق وأشهد بالله ماتنالون من الدنيا نعمة تفرحون بها الآ بفراق اخرى تكرهونها ، أيها الناس و انا خلقنا و اياكم للبقاء لا للفناء ، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون ، فتزوّدوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه والسلام .

وفى تحف العقول : فى وصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال - فى حديث طويل - : واعلم انك خلقت للاخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة وانك فى منزل قلعة ودار بلغة و طريق إلى الاخرة ، أنك طريد الموت الذى لا ينجو هاربه ولابد انه يدركك يوماً ، فكن منه على حذر أن يدركك على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك فيها بالتوبة فيحول بينك و بين ذلك ، فاذاً أنت قد أهلكت نفسك .

أى بنى أكثر ذكر الموت و ذكر ماتهجم عليه ، و تفضى بعد الموت إليه و اجعله أمامك حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، ولا يأخذك على غرتك ، وأكثر ذكر الاخرة وما فيها من النعيم والعذاب الاليم ، فان ذلك يزهدك فى الدنيا ، و يصغرها عندك ، وقد نبأك الله عنها و نعتت لك نفسها و كشفت عن مساويها ، فاياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها إليها ، وتكالبهم عليها ، وانما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض ، يأكل عزيزها ذليلها ، و كبيرها صغيرها قد أضلت أهلها عن قصد السبيل ، وسلكت بهم طريق العمى ، و أخذت بأبصارهم عن منهج الصواب ، فتاهوا فى حيرتها وغرقوا فى فتنتها واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها .

وفيه : فى كتاب الامام على عليه السلام لمحمد بن أبى بكر - إلى أن قال - : واحذروا عباد الله الموت وقربه و كربه و سكراته ، و أعدّوا له عدته ، فانه يأتى

بأمر عظيم بخير لا يكون معه شر ، وبشر لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنة من عاملها ، ومن أقرب إلى النار من أهلها ، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أكثروا ذكر هادم اللذات » وأعلموا أن ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشد الموت .



﴿ كلمات قصار حول الموت ﴾

درر كلم وغرر حكم عن الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام نشير إلى مايسعه المقام :

١- قال على عليه السلام : « لوأن الموت يشترى لاشتراه الاغنياء »

٢- قال عليه السلام : « لن ينجومن الموت غنى لكثرة ماله، ولن يسلم من الموت فقير لاقلاله »

٣- قال عليه السلام : « فى كل نفس موت ، وفى كل وقت فوت ، وفى كل لحظة أجل »

٤- قال عليه السلام : « المشيب رسول الموت »

٥- قال عليه السلام : « الموت يأتى على كل حىّ ولكل حىّ موت »

٦- قال عليه السلام : « ان الموت لمعقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلقكم »

٧- قال عليه السلام : « ان الموت لزائر غير محبوب ، و واتر غير مطلوب ،وقرن غير مغلوب »

٨- قال عليه السلام : « انك طريد الموت الذى لاينجو هاربه ولابدانه مدركه »

٩- قال عليه السلام : « ان وراءك طالباً حثيثا من الموت فلاتغفل »

١٠- قال عليه السلام : « انكم طرداء الموت الذى إن أقمتم أخذكم ، و إن فررتم منه أدرككم »

١١- قال عليه السلام : « اذا كنت فى إدبار والموت فى إقبال »

١٢- قال عليه السلام : « الموت رقيب »

١٣ـ قال عليه السلام : « ان أكرم الموت القتل ، والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش »

١٤ـ قال عليه السلام : « غاية الحياة الموت ، وغاية الموت الفوت »

١٥ـ قال عليه السلام : « فى الموت غبطة او ندامة وفى الفوت حسرة أو ندامة »

١٦ـ قال عليه السلام : « الموت باب الاخرة »

١٧ـ قال عليه السلام : « الموت اول عدل الاخرة »

١٨ـ قال عليه السلام : « الموت مفارقة دار الفناء وارتحال إلى دار البقاء »

١٩ـ قال عليه السلام : « النوم راحة من ألم وملائمه الموت »

٢٠ـ قال عليه السلام : « اذ كر الموت وماتهجم عليه ، وتقضى إليه بعد الموت حتى يأتيك وقد أخذت له حذرك »

٢١ـ قال عليه السلام : « اذ كروا هادم اللذات ، ومنغص الشهوات وداعى الشتات. اذ كروا مفرق الجماعات ، ومباعد الامنيات ، ومدنى المسنيات والمؤذن بالبين والشتات »

٢٢ـ قال عليه السلام : « استعدوا للموت فقد أظلكم ، اسمعوا دعوة الموت آذ انكم قبل أن يدعى بكم »

٢٣ـ قال عليه السلام : « الموت ألزم لكم من ظلكم ، وأملك له من أنفسكم »

٢٤ـ قال عليه السلام : « و اياك أن ينزل بك الموت و أنت أبقى من ربك فى طلبها فتشقى »

٢٥ـ قال عليه السلام : « أدم ذكر الموت و ذكر ما تقدم عليه بعد الموت ، ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق »

٢٦ـ قال عليه السلام : « واياك أن ينزل بك الموت وقلبك متعلق بشىء منها فتهلك »

٢٧ـ قال عليه السلام : « احذر الموت وأحسن له الاستعداد تسعد بمنقلبك »

٢٨- قال عليه السلام : « الجهل موت »

٢٩- قال عليه السلام : « اياك أن ينزل بك الموت ، وأنت آبق عن ربك في طلب الدنيا »

٣٠- قال عليه السلام : « ان العاقل ينبغي أن يحذر الموت في هذه الدار ، و يحسن له التأهب قبل أن يصل إلى دار يتمنى فيها الموت فلا يجده »

٣١- قال عليه السلام : « ان للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة او تعتدل على عقول أهل الدنيا »

٣٢- قال عليه السلام : « اذا كان هجوم الموت لا يؤمن فمن العجز ترك التأهب له »

٣٣- قال عليه السلام : « تارك التأهب للموت و اغتنام المهل غافل عن هجوم الاجل ، ترحّلوا فقد جدّ بكم ، واستعدوا للموت فقد أظلكم »

٣٤- قال عليه السلام : « الموت مريح »

٣٥- قال عليه السلام : « ان هذا الموت لطالب حثيث لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه من هرب ، ان في الموت لراحة لمن كان عبد شهوته و أسير أهويته ، لانه كلما طالت حياته كثرت سيئاته ، وعظمت على نفسه جناياته »

٣٦- قال عليه السلام : « ان الموت لهادم لذاتكم و مباعد طلباتكم و مفرق جماعاتكم قد اعلقتكم حبائله وأقصدتكم مقاتله »

٣٧- قال عليه السلام : « وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً »

٣٨- قال عليه السلام : « في الموت راحة السعداء »

٣٩- قال عليه السلام : « أبلغ العظات الاعتبار بمصارع الأموات »

٤٠- قال عليه السلام : « أكثر الناس أملاً أقلهم للموت ذكراً »

٤١- قال عليه السلام : « أشد الناس ندماً عند الموت العلماء غير العاملين »

٤٢- قال عليه السلام : « من قلّ ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار »

٤٣- قال عليه السلام : « من غلبت عليه الغفلة مات قلبه »

٤٤- قال عليه السلام : « من رأى الموت بعين أمله رآه بعيداً »

٤٥- قال عليه السلام : « من أكثر ذكر الموت نجى من خداع الدنيا »

٤٦- قال عليه السلام : « ذكر الموت يهون أسباب الدنيا »

٤٧- قال عليه السلام : « طالب الدنيا تفوته الاخرة ويدركه الموت حتى يأخذ بعنقه ، ولايدرك من الدنيا الا ما قسم له »

٤٨- قال عليه السلام : « عجبت لغافل والموت حثيث في طلبه وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى من يموت ، عجبت لمن يرى انه ينقص كل يوم في نفسه وعمره وهولا يتأهب الموت »

٤٩- قال عليه السلام : « من صوّر الموت بين عينيه هان أمر الدنيا عليه »

٥٠- قال عليه السلام : « من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا بالكفاف »

٥١- قال عليه السلام : « من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير »

٥٢- قال عليه السلام : « من وكل به الموت اجتاحه وأفناه »

٥٣- قال عليه السلام : « ما أنفع الموت لمن أشعر الايمان والتقوى قلبه »

٥٤- قال عليه السلام : « ويح ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع ، غرض الآفات خليفة الاموات »

٥٥- قال عليه السلام : «لامريح كالموت »

٥٦- قال عليه السلام : «لاقادم أقرب من الموت »

٥٧- قال عليه السلام : « لاغائب أقدم من الموت »

٥٨- قال عليه السلام : « هيهات أن يفوت الموت من طلب ، وينجو منه من هرب»

٥٩- قال عليه السلام : « يكره الموت لكثرة ذنوبه ولايتركها في حياته »

٦٠- قال عليه السلام : « بذل الوجه إلى اللئام الموت الاكبر »

﴿ الحياة و حقيقتها ﴾

قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » الملك : ٢)

الحياة : ضدّ الموت، وهى: كون الشيء بحيث ينمو ويحسّ ويشعر ويريد، والموت: هو ما يضادّها ، اذ يبطل معه النمو ويستحيل معه الاحساس فهو مخلّ الحياة فينفيها .

وانهما من فعل الله تعالى ليس لأحد فيهما صنع ولا يقدر عليهما أحد الاّ الله جل و علا إذ قال: « ولم يكن له شريك فى الملك و خلق كل شيء فقدّره تقديرا » الفرقان : ٢)

وقال : « نحن قدّرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون » الواقعة : ٦٠ ـ ٦١)

وقال : « هو الذى يحيى ويميت » غافر : ٦٨)

وقال : « له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير » الحديد : ٢)

وقال : « وانه هو أمات وأحيا » النجم : ٤٤)

وقال : « وما كان لنفس أن تموت إلاّ باذن الله » آل عمران : ١٤٥)

فأضاف الاحياء و الاماتة إلى نفسه ، فالحياة ما كان بها النمو و الشعور والأدراك والاحساس، ويصح معها القدرة والعلم: والموت مااستحال معه ذلك، و

هذا مالاينافى من تعليم القرآن الكريم ان الموت هوإنتقال من نشأة من نشأة الحياة إلى نشأة اخرى ، إذن فلا مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياة على أنه لو اخذ عدمياً كما عند العرف فهو عدم ملكة الحياة ، وله حظ من الوجود يصح تعلق الخلق به كالعمى من البصر والظلمة من النور . . .

وفعل الله جل وعلا الموت بالاحياء لينقلهم من دار العمل والامتحان إلى دار الحساب والجزاء .

وان الله تعالى لايميت عبداً من عباده إلا وإماتته أصلح له وللمجتمع البشرى من حياته وبقائه كما لا يحيى أحداً الا وحياته أصلح له ولهم من موته ، وكل ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب فى التدبير ، وفى كلا الطرفين إمتحان للأحياء . . .

فما من أحد لم يميّز بين مادة حية ومادة جامدة ، وبين جسم حى و جسم ميت ، وما من أحد لا يستطيع إدراك الحياة متى تولدت فى شيء ، فالحياة أشد الحالات ظهوراً ولكنها أصعبها مراساً على الفهم وأشدّها استعصاء على التحديد هذا ما يظهر من تعليم الدين الاسلامى الخالد .

وقد ذهبت الفلاسفة فى حقيقة الحياة إلى مذاهب شتى نشير إلى مذهبين :

أحدهما - ما يسمى باسم « اينميست » وعليه فلاسفة اوروبا الآن فتقول : ان الحياة هى : مظهر من مظاهر قوى الطبيعة من نوع القوى الحاكمة على المادة . فهى ليست شيئاً مستقلاً بذاته فاذا مات الحيوان أو الانسان وتحللت عناصره انحلت الحياة وتلاشت لانها لم تكن غير مجموع قوى المواد الداخلة فى تركيبه وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا القول السخيف قبل خمسة عشر قرناً بقوله تعالى: « وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » الجاثية : ٢٤)

ثانيهما - ما يسمى باسم « الفيتاليست » فتقول : أن قوانين الطبيعة و

نواميس المادة لاتكفى فى تعليل جميع ظواهر الحياة ، فان النظر المجرد إلى الانسان فى مداركه العالية ، و مواهبه الجليلة يدل على أن فيه من القوى الروحية مايعتبر أرقى من قوى الطبيعة ، وعليه فلامناص من فرض وجود قوة فى الانسان والحيوان والنبات مستمدة من أصل مستقل موجود فى الكون تحت اسم الحياة .

وقد ثبت بالدليل القطعى وجود قوى روحانية مستقلة عن المادة ، و عالم روحانى لهقوانين خاصة به أعلى من هذا العالم المادى لايستطيع أحدانكاره .

وقدعجزت الفلاسفة الماديون عن تعليل وجود الحياة على الارض لانهم رأوا بالدليل المحسوس ان الحى لايتولدالا من الحى، فكيف نشأ النبات والحيوان على ظهر الارض من المادة الجامدة بغير تولد مع علمنا باستحالة التولد الذاتى؟

كل فرض من الفروض ضاع سدى أمام هذا الاشكال ، ومن مضحكاتهم ان بعض علماء الانجليز لما عجز عن التعليل زعم ان الحياة نزلت على الارض محمولة على نيزك من النيازك التى تسقط على الارض من السماء فى بعض الاحيان .

ومعنى ذلك ان كوكباً سماوياً تفتت بعارض من العوارض ، فبقى على قطعة منه بعض الاجسام الحية، فلما قربت الارض من تلك القطعة فى أثناء دورانها جذبتها إليها فسقطت على ظهرها بما عليها ، فعاشت تلك الاحياء على أرضنا فكانت أصل النباتات والحيوانات والانسان .

هذا الفرض يسقطه مجرد العلم به فانه مبنى على أساس وهمى محض ، و ماحدا بهؤلاء العلماء إلى مثل هذه الفروض الا الهرب من عقيدة الالوهية والقوة الروحانية ، فان اثبات حياة مستقلة للاحياء يوجب اثبات وجود اله ، و اثبات روح للانسان ، وهو مالايريد اولئك الجهلة السفهاء القول به .

﴿ كلام فى أقسام الحياة ﴾

وقد استعملت الحياة فى القرآن الكريم على أوجه :

أحدها : الحياة : القوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان ، و منه يقال : نبات حيّ قال الله تعالى : « وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون ـ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها » الروم : ٢٤ ـ ٥٠)

فاحياء الارض بعدموتها : هوانتعاشهاوابتهاجها بالنبات فى الربيع والصيف بعد خمودها فى الخريف والشتاء ، أو خصوبتها بعد جدبها على سبيل التشبيه والمجاز .

وقال : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » فاطر : ٩)

ثانيها: الحياة : القوة الحسّاسة ، وبه سمى الحيوان حيواناً قال الله تعالى « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » المرسلات : ٢٥ ـ ٢٦)

وقال : « ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى » فصلت : ٣٩) على أن قوله تعالى : « ان الذى أحياها » إشارة إلى القوة النامية وقوله تعالى : « لمحيى الموتى » إشارة إلى القوة الحاسة .

ثالثها : الحياة : القوة العاقلة ، كقوله تعالى : « أو من كان ميتافأحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات « الانعام : ١٢٢)

وقوله تعالى : « لينذر من كان حيا » يس : ٧٠)

رابعها ـ الحياة : عبارة عن إرتفاع الغم كقوله تعالى : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران : ١٦٩) أى هم متلذذون لماروى فى الاخبار الكثيرة فى ارواح الشهداء .

خامسها ـ الحياة : الحياة الاخروية الابدية لاموت ورائها ، وذلك يتوصل إليه بالحياة التى هى العقل والعلم ، قال الله تعالى : « استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم » الانفال : ٢٤) و قال : « يقول ياليتنى قدمت لحياتى » الفجر : ٢٤) يعنى بها الحياة الاخروية الدائمة كقوله تعالى : « وان الدار الاخرة لهى الحيوان » العنكبوت : ٦٤) أى لهى الحياة الدائمة الكاملة .

سادسها ـ الحياة : هى التى يوصف بها الله تعالى قال : « الله لا اله الا هو ـ الحى القيوم » البقرة : ٢٥٥) أى لايصح عليه الموت ، و ليس ذلك الا لله تعالى وحده .

سابعها ـ الحياة : النجاة والعفو كقوله تعالى : « ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا » المائدة : ٣٢) أى من نجاها من الهلاك ، وعلى هذا قوله تعالى مخبراً عن ابراهيم عليه السلام : « ربى الذى يحيى و يميت ـ قال أنا احيى و اميت » البقرة : ٢٥٨) أى أعفو فيكون إحياءاً .

و قيل : ان الحياة باعتبار الدنيا والاخرة على قسمين :

أحدهما ـ الحياة الدنيوية كقوله تعالى : « فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا » النازعات : ٣٨) وقوله : أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة » التوبه : ٣٨)

وقوله : « الذى خلق الموت والحياة » الملك : ٢) وقوله : « و لتجدنهم احرص الناس على حياة » البقرة : ٩٦) و قوله : « و اوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » مريم : ٣١)

ثانيهما ـ الحياة الاخروية كقوله تعالى : « واذقال ابراهيم رب أرنى كيف

تحيي الموتى » البقرة: ٢٦٠) كان يطلب أن يريه الحياة الاخروية المعراة عن شوائب الآفات الدنيوية . وقوله : « انا نحن نحيي الموتى » يس : ١٢) و قوله : « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهومؤمن فلنحيينـّه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » النحل : ٩٧)

وقوله : « ويقول الانسانء اذا مامت لسوف اخرج حيا » مريم: ٦٦)

وقيل : ان الحياة ضربان :

حسيّة : وهى ما يشعربه الانسان ويحس ويدرك ويتفكرويتذكر .

و معنوية : وهى ما يكون به الانسان رحيماً حكيما فاضلاً محبا محبوباً نافعاً للخلق . . .

فى الرسائل : لصدر المتألهين رحمة الله تعالى عليه : « ثم لمابيّن ان الحياة على وجهين جسمانيةوهومبدأ الاحساسوالتحريك الارادى ونفسانيةوهى منشأ الحكمة واليقين ، فكذا الموت يكون على وجهين :

أحدهما : الجسمانى وهوعدم مبدأ الحس والحركة بالارادة .

والثانى : هلاك منشأ الحكمة واليقين . و كما ان الحياة الجسمانى قد يكون بالعرض ، وبحسبالتبعية لابالذات كحياة الشعروالظفرفان حركاتهابتبعية الاعضاء الحسّاسة الجاورة لها ، فكذلك الحياة النفسانية قد يكون بالعرض ، و بحسب التبعية لابالذات كما يتبع أحد عالماً بالتقليد فىالعقائد الحقة أو يتشبـّه به فى سيرة صالحة ، ويسمع منه الكلمات الحقة من غيرأن يقف على مؤداها ، ويستبصرمعناها فهو من جهة ذلك ليس ذاحياة اخروية ، وذا ايمان حقيقىيقوم بنفسه عند الحق لان العلم التقليدى ليس بعلم الحقيقى اليقينى حاصل من البصيرة الباطنية ولهذا يقبل التحول الا انه نوع متابعة ، وتشبه بأهل الحياة ، ومن تشبه بقوم فهومنهم فيكون محشوراً معهم .

ولايذهبن عليك ان الانبياء كان سماعهم الوحى من الملائكة من جهة

التقليد هيهات فان التقليد ليس معرفة سواء كان المقلد له بشراً أوملكا والانبياء عرفاء بالله وآياته وملكوته ورسله واليوم الاخر انما ذلك مشاهدة قلبية ومكالمة باطنية بحسب الاستبصار واليقين لامجرد التقليد والتخمين .

و كما ان النطفة والمادة الجنينية تحولت لنقصانها فى الحياة الجسمانية إلى مرتبة الطفولية ، و كذا مرتبة الطفولية تحولت إلى مرتبة اخرى فوقها حتى بلغت الغاية فى الحياة الجسمانية ، والنشو البدنى فوقفت عندها ، و لم يتحول البدوانية اخرى فى هذا العالم الآ ان لهاأن ينهج منهجا ويسلك مسلكا غيرهذا المذهب الطبيعى الجسمانى .

فكذلك الانسان اذا شرع فى إدراك الاوليات والبديهيات فيكون ذلك أول سفره إلى عالم الملكوت وحياته النفسانية بحسب هذه المرتبة بازاء الحياة الجسمانية للأجنة التى فى بطون امهاتهم، فيكون قابلة للتحول لنقص درجتها، و يكون فى كل تحول فساد و فسخ للحياة السابقة و هكذا الحال فى التحول من كل تقليد إلى تقليدآخر إلى أن بلغت قوته فى قبول الحياة النفسانية إلى درجة البصيرة الباطنية ، فحصلت له حينئذ الحياة التامة القلبية التى هى مبدأ العلم العيانى ، والقدرة التامة الاخروية التى تحضر صورة الاعيان متى شاء وأراد فى عالم الجنان .

كما قال تعالى : « ولهم فيها ما يدعون » و قال ايضا : « فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين و هم فيها خالدون » فخلص من الموت و بطل منه التحول من دنياإلى دنياوارتفع منه النسخ الذى هوموت المقلدين كما ورد فى الحديث النبوى صلى الله عليه وآله وسلم انه اذاصار أهل الجنة إلى الجنة ، و أهل النارإلى النار وهم فى حال العذاب يجاء بالموت على صورة كبش أملح ، فيوضع بين الجنة والنار ، فيضجعه الروح الامين .

ويأتى يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيذبحه ويقال لساكن الجنة والنارخلود

بلا موت .

وفيه إشارة إلى أن فى العالم النفسانى التوسط بين الحياة البدنية والعقلية المحضة نجاء بصورة البهمية البدنية بها يكون موت النفس ويقطع مادتها وحسم افاتها و ذبح قوتها بالعرفان يكون الحياة العقلية للنفس و الروح الامين هو مخرج النفوس من القوة إلى الفعل بافاضة الحياة العلمية عليها .

ويحيى كناية عن القوة العقلية من الانسان الذى يصير عقلاً بالفعل بتأييد الملك المقدس المفيض للحقائق باذن الله فاذا ارتفع الجهل من النفس إرتفع الموت الابدى وحصل البقاء الدائم ، وحياة الابدية وقامت القيامة ، و لهذا قال رسول الله : أنا والساعة كهاتين ودعى رسول الله بانه رسول آخر الزمان يعنى زمانه آخر زمان الحياة الجسمانية وأول ظهور الحياة النفسانى للارواح الانسية من غير تبدل و فسخ كمافى سائر الازمنة والقرون السابقة والامم الماضية.

﴿ما تتوقف به الحياة﴾

ومن البديهى ان الحياة التى هى إحدا كفتى محك الابتلاء والاختبار هى ذات أبعاد كثيرة لابد من النظر اليها والتأمل فيها ، وقد سبق ذكر بعضها آنفاً ، ونشير ههنا إلى ما تتوقف حياة الانسان خاصة ، وحياة الحيوان عامة عليه وهو- ستة اشير إليها فى هذه السورة تلويحاً وتصريحاً :

أحدها : على هواء يستنشقه .

ثانيها : على ماء يشربه .

ثالثها : على طعام يأكله .

رابعها : على ثوب يلبسه .

خامسها : على مأوى يأوى إليه .

سادسها : على مكان يعيش ويعمل فيه .

وينبغى أن نراعى فى سرد هذه الحاجيات درجات أهميتها فان الانسان لايستطيع أن يعيش بلاهواء أكثر من ثلاث دقائق ، ولايمكنه أن يبقى بلاماء أكثر من ثلاثة أيام ، ولايتأتى له أن يحيى بلاطعام أكثر من نحو شهرين ، ولايتسنى له أن يدوم بلاملبس مدة تختلف على حسب الفصول ، و لا يتيسر له أن يقاوم شر الامكنة غير الصالحة للحياة الا مدة محدودة ، فلابد من ذكر تلك الحاجات واحدة واحدة على الترتيب :

وذلك ان الله تعالى خلق الانسان بحيث يحتاج جسمه إلى الهواء فى كل لحظة ، فما هو هذا الهواء وما علاقته بالحياة ؟

وان الهواء : جسم رقيق محيط بالكرة الارضية ، وهو مركب من عنصرين بسيطين : أحدهما سمّوه بالاوكسيجين، والاخر سموه الازوت .

و أما وجه علاقة هذا الهواء بالحياة فهو ان الله تعالى جعل دوام الحياة مترتباً على دوام ضربات القلب ، وحقيقة هذه الضربات ان القلب عبارة عن عضو مجوف على شكل الكمثرى مقسوم إلى أربعة أقسام داخلية لكل قسم باب من غشاءٍ رقيق ، ومتع هذا العضو بحركة إنقباض وإنبساط وجعل له عروقاً ، فاذا انقبض دفع الدم إلى تلك العروق .

اذا سرى الدم في الاعضاءِ اعطى كل عضو مما يمرّ عليه حاجته من الاجزاءِ و أخذ منه ما فسد بحركة الحياة لان الاعضاء في حالة حركة مستمرة ، فتهلك منها بهذه الحركة اجزاء و لابد من تعويضها لتدوم الحياة ، ولا معوض لها الا الدم ، فيطوف بواسطة العروق إلى كل عضو منها ، فيعطيه ما يلزمه من المواد و يأخذ منه ما فسد كما ذكر ، ثم يعود على هيئة دم فاسد أسود إلى القلب فيندفع فيه ، فياخذه القلب في أحد تجاويفه و يدفعه إلى تجويف آخر منه ثم يدفعه ثانية إلى عروق توصله إلى الرئتين .

والرئتان عضوان مكونان من تجاويف دقيقة أشبه باسفنجتين موضوعتين في جانبي الصدر يبلغ طولهما من الكتفين إلى وسط الانسان ، فالدم بدخوله إلى الرئتين يتنقى من أقذاره التي حملها من أعضاءِ الجسد ، فكيف تتمّ هذه التنقية ؟ تتم هذه التنقية بواسطة الهواء الواصل إليهما بالتنفس ، و طريقة ذلك ان الانسان باستنشاقه الهواء يدخل إلى رئتيه فيعمها فيتحد العنصر الهوائي المسمى بالاوكسيجين بالاقذار التي أفسدت الدم ، و يخرج من الفم مع الزفير ، فيصير الدم أحمر كما كان ، فيعود ثانية إلى القلب في أحد تجاويفه الاربعة ، فيأخذه القلب ويدفعه إلى العروق لتغذية الجسم ، و تحصل هذه الدورة في كل دقيقة نحو ست عشرة مرة على عدد التنفس .

والبرهان على ذلك اننا لو أخذنا الهواء الذى يخرج من الرئتين بواسطة الزفير وحللناه بواسطة الآلات وجدنا ان فيه أجساماً غريبة لم تكن فيه وشاهدنا انه فقد جميع او كسيجينه ، فبعد ان كان عبارة عن أو كسيجين و ازوت صار مركباً جديداً اسمه حمض كربون و بخار ماء و تعلق بمواد اخرى ، ولا شبهة فى أنه لم يدخل إلى الرئتين الآن الهواء الجوى فمن أين أتت إليه هذه المواد الجديدة الضارة بالصحة ان لم يكن أخذها من الدم الذى اختلط به فى الرئتين؟

اذا علمت ذلك ادركت أهمية وظيفة التنفس ، و مبلغ علاقتها بالحياة ، و فهمت ان الهواء الذى نستنشقه يجب أن يكون نقياً خالياً من الجراثيم المضرة لانه لو كان متحملا باقذار من الاتربة وغيرها و دخل إلى الرئتين على هذه الصورة اختلطت تلك الاقذار بالدم فافسدته و ربما عدت على الحياة من هنا وجب على كل عاقل أن يعرف كيف يفسد الهواء و أين يوجد الهواء الصالح للتنفس .

الهواء كما لا يخفى جسم رقيق كثير الحركة و جميع الاجسام الارضية مغمورة فيه فان اتفق وجود جثة حيوان متعفنة فى جو من الهواء فانه يتصاعد من تلك الجثة رائحة كريهة منتنة يتضرر منها الشم ، و يميل أن يبتعد عنها الانسان ، فما هى حقيقة تلك الرائحة ؟

كل رائحة تصل إلى الانف هى فى الحقيقة أجزاء صغيرة تتطاير من الجسم المتصاعدة منه مع الهواء فتصل إلى الانف ، و منها تدخل الرئتين ، و مما يدل على أن الرائحة أجزاء صغيرة تتطاير من الاجسام ذات الرائحة ، هو انك لو وضعت نصف درهم من المسك أو العنبر مكشوفاً للهواء مدة شممت رائحته كلما اقتربت من المكان الذى هو فيه ، فلو وزنته بعد مدة وجدته قد نقص عما كان عليه ، و هذا دليل على أن رائحته الزكية هى عبارة عن دقائق صغيرة تنفصل من تلك الجثة و تصل إلى أنفك ، فتحدث فيه ذلك الاثر السىء ، ومنه تصل إلى الرئتين، فتختلط بالدم فتفسده .

و لكن قد يكون الهواء ضاراً بالصحة و ليس له رائحة محسوسة ، و ذلك كالهواء المحبوس فى البيوت ، و وجه ضرره أن الانسان كما قلنا يأخذ الهواء من الجو بأنفه ، فيدخله إلى رئتيه فيختلط هنالك بالدم ، فيأخذ الفساد الذى علق به و يخرج وقد تغير تركيبه الطبيعى ، فبعد أن يكون مكونا من الاوكسيجين والازت يخرج و هو عبارة عن حمض كربون و بخار ماء و غير ذلك ، وحمض الكربون هذا لايصح للتنفس بل يخنق من يستنشقه ان كان بمقادير عظيمة .

بناء على هذا فكل هواء محبوس فى البيوت يكون عبارة عن هواء مستعمل استنشقه السكان و اخرجوه من رئاتهم غير صالح لاقامة الحياة أو يكون صالحاً لاقامتها ولكن على وجه غير صحى ، فيجب على الانسان فى هذه الحالة فتح النوافذ المتقابلة وترك الهواء يمر منها ليطرد الهواء الجديد الهواء المحبوس ويحل محله

من هنا تجد علماء الصحة ينصحون الناس بدوام تجديد هواء محلاتهم صيفاً و شتاء و يشيرون بالنوم والنوافذ مفتحة على شرط أن يكون النائم بمعزل عن تيار الهواء حتى لايصيبه برد ، و يكون ذلك فى الشتاء والصيف معاً لان لكل انسان قدراً محدوداً من الهواء فى الساعة الواحدة ، فاذا كان المكان ضيقاً ، وفيه انسانان أو ثلاثة ، والنوافذ مقفلة فلا تمضى ساعتان أو ثلاثة حتى يكون النائمون قد استعملوا جميع الهواء الموجود فى المكان ، فيصير هواؤه عديم الفائدة بل ضاراً فتفسد صحتهم ، و تنحل أبدانهم و تصفر وجوههم ، و يصيبهم فقر الدم ، و إصفرار اللون ، ولاسبب لاعتلال صحة المنكمشين فى بيوتهم ، الا انهم يحرمون أنفسهم من استنشاق الهواء الجديد خارج بيوتهم ولهذا السبب ينصح علماء الصحة بضرورة الرياضة فى الهواء الطلق ويعلقون على ذلك أهمية عظيمة ، بل يقولون ان الرياضة الجسمية فى الهواء النقى خير للمريض من العلاج .

هنا يجب علينا ان ننوه بفائدة صحيحة لها أكبر تأثير على صحة الجسم وقوة الارادة معاً وهى الاستنشاق الطويل البطىء أى إستنشاق الهواء حتى تمتلىء

الرئتان هواء ولكن بنظام و بطء ثم إخراجه ببطء أيضا بدون تكلف ولاتعب قال كثير من العلماء ان التنفس على هذه الصورة يشفى كثيراً من الامراض العصبية والمعدية والدموية.

قالوا: ان الله جل وعلا خلق الرئتين و جعل حياتنا مرتبطة بأعمالها فى وظيفتهما كما ينبغى و لكننا اعتدنا ان نتنفس بقمتى الرئتين فقط، وأمابقيتهما فتبقى بلاعمل، فيصيبها التحجر وتصبح عادمة الفائدة، وهذه القطعة التى نستخدمها منها للتنفس لاتكفى لتنقية الدم فيرجع الدم إلى القلب فاسداً كما خرج منه ويسرى منه فى الاعضاء على هذه الصورة، فيسمها و يصيب الانسان من جراء ذلك فقر فى الدم، وإصفرار فى الوجه، ودوار فى الرأس وآلام متنوعة، وفساد فى المعدة وأمراض عصبية، وغير ذلك، فيصبح مريضاً سائراً على قدميه لايعرف سبب نحوله وشحوب لونه، ويكون السبب الحقيقى هو إهماله لاحسان وظيفة التنفس.

قالوا: ولاجل أن يخلص الانسان من هذه الامراض، وينال القوة والصحة الكاملة وجب عليه أن يتعود أن يتنفس بجميع رئتيه، فيأخذ نفساً طويلاً ببطء وانتظام ثم يخرجه ببطء وانتظام بدون تعب ولاتكلف بحيث لايشعر الجالس معه بشىء فيتعود هذه الطريقة ويصير غير متكلف لها بعد زمن ويخلص بذلك من شر كثير من الاخطار، فعلى الاباء والمعلمين أن يربوا أطفالهم على أن يتنفسوا على هذه الصورة لتصبح لهم عادة، ويصبحوا أقوياء العقول والاجسام معاً.

الماء والحياة:

ان الماء هو ثانى ما يتوقف عليه حياتنا فى هذه الحياة الدنيا حدوثاً وبقاءاً قال الله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شىء حى» الانبياء: ٣٠)

وقال: «قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين» الملك: ٣٠).

ان الانسان لايستطيع أن يعيش بلاماء الا نحو ثلاثة أيام، وهذا يكفى فى

الدلالة على أنه من أكبر الضروريات لاقامة الحياة بعد الهواء ، و لهذا السبب كانت حاجة الجسم إلى الماء شديدة جداً ، فلابد للانسان الذى يريد أن تكون صحته تامة أن يتعاطى من الماء بصنع مرات فى اليوم .

وقال الاطباء : ان الجسم المحروم من الماء كالآلة المحرومة من الشحم .

الاكل والحياة :

ان الاكل وظيفة حيوية ضرورية لحفظ قوام الجسم ، و وجه ضرورته ان الانسان مخلوق من التراب ، فعظمه ولحمه و جميع مافيه من المواد الارضية تناولها بفمه ، فاستحالت فى معدته إلى مواد تشبه جسمه بحكمة العليم الخبير ، وبما ان الجسم دائم التحلل بالعمل وحركات الحياة وجب أن يتناول الانسان وأشياء تعوض له ما فقده .

وليست ضرورة الاكل تنحصر فى ايتاء الجسم بالمواد التى فقدها بل لحفظ حرارته أيضا ، فان فى الانسان حرارة تبلغ (٣٧) درجة ضرورية لحياته ، فيجب أن تحفظ هذه الحرارة درجتها طول عمره ، ولاسبيل إلى ذلك الآ بتناوله مآ كل وظيفتها حفظ هذه الحرارة .

ومن هنا وجب أن يشتمل غذاء الانسان على نوعين : نوع يحفظ له حرارته فى درجتها الاعتيادية ، و نوع يعوض له خلايا جسمه ، ويسمى الاطباء الاغذية التى تعوض الجسم بالاغذية « الازوتية » لدخول عنصر الازوت فى تركيبها ، و يسمّون الاغذية التى تحفظ حرارته بالاغذية «الكربونية» لوجود الكربون فيها ، وهو أكبر العناصر تجديداً للحرارة .

وقد خلق الله تعالى المواد النباتية الحيوانية التى يغتذى بها الانسان شاملة لهذين النوعين من الاغذية ، وقرر علماء وظائف الاعضاء ان الانسان يحتاج فى كل أربع و عشرين ساعة إلى تعاطى نحو (١٠٠) درهم من المواد الكربونية المجددة للحرارة ونحو (٤٠) درهمامن المواد الازوتية المعوضة للجسم ، و

مقدار قليل. ولكنه كاف لحفظ الحياة على أحسن حال ، فاذا زاد الانسان عن ذلك، فانما يكون مدفوعاً لذلك بعامل الشراهة .

الملبس والحياة :

ان الملابس ما يتوقف به الحياة الانسانية الاجتماعية حيث خلق الله تعالى الجسم الانسانى ما جعل فيه ملايين من ثقوب صغيرة جداً يقال لها: المسام وظيفتها افراز العرق والغازات المختلفة لاحداث توازن فى الحياة الداخلية للجسم ، وفى وظائف الاعضاء العاملة فى باطن البدن ، وكثيراً ما شوهد بالحس ان العرق يشفى الحمى و بعض الامراض ، و فى هذا دليل كاف لبيان قيمة هذه المسام ، فاذا أهمل الانسان العناية بأمر هذه الفتحات فتركها تنسد بالدهن الذى يفرزه الجسم ، و لم يتعهدها بما يخفف ذلك الدهن من الغسل والدلك قصرت عن أداء وظيفتها فتسبب من ذلك إضطراب فى الصحة ينجم منه كل ماقدمنا من الامراض وزيادة فيسرع المريض إلى تلمس الصحة بالعقاقير السامة وهو غافر عن السبب الاصلى وهو هماله لأمر صحته الجلدية .

والملابس الكثيرة مماتساعد على منع المسام عن أداء وظائفها ، فتكون سبباً فى مثل تلك الامراض أيضاً ، وإذا تقرّر هذا فما هو الملبس الصحى الذى يحمينا شدائد الحرد والبرد ولايمنع لمسام من أداء وظيفتها ؟

وان كثيراً من الناس يجتلبون الامراض لاجسامهم بسوء ملبسهم فقد يشاهد كثيراً ان من الناس من يركمون على أجسامهم ملابس لايستدعيها حال الجو ظناً منهم ان ذلك يحميهم عوادى البرد ، وهم فى ذلك واهمون ، فقد ثبت ان الاكثار من الملابس لايدفع مرضاً ولايمنع عرضاً مادام لم يراع العلم فيها .

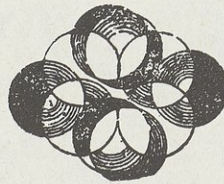
وان الامراض الخطيرة الشأن مثل الروماتيزم وإلتهاب الرئتين والاضطرابات الهضمية و أمراض القلب و أوجاع الرأس وآلام الصدر . . . كلها قد تأتى من التشدد فى التدثر بالملابس الكثيرة . . .

المسكن والحياة :

ومماله دخل فى سلامة الحياة هوالمسكن ، وهوالذى يأوى إليه الانسان وأهله ليتقى فيه عاديات الحروالبر ، وان الدين الاسلامى يحتم على الانسان أن يتخذبيته حائزاً لشرائط يدور عليها صحته و صحة أهله ، فلابد لكل مسلم من الالتفات إليها بكل عناية حتى لا يكون بيته مثار الامراض ، و منشأ الاوبئة والاعراض . . .

و كم من رجل أعيته الحيلة فى معالجة نفسه و أولاده تارة من روماتيزم حاد أومزمن، وطوراً من ضعف وشحوب لون،وأحياناً كثيرة من التهابات مختلفة، ولاسبب لذلك الا فساد هواء بيته، ورطوبة جوه وسوء وضعه .

هذا إجمال ماأوردناه فى محله تفصيلا .



﴿الحياة والتوحيد﴾

ومن البديهي ان الفطرة السليمة البشرية ترى للحياة أغراضاً في هذه الحياة الدنيا الفانية ، وفي الحياة الاخرة الباقية ، ولاتراها مهملة متروكة سدى و لا صدفة ولاعبثا ، و أيّدتها الاديان السماوية كلها اذ قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » الملك : ٢)

وقال : « وهو الذى خلق السموات والارض ـ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » هود : ٧)

و قال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » الكهف : ٧)

في العلل : باسناده عن محمد بن عمارة قال: سئلت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له: لم خلق الله الخلق ؟ فقال ان الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لاظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولاليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الابد .

وفيه : باسناده عن محمد بن زيد قال : جئت إلى الرضا عليه السلام أسئله عن التوحيد ، فأملى علي : الحمد لله فاطر الاشياء انشاءاً ومبتدعها ابتلاءاً بقدرته و حكمته لامن شيء فيبطل الاختراع، ولالعلة فلايصح الابتداع ، خلق ماشاء كيف شاء متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته لاتضبطه العقول ولاتبلغه الاوهام

و لا تدركه الابصار ، و لا يحيط به مقدار ، عجزت دونه العبارة ، و كلت دونه الابصار ، وضل فيه تصاريف الصفات إحتجب بغير حجاب محجوب ، وأستتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ، ووصف بغير صورة ، ونعت بغير جسم لااله الاّ هو الكبير المتعال .

وفيه: باسناده عن مسعدة بن زياد قال: قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : ياأباعبدالله انا خلقنا للعجب ؟ قال : وماذاك لله أنت قال: خلقنا للفناء ؟

فقال : مه يابن أخ خلقنا للبقاء ، و كيف تفنى جنة لاتبيد و نار لاتخمد ولكن قل : انما نتحرك من دار إلى دار .

وفيه : عن بعض الاصحاب قال : ما من يوم الاّ وملك ينادى من المشرق لو يعلم الخلق لماذا خلقوا قال : فيجيبه ملك آخر من المغرب : لعملوا لما خلقوا .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى صحف موسى بن عمران عليه السلام يا عبادى : إنى لم اخلق لا ستكثر بهم من قلة ، ولا لأنس بهم من وحشة ، ولا لأستعين بهم على شىء عجزت عنه ، ولا لجرّ منفعة ولالدفع مضرة ولو ان جميع خلقى من أهل السموات والارض اجتمعوا على طاعتى وعبادتى لايفترون عن ذلك ليلا ولانهاراً مازاد ذلك فى ملكى شيئا سبحانى و تعاليت عن ذلك .

وفيه : باسناده عن أبى بصير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وما خلقت الجن و الانس الاّ ليعبدون » قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة قال : وسئلته عن قول الله عزوجل : « ولايزالون مختلفين الاّ من رحم ربك » و لذلك خلقهم ؟ قال : خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم .

فطوبى لنفوس عرفت لماذا خلقت ، فازدادت معرفة بالله تعالى و حققت الغاية الرفيعة التى خلقت لاجلها ، وهو القائل كما جاء فى حديث قدسى مخاطبا

لابن آدم : « خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي » وان الحياة بأعاجيبها وهذا الوجود بجملته تدل على أن للحياة خالقاً حكيماً قادراً خبيراً خلافاً للماديين الذين هم موتى بصورة الاحياء لفساد عقولهم بانهما كهم في الشهوات، و طلاقة عنانهم في الشهوات ، فاهملوا أنفسهم وتركوها سدى ورأوها عبثا ، وحقا انهم مهملون وملعبة الشيطان لاشأن لهم، وهم وإهمالهم .

قال الله تعالى حكاية عنهم: «وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر و مالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » الجاثية ٢٤)

يظنون ان المادة هي أصل الحياة وسببها مع أن المادة لاتتحرك بطبيعتها الا بمحرك مغاير لها ، ومن كان له عقل لايقول : ان المادة الصماء أنشات بنفسها لنفسها أبصاراً وأسماعاً وافئدة وجعل لهايداً ورجلاً ، ولوكانت الحياة صفة تلازم المادة فلماذا ظهر النمو والحركة والحس والتفكير في بعضها دون بعض ؟

ان قيل : يمكن أن يكون لبعض أفراد المادة إستعداداً للحياة دون بعض ؟ .

قلت : من أين جاءت هذه التفرقة أمن داخل المادة أم من خارجها ؟ فعلى الاول يجب أن تكون لكل مادة إستعداداً للحياة وإلا لزم أن يكون الشيء الواحد سبباً لوجود الشيء وعدمه في آن واحد ، فلابد أن تقول : انها من خارج المادة. وهل هي الا من الله القادر المتعال .

و قد حاول علماء الطبيعة آلاف تفاعل حتى يصنعوا الحياة فرجعوا مأيوسين ، فاعلنوا ان صنع الحياة أصعب منالاً من رجوع الشيخ الكبير إلى صباه و طفولته ، فلايستطيع من الانسان أن يصنع جناح بعوضة ولاخلية من جناحها .

أجدير لهذا الانسان أن يعثو في الارض فساداً والله جل وعلا يقول : « كلوا اشربوا من رزق الله ولاتعثوا في الارض مفسدين» البقرة : ٦٠)

وقال : « فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا في الارض مفسدين » الاعراف : ٧٤)

كل ذلك لانه جاء بصاروخ أدواته من خلق الله تعالى ، وتركيبه بعقل أوجده الله جل وعلا مع علمه ان هذا الصاروخ مركب من (٣٠٠,٠٠٠) قطعة مرتبة ترتيباً هندسياً دقيقاً لو تخلفت احدى القطع عن الترتيب الهندسي لفشل الصاروخ ووقف عن الانطلاق ، فكيف لا يعظم ولا يقدس خالقه الذى جهز مخه بـ(٢٠,٠٠٠,٠٠٠) عصب لكل واحد منها وظيفته ، فلو جس أحدها حدثت عوارض تختلف عما لو جس غيره .

و لو حسبنا بحساب رياضى (حساب احتمالات) نرى ان ليس هناك أية صدفة تجعل عشرين مليون عصب تترتب بهذا الترتيب الدقيق حتى تتوارد عليها الاحساسات فتشعر الروح بواسطتها بما حدث ، فهى دونما تشبيه كآلة الراديو فكما أن الراديو ليس هو الصوت و المتكلم هكذا هذه الاعصاب الكثيرة فى المخ الانسانى ليست هى الروح و الانسان، وانما هى واسطة لتحسس الروح أو النفس .

وحسب ماهو تقرر فى حساب الاحتمالات : ان الاحتمال الذى يجعل عشرين مليون عصب تترتب ترتيباً هندسياً ، فيؤدى إلى انتاج مطلوب هو واحد من (١٠) متبوعة بعشرين مليون صفر إلاصفراً واحداً أى واحد من (١٠) مرفوعة إلى قوة عشرين مليون، ومعلوم ان مآل نسبة : $\frac{١}{١٠^{٢٠.٠٠٠.٠٠٠}}$ أو $\frac{١}{١٠^{٢ \times ١٠^{٧}}}$ هو الصفر .

ولما كان ما خلق الله من عوالم مختلفة من جماد و نبات وحيوان وما رتب لكل منها ترتيباً دقيقاً لا يعد ولا يحصى إذن تصبح النسبة :

$\frac{١}{١٠^{\infty}} = \frac{١}{\infty} =$ فلاصدفة أبداً .

على أن للمفكر أن يقول : و من أين جائت هذه الاجزاء التى كل منها بدورها مشكل من جزئيات اخرى بصورة دقيقة وهندسية ، وهكذا دواليك حتى ينتهى بنا إلى جهل الواقع .

« فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » الحج: ٤٦)

كيف لايفكر هذا الانسان أن من يأتي بتركيب هذا الانسان العجيب لا يخلق عبثا ، ولايوجد لاهياً ، و ان وراء هذا الخلق غاية رفيعة سامية الا و هي معرفة الله تعالى وهو القائل كما جاء في حديث قدسي : « كنت كنزاً مخفيا فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف » فلابد من انبياء ولا بد من دساتير تقرب النفوس إلى الله تعالى وهو القائل : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنافا علين » الانبياء : ١٧)

ولكنها الذنوب والفجوروالخمور تراكمت دون توبة واستغفار على قلب هذا الانسان فحجبته عن رؤية الحق والواقع وأعمته : « ان أعمى العمـى عمى القلب » فصارلايؤمن الا بالمادة العمياء ونسى خالق المادة ، و سول له شيطانه مزاعمه ووطأ قلبه ، وصار يتشدق ويعزو كل شيء حتى الاخلاق إلى المادة والوضع الاقتصادى ، و كأنه جاء بفلسفة، وفهم سر الحياة متهماً غيره بالرجعية والخرافة و هورجع إلى مقالة يقال بها قبل آلاف سنة وقد اخبر عنها القرآن الكريم قبل خمسة عشرقرناً بقوله تعالى : « وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي ومايهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » الجاثية : ٢٤)

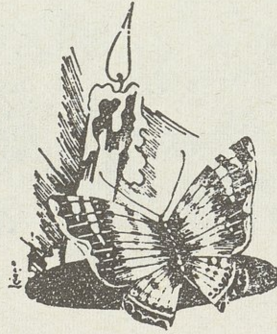
في تفسير القمي في قوله تعالى : « و من نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون » قال : انه رد على الزنادقة الذين يبطلون التوحيد ، و يقولون : ان الرجل اذانكح المرأة وصارت النطفة في رحمها تلقته الاشكال من الغذاء ودار عليه الفلك ومر عليه الليل والنهار ، فيولد الانسان بالطبايع من الغذاء ومرور الليل والنهار »

فنقض الله تعالى عليهم قولهم في حرف واحد فقال : « و من نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون » قال: لو كان هذا كما يقولون لكان ينبغي أن يزيد الانسان أبداً مادامت الأشكال قائمة والليل والنهار قائمان ، والفلك يدور، فكيف صار يرجع إلى النقصان كما ازدادوا في الكبر إلى حد الطفولية ونقصان السمع

والبصر والقوة والعلم والمنطق حتى ينقص وينكس فى الخلق ؟

ولكن ذلك من خلق العزيز العليم .

هذه مقالة الماديين الذين كانوا يعيشون قبل خمسة عشر قرناً قد أخبر عنها وعن جهلهم وحماقتهم القرآن الكريم ، وأما الماديون الذين يعشيون اليوم فما هو الذى يجعلهم مع دراستهم للفيزياء و كثير من علوم الطبيعة أن يرتجعوا إلى حماقة هؤلاء الماديين و مقالتهم السخيفة وهل هذا الآ ارتجاع إلى التحجر والجاهلية والتحمق . . . نعم ان المتقدمين والحاضرين مشتركون فى أمر واحد و هو شهواتهم ونزواتهم و بغيهم وظلمهم و بالجملة حماقتهم حتى منعوا بذلك الفطرة أو العقل من القيام بعمله الطبيعى ، و حجبوه من أن يؤثر أثره « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون » يونس : ٣٣)



﴿غرر حكم ودرر كلم فى الحياة﴾

كلمات قصار فى المقام عن الامام على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١- قال على عليه السلام : « غاية الحياة الموت »

٢- قال عليه السلام : « ما أقرب البؤس من النعيم والموت من الحياة »

٣- قال عليه السلام : « فى الذكر حياة القلوب »

٤- قال عليه السلام : « صير الدين جنة حياتك والتقوى عدة وفاتك »

٥- قال عليه السلام : « صحبة الولى اللبيب حياة الروح »

٦- قال عليه السلام : « بالعافية توجد لذة الحياة »

٧- قال عليه السلام : « ثمرة طول الحياة السقم والهرم »

٨- قال عليه السلام : « الذكر الجميل أحد الحياتين »

٩- قال عليه السلام : « العلم أحد الحياتين »

١٠- قال عليه السلام : « العلم حياة »

١١- قال عليه السلام : « العدل حياة »

١٢- قال عليه السلام : « اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة »

١٣- قال عليه السلام : « بالعلم تكون الحياة »

١٤ قال عليه السلام : « ثمرة العلم العمل للحياة »

١٥- قال عليه السلام : « السهر أحد الحياتين »

تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين

سورة القلم مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

نٓ والقلم وما يسطرون ﴿١﴾ ما انت بنعمة ربك بمجنون ﴿٢﴾ وان لك لاجرا غير
ممنون ﴿٣﴾ وانك لعلى خلق عظيم ﴿٤﴾ فستبصر ويبصرون ﴿٥﴾ بايكم المفتون ﴿٦﴾
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴿٧﴾ فلا تطع المكذبين
﴿٨﴾ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿٩﴾ ولا تطع كل حلاف مهين ﴿١٠﴾ هماز مشاء بنميم ﴿١١﴾
مناع للخير معتد اثيم ﴿١٢﴾ عتل بعد ذلك زنيم ﴿١٣﴾ ان كان ذا مال وبنين ﴿١٤﴾ اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين ﴿١٥﴾ سنسمه على الخرطوم ﴿١٦﴾ انا بلوناهم
كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿١٧﴾ ولا يستثنون ﴿١٨﴾
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿١٩﴾ فاصبحت كالصريم ﴿٢٠﴾ فتنادوا
مصبحين ﴿٢١﴾ ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ﴿٢٢﴾ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴿٢٣﴾
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴿٢٤﴾ وغدوا على حرد قادرين ﴿٢٥﴾ فلما راوها
قالوا انا لضالون ﴿٢٦﴾ بل نحن محرومون ﴿٢٧﴾ قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون ﴿٢٨﴾

قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴿٢٩﴾ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴿٣٠﴾ قالوا
يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿٣١﴾ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴿٣٢﴾
كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿٣٣﴾ إن للمتقين عند ربهم
جنات النعيم ﴿٣٤﴾ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴿٣٥﴾ ما لكم كيف تحكمون ﴿٣٦﴾ أم لكم كتاب
فيه تدرسون ﴿٣٧﴾ إن لكم فيه لما تخيرون ﴿٣٨﴾ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم
القيامة إن لكم لما تحكمون ﴿٣٩﴾ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴿٤٠﴾ أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم
إن كانوا صادقين ﴿٤١﴾ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴿٤٢﴾
خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴿٤٣﴾ فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿٤٤﴾ وأملي لهم إن كيدي
متين ﴿٤٥﴾ أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ﴿٤٦﴾ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴿٤٧﴾
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴿٤٨﴾ لولا أن تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴿٤٩﴾ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
﴿٥٠﴾ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
إنه لمجنون ﴿٥١﴾ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴿٥٢﴾

«فضلها وخواصها»

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن على بن ميمون الصائغ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة «ن والقلم» فى فريضة أو نافلة آمنه الله عزوجل من أن يصيبه فقر أبداً وأعاذه الله إذا مات من ضمة القبر.

رواه الطبرسى فى المجمع مذيلة بجملة «إن شاء الله» والبحرانى فى البرهان، والحويزى فى نور الثقلين، والمجلسى فى البحار، والشيخ الحر العاملى فى وسائل الشيعة.

أقول: إن الرواية تصرح بان لقراءة هذه السورة أثرين: أحدهما دنيوى وهو عدم إصابة الفقر على القارىء فى الحياة الدنيا.

ثانيهما - لما بعد الموت من كونه فى عياذ الله تعالى من ضغطة القبر.

وذلك لان من قرأها متدبراً فيها، فتخلّق بخلق النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و حصل له حسن الظن بالله جل وعلا - اشير إليهما فى هذه السورة - فله خير الدنيا والاخرة.

فى الكافى: باسناده عن بريد بن معاوية عن أبى جعفر عليه السلام قال: وجدنا فى كتاب على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قال - وهو على منبره -: والذى لا اله الاّ هو ما اعطى مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الاّ بحسن ظنّه بالله و رجائه له و حسن خلقه. الحديث.

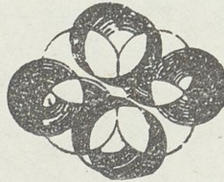
و فى المجمع: ابىّ بن كعب قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: و من قرأ سورة «ن والقلم» أعطاه ثواب الذين حسن أخلاقهم.

وفى البرهان: روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة أعطاه الله كثواب الذين اجل الله أحلامهم و إن كتبت و علقت على الضرس المضروب سكن الله ألمه من ساعته.

وفيه: وقال الصادق عليه السلام: إذا كتبت وعلقت على صاحب الضرس سكن باذن الله تعالى.

اقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواصها ما قرأته والله تعالى هو أعلم.

قيل: قوله تعالى: « وإن يكاد ـ إلى ـ وماهو الا ذكر للعالمين » دواء لمن أصابته العين إن كان قارئاً فيقرأ والا فيرقى بها.



﴿الغرض﴾

غرض السورة تثبيت وتطمين للنبى الكريم ﷺ على ما أنعم عليه من نعمة الرسالة ، و دفع عنه كل ما يرميه المعاندون من إختلال عقلى ، و عيب نفسى . . وثناء بليغ ربانى على ماقدكان ﷺ تحلّى به قبل البعثة من خلق عظيم ، وهو الذى أهلّه للاصطفاءوالمهمة العظمى السماوية ، وختمت بهالرسالة، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

و فى السورة جملة عنيفة شديدة على المكذبين المعاندين ، فانهم كانوا كاذبين مهينين عيّابين شتّامين مشّائين بين الناس بالفساد والنميمة ، منّاعين للخير ، غلاظ القلوب ومدخولى الانساب . .

وإنذارلهم وتصويرلمواقفهم من الدعوة ، وما وقع بين النبى ﷺ وبين المشركين رداً عليهم وتنديداً بهم ، و تثبيتاً للنبى ﷺ فجائت بقصة البستان للتذكير والانذار ، وبقصة يونس عليه السلام للتثبيت والتطمين للنبى الكريم ﷺ .

وفيها تقرير تبشيرى بماللمتقين المصدقين عند ربهم من النعيم فى جناته ، وتساؤل على سبيل الانكار عما اذاكان يصح أن يجعل الله تعالى المسلمين كالمجرمين فى اليوم الاخر، وأسئلة فيها تحدّ وتهكم موجهة للمكذبين، وأمر للنبى ﷺ بسئوالهم عمن يضمن لهم ذلك ، وعما إذاكانوا يظنون أن شركائهم يفعلون ذلك حقاً ، وتحدّ لهم بدعوة هؤلاء الشركاء ، وطلب نصرتهم ان كانوا صادقين، وحكاية لما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة على سبيل الانذار والتحدى والتبكيت .

﴿النزول﴾

سورة القلم مكية نزلت بعد سورة الفاتحة باعتبار وبعد سورة **العلق باعتبار** آخر - و ذلك لان سورة الفاتحة - نزلت بعد خمس آيات من أوائل العلق ثم نزلت باقيها وقد سبق الكلام في نزول سورة الفاتحة فراجع - وقبل سورة المزمل ، و هى السورة الثالثة نزولاً ، و الثامنة والستون مصحفاً ، و تشتمل على ثنتين و خمسين آية ، سبقت عليها/ ٢٦ آية نزولاً ، و / ٥٢٧١ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على / ٣٠٠ كلمة و ١٢٥٦ حرفاً وقيل : / ١٢٥٢ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

و قد اختلفت الكلمات فى مكية السورة بتمامها ، فعن جابر والحسن و عطاء وعكرمة : ان تمام السورة مكية : وعن ابن عباس وقتادة : ان صدر السورة إلى قوله تعالى : « سنسمه على الخرطوم » ست عشرة آية مكية ، وما بعدها إلى قوله تعالى : « لو كانوا يعلمون » سبع عشرة آية مدنية ، وما بعده إلى قوله تعالى: « يكتبون » خمس عشرة آية مكية ، و ما بعده إلى آخر السورة أربع آيات مدنية.

وقيل : ان السورة مكية الا من آية ١٧ إلى غاية ٢٣ و من آية ٤٨ إلى غاية ٥٠ فمدنية ، وقيل : من آية ١٧ إلى ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى ٥٠ فمدنية.

اقول : وما يظهر من سياق آيات السورة ومضمونها وانسجامها في **موضوعها** وتسلسلها وسبكها : انها مكية بحيث يسوّغ القول : انها من السور التى نزلت دفعة واحدة اوفصولاً متلاحقة.

ولهذه السورة إسمان : أحدهما - سورة «ن» ثانيهما - سورة «القلم» .

أقول : ولكل وجه فتأمل جيداً .

فى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى - من أعلام العامة - : باسناده عن الضحاك بن مزاحم قال : لما رأت قريش تقديم النبى علياً وإعظامه له، نالوا من علىّ وقالوا : قدافتتن به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » هذا قسم أقسم الله به « ماأنت » يامحمد « بنعمة ربك بمجنون و انك لعلى خلق عظيم » يعنى القرآن - وساق الكلام - إلى قوله : « ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله » وهو النفر الذين قالوا : ماقالوا « وهو أعلم بالمهتدين » على ابن أبى طالب وقال أبونواس :

واليت آل محمد وهو السبيل إلى الهداية

وبرئت من أعدائهم وهو النهاية فى الكفاية

فى أسباب النزول : للسيوطى أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : انه مجنون ثم شيطان ، فنزلت : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

وفى أسباب النزول : للواحدى النيسابورى باسناده عن عائشة قالت : ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الاّ قال : لبيك ، ولذلك أنزل الله عزوجل : « وانك لعلى خلق عظيم »

وفى شواهد التنزيل : باسناده عن كعب بن عجرة وعبدالله بن مسعود قالا : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عن علىّ فقال : علىّ أقدمكم إسلاماً ، وأوفركم ايماناً ، وأكثركم علماً ، وأرجحكم حلماً ، وأشدّكم فى الله غضباً ، علّمته علمى ، واستودعته سرى ، و وكلته بشأنى ، فهو خليفتى فى أهلى و أمينى فى امتى ، فقال بعض قريش : لقدفتن على رسول الله حتى مايرى به شيئا ! ! ! فأنزل الله تعالى : « فستبصر ويبصرون بايكم المفتون »

وفيه : باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت المسجد والناس أجفل ماكانوا كأن على رؤسهم الطير ، إذ أقبل علي بن أبي طالب حتى سلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتغامزبه بعض من كان عنده فنظر إليهم النبي فقال : ألا تسئلوني عن أفضلكم ؟ قالوا : بلى قال : أفضلكم علي بن أبيطالب ،أقدمكم إسلاماً ، وأوفركم ايماناً ، وأكثركم علماً ، وأرجحكم حلماً ، و أشدّكم غضباً في الله و أشدّكم نكاية في العدو ، فهو عبدالله وأخو رسوله ، فقد علّمته علمي ، و استودعته سرّي وهواميني على امتي ، فقال بعض من حضر : لقدافتتن علي رسول الله حتى لايرى به شيئاً فانزل الله: «فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون» .

وفيه : باسناده عن جعفربن محمد الخزاعي عن أبيه قال : سمعت أباعبدالله يقول : نزل «وان لك لاجراً غيرممنون» في تبليغك في عليّ مابلغت ـ وساقها إلى أن بلغ إلى قوله ـ « بايكم المفتون » .

وفيه : عن جابرقال : قال أبوجعفر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كذب يا عليّ من زعم أنه يحبني ويبغضك ، فقال رجل من المنافقين : لقدفتن رسول الله بهذا الغلام ، فأنزل الله : « فستبصرويبصرون بأيكم المفتون »

وفي المحاسن للبرقي عن جابر قال: قال أبوجعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :ما من مؤمن الاّوقدخلص ودّي إلى قلبه ، وماخلص ودّي إلى قلب أحد الاّ و قد خلص ودّعلي إلى قلبه ، كذب ياعليّ من زعم انه يحبني ويبغضك قال :فقال رجلان من المنافقين : لقدفتن رسول الله بهذا الغلام ! فأنزل الله تبارك وتعالى :«فستبصر ويبصرون بايكم المفتون » « ودّوا لوتدهن فيدهنون ولاتطع كل خلاف مهين» قال : نزلت فيهما إلى آخر الاية .

وفي الغدير : وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد بن حميدوالنسائي و ابن المنذروالحاكم وصحّحه عن عبدالله قال: انني لفي المسجد حين خطب مروان فقال : ان الله تعالى قدأرى لامير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ في يزيد رأياً

حسناً أن يستخلفه فقد استخلف أبوبكر وعمر فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: أهر قلية ؟ ان ابابكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولاجعلها معاوية الا رحمة و كرامة لولده ، فقال مروان : ألست الذى قال لوالديه اف لكما ؟ فقال عبدالرحمن : ألست ابن اللعين الذى لعن رسول الله أباك ؟ فسمعت عائشة فقالت : انها لم تنزل في عبدالرحمن ولكن نزل في أبيك : « ولاتطع كل حلاف مهين همّازمشاء بنميم »

و في السيرة النبوية لابن هشام : والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه ، فكان يصيب من رسول الله ﷺ ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « و لا تطع كل حلاّ ف مهين هماز مشاء بنميم » إلى قوله تعالى : « زنيم » و لم يقل : « زنيم » لعيب في نسبه لان الله لايعيب أحداً بنسب ولكنه بذلك نعته ليعرف .

والزنيم : العديد للقوم والعديد : من يعد في القوم وهو الدعيّ .

و في أسباب النزول للسيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : نزلت في الاسود بن عبد يغوث .

وفيه : و أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : نزلت على النبي ﷺ : « ولاتطع كل حلاف مهين همازمشاء بنميم » فلم نعرفه حتى نزل بعد ذلك «عتل بعدذلك زنيم» فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة .

وفي البحر المحيط : قال أبوحيان: ان معظم هذه السورة نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل .

و في أسباب النزول للسيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج : ان أباجهل قال يوم بدر : خذوهم أخذاً فاربطوهم في الحبال ولاتقتلوا منهم أحداً فنزلت : « انابلوناهم كمابلونا أصحاب الجنة » يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة .

و في أسباب النزول للواحدى قال : قوله عز و جل : « وإن يكاد الذين كفروا » الاية نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش . فقالوا : ما رأينا مثله ولامثل حججه ، وكانت العين فى بنى أسد ، حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم ، فيعينها ثم يقول : يا جارية خذى المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه ، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر.

وفيه : وقال الكلبى : كان رجل يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب خبائه ، فتمر به النعم ، فيقول : ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه ، فما تذهب الا قريباً حتى يسقط منها طائفة وعدة ، فسئل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعين ، ويفعل به مثل ذلك ، فعصم الله تعالى نبيه، وأنزل هذه الاية .

وفى الكافى : باسناده عن حسان الجمال قال : حملت أبا عبدالله عليه السلام من المدينة إلى مكة ، فلما انتهينا إلى مسجد الغدير نظر إلى ميسرة المسجد فقال: ذاك موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم نظر إلى الجانب الاخر فقال :ذاك موضع فسطاط أبى فلان وفلان وسالم مولى أبى حذيفة، وأبى عبيدة بن الجراح ، فلما أن رأوه رافعاً يديه ، قال بعضهم لبعض : انظروا إلى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون . فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الاية : « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم إلى ـ وما هو الا ذكر للعالمين »

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وأبو عمرو ونافع وابن كثير وعاصم « ن والقلم » بالاظهار ، وهو الاصل للوقف ، وقرأ الباقون بادغام « ن » فى واو القسم مع الغنة لنية الوصل .

وقرأ أبو جعفر وابن عامر « آن كان » بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام بقلب الثانية ألفاً ، وقرأ عاصم وحمزة « أ إن كان » بهمزتين على أصلهما فى الهمزتين من التحقيق من غير إدخال ، وقرأ الباقون « أن كان » بفتح الهمزة من غير إستفهام بل على الخبر .

وقرأ عاصم وحمزة « أن اغدوا » بكسر النون ، والباقون بضمها .

وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو « يبدّلنا » بفتح الباء وتشديد الدال من باب التفعيل ، والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال من باب الافعال .

وقرأ نافع وأبو عمرو « ليزلقونك » بفتح الياء من الزلق ثلاثياً . والباقون بضمها من الازلاق مزيداً على الثلاثى ، وقيل : رباعياً من أزلق كدحرج .

«الوقف والوصل»

« يسطرون لا » لان مابعده جواب القسم ، و « بمجنون ج » لان ما بعده يصلح مستأنفاً وعطفاً على جواب القسم ، و « ممنون ج » لما تقدم ، و«يبصرون لا» لان ما بعده مفعول ، و « عن سبيله ص » لاتفاق الجملتين ، و « مهين ى لا » و « ى » علامة العشر التى توضع عند انتهاء عشر آيات و « لا » للوصف الآتى ، و « بنميم لا » و « أثيم لا » و « زنيم لا » لما تقدم و « بنين ط » لمن قرأ «أن كان» مستفهماً ، و من قرأ مقصوراً يقف على « بنين » دون « زنيم » و « الجنة ج » لاحتمال أن يكون « اذا » ظرفاً ليكون و أن يكون مفعول اذكر محذوفاً .

« مصبحين لا » لمكان الواو ، و «كالصريم لا » لمكان الفاء ، و «مصبحين لا» لتعلق « أن » المفسّرة ، و « يتخافتون لا » لما تقدم ، و « لضالّون لا » لعطف « بل » واتحاد المفعول ، و «العذاب ط » لتمام الكلام ، و « أكبر م » و «كالمجرمين ط » و « مالكم قف » وقفة لطيفة لاستفهام آخر ، و « تحكمون ج » لاحتمال تمام الاستفهام والاتصال مع ما بعده ، و « تدرسون لا » لان ما بعده مفعول « تدرسون » .

« تخيّرون ج » لان « أم » معادل الاستفهام أو بمعنى ألف الاستفهام ، و « القيامة لا » لان « ان » جواب الايمان ، و « زعيم ج » لما تقدّم فى «تخيرون» و « شركاء ج » للابتداء بأمر التعجيز مع الفاء و « فلا تستطيعون لا » لان مابعده حال ، و « ذلة ط » لتمام الكلام .

و « الحديث ط » لما تقدم و « لايعلمون لا » للعطف ، و « لهم ط » لتمام الكلام ، و « مثقلون ج » لما تقدم فى « تخيرون » و « الحوت م » بناء على أن إذ مفعول اذكر ، و « مكظوم ط » و « لمجنون م » لئلا يوهم أن ما بعده مقول الكفار للعالمين .



﴿ اللغة ﴾

٥٩ - القلم والاقلام - ١٢٥١

قلم العود يقلمه قلماً ـ من باب ضرب ـ : قطع منه شيئاً ، ويقال : قلم القلم و نحوه : براه و قلم الظفر : قصّ ما زاد منه .

و منه القلم لانه يقطع شيء من طرفه ليسوّى ، فهو علم على وزن فعل بمعنى المفعول ، مثل : ضبط بمعنى المضبوط ، و قدر بمعنى المقدور .

القلم : ما يكتب به قال الله تعالى : « ن والقلم ومايسطرون » القلم : ١) و قال : « الذى علّم بالقلم » العلق : ٤)

والقلم : يطلق على السهم أو القدح يجال بين القوم فى القمار أو القرعة ، و جمعه : أقلام ، قال تعالى : « و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » آل عمران : ٤٤) أى أقداحهم أوسهامهم ، فانهم أعدّوها و جعلوا عليها علامات و ألقوها يستهمون بها على من يكفل مريم . و فى الحديث : « عال قلم زكريا » و هو القدح أو السهم الذى يتقارع به .

و يحتمل أن يكون المراد بالاقلام أقلام الكتاب من الاحبار التى كانوا يكتبون بها التوراة ، وقد آثروها تبركاً بها فجعلوا عليها علامات و اقترعوا بها على من يكفل مريم .

الاقلام : جمع قلة للقلم ، ولكنها كثيراً ما تستعمل فى الكثرة قال تعالى: « ولو انما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت

كلمات الله » لقمان : ٢٧)

والاقلام : الازلام ، يقال : ألقوا أقلامهم : اذا أجالوا أزلامهم .

الاقليم : واحد الاقاليم السبعة ، و ذلك ان الدنيا مقسومة على سبعة أسهم على تقدير أصحاب الهيئة ، مأخوذ من قلامة الظفر لانه قطعة من الارض

و القلامة - بالضم - : ما سقط من الشيء المقلوم ، وقلامة الظفر : ماسقط من طرفه ، وهي مثل في الخسيس الحقير ، يقال : رجل مقلوم الظفر ومقلّم الظفر : ضعيف ذليل .

القالم : العزب من الرجال جمعه : قلمة ، و نساء مقلمات : لازواج لهن .

اقليمياء : بنت آدم عليه السلام والاقليمياء من الذهب والفضة ثقل يعلو المعدن عند السبك يرسب اذا دار أو دخان .

المقلمة - بالكسر - : وعاء أقلام الكتابة ، والقلمان : المقراض .

أبوقلمون : ضرب من ثيات الروم يتلو ن ألواناً للعيون إذا طلعت عليه الشمس ، و منه بوقلمون : طائر يتراءى بألوان شتى يشبه الثوب به .

و قلمون - محر كة - : قرية بطرابلس الشام .

المقلم - بالكسر - : وعاء قضيب البعير والتيس والثور .

في المفردات : أصل القلم : القصّ من الشيء الصلب كالظفر و كعب الرمح والقصب ، و يقال للمقلوم : قلم كما يقال للمنقوض : نقض ، و خصّ ذلك بما يكتب به و بالقدح الذي يضرب به .

٣٩ - الدهن - ٤٩٨

دهن في الامر يدهنه دهناً و دهنة - من باب منع - : لان فيه و تسمّح و لم يتشدّ د ، و دهن فلاناً : نافقه ، و خدعه و ختله و غشّه ولاينه ، و دهن رأسه : بلّه بالدهن ، فهو لازم و متعد .

الدهن ـ بالضم ـ : اسم ، و بالفتح : مصدر .

الادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة ، والنفاق والغش ، والمصانعة ، و ترك المناصحة والجد والصدق .

قال الله تعالى : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » القلم : ٩) أى ودّوا لو تلين فى دينك فيلينون أو ودّوا لو تصانعهم فى الدين فيصانعونك . الادهان : المقاربة فى الكلام والتليين فى القول .

و أدهن بالحديث : لم يجزم به و تهاون به فشك فيه أو كذبه فهو مدهن و هم مدهنون قال تعالى : « أفبهذا الحديث انتم مدهنون » الواقعة : ٨١)

وفى حديث الحق تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام : « قل لمن تمرّد علىّ بالعصيان و عمل بالادهان ليتوقع عقوبتى » .

داهنه مداهنة : غشّه وصانعه ، و أظهر له خلاف ما يضمر ، والمداهنة : أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلة المبالاة بالدين ، المداهنة : المساهلة .

وفى حديث الامام الباقر عليه السلام قال : « أوحى الله تعالى إلى شعيب النبى عليه السلام انى معذب من قومك مأة ألف أربعين ألفاً من شرارهم و ستين ألفاً من خيارهم فقال : يارب هؤلاءِ الاشرار فما بال الاخيار؟ فأوحى الله إليه داهنوا أهل المعاصى و لم يغضبوا لغضبى » .

تدهّن : اطّلى بالدهن ، والدهّان ـ مبالغة ـ : الذى يبيع الدهن .

الدهن : عصارة ما فيه دسم كالزيت .

قال الله تعالى : «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن» المؤمنون: ٢٠)

وهى شجرة الزيتون التى تنبت ومعها الدهن ، والدهن : زيتها ، وجمعه : أدهان و دهان ، ومنه حديث سمرة : « فيخرجون منه كأنما دهنوا بالدهان » .

والمدهن ـ بضم الميم والهاء ـ : ما يجعل فيه الدهن ، وهو أحد ما جاء

على وزن ـ مفعل ـ من الآلة ، و قيل : للمكان الذى يستقر فيه ماء قليل مدهن تشبيهاً لذلك ، و من لفظ الدهن استعير الدهين للناقة القليلة اللبن و هى فعيل فى معنى فاعل أى تعطى بقدر ما تدهن به ، و قيل : بمعنى مفعول كأنه مدهون باللبن أى كأنها دهنت باللبن لقلته ، والثانى أقرب من حيث لم يدخل فيه الهاء ، و دهن المطر الارض بلّها بللاً يسيراً كالدهن الذى يدهن به الرأس ، و رجل دهين: ضعيف، يقال : أتيت بأمر دهين، وفحل دهين: لايكاد يلقح أصلا لقلة مائه .

الدهان : الأديم الاحمر أو ما يدهن به أو جمع دهن ، و بهذه المعانى فسّر قوله تعالى : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الرحمن : ٣٧) الدهان : الجلد الاحمر . الدهن ـ بالكسر ـ من الشجر : مايقتل به السباع .

الدهناء : الفلاة و عشبة حمراء والدهناء : موضع ببلاد تميم ، و موضع كله رمل، واسم دار الامارة بالبصرة ، والدهين : اللحى المدهونة ، والمدهّنون : قوم عليهم آثار النعيم .

فى القاموس و شرحه : دهن الرجل : نافق و هو مجاز ، و دهن رأسه و غيره دهناً و دهنة : بلّه ، والاسم الدهن بالضم و بالفتح : الفعل المجاوز ، و من المجاز دهن فلاناً اذا ضربه بالعصا كما يقال: مسحه بالعصا و بالسيف اذا ضربه برفق ، والدهنة ـ بالضم ـ : الطائفة من الدهن .

٩٤-النميمة-١٥٦٩

نمّ بفلان وعلى فلان ينمّ نماً ونميمة ـ من باب نصر نحو مدّ ، ومن باب ضرب نحو فرّ ـ: نقل عنه إلى غيره ما يسوئه ، ويوغر صدره عليه ،ويفسد الودّ بينهما، ويوقع الوحشة والشر بينهما .

ونمّ الحديث : أظهره بالوشاية ، ورفعه على وجه الاشاعة والافساد ، و نم الحديث : ظهر لازم ومتعد والاسم : النميمة والنميم .

وأصل النميمة : الصوت الخفى من حركة شيء أو وطء قدم ، والساعى

بالفتنة والوشاية يفعل ذلك فى غالب أمره فى خفية ، ويطلق النميم على الحديث الذى فيه الوشاية والافساد والاشاعة.

و يقال : فلان يمشى بالنميم و يسعى بالنميم اذا كان من شأنه نقل الحديث على وجه الافساد .

قال الله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين همازمشاء بنميم » القلم : ١٠-١١)

ونمّ بين الناس : أظهر بينهم الفساد ، ونمّ الكلام : زيّنه بالكذب ، و نمّ الشىء : سطعت رائحته .

نمّام - مبالغة - : قتات نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والافساد .

والنمام : نبت ينمّ عليه رائحته ، والنمنمة : خطوط متقاربة ، وذلك لقلة الحركة من كاتبها فى كتابه ، وثوب منمم : موشّى .

فى اللسان : النم : التوريش والاغراء ، ورفع الحديث على وجه الاشاعة و الافساد ، والنميمة : صوت الكتابة والنمّة: اللمعة من بياض فى سواد وسواد فى بياض ، والنمة : القملة ، وقيل : النملة .

١٠ - العتل - ٩٧٥

عتله يعتله عتلا - من بابى نصر وضرب - : أخذه بمجامعه و جرّه عنيفاً و جذبه بقهر ، وعتل فلاناً إلى السجن : حمله ودفعه دفعاً عنيفاً .

وعتل الناقة : أخذ من أصل زمامها فقادها بعنف ، وعتل إلى الشر أسرع .

العتل : الاخذ بقوة وشدة وجفاء ، والعتل : الشديد الخصومة ، والعتل : القوى الجافى الغليظ والشديد من كل شىء .

ورد من العتل والصفة غير الحسنة فى قوله تعالى : « فاعتلوه إلى سواء الجحيم» الدخان : ٤٧) وقوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » القلم : ١٣) العتل - بضمتين

مشددة اللام - : الاكول المنوع .

من الحسّى العتلة : حديدة كأنها رأس فأس عريضة فى أسفلها خشبة يحفر بها الارض و تهدم بها الحيطان ، والعتلة : الهراوة الغليظة من الخشب جمعها : عتل ، والعتلة : الناقة القوية التى لاتلقح .

داء عتيل : شديد ، والعتيل : الخادم والاجير ، وجبل عتلٌ : صلب شديد.

٢٩- الزنيم - ٦٤٦

زنم فلان لى هذا الخصم يزنمه زنماً - من باب ضرب - : بعثه ليخاصمنى .

الزنيم : الدعىّ فى النسب الملصق بقوم وليس منهم ، مأخوذ من زنمتى العنز ، و هما الهنتان المعلقتان فى حلقها واذنها ، ويقال : كبش زنيم : اذاكان له زنمتان وهما الحلمتان المعلقتان فى حلقه ، سمى الوليد بذلك لانه كان زيادة معلقة بغير أهله ، فانه كان دعيا فى قريش ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة من مولده .

قال الله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » القلم : ١٣) وهو العبد زلمة زنمة أى المنتسب إلى قوم هو معلق بهم لا منهم .

الزنيم : الوكيل .

الزنام - كغراب - الداهية ، والزلم - بفتحتين - : الزلم الذى خلف الظلف.

والزنم - ككتف - : الجمل الذى قطع من اذنه شىء فترك معلقا و كذلك من اذن الشاة ، وانما يفعل ذلك بكرام الابل والشاة .

والزنمة : اصلها : العلامة والتزنيم : سمة من سمات الابل .

والزنمة - محركة - : بقلة و ما يقطع من اذن البعير والشاة ، فيترك معلقاً .

والزنمة : شجرة لاورق لها كأنها زنمة الشاة ، والزنمة : نبتة سهيلية تنبت على شكل زنمة الاذن لها ورق وهى من شر النبات .

فى النهاية : الزنيم : و هو الدعىّ فى النسب الملحق بالقوم و ليس منهم تشبيهاً له بالزنمة وهى شىء يقطع من اذن الشاة ويترك معلقاً بها ، وهى أيضاً هنة مدلاّة فى حلق الشاة كالملحقة بها و منه حديث على وفاطمة عليهما السلام : « بنت نبى ليس بالزنيم »

٢٠ - الخرطوم - ٤٠٨

خرطمه يخرطمه خرطومة وخرطاماً - رباعىّ نحو دحرج -: ضرب أنفه ، وقيل : عوّجه وسكت على غضبه ، وقيل : رفع أنفه واستكبر مع رفع رأسه .

الخرطوم : الانف وهو أكرم موضع فى الوجه كما أن الوجه أكرم موضع فى الجسد .

قال الله تعالى : « سنسمه على الخرطوم » القلم : ١٦) أى سنجعل له علامة على أنفسه الذى هو أظهر مافى وجهه وأكرمه ، وذلك كناية عن عاريلزمه لا ينمحى عنه .

وخرطوم الفيل : ما يلفّه على الشىء الذى يريد أن يتناوله وسمى أنفه خرطوماً استقباحاً له .

والخرطوم : الخمر السريعة الاسكار ، وقيل : أول مايجرى من ماء العنب قبل أن يداس ، والخرطوم : السيف جمعه : خراطيم .

خراطيم القوم : ساداتهم ومقدموهم فى الامور ، وفى وصف أصحاب الدجال : « خفافهم مخرطمة » أى ذات خراطيم وأنوف يعنى ان صدورها ورؤسها محدّدة .

الخراطم : المرأة التى دخلت فى السّنّ .

اخرنطم الرجل : رفع أنفه واستكبر وغضب ، والمخرنطم : الغضبان المتكبر مع رفع رأسه .

الخرطمان - بالضم - الطويل الانف ، يقال : رجل خرطمانى : كبير الانف.

٢٥ - الصريم - ٨٥٥

صرمه يصرمه صرماً بفتح الصاد وضمها - من باب ضرب - : قطعه بائناً

الصرم : القطع مادياً كجذّ النخل وغيره قال الله تعالى : « اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين - فاصبحت كالصريم - ان كنتم صارمين » القلم : ١٧ و ٢٠ و ٢٢) أى عازمين على صرم النخل .

و الصرام : قطع الثمرة و اجتناؤها من النخلة ، يقال : هذا وقت الصرام والجذاذ .

الصرم : القطع معنوياً كالقطيعة والهجران ، و منه الحديث : « لا يحلّ لمسلم أن يصارم مسلماً فوق ثلاث » أى يهجره ويقطع مكالمته .

يقال : صرم فلاناً : هجره وقطع كلامه ، وصرم النخل : جزّه .

صرم يصرم صرامة - من باب كرم - صار ماضياً ، وصرم الرجل : عزم ، وصرم الحبل : انقطع ، وصرم فلان عندنا شهراً : مكث ، وصرم الرجل : افتقر ورجل صرامة : مستبد برأيه ، منقطع عن المشاورة .

ومن القطع المعنوى : الصريم : العزيمة ، والصارم : العازم على الفعل ، والصارم : القاطع ، والأسد ، والسيف القاطع ، ورجل صارم : جلد شجاع جمعه : صوارم .

والصريم : فعيل بمعنى مصروم أى مجذوذ ، والصريم : سواد محترقة كالليل والصريم : الارض السوداء التى لا تنبت شيئاً ، والصريم : الليل المسودّ . و بكل هذه المعانى يمكن تفسير الصريم فى استعمال القرآن الكريم .

الصريمة : إحكام الامر وإبرامه ، وفى الحديث : « ان الدنيا قد آذنت بصرم » أى بانقطاع وانقضاء ، ومثله : « تصرم شهر رمضان » أى تنقضى .

الصريم : القطعة من معظم الرمل ، ومنه قولهم : « هو أفعى صريم » أى حية

خبيثة ، والصريم : الارض المحصود زرعها ، يقال : هوصريم سحر على هذاالامر أى متعب حريص عليه ، ويقال : جاء صريم سحر أى خائباً آئساًبه .

الصيرم : المحكم الرأى والداهية .

الصرام - بفتح الصاد و كسرها - : أوان ادراك النخل - وبضمها وفتحها - من أسماءِ الحرب والداهية ، وآخر اللبن بعد التغريز اذا احتاج إليه الرجل حلبه ضرورة - وبضمها - القطيعة .

الصرّام - مبالغة - : بيّاع الجلد .

والصرم - بالفتح - : الجلد - و بالكسر - : الضرب والصنف والجماعة جمعه : أصرام ، والصرم : الخف المنعل ، والصرمة : القطعة من الابل نحو ثلاثين

الصرماء : المفازة لاماء فيها ، والناقة القليلة اللبن ، وقد تستعار للقدر .

الاصرمان : الصرد والغراب والليل والنهار والذئب .

المصرم : المكان الضيق السريع السيل ، والفقير الكثير العيال .

تصرّم الشيء : تقطع ، وتصرمت السنة : انقضت ، وتصرّم القتال : انقطع و سكن ، وانصرم الشتاء : مضى .

فى اللسان : الصرم : القطع البائن ، وعمّ بعضهم به القطع أىّ نوع كان .

٢١ - الحرد - ٣٠٩

حرده يحرده حرداً - من باب ضرب - : قصده ومنعه عن حدّة وغضب تقول للرجل : « حردت حردك » أى قصدت قصدك ، وحرد الخشب : ثقبه .

قال الله تعالى : « وغدوا على حرد قادرين » القلم : ٢٥) أى على امتناع من أن يتناولوه قادرين على ذلك ، وقيل : على قصد ، وقيل : على غضب و حقد أو على جدّ فى أمرهم .

يقال : نزل فلان حريداً أى متمنّعاً عن مخالطة القوم .

وفى حديث صعصعة : « فرفع لى بيت حريد » أى منتبذ متنح عن الناس .

والحرد : أن تثقل الدرع على الرجل ، فلم يستطع على الانتشاط فى المشى ، والمحرد من كل شىء: المعوج ، وتحريد الشىء : تعويجه كهيئة الطاق.

حرد عليه يحرد حرداً - من باب حسب - : غضب عليه ، وثقل الدرع عليه، وحرد عن قومه : اعتزل وانفرد ولم يخالطهم وتحول عنهم .

وحرّد الشىء - من باب التفعيل - : عوّجه كهيئة الطاق ، وحرّد الحبل: أدرج فتله فجاء مستديراً .

حاردت الناقة : قلّ لبنها إلى انقطع ، وحاردت السنة : قلّ مطرها ،وحاردت حالى : تنكّرت وتنكّدت .

أحرده : أفرده ، وانحرد : انفرد، وانحرد النجم : انقضّ ، وأحرد فى السير: أسرع .

الحارد : المجتمع الشديد المهيب الذى تظنه لعزّة نفسه غضبان ،جمعه: حوارد .

رجل حرد: منفرد عن الناس متنحّ والحريد : المعتزل المتنحىّ ،وكوكب حريد : معتزل عن الكواكب ، ورجل حريد : فريد وحيد .

الاحرد : البخيل من الرجال واللئيم . والحرد - بكسر الحاء - : قطعة من السنام .

الحردية : حظيرة من قصب .

ومن كلام الحق تعالى فيمن يظلهم الله فى ظل عرشه : «والذين يغضبون لمحارمى اذا استحلت كالنمر اذ احردت» نقل انها لاتملك نفسها عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبها أن تقتل نفسها .

فى التهذيب : الحرد : الجزم ، وحرد الرجل : اذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه وهمّ به .

وفي اللسان: الحرد : الجدّ والقصد والمنع والغيظ والغضب والبخل والحرد بكسر الحاء - : مبعر البعير والناقة ، جمعه : حرود ، وأحراد الابل أمعائها .

٢٢ - الزلق - ٦٣٩

زلق قدمه يزلق زلقا - متحركة - وزلقا - ساكنة اللام - من باب علم ونصر - زلّت رجله ، فلم تستقرّ ، وزلق قدمه بمكانه : ملّ منه ، فتنحّى عنه ، وزلق رأسه حلقه ، وزلق بدنه : دهنه بالادهان ونحوه .

الزلق : المكان الاملس تزلّ فيه القدم ، قال الله تعالى : فتصبح صعيداً زلقا» الكهف : ٤٠) أى أرضاً ملساء يزلق فيها أود حضاً لانبات فيها كقوله تعالى : « فتركه صلداً » البقرة : ٢٦٤)

الزلق : عجز الدابة ، و منه الحديث : « هدر الحمام فزلقت الحمامة » الزلق : العجز أى لما هدر الذكر ودار حول الانثى أدارت إليه مؤخرها .

أزلق فلاناً : أبعده عن مكانه ونحّاه وأزلّه ، وأزلقه : جعل يزلق ،أزلقني عن الطريق الاعوج : أبعدني ، والمزلق والمزلقة موضع تزلق فيه القدم .

مكان زلق - بالتحريك - الذى لاتثبت فيه القدم .

قال الله تعالى : « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم » القلم : ٥١) أى ان الذين كفروا ينظرون اليك نظراً شديداً يكاد يزيلك عن مكان أوليصيبوك بأعينهم فيزيلوك عن مقامك الذى جعله الله تعالى له .

تزلّق : تزيّن وتنعّم حتى يكون للونه . فى حديث الامام على عليه السلام :«انه رأى رجلين خرجا من الحمام متزلّقين » تزلّق الرجل اذا تنعّم حتى يكون للونه بريق وبصيص .

الزلق - ككتف : السريع الغضب، ومن ينزل قبل أن يجامع ، يقال:رجل زلق وزملق : وهو الذى ينزل اذاحدث المرأة من غير أن يدخلها . والزلقة

متحركة. :الصخرة الملساء . والزلّيق -بالضم والتشديد- :ضرب من الخوخ أملس ناقة زلوق : سريعة ، و المزلاق :الفرس الكثيرة اسقاط الولد و كذلك الناقة يقال : أزلقت الناقة : ألقت ولدها قبل تمامها .

والمزلاق : الذى يغلق به الباب ويفتح بلا مفتاح .

وفى الحديث : «كان اسم ترس النبى ﷺ الزلوق» أى يزلق عنه السلاح فلا يخرقه .



النحو

١- (ن والقلم وما يسطرون)

فى موضع «ن» وجوه : أحدها ـ النصب على تقدير إقرأ أواتل « ن » .

ثانيها ـ النصب أيضا على تقدير أقسم بنون ، فحذف حرف القسم ، فاتصل الفعل به فنصبه ، وعلى هذا فيكون قوله تعالى : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون» جواب القسم ثالثها ـ الجر على حذف المضاف أى إقرأ سورة « ن » أو هذه سورة « ن » .

« والقلم » الواو للقسم و«القلم» مجرور بها ، وقيل : مجرور بمضاف مقدر أى واقسم بأصحاب القلم . «وما» الواو للعطف وفى « ما » وجهان : أحدهما ـ موصولة أى واقسم بما يكتبه الملائكة مما يوحى إليهم أو بما يكتبونه من أعمال بنى آدم أو بما يكتبه بنو آدم، وعلى أى تقدير فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم. ثانيهما ـ مصدرية أى واقسم بالقلم و سطرهم ، فيكون القسم بالكتابة ، و على الاول كان القسم بالمكتوب فالعائد محذوف، وقيل: على تقدير: ومايسطرون به من الدواة.

٢- (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

« ما » من حروف تشبه بليس و « أنت » إسمها و « بنعمة ربك » متعلق بمحذوف ، و « بمجنون » خبر « ما » على زيادة الباء أى لست مجنونا يا محمد متلبساً بنعمة ربك ، أو كيف وأنت متلبس بنعمة ربك أو حصل أو ثابت لك نعمة ربك فقوله تعالى : « بنعمة ربك » كلام وقع بين الكلام وفى الباء فى « بنعمة » وجهان ؛ السببية والمصاحبة ، وتحتمل الالصاق ولكل وجه .

٣- (وان لك لأجراً غيرممنون)

فى الواو وجهان : العطف والاستيناف ، ومدخولها حرف تأكيد ،و«لك» متعلق بمحذوف خبراً لها ، و« لأجراً» اللام للتأكيد ، ومدخولها إسم ا «ان» و « غيرممنون » نعت من « لأجراً »

٤- (وانك لعلى خلق عظيم)

الواو للعطف ، ومدخولها حرف تأكيد ، وكاف الخطاب فى موضع نصب إسمها ، و « لعلى خلق »اللام للتأكيد ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبرها، و « عظيم » نعت من « خلق »

٥- (فستبصرويبصرون)

الفاء للنتيجة والسين للتسويف والفعل مضارع من باب الافعال ، خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم و « يبصرون » فعل مضارع لجمع الغيبة ، وضمير الجمع راجع إلى « المكذبين » الذين يأتى ذكرهم ، وهذا من باب الاضمار قبل الذكر .

٦- (بايكم المفتون)

فى الباء وجهان: أحدهما - بمعنى « فى » أى فى أيكم أوفى أى طائفة منكم أوفى أى الفريقين : فرقة الاسلام أم فرقة الكفر المجنون .

ثانيهما - زائدة و « أيكم » مبتداء و « المفتون » خبره والجملة متعلق بقوله تعالى : « يبصرون » لقربها منه ، وقيل : متعلق بالفعلين لتنازعهما فيها ، و قيل : متعلق بقوله : « فستبصر » لمكان التقدم ، و قيل : متعلق بمحذوف دل عليه المقام أى ستبصر ويبصرون بأيكم تتعلق الفتنة وبأيكم يتحقق وصف المفتون أو يتمثل شخصه .

وفى « المفتون » أيضاً وجهان : أحدهما - إسم مفعول بمعنى المصدر أى بأيكم الفتنة أو الفتون أى الجنون كما يقال : ماله معقول أى عقل .

ثانيهما - بمعناه أى المجنون .

٧- (ان ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين)

« ان » حرف تأكيد و « ربك » إسمها ، و « هو » مبتداء و « أعلم » خبره والجملة خبر لحرف التأكيد ، و « بمن » متعلق بـ « أعلم » و « من » موصولة و « ضلّ » فعل ماض صلة الموصول و « عن سبيله » متعلق بـ « ضل » و « هو أعلم بالمهتدين » عطف على ماقبله .

٨- (فلاتطع المكذبين)

الفاء تفريعية ، ومدخولها حرف نهى و « تطع » فعل مضارع خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من باب الافعال، مجزوم بحرف النهى مع حذف عين الفعل ، و«المكذبين» مفعول به .

٩- (ودوا لوتدهن فيدهنون)

« ودّوا » فعل ماض و «لو» مصدرية مع مابعدها فى موضع نصب مفعول به لـ« ودّوا » و« فيدهنون » الفاء تفريعية ، وقيل : سببية و مدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، وانما أثبت النون لكونه عطفاً على « تدهن » أوخبراً لمبتداء محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى : « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا » الجن : ٣١) أى فهو يخاف .

١٠- (ولاتطع كل حلاف مهين)

الواو للعطف و «لاتطع» عطف على « فلاتطع » و « كل حلاّف »مفعول به و « حلاف » مبالغة من الحلف و « مهين » نعت من « حلاف »

١١- (همازمشاء بنميم)

« هماز » مبالغة ـ نعت ثان ، و «مشاء » مبالغة نعت ثالث ، و « بنميم»متعلق بـ « مشاء » .

١٢- (مناع للخير معتد أثيم)

«مناع» مبالغة من «منع» نعت رابع، و «معتد» إسم فاعل من باب الافتعال

نعت خامس ، و « أثيم » نعت سادس .

١٣- (عتل بعد ذلك زنيم)

« عتل » من العتل وهو الفظ الغليظ الطبع نعت سابع ، و « زنيم » من الزنم وهو الذى لا أصل له ، نعت ثامن من « كل حلاف »

١٤- (أن كان ذامال وبنين)

فى «أن كان الخ» وجوه : أحدها ـ قراءة « أ أن كان » وهذا هو الواحد من إحدى وثلاثين موضعاً اجتمعت فيه الهمزتان المفتوحتان فى القرآن الكريم .

ثانيها ـ «إن كان» بهمزة واحدة بالكسر على الشرطية ، فجواب الشرط محذوف دلّ عليه « اذا تتلى » أى إن كان ذامال يكفر ثالثها ـ « أن كان » بهمزة واحدة بالفتح على المصدرية على تقدير : لان كان ذامال يكفر ، ولا يعمل فيه و«قال» لان ما بعد « اذا » لا يعمل فيما قبلها . رابعها ـ « أن كان » مفعول له ، تقديره : لانه كان ذامال وبنين ، واللام تتعلق بفعل محذوف وتقديره ، أيكفر أن كان ذامال ، ولا يجوز أن تتعلق بـ «تتلى» لان « اذا » مضافة إليه ، والمضاف إليه لا يعمل فى المضاف ولا فيما قبل المضاف ، ولذلك لا يجوز أن تتعلق بـ « قال » لانه جواب الشرط ، وجواب الشرط لا يعمل فيما قبل لفظ الشرط لان رتبته بعده ، فلا يعمل فيما قبله ، فوجب أن يقدر ما يتعلق به .

خامسها ـ على تقدير اللام للتعليل ، وهى متعلق بفعل محصل من مجموع الصفات الرذيلة المذكورة أى هو يفعل كذا و كذا لانه كان ذامال و بنين فبطر بذلك ، و كفر بنعمة الله تعالى ، وتلبّس بكل رذيلة خبيثة بدل أن يشكر الله على نعمته ، ويصلح نفسه سادسها ـ ان اللام تتعلق بقوله تعالى : «لا تطع» أى لا تطعه لكونه ذامال وبنين فلا يحملك كونه ذامال وبنين على طاعته .

١٥- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

« اذا » شرطية و « تتلى » فعل مضارع مبنى للمفعول ، و « عليه » متعلق :

«تتلى» والضمير راجع إلى «كل حلاف» و «آياتنا» جمع آية نابت مناب الفاعل و «قال» جواب الشرط، و «أساطير» خبر لمبتدإ محذوف أى هذه أساطير الاولين جمع اسطورة من منتهى الجموع اضيف إلى «الاولين».

١٦- (سنسمه على الخرطوم)

السين للتسويف، ومدخولها فعل مضارع من التكلم مع غيره، والضمير فى موضع نصب مفعول به، و «على الخرطوم» متعلق بفعل الوسم.

١٧- (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)

«انا» حرف تأكيد مع إسمها، و «بلونا» فعل ماض للتكلم مع غيره و «هم» فى موضع نصب مفعول به، والجملة فى موضع رفع، خبر لحرف التاكيد، و «كما» الكاف بمعنى مثل صفة لمفعول مطلق محذوف، و «ما» مصدرية أى بلاء مثل بلاء أصحاب الجنة، و «اذ» ظرف بمعنى حين، والعامل فيها «بلونا» و «أقسموا» فعل ماض من باب الافعال، و «ليصرمنها» جواب القسم والاصل ليصرمون، فأكّد بالنون، فحذفت واو الجمع ونون الرفع، و «مصبحين» حال من فاعل «ليصرمنها» لافاعل «أقسموا».

١٨- (ولا يستثنون)

ان الجملة حال ثانية من فاعل «ليصرمنها».

١٩- (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)

الفاء للنتيجة، ومدخولها فعل ماض، و «عليها» متعلق بـ «طاف» والضمير راجع إلى «الجنة» و «طائف» فاعل الفعل «وهم نائمون» الواو للحال و «هم» مبتداء و «نائمون» خبره، والجملة حال ثالثة من فاعل «ليصرمنها».

٢٠- (فاصبحت كالصريم)

الفاء للتعقيب، و مدخولها فعل ماض من باب الافعال من أفعال الناقصة، و «الصريم» فعيل بمعنى مفعول صفة لموصوف محذوف أى مثل الشىء المصروم،

والكاف خبر لفعل الناقص ،ولهذا لم يقل: كالصريمة كقولهم عين كحيل أى محكولة

٢١ - (فتنادوا مصبحين)

الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل ماض لجمع الغيبة من باب التفاعل ، و «مصبحين» حال من فاعل « تنادوا »

٢٢ - (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين)

« أن » تفسيرية و « اغدوا » فعل أمر بمعنى : أقبلوا لتعديته بـ « على » و « اغدوا » فعل تام بمعنى : ذهبوا وقت الغداة .

٢٣ - (فانطلقوا و هم يتخافتون)

الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل ماض لجمع الغيبة من باب الانفعال ، و « وهم يتخافتون » الواو حالية ، و « هم » مبتداء و « يتخافتون » مضارع من باب التفاعل خبره والجملة حال من الضمير فى « فانطلقوا » .

٢٤ - (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)

« أن » تفسيرية ، و « لا يدخلنها » فعل مضارع مجزوم بحرف النهى، و نصب الفعل لتأكده بالنون ، و ضمير التأنيث فى موضع نصب ، مفعول به ، و « اليوم » منصوب على الظرفية ، و « مسكين » فاعل الفعل .

٢٥ - (و غدوا على حرد قادرين)

« غدوا » فعل ماض لجمع الغيبة ، و « على حرد » متعلق بـ « قادرين » و « قادرين » حال لفاعل « غدوا » و قيل : « على حرد » فى موضع نصب حال من فاعل الفعل أى وغدوا حاردين قادرين ، وقيل : « قادرين » خبر لـ « غدوا » لانه بمعنى أصبحوا . ومتعلق «قادرين» محذوف أى قادرين على حيازة ثمار جنتهم و يكون « قادرين » من باب « هدياً بالغ الكعبة » اذ قال فى موضع آخر : « و ظن أهلها انهم قادرون عليها » يونس : ٢٤) أى : على جناها و ثمارها عند أنفسهم فحذف الجار لتقدم ذكره فى الكلام .

٢٦ - (فلما رأوها قالوا انا لضالون)

الفاء تفريعية ، ومدخولها اذا دخلت على الماضى ترد لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى ، و يقال فيها : انها حرف وجود وجود او وجوب لوجوب ، و « رأوها » ليس من أفعال القلوب لكونه بمعنى رؤية البصر ، والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، و « قالوا » جواب ا« لما » وحرف التاكيد مع إسمها وخبرها مقول القول .

٢٧ - (بل نحن محرومون)

« بل » حرف إضراب ، وهى فى المقام للانتقال من غرض إلى غرض آخر ، و « نحن » مبتداء و « محرومون » خبره .

٢٨ - (قال اوسطهم الم اقل لكم لو لا تسبحون)

«قال» فعل ماض ، و «أوسط» فاعل الفعل اضيف إلى ضمير أصحاب الجنة ، والهمزة استفهام انكارى ، و « لولا » بمعنى « هلا » و « تسبّحون » فعل مضارع لجمع الخطاب من باب التفعيل .

٢٩ - (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين)

«قالوا» فعل ماض لجمع الغيبة ، والقائلون هم أصحاب الجنة ، و «سبحان» مصدر صار علماً للتنزيه مع افتقاره إلى الاضافة ، و امتنع صرفه للتعريف و زيادة الألف والنون ، والباقى طاهر .

٣٠ - (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون)

الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل ماض من باب الافعال و « بعضهم » فاعل الفعل و « يتلاومون » فعل مضارع لجمع الغيبة من باب التفاعل .

٣١ - (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين)

« ويل » كلمة تفجّع تنبىء عن التحسر لضرّ نزل .

٣٢ - (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون)

« عسى » من أفعال المقاربة يرد « عسى » لدنو الخبر إلى فاعله رجاءاً ، و « ربنا » فاعله و « أن يبدلنا » فعل مضارع من باب الافعال منصوب بـ «أن» وضمير التكلم مع غيره في موضع نصب ، مفعول به الاول ، والجملة في موضع نصب خبر لـ «عيسى» و «خيراً» مفعول ثان ، و ضمير «منها» راجع إلى الجنة و « الى ربنا » متعلق بـ « راغبون » و « راغبون » خبر لحرف التأكيد .

٣٣ - (كذلك العذاب و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

« كذلك» خبر مقدم ، و «العذاب» مبتداء مؤخر ، واللام في «لعذاب الاخرة» للتأكيد ، ومدخولها مبتداء ، و «أكبر» خبره والجملة في موضع الجزاء لـ «لو» قدمت على شرطها ، و « يعلمون » في موضع نصب خبر لـ «كانوا» .

٣٤ - (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم)

« ان » حرف تأكيد و « للمتقين » متعلق بمحذوف خبراً لها ، و «جنات» اسمها ، وفي «عند ربهم» وجوه : أحدها - متعلق بـ « جنات » ثانيها - في موضع نصب حال من « جنات » ثالثها - متعلق بما تعلق به « للمتقين » فيكون ظرفاً للاستقرار .

٣٥ - (افنجعل المسلمين كالمجرمين)

الهمزة للاستفهام الانكاري ، والفاء للعطف ، و قدمت الهمزة عليها تنبيهاً على أصالتها في التصدير ، و « نجعل » فعل مضارع للتكلم مع غيره ، و «المسلمين» مفعول به الاول و ان كلمة «المسلمين» هي أوّل مرة جائت في هذه السورة علماً على المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين تجرّدوا عما سوى الله وحده وتحرّروا من الخضوع لغيره و أسلموا وجههم و أنفسهم و انقادوا الله تعالى و لزموا حدوده جل و علا . و «كالمجرمين» في موضع نصب مفعول ثان .

٣٦ - (مالكم كيف تحكمون)

« ما » في موضع رفع على الابتداء و « لكم » متعلق بمحذوف خبره أي

أيّ شيء جرى لكم ، وفي « كيف» وجهان : أحدهما ـ في موضع نصب على الحال من فاعل «تحكمون» أي أجائرين تحكمون أم عادلين . ثانيهما ـ في موضع نصب على المفعول المطلق معناه : أيّ حكم تحكمون ، و « تحكمون » في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في « لكم »لان معنى قوله:« مالكم »أي شيء ثبت لكم .

٣٧ ـ (أم لكم كتاب فيه تدرسون)

« أم » منقطعة و « لكم » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « كتاب » مبتداء مؤخر ، و « فيه » متعلق بـ « تدرسون » والجملة نعت من « كتاب» .

٣٨ ـ (ان لكم فيه لما تخيرون)

كسرت همزة «ان» لمكان اللام في « لما » و لولاها لكانت مفتوحة لان « ان » ومعموليهما مفعول لـ «تدرسون» وهو كقولك : علمت ان في الدار لزيداً ، و «ما» موصولة في موضع نصب ، اسم لحرف التأكيد ، و «لكم» متعلق بمحذوف ، خبرها و « فيه » متعلق بـ « تخيّرون » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب التفعل على حذف إحدى التائين ، والجملة صلة الموصول ، والعائد هو الضمير في « فيه » .

٣٩ ـ (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)

«أم» منقطعة للاضراب ، و « لكم » متعلق بمحذوف خبر مقدم . و «أيمان» جمع يمين خبر مقدم ، و « علينا » متعلق بـ «أيمان» و «بالغة» نعت من «أيمان» و « الى يوم القيامة » متعلق بـ « بالغة » و قيل : متعلق بمحذوف أي لكم علينا ايمان كائنة إلى يوم القيامة .

كسرت «ان» لوجهين : أحدهما ـ لمكان اللام في «لما» وثانيهما ـ لتقدم القسم عليها ، و هي تكسر في جوابه .

٤٠ ـ (سلهم أيهم بذلك زعيم)

« سل » فعل أمر خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ضمير الجمع في موضع

نصب ، مفعول به ، و «أيهم» مبتداء و «بذلك» متعلق بـ«زعيم» و هو خبره .

٤١ - (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

«لهم» متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و «شركاء» مبتداء مؤخر ، و «فليأتوا» الفاء جزائية ، ومدخولها فعل أمر لجمع الغيبة ، مجزوم بلام الامر، و«بشركائهم» متعلق بفعل الاتيان، والجملة فى موضع الجزاء للشرط الآتى قدمت لرعاية الفواصل.

٤٢- (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون)

فى « يوم » وجوه : أحدها ـ منصوب على الظرفية عاملها قوله تعالى : « فلياتوا » أى فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم ثانيها ـ على تقدير : اذكر يوم . ثالثها ـ عاملها قوله تعالى : « خاشعة » و « يكشف » فعل مضارع مبنى للمفعول و « عن ساق » ناب مناب الفاعل ، و « يدعون » فعل مضارع لجمع الغيبة مبنى للمفعول و « إلى السجود » متعلق بـ« يدعون » و « فلا يستطيعون » الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة منفى بحرف النفى من باب الاستفعال .

٤٣ - (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون)

«خاشعة» حال من فاعل «فلا يستطيعون» أو من ضمير «يدعون» و «أبصارهم» جمع البصر ، مرفوع بـ« خاشعة » و « ترهقهم » فعل مضارع والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، و « ذلة » فاعل الفعل ، و فى موضع الجملة وجوه : أحدها ـ رفع نعتاً من «أبصارهم» ثانيها ـ نصب على الحال من ضمير «يدعون» أو «يستطيعون» ثالثها ـ لاموضع لها من الاعراب لكونه مستأنفة . « وقد كانوا » الواو حالية و مدخولها للتحقيق و«يدعون» فى موضع نصب، خبراً لفعل الناقص والجملة حالية ثالثة و « و هم سالمون » حال رابعة .

٤٤- (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)

الفاء تفريعية ، و « ذر » فعل أمر ، والنون للوقاية ، والياء للتكلم ، وفى « ومن » وجهان : أحدهما ـ الواو للعطف و « من » فى موضع نصب ، عطف على ضمير التكلم . ثانيهما ـ الواو للمعية ، و « من » مفعول معه ، و « يكذّب » فعل مضارع من باب التفعيل ، و «بهذا الحديث» متعلق بفعل التكذيب و «سنستدرجهم» السين للتسويف ، و مدخولها فعل مضارع للتكلم مع غيره ، و ضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول به ، و «حيث» مبنى على الضم تشبيها لها بقبل وبعد فى الاضافة إلى المفرد ، فمنعت عنها كما منعتا عنها ، فاضيفت إلى «لايعلمون» على حذف المفعول به أى لايعلمونه .

٤٥ ـ (و املى لهم ان كيدى متين)

الواو للعطف و « املى » فعل تكلم وحده من المضارع من باب الافعال ، و « لهم » متعلق بفعل الاملاء ، و «ان» حرف تأكيد و « كيدى» إسمها و «متين» خبرها .

٤٦ ـ (ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون)

« أم » منقطعة ، و « تسئلهم » فعل مضارع خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول به الاول ، و «أجراً» مفعول ثان ، و « فهم » الفاء للتفريع ومدخولها مبتداء و «من مغرم» متعلق بـ «مثقلون» وهو خبر المبتداء.

٤٧ ـ (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

« عندهم » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « الغيب » مبتداء مؤخر ، و « فهم » الفاء تفريعية ، و مدخولها مبتداء و « يكتبون » خبره .

٤٨ـ (فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر ، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و « لحكم ربك » متعلق بفعل الصبر ، و فى اللام وجوه : أحدها ـ بمعنى « على » ثانيها ـ بمعنى « عند » ثالثها ـ بمعنى « إلى » و « ولاتكن كصاحب الحوت » عطف على

« فاصبر » من باب عطف النهى على الامر، و « وهو مكظوم » الواو للحال والجملة حالية من « صاحب الحوت » .

٤٩ - (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم)

« لولا » اذا دخلت على الجملة الاسمية كانت لربط امتناع الثانية بوجود الاولى، و «أن» حرف مصدرية تنسبك مع مدخولها بالمصدر و «تداركه» فعل ماض من باب التفاعل ، والضمير فى موضع نصب مفعول به و «نعمة» فاعل الفعل . وجاء الفعل بالتذكير لان تأنيث «نعمة» غير حقيقى ، ويحتمل أن تكون «نعمة» بمعنى النعيم ، و « لنبذ » اللام للتاكيد ، ومدخولها فعل ماض ، مبنى للمفعول ، و « بالعراء » ناب مناب الفاعل ، و « و هو » الواو للحال و « هو » مبتداء و « مذموم » خبره والجملة حالية من صاحب الحوت .

٥٠ - (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)

الفاء تفريعية ، ومدخولها فعل ماض من باب الافتعال ، والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، و « ربه » فاعل الفعل ، و « فجعله » الضمير فى موضع نصب مفعول به الاول ، و « من الصالحين » فى موضع نصب ، مفعول ثان .

٥١ - (و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون)

« إن » مخففة من الثقيلة ، و « يكاد » فعل مضارع من أفعال المقاربة ، يرد لدنو الخبر إلى فاعله حصولاً ، و « الذين » موصولة فى موضع رفع على الفاعلية ، و « كفروا » صلة الموصول ، و «ليزلقونك» اللام للتاكيد و مدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة من باب الافعال فى موضع نصب على الخبرية ، و كاف الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و «لما» بمعنى «حين» و«الذكر» مفعول به ، و «يقولون» عطف على «ليزلقونك» و « انه » الضمير فى موضع نصب ، اسم لحرف التأكيد ، و « لمجنون » اللام للتوكيد ، و مدخولها خبر لـ«ان» والجملة مقولة القول

والاية بتمامها فى موضع الحال من فاعل « فاصبر » .

٥٢ - (و ما هو الا ذكر للعالمين)

« ما » من حروف تشبه بليس ، و «هو» إسمها ، و « ذكر » خبرها ، و لم تعمل « ما » لكلمة الاستثناء .



﴿البيان﴾

١- (ن والقلم وما يسطرون)

قسم رباني بالقلم وما يكتب به الكاتبون أو ما يكتبونه ، و فيه دلالة على عناية خاصةلله تعالى بهما، وخاصة على القول بان «ن» إشارة إلى النبوة، حيث ان القلم والكتابة أو المكتوب عنصران أساسيان فى النهوض بمهمة القيادة الصالحة الرشيدة السماوية ، أقسم الله جل وعلا بهما ، ففيه تنويه مليح بقيمة الكتابة ورفعة قدرها، كما يدل على ذلك افتتاح الوحى وبزوغ الرسالة بالعلم والقلم إذ قال: « إقرأ باسم ربك الذى خلق - الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » العلق : ١-٥)

و من غير خفى : ان الأيمان الربانية أسلوب قرآنى مألوف كثير الورود والصور بسبب كون الأيمان أسلوباً تخاطبياً مألوفاً ، وقد تنوع المقسم به تنوعاً كبيراً اذ شمل مشاهد الكون السماوية والارضية و موجوداته الحية والجامدة واموره المادية والمعنوية . . . غير ان الذى يتبادر من المقسم به وأسلوب القسم ان ذلك مماله خطورة فى أذهان الناس او واقع حياتهم ، سواء أكان ذلك بسبب ما فيه من عظمة مشهد وروعة مظهر وقوة صورة ، أم بسبب ما يثيره من معان وآثار نفسية ، أم بسبب ماله من نفع عظيم ، أو بسبب ما يتصل به من عادات وتقاليد و مفهومات ، وان مما هدفت إليه الاقسام التوكيد واسترعاء الأذهان والأسماع لما يأتى بعد القسم من تقريرات متنوعة الاهداف والمعارف و الحكم والاسرار والمعانى . . .

والاتساق قائم فى القسم هنا ، لانه جمع بين الكتابة و أدواتها من القلم

والدواة و و و .

ويلاحظ اتساق موضوعى عظيم الشأن فى صدد التنويه بالكتابة والقراءة والعلم بين مجموعتى آيات ، هما أول ما يروى نزوله من القرآن أى آيات سورة العلق الاولى ، وهذه الايات مما ينطوى على روعة سامية ، و علـى قصد الدلالة على خطورة الكتابة والقراءة والعلم فى الحياة الانسانية .

وان التفاهم يحصل بالكتابة كما يحصل بالبيان ، وان القلم و ما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الالهية التى هدى الله تعالى إليها الانسان، فيضبط الحوادث الغائبة عن الانظار والمعانى المستكنّة فى الضمائر، وبه يتيسّر للانسان أن يستحضر كل ماضرب مرور الزمان أوبعد المكان دونه حجاجاً ، وقد امتنّ الله جل و علا على الانسان بهدايته إليهما وتعليمهما له ، فقال : « علم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم » العلق : ٤ ـ ٥)

و بالقلم تتهذّب النفوس ، وترقى الشئون الاجتماعية والعمرانيـة أكثر بالبيان والعبارة ، وبالقلم منافع الخلق ، فانه أحد لسانى الانسان يؤدّى عنه ما فى جنانه ، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه ، و به تحفظ أحكام الدين ، وبه تستقيم امور العالمين .

فلا ينبغى أن لا يكتب كاتب بالقلم ـ وهذه قيمتها ورفعة قدرها ـ إلاّ ما كان من الحق والخير والصلاح له والاجتماع البشرى ، ولا يكتب به إلاّ ما كان دعوة إلى الحق والهدى ، دعوة إلى النور والايمان ، دعـوة إلى السعادة والكمال ، و توجيها إلى خير وسلام . . . فانه أداة تسجيل العلوم والمعارف والحكم والاسرار وحفظها ، وهو ينقل عن الانسان نتاج تفكيره ، وثمرات عقله ، ويقيم له بهذا ذكراً خالداً فى الحياة بقدر ما يحمل القلم عنه من خير و ما ينشر من نفع ، فكان لهـذا جديراً بأن يصان من أن يخطّ باطلاً او يسجل لغواً .

قوله تعالى : « يسطرون » فى ايثار المضارع والجمع دلالة على أن الحكم

مستمر المدى فى المجتمع البشرى . . .

٢- (ماأنت بنعمة ربك بمجنون)

جواب القسم رد على نعت المشركين للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون من جهة كما فى آخر السورة : « و يقولون انه لمجنون » ففى الاية تكذيب لهذه التهمة المحمومة الحمقاء التى كان المشركون يرمون بها رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم انجاءهم بآيات الله تعالى ، فيقول لهم : انه رسول الله ، وانه يتلقى آيات الله التى يحملها إليه رسول الوحى جبرئيل عليه السلام . . فقدهالهم هذا الامر ،واستعظموه ورأوا أن القول به لايكون من عاقل لانه لايقع فى تصورهم أن يكون إنسان على اتصال بعالم السماء و برب السماء !

وان اتصال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى ، ومخاطبة الملك له ، يعنى عندهم أمراً مستحيلا أشبه بمن يقول لهم : إنى أنا الذى أرسيت هذه الجبال بيدى ، فلا يرون فى قائل هذا القول الا انه يهذى هذيان الخمور أو المحموم او المجنون،.. والباء فى « بنعمة ربك » متعلق بمضمر هو حال من الضمير فى خبر «ما» والعامل فيها معنى النفى كأنه قيل : أنت برىء من الجنون متلبساً بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة ، والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الاضافة إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم لتشريفه صلى الله عليه وآله وسلم والايذان بانه جل وعلا يتم نعمته عليه ، ويبلغه من العلو إلى غاية لاغاية وراءها ، والمراد تنزيهه صلى الله عليه وآله وسلم عماكانوا ينسبونه صلى الله عليه وآله وسلم إليه من الجنون حسداً و عداوة ومكابرتهم مع جزمهم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم فى غاية الغايات القاصية ، و نهاية النهايات النائية من حصانة العقل و رزانة الرأى .

وأما النكتة فى زيادة الباء فى « بمجنون » فلعلها حاجزة بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبين إسناد الجنون إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، و هذا الجنون ، و إن كان واقعاً تحت حكم النفى المسلط على المبتداء : «أنت» إلا أنه هو حقيقة ثابتة لم يتناولها النفى

الذى وقع على المبتداء : « ما أنت »

فالمنفى عنه الجنون هنا هوشخص النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أما الجنون ذاته فان نفيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انما جاء تابعاً للمنفى الواقع على ذات النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المقام : « ماأنت » أى لست أنت الذى يوصف بهذا الوصف ، بل غيرك هو المجنون من هؤلاءِ الذين باعوا عقولهم فى سوق الغواية والضلال ، وهذا المعنى وإن كان يتحقق مع عدم ذكر حرف الجر بأن يجيىء النظم هكذا : « ماأنت مجنون» فان فيه مواجهة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصفة التى هى أبعد الصفات منه صلى الله عليه وآله وسلم انها داء خطير يتناول وجود الانسان ، ويذهب بكل معالم انسانيته ، و لهذا جاء مع نفى تلك الصفة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذه المباعدة المادية و بينه و بينها ، فقام ، حجاز بينه بقوله تعالى : « بنعمة ربك » ثم قام حجاز آخر بحرف الجر « الباء » « بنعمة ربك » .

وفى هذا كله ما يؤكد تلك الحقيقة التى جاءت الاية الكريمة لتقريرها ، وهى بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم - بعداً معنوياًوحسياً - عن أن يلم بحماه الكريم شىء يمس عقله فى سلامته و كماله .

و قوله تعالى : «بنعمة ربك » إما أن يكون جملة معترضة بين المبتداء والخبر ، يراد بها الاشارة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نعمة سابغة من ربه ، و هو بهذه النعمة معافى من كل عارض سوء يعرض له فى عقله أو روحه أوقلبه ، فهذا أشبه بمن يقال له : أنت - بحمدالله - فى عافية أوأنت - ولله الحمد - فى أمان . .

و إما أن يكون قوله تعالى : « بنعمة ربك » متعلقاً بمحذوف حال من الضمير المستكن فى قوله تعالى : « بمجنون » أى ماأنت بمجنون ،والحال أنك محفوف بنعمة ربك . . وفى الاية تطمين وتثبيت من جهة اخرى ودفع عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كل إختلال عقلى حتى تستقيم الهداية الالهية اللازمة فى نظام الحياة الانسانية.

٣- (وان لك لاجراً غيرممنون)

وعد جميل من الله تعالى للنبى ﷺ بالاجر العظيم المتصل بلاإنقطاع عنه أبداً جزءاً لجهاده وصبره على مايلقى من أذى قومه، وسفاهتهم عليه، وتنويه بقدر النبى الكريم ﷺ ورفع لمقامه عندربه.

والمعنى: وان لك يا محمد ﷺ لاجراً عظيماً غير مقطوع من الله تعالى لايجرى ببيان ولايدرك كنهه على قيامك بمهمتك العظمى، وماتتحمله فى سبيل دعوة الناس إلى الحق والكمال، إلى النور والهدى، إلى الخير و السعادة، و إلى العزة والجنة من الأذى جسماً وروحاً.

و فى الاية تطييب لنفسه الكريم ﷺ، و دلالة على أن هذه المنزلة الرفيعة. وهذا المقام الشامخ، و ذاك الاجر العظيم ينال بها النبى ﷺ -وان كانت فضلا من الله جل وعلا- محسوبة من كسب النبى ﷺ و سعيه المحمود المبرور عندربه.

٤- (وانك لعلى خلق عظيم)

ثناء من الله تعالى على خلق رسول الله الخاتم ﷺ بهذا الاسلوب البليغ التوكيدى، و وصفه بالعظمة رائع كل الروعة، يتضاءل أمامه كل ثناء، ووصف وتكريم وبشرى، وماجاء فى الروايات الكثيرة من وصف شخصيته بأوصاف تكاد تخرجه عن نطاق البشرية التى وردت عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام تقصر الافهام عن إدراك ماكان ﷺ عليه من خلق عظيم، ومافى نفسه من صفاء، و مافى قلبه من ايمان واخلاص جعله أهلاً لاصطفاء الله جل وعلا و عناية خاصة به فاجتباه خاتم رسله، اذ استولى على كل خلق من أحسن الاخلاق الفاضلة وامتزج به لايزعه عنه وازع.

وذلك لان الاية من أوائل الايات النازلة على النبى الكريم ﷺ، وهذا يعنى ان الخلق العظيم الذى كان عليه النبى ﷺ واستحق به هذا الثناء البليغ الربانى قدكان مماتحلّى به قبل البعثة، وهذا هو الذى أهلّه للاصطفاء والمهمة

العظمى وختم الرسالة السماوية ...

قيل : تقرير لما تضمنه قوله تعالى : « وان لك لاجراً غير ممنون» فهذا الاجر غير الممنون هو ثمرة لهذا الخلق العظيم الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الوصف الكريم من الله جل وعلا حسبه بهذا شرفاً وعزاً حيث توجه ربه سبحانه بتاج الكمال كله إذ ليس بعد حسن الخلق حلية تتحلى بها النفوس أو تاج تتوّج به الرؤس . . ففى مغارس الخلق الحسن كانت رسالات المرسلين ، ومن أجل حماية هذه المغارس ، واطلاع ثمرها كانت دعوة الرسل، وكان جهادهم الذى توّج بدعوة سيد الرسل وجهاد خاتم النبيين ...

وفى هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وفى الاية رمز إلى أن الاخلاق الحسنة لا تكون مع الجنون ، و كلما كان الانسان أحسن أخلاقاً كان أبعد من الجنون ، و دلالة على تكذيب المعاندين لان المجنون لاخلق له يحمد أو عليه يعتمد ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم كان من حسن الخلق المتشابه بحيث كان مجمع أخلاق سائر الانبياء ، وكان يوجد فيه ما كان متفرّقاً فيهم ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : « فبهداهم اقتده » أى اقتد بكل منهم فيما اختصّ به من الخلق الكريم .

إن تسئل : لما ذا قال الله تعالى : « انك لعلى خلق عظيم» ولم يقل : « ان لك خلقا عظيما » حيث ان الانسان قد يملك خلقاً بالتخلق والحوادث الواقعة... ثم يفقده ؟ .

تجيب : ان قوله جل وعلا : « لعلى » يلهمنا بعلو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على خلقه العظيم علواً مؤكداً لا يزول كما تشير إلى ذلك حرفا التاكيد: « إن - ل » فقد مزجت الخلق العظيم ذاته لحدّ لن تنفصل عنها بعصمة و عناية خاصة ربانية ، فقد كان خلقه العظيم مزيجاً بقلبه المنير و روحه الرفيعة ، و حقيقته العالية ظاهراً فى أعماله وقالبه فهو صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الناطق : « أنا القرآن والسبع

المثاني و روح الروح لاروح الأواني » فكيف لايكون خلقه عظيما ، وقدتجلّى الله لسرّه بأنوار أخلاقه كما يمكن للممكنات ، وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق، فليكن هو على تمامها قبل تتميمها للناس ، فلم يبق بعد هذه البعثة الا خلاقية سفساف أخلاف أبداً إذ أبان لنا عن مصارفها كلها ...

وبما ان مادة الخلق من الخلق، فلتكن كما الخلق كأنها من كيان الانسان مخلوقاً معها ، وليست الاّ بسعيه الجميل بين عنايتين إلهيتين : فطرة الحق ، و تأييد الله لمن يتبنا الفطرة فى استزادة من الخلق الطيبة ثم علوه صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الخلق كأنه يجعله أعمق من ذاته ، وأبقى كأنه هو الخلق العظيم لاغيره .

٥- (فستبصر و يبصرون)

تعريض بالمشركين المعاندين كأبى جهل وأبى سفيان والوليد بن المغيرة و أذنابهم فى طوال الاعصار كقوله تعالى : « سيعلمون غداً من الكذاب الاشر » و وعيد شديد عليهم بما يحلّ بهم من النكال والوبال والعذاب فى الحياة الدنيا، ولعذاب الاخرة أشد و أبقى ، وتقريع على محصل ماتقدم ، من نفى الجنون عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و تلبسه بالرسالة السماوية ، و تخلقه بالخلق العظيم ، و استحقاقه الاجر لايدرك كنهه ولايجرى بلسان أحد ، ولا يخطر بقلب ولا يرى بعين ... وتثبيت للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً .

٦- (بأيكم المفتون)

استفهام اريد به الترداد بين أمرين : نفى الحكم معلوم عن أحدهما ، و تعيين وجوده للاخر إذ أخذ بعضهم يعيره صلى الله عليه وآله وسلم بانه مفتون ضال خارج عن دين آبائه ، وتقاليدهم ، فردّ الله تعالى عليهم بان الحق لن يلبث أن يظهر و يعرف من هو المفتون .

ولعل النكتة فى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب تثبيت ماكانوا يرمون به النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنفسهم ، و تفضيح لما هم فيه من ضلال ، وانه سيأتى يوم ينكشف

فيه سوء حالهم وخبث سريرتهم، ويرون فيه فساد أعمالهم، كماسيرون ماكان عليه ضلالهم فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفى مقولاتهم الباطلة فيه صلى الله عليه وآله وسلم.

و المعنى: فستبصر أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم و سيبصر أيكم أيهاالمشر كون كان الشيطان متلبساً بكم مستولياً عليكم مالكا بزمامكم؟...

و النكتة فى زيادة الباء بين الغيبة و الخطاب من كونها حاجزة وصلة بينهما مالايخفى.

٧- (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

خطاب إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم منطو على التثبيت بان ربه هو الاعلم بمن هو ضال حقاً، ومن هو مهتد حقاً، وتعليل لما ينبىء عنه ماقبلهمنظهور جنونهم بحيث لايخفى على أحد، وتأكيد لما تضمنه من الوعد و الوعيد، وفى ايثار كلمة «رب» مكان «الله» وإضافتها إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم مالايخفى على المتأمل الخبير.

وقوله تعالى: «وهو أعلم بالمهتدين» فى إعادة «هو أعلم» زيادةتقرير.

٨- (فلاتطع المكذبين)

الفاء لترتيب النهى على ماينبىء عنه ماقبله من اهتدائه صلى الله عليه وآله وسلم و ضلالهم أو على جميع مافصل منأول السورة، وفيه تهييج والهاب للتصميم علىمعاصاتهم ومعاداتهم والتشديد فى مخالفتهم حين وعده صلى الله عليه وآله وسلم الله تعالى العز و الرفعة فى الدارين و أوعد أعداءه بضد ذلك و كان علمه تعالى شاملاً بحال الفريقين و جزائهما لم يبق لطاعة الاعداء وجه.

أى دم على ما أنت عليه صلى الله عليه وآله وسلم من عدم طاعتهم، وتصلب فى ذلك أو نهى عن مداهنتهم، و مداراتهم باظهار خلاف مافى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم استجلاباً لقلوبهم لاعن طاعتهم حقيقة كما ينبىء عنه قوله تعالى: «ودّوا لو تدهن الخ»

ففى هذا النهى جواب على قوله تعالى: «بايكم المفتون» إذحذّر النبى

الكريم ﷺ من اتباع سبيل هؤلاء الضالين المفتونين أو يستمع لهم.. فهو على هدى وهم على ضلال ، وهو على ايمان وهم على كفر، وهو على نور وهم على ظلمات، و هو على حق ، وهم على باطل . . . ففيه من التعليل على طريق تعليق الحكم مالا يخفى .

٩- (ودوا لو تدهن فيدهنون)

حكاية لرغبة زعماء المشركين ، وتمنيهم في ملاينة النبي ﷺ معهم و مجاراته لهم حتى يقابلوه بالمثل ، ولقد كان رسول الله ﷺ منذ البدء - وظل - شديد الحب على هداية قومه شديد الحزن من انقباضهم عن دعوته و بخاصة الزعماء لانهم يسدون الطريق أمام السواد الاعظم من العرب ، إذ كان بعضهم يستغلون هذه العاطفة و يعرضون عليه مباشرة او بواسطة عمه أبي طالب بعض العروض والاقتراحات بسبيل تبادل الملاينة والمسايرة .

هذا وجنوح الزعماء إلى طلب المداهنة والملاينة من النبي الكريم ﷺ ووعدهم بالمقابلة بالمثل منذ عهد مبكر واستمرارهم على ذلك يدل على أنهم لم يكونوا يجدون في أنفسهم من القوة ما يستطيعون به إرغامه على الكف عن دعوته ، والاعتدال في تنديداته وحملاته كما يدل على ان النبي ﷺ كان لديه من الجرأة والقوة الروحية والاستغراق في الله تعالى ما يجعله غير مبال بما كان عليه الزعماء من قوة ومال و كثرة ،وما يجعله يظل يقذف بنذر القرآن وحملاته في وجوههم ويقرع بها آذانهم منذ بدء الدعوة ، و يدل في الوقت نفسه على أن الزعماء يعرفون ذلك ، وفي هذا مافيه من العظمة وبليغ الاسوة .

وان الاية في موضع تعليل للنهي أو للانتهاء ، و انما عبر عن الملاينة بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور « فيدهنون » يسامحونك في بعض الامور إذ أخذ بعضهم يقترح على النبي ﷺ أن يلاين، فيلاينوا بالمقابلة والملاينة التي طلبوها على ما ورد عدم تسفيه أحلامهم

وسب آلهتهم ومشاركتهم فى تقاليدهم وعباداتهم، والملاينة التى وعده بها هى تركه وشأنه أو مجاراته فى بعض ما يدعو إليه وكان بعضهم يحلف له الايمان على ذلك فأمرته ﷺ الايات بعدم تصديقهم وعدم طاعتهم لانهم كاذبون .

وقيل : ان الاية الكريمة تقرير للمدخل الخبيث الذى أراد المشركون أن يدخلوا على النبى الكريم ﷺ منه ليخادعوه به - وقد أبوا أن يستجيبوا للنبى ﷺ وأعياهم الوعد والوعيد معه أن يحولوه عن موقفه - فهم يجيئون إليه ﷺ بتلك الدعوة الخبيثة الماكرة ، وهو أن يدارى أمره عنهم، فلا يذكر آلهتهم بسوء ولا يفشى جناياتهم وسوء أفعالهم وفساد أخلاقهم ، ولا يظهر دعوته فى الناس وبذلك يتركونه وشأنه ، فلا يعرضون له بسوء ولا يلقونه بأذى !! و هذا درس عظيم لقادة الاسلام والمسلمين فى كل وقت ومكان ، وهذا هو نبيهم ﷺ ولهم فيه اسوة . . .

فقد جاء زعمائهم إلى رسول الله ﷺ أكثر من مرة يعرضون عليه المال والجاه على أن يدع ما يدعوهم إليه ، فلما أعياهم الامر ، و لم يجدوا من النبى أذناً صاغية إليهم ، جاؤا يدعونه إلى أن يعبدوا الاله الذى يعبده مع آلهتهم التى يعبدونها، وأن يعبد هو آلهتهم التى يعبدونها مع إلهه الذى يعبده ، وبهذا يرضونه فى إلهه ، ويرضيهم هو فى آلهتهم حتى نزل قوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون . . . » السورة

وهذا شأن كل من يتشبث بالباطل . . انه غير مطمئن إليه ، فهو يحاول دائماً أن يلبسه أثواباً بعد أثواب، من التمويه والخداع ، حتى يدارى ما به من علل... وفى مجيىء النهى عن طاعة المكذبين بدلاً من النهى عن تصديقهم إشارة إلى ما هو أبعد من مجرد عدم التصديق ، وهو لازمه إذ يلزم من عدم التصديق للحديث عدم إجابته والاخذ بمضمونه . . . و هذا أبلغ من مجرد النهى عن التصديق ، فقد لا يصدق المرء محدثه فيما يدعوه إليه ، ثم تغلبه نفسه على متابعته ، والاستجابة

له فيما يفعل .

و لهذا اتجه النهى مباشرة إلى المطلوب منه ، وهو عدم الاستجابة لتلك الدعوة التى يدعوإليها المكذبون . . انهم لايدعون إلى خير أبداً . .

١٠- (ولاتطع كل حلاف مهين)

بيان لمايتصف به المكذبون من ذميم الصفات ، وهى رؤوس رذائل الاخلاق على طريق التهييج والالهاب فى النهى الثانى و«حلاف» : كثير الحلف - مبالغة - كذوب منافق لايستشعر عظمة الله تعالى ، و « مهين » : حقير الرأى والتدبير ،دنىّ لايحترم نفسه ، ولايثق بنفسه ، ولايثقون به .

قيل : من أكثر الحلف بالله تعالى ، ولم يعرف قدر المعبود بالحق أذلّه الله جل وعلا،وفيه إشارة إلى أن عزّة النفس منوطة بتصحيح نسبة العبودية ،ومهانتها مربوطة بالغفلة عن سرّ الربوبية .

١١- (همازمشاء بنميم)

« هماز» نعت ثالث من « مكذبين » - مبالغة - أى عيّاب للناس و طعّان عليهم أوشتّام ، و « مشاء بنميم » نعت رابع منهم - مبالغة - أى يسعى كثيراً بين الناس بالنميمة ، ويمشى بين المتحابين بالفساد .

و هذان وجهان قبيحان من وجوه كريهة لاهل الكذب والنفاق ، و لا هل الكفر والعناد ، حيث يعيب الناس ، وينالهم بالسوء فى غيبتهم ، ومن وراء ظهورهم فهو جبان مهين لايجرؤ على أن يلقى الناس مواجهة ،وهو إذ يرمى الناس بالمساءات من وراء ظهورهم يمشى كذلك بينهم بالنميمة ، فينقل إليهم من المقولات مايوقع العداوة والبغضاء بينهم ، سواء أكان ما ينقله حقاً أم باطلاً ، و صدقاً أو كذباً . . .

١٢- (مناع للخيرمعتد أثيم)

نعوت ثلاثة من رؤوس رذائل الاخلاق ، وذميم الصفات للمكذبين :«مناع للخير » فى ذكر الممنوع منه دون الممنوع دلالة على أنه لايفعل الخير وكان

يمنع غيره عن اتيانه، فيحاول دائباً بصد سبيل الخير على الناس مضافاً إلى إمساكه وضنّه بما في يده، و «معتد» يجاوز الحق، وأهله بكل طريق يستطيع، و «أثيم»: كثير الاثم، من غير مبالاة في إرتكابه، فكأن الأثم أصبح لذاته لزاماً لايستطيع تركه.

١٣- (عتل بعد ذلك زنيم)

نعت ثامن وتاسع من رؤس نعوت المكذبين: «عتل» جاف، فظّ، غليظ القلب، وحشيّ الطبع، سيّىء الخلق، الفحّاش، ينهش في أعراض الناس، و يقطّع أواصر الاخوة بينهم دون أن تتأثر لذلك مشاعره أو تتألم لذلك نفسه شأنه في هذا شأن الحيوان المفترس.

«زنيم» دعيّ لصق إلى من ليس هو منه أي ولد الزنا، وفي الاشارة البعيدة «ذلك» مع قرب المشار إليها دلالة على أن هذه الصفة هي التي تفوق في شناعتها تلك الصفات الثمان سبق ذكرها كلها..

أي وهو مع تلك الصفات الشنيعة والاخلاق الرذيلة كلها قد جمع إليها الزنامة التي هي وحدها مجمع المساءات كلها...

قيل: وفيه دلالة على أن هاتين الرذيلتين أشد معائبه، وان فيه إشارة إلى أن له خبائث من الصفات لاينبغي معها أن يطاع في أمر الحق، ولو أغمض عن تلك الصفات، فانه فظ خشن الطبع لاأصل له لاينبغي أن يعبأ بمثله في مجتمع بشري، فليطرد ولا يطع في قول ولا يتبع في فعل ولم تدخل الواو بين الصفات التسع لانها كانت مجتمعة في الوليد الذي نزلت فيه الايات ولو ذكرت الواو لاقتضى أن تكون موجودة فيه في بعض الاحيان دون بعض وقيل: لم تدخل الواو بينها ولا بعد السابع وهذا يدل على ضعف القول بواو الثمانية.

١٤- (أن كان ذامال وبنين)

في وصف الكذاب الحلاف بذي مال و بنين دلالة على أن الذين وقفوا من

النبى الكريم ﷺ هذه المواقف، و طلبوا منه المداهنة ، و نعتوه بالضلال هم من ذوى اليسار ، و قد كان المتصدى له فى المرة الاولى من الزعماء الاغنياء أصحاب العصبية، وهكذا بادرت طبقة الزعماء والاغنياء إلى الوقوف من رسول الله الخاتم ﷺ موقف المناوأة منذ بدء الدعوة ، حيث رأى على ما يبدؤ فى حركته ما يهدد مركزها و مصالحها ولاسيما حينما رأوه يدعو الى إطعام الجائعين و التصدق على الفقراء والمساكين والرفق بالضعفاء ثم حين رأوا ان أكثر الذين آمنوا به من هؤلاء .

ولقد ظلت هذه الطبقة تقود حركة المناوأة للنبى ﷺ و التأليب عليه إلى النهاية، فتحول دون انتشار دعوته والاستجابة إليها بمقياس واسع، والتنديد والردقويان قارعان مثلهما فى آيات سورة العلق ، وما فى هذه الايات من الحكمة الربانية فى هذا الاسلوب بالنسبة للمتصدين والمناوئين ، وبالنسبة للنبى ﷺ وأصحابه ، و تأثيرها يقال هنا أيضا ، وتوالى الاسلوب ذو دلالة خطيرة فى هذا الصدد من دون ريب .

و ان الاية فى موضع تعليل لما تقدم بان ماتحصّل من مجموع الصفات الذميمة و الاخلاق الرذيلة سبق ذكرها لانه كان ذا مال وبنين فبطر بذلك و كفر بنعمة الله جل وعلا وتلبس بكل رذيلة خبيثة بدل أن يشكر الله تعالى على نعمته ويسعى فى إصلاح نفسه ، فالاية تفيد الوعيد والتهديد والذم والتهكم .

١٥- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

مستأنف جار مجرى التعليل للنهى عن الطاعة إذ أخذ بعضهم إذا ما تلا النبى الكريم ﷺ عليه القرآن يقول : انه من صحف الاول ، وقصصهم التى لا تستند إلى أصل أو يشوبها الغلو أو الخرافة بعد ما فى كلمة «أساطير الاولين» من الاشارة إلى كتب الاولين و صحفهم ، منكراً انه من وحى الله تعالى معتزاً بأمواله وأولاده وقوته ...

وقيل : متعلق بما دلّ عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لابجواب الشرط لان مابعد الشرط لايعمل فيما قبله كأنه قيل : لكونه مستظهراً بالمال و البنين كذب بآياتنا ، و فيه دلالة على أن مدار تكذيبهم كونهم ذوى أموال وبنين .

وقيل : ان الاية تدل على أن مانزل من القرآن قبل هذه الايات كان شيئاً غير يسير حيث رأى المشركون فيه من التطابق والمواضيع ماسوّغ لهم هذا القول ، فالاية حكاية لزعمهم عن القرآن الكريم .

وقيل : ظاهر السياق يدل على أن هذه الاية إخبار من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بانهم سيقولون ذلك لمكان كلمة «اذا» للاستقبال وهذا من الاعجاز .

وقيل : متعلق بقصة البستان الآتية أى يقول : انها من أساطير الاولين .

١٦- (سنسمه على الخرطوم)

وعيد شديد وتهديد لمن هام فى أودية تكذيب آيات الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى أودية الشرك والضلال ، فى أودية العناد واللجاج والعداوة ، فى أودية الباطل و الفساد ، و فى أودية رذيلة الاخلاق ، و ذميمة الصفات على وجهه كما تهيم السائمة فى البرارى والقفار ...

وفى وسم هذا الضالّ ، هذا المشرك ، هذا المعاند، هذا العدوّ وهذا سيّىء الخلق تشامخ بهو نفخه بالغرور فاستكبر حتى طال وتورم وصار كالخرطوم ، فكأن له الخرطوم كالفيل الذى يبالى بخرطومه و يفتخر و كذلك هذا الدعى يشمخ بأنفه : أن كان ذامال وبنين .

وفى استعمال أعضاء الحيوان للانسان كالمشفر للشفه والظلف للقدم دلالة على التحقير والمهانة والاذلال ، وإهدار لآدميته ، ودمغه بهذا الوسم لان الخرطوم لا يستعمل الاّ فى الفيل و الخنزير كما يدمغ الحيوان انه ليس من عالم الانسان .

ثم ليس هذا وحسب ، بل ان الوسم سيكون فى أعز مكان منه ، وهو الانف الذى هو موضع الانفة والعزة . . فما أهونه وأذله ، هذا الحلاف المهين ! ! . . وفى التعبير عن الأنف بالخرطوم والوسم عليه غاية إذلال ، ونهاية إهانة لان الانف والوجه أكرم موضع فى الجسد ، والانف أكرم من الوجه ، وان الوسم على الوجه شين وأذلة ، فكيف الانف الذى عبّر به عن الخرطوم .

ولا يخفى ان الضمير فى الايات : ١٠ - إلى - ١٦ مفردات تبدأ بكلمة « كل » سواء نزلت فى شخص أم لا ولكن نطاقها عام ، وليس المورد مخصّصاً ، وان الايات السابقة لها التى جائت بصيغ الجمع : ضمائر و افعالاً تسوغ القول : ان اسلوبها اسلوب خطابى ، وأنها بسبيل التعبير عن طبقة وليس عن فرد ، وهى فى تنديدها بالكذب والأيمان الكاذبة والنميمة والعيب فى الناس وشتمهم ، ومنع الخير عنهم والبغى عليهم ، وغلظ القلب ، وقسوة العاطفة تنطوى على تلقين قرآنى جليل مستمر المدى بوجوب اجتناب هذه الصفات الذميمة و تلك الاخلاق الرذيلة والافعال المكروهة و تنقية النفس من الاوضار ، و تدل على شدة اهتمام القرآن الكريم بالقيم الاخلاقية وتقويمها ، و تقرير كون أفعال الناس انما تصدر عنها و تتأثر بها ، وفى الوقت نفسه انطوى فيها تنبيهات عامة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم :

منها - أن الذين هم على مثل تلك الاخلاق الذميمة لا يمكن أن يصدروا عن رغبة صادقة فى الاهتداء .

و منها - أن الملاينة فى الحق والمبادىء والتساهل فيها لا يجوز أن يكون موضع بحث وجدل ، وفى هذا ما فيه كذلك من التلقين القرآنى الجليل المستمر المدى فى كل وقت ومكان .

وعلى اعتبار ان هذه آيات مما نزل مبكراً فان فيها تأييداً لما استدللنا عليه من آيات سورة العلق من أن النبى الكريم قد سار فى الدعوة علناً منذ بدئها .

وقد تضمنت الايات تحذير النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الاستجابة لا قتراحات زعماء

الكفار، وباغداق عطفه وإهتمامه على أصحابه الذين آمنوا به والتفوا حوله مهما كانت طبقتهم الاجتماعية لانهم أظهروا من صدق الرغبة في الايمان والاتجاه إلى الله وحده ما رفع شأنهم، وقدرهم عندالله جل وعلا، وفي الايات من التلقين ما احتوته الايات السابقة.

١٧- (انابلوناهم كمابلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)

حكاية لحادث واقعي، تلهمنا روحها: ان الحادث مما كان معروفاً عند السامعين، فان رجوع الضمير في «بلوناهم» إلى المكذبين من زعماء قريش قرينة على انهم كانوا يعرفون قصّة البستان: وهي ان كان لجماعة بستان، أقسموا على قطف ثمره دون أن يقولوا: إن شاءالله، و صمّموا على حرمان الفقراء و غدوا مصبحين إلى تنفيذ عزيمتهم معتمدين على قدرتهم، فسلطالله على ثمرهم بلاء جعله كالمقطوف عقاباً لهم على سوء نيتهم، ولما رأوا بستانهم على هذه الحالة ذهلوا حتى لقد ظنوا أنهم ضلّوا عنه، ثم عرفوا الحقيقة، فأدركوا أنهم قد خسروا ثمرهم وحرموا منه، وكان فيهم رجل صالح عاقل كان ينصحهم بالاعتدال وعدم البغي، فقال لهم: ألم أخبركم بما سوف ينتج عن سلوككم؟ وطلب منهم أن يستغفروا الله و يسبحوه ويعترفوا بذنبهم، فأخذ بعضهم يلوم بعضاً، وسبحوا الله تعالى و استغفروه واعترفوا بظلمهم وطغيانهم، وأعلنوا توبتهم وإنابتهم إلى الله جل وعلا على أمل أن يعوضهم بما هو خير مما خسروه وحرموا منه.

وقد ابتدأت الايات: ١٧ - إلى- ٣٣) بما يظهر منه: ان الله تعالى قد امتحن المكذبين بما امتحن به أصحاب البستان، و انتهت بالتنويه بعذاب الله الشديد الذي يحمل بالظالمين الجاحدين لنعمة الله جل وعلا في الحياة الدنيا، وبالوعيد بعذاب الاخرة الذي ينتظرهم وهو الذي هو أشد واكبر.

و قد جائت القصة للتذكير والمثل كما أن هذا هو شأن جميع القصص والامثال القرآنية، والاسلوب القرآني في ذلك من خصوصيات القرآن لان ما

احتوته التوراة والانجيل من القصص هى بصدد التاريخ والاخبار .

وان العظة والتذكرة اللتان تنطويان فى هذه القصة هما ان الله جل وعلا قدامتحن المكذبين بالرسالة النبوية ، كما امتحن أصحاب البستان بالنعمة التى أنعمها عليهم بثمرهم ، و كما ان هؤلاء قدتعرضوا لعذاب الله تعالى و بلائه لعدم استماعهم لنصيحة عاقلهم و هاديهم و عدم شكر نعمة الله ، ولسوء النية التى بيتوها بحرمان الفقراء فان اولئك - كفار قريش المكذبين - أمام إمتحان ربانى ، فاذا لم يستمعو النصحية ناصحهم وهاديهم ، ولم يستجيبوا إليها ولم يشكروا نعمة الله تعالى التى أنعمها عليهم ، فانهم سيتعرضون لبلاء الله وعذابه فى الحياة الدنيا فضلاً عما سيتعرضون لعذابه الاكبر فى الاخرة .

وفى القصة تذكير لكل مسلم وعظة وتعليم له : ان مصير البخل ومنع الزكاة إلى التالف ، وان الضّنّ ببعض المال فى سبيل رضاء الله تعالى يوجب هلاك كله مصحوباً بغضب الله تعالى .

١٨- (ولا يستثنون)

جملة حالية فى معنى الشرط أى ولا يقولون : إن شاء فسمّى الشرط استثناء فانه فى معناه لان معنى قولك : لا خـرجن إن شاء الله ولا اخرج الاّ أن يشاء الله واحد.

هذا بناء على القول بان المراد بالاستثناء ماتقدم ، وأما القول بكونه عزل البعض من حكم الكل أى انهم لا يستثنون حق المساكين فظاهر .

١٩- (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)

تعقيب لما تقدم مجازاة لكفرانهم بتلك النعم ، ومنعهم حق الفقراء أو تركهم تعليق امورهم على مشيئة الله تعالى .

وفى الاية إشارة إلى أن هذا الطائف المرسل إلى بستانهم من عند الله تعالى قد وضع يده عليها شجرة شجرة وثمرة ثمرة ، فلم يبق مما مرت عليه يده من ثمارها

شيئاً ، وفيها كناية عن بلاء ربانى أصاب ثمر الجنة فأيبسه وجعله كالمقطوف .

٢٠- (فأصبحت كالصريم)

نتيجة لما أصاب البستان من بلاء ربانى ، فـأيبسه و أذهب خضرته بحيث جعله كالمقطوف الذى لم يبق من الجنة شيء أوصارت كالليل المظلم بالاحتراق .

٢١- (فتنادوا مصبحين)

تواصى بعضهم بعضاً وقت الصباح فى حماس وحرص وحراس البستان .

٢٢- (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين)

تفسير لما تواصوا به ، على طريق التحريض لانفسهم على المبادرة والاسراع بتنفيذ ما اتفقوا عليه . . فكأن كلاً منهم يقول لصاحبه : هيا أسرع ! ! ماذا جرى؟ ألا تريد أن نمضى فيما عزمنا عليه ؟ فلم هذا التباطؤ إذن ؟

ان تسئل : كان من حق الكلام أن يقال : « إلى حـرثكم » فلما ذا قيل : « على حرثكم » ؟

تجيب : لما كان الغدو إلى البستان ليقطفوه كان غدوا عليه كما تقول :غدا عليهم العدو أى أتاهم غدوة ، و يجوز أن يراد بالغدو : الاقبال أى اقبلوا علـى حرثكم ، وأن تتعلق « على » بقوله « صارمين » أى قاصدين وعازمين على الصرم والقطع . . .

٢٣- (فانطلقوا وهم يتخافتون)

تقرير لما اتفقوا عليه . و ما تواصى بعضهم بعضاً به ، فانطلقوا مسـرعين يتسارّون فيما بينهم ، ويتحدّث بعضهم إلى بعض فى صوت خفيض هامس حتى لا يحسّ أحد ولا يستيقظ على خطوهم وإقدامهم سداً لباب الاطلاع ،أو صوتهم من يشهد ما يفعلون وهم يجنون ثمار بستانهم صداً عن دخول المساكين .

٢٤- (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)

ان النهى عن دخول المسكين نهى لاصحاب البستان عن تمكين المسكين منه

كأنهم قالوا فيما بينهم : لاتمكنوه من الدخول .

ففى الاية تقرير لماكانوا يتخافتون به ، ويوصى به بعضهم بعضاً ، و هو ألاّ يدخل الجنة عليهم أحد فى يوم الصرم والقطف ، و هذا الحديث المتخافت بينهم هو تؤكيد لماكانوا قد اتفقوا عليه من قبل . . و هو مفهوم من قوله تعالى : « إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولايستثنون » . .

فهذا القسم يخفى وراءه أمراً يريدون توكيده بهذا القسم ، و عقد العزم عليه ، فان مجرد رغبتهم فى جنى ثمار جنتهم لايحتاج إلى قسم ، إذكان ذلك الامر إليهم ، يفعلونه كما يشاؤن ، وفى أى وقت يريدون . . أما القسم فهو لغاية أكثر من مجرد قطف ثمار الجنة وحصاد زرعها . .

ثم إن فى قوله تعالى : « مصبحين » إشارة اخرى تشير إلى أن وراء هذا الامر أمراً آخر ، إذ نظر إليه على ضوء القسم الذى سبقه . . فان التبكير بقطع الثمار وحصاد الزرع ، وإن كان أمراً مألوفاً ، فانه فى صحبة القسم يصبح ذا دلالة خاصة غير تلك الدلالة العامة ، وهو انهم يريدون بهذا التبكير المبادرة إلى إنجاز الامر قبل أن يفضحهم النهار ، وتأخذهم أعين الفقراء والمساكين . .

٢٥- (وغدوا على حرد قادرين)

بيان لتنفيذهم ما اجتمعوا عليه من استيقاظهم مبكّرين ، و مازال الناس نياماً ، فهم قد أوشكوا أن يبلغوا بستانهم من دون أن يتنبه إليهم أحد أو يتبعهم مسكين .

٢٦- (فلما رأوها قالوا انا لضالون)

شروع بما عقبهم مجازاة على ماصمّموا من منع المساكين و حرمانهم من إنتفاعهم من بستانهم ، وإعتراف منهم على ضلالتهم فى ذلك .

٢٧- (بل نحن محرومون)

إضراب عن قولهم : « انا الضالون » و « بل » للانتقال من حال اذ عرفوا

الحقيقة انهم ليسوا ضالين عن الطريق إلى جنتهم بل الجنة هـى هى ، و انماهم محروموں من ثمارها التى لايدرون إلى أين ذهبت ، أو للانتقال من غرض إلى غرض آخر لتشديد الملامة على أنفسهم أى إنا لضالون عن الصواب والهدى ، و عن الحق والرشاد فى نياتنا وعملنا ، و ليس مجرد الضلال عن ذلك بل حرمنا الرزق .

٢٨- (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون)

بيان لما أخذ القوم فى مراجعة أمرهم على ضوء هذه الحقيقة التى كشفت لهم، وقد كثر الأخذ والردّ بينهم . . ويمسك القرآن الكريم من حديثهم باللباب منه ، ضارباً صفحاً عما لاغناء فيه فى هذا الموقف . . و مما رآه القرآن مستحقاً للذكر من أحاديثهم ، هو قول أوسطهم ، وهو أقربهم إلى الخير والحق . . ففى كل جماعة - أياً كانوا من الضلال والسفه - بعض النفوس التى لاتخلو من خير، و بعض العقول التى لاتحرم الرؤية السليمة للامور ، فى وسط هذا الضلال المنعقد حولها

ففى بيئة فرعون - على ماكان بها من إغراق فى الضلال - كانت امرأة فرعون، وكان مؤمن آل فرعون ، وقد جعل القرآن الكريم لهما ذكراً طيباً فى المذكورين من عباد الله المكرمين . . والوسط من كل شيء خياره ، وأعدله و لبابه ووسط القوم أدناهم إلى الحق والخير . .

وفى هذه الجملة من أصحاب الجنة ،كان فيهم من لم يرض فى قرارة وجدانه عن هذا التدبير السيىء الذى دبره أصحابه ، و ربما كان له موقف معارض لما أرادوا . . ولكن أصحابه غلبوه على أمره لأن ايمانه بماكان يدعوهم إليه لم يكن متمكنا من قلبه ، ولو أن هذا الايمان كان قوياً متمكنا لماتحول عنه ، و لكان بالحق الذى معه ، قادراً على أن يقهر الباطل الذى معهم . . ولهذا أخذه الله بما أخذبه أصحابه من ابتلاء . . لقدكان فى كيانه شرارة من خير ، ولكنه لم يقدح هذه الشرارة بعزيمة صادقة ، و إرادة عاقلة ، فانطفأت جذوتها ، وأصبحت رماداً

لايرجى منه خير. وهكذا كل من يجد فى نفسه نازعة من نوازع الخير ثم يغفل عنها، انها تموت النبتة البازغة على وجه الارض، إن لم تجد من يرعاها ويسقيها..

قوله تعالى: «قال أوسطهم ألم أقل لكم» تقرير لموقف هذا الانسان المقتصد فى عدوانه، و انه هنا يذكّر أصحابه بموقفه الذى كان منه معهم . على حذف مقول القول لدلالة الحال عليه أى ألم أقل لكم قولاً لو أخذتم به لما حدث لنا هذا الذى حدث و هذا أولى عندنا من أن يكون مقول القول هو قوله: «لولا تسبّحون» وأما قوله تعالى حكاية عن هذا البعض «لولا تسبحون» فهو مستأنف عقّب به على قوله تعالى: «ألم أقل لكم» وفى هذا التعقيب يدعوهم دعوة جديدة يواجهون بها هذه الحال التى هم فيها، و هى انهم و قد أخطؤا حين لم يأخذوا برأيه أولاً، فان هذا لايمنعهم من أن يرجعوا الآن إلى الله، و يستغفروا لذنبهم بعد أن رأوا ما أخذهم الله تعالى به..

فقوله تعالى: «لولا تسبحون» هو من مقول أوسطهم، و هو تحضيض لهم على الانابة إلى الله تعالى، واستغفاره على ما كان منهم. أى هلا تسبحون الله؟ أى بادروا بذكر الله جل وعلا، فهذا الذكر هو عزاؤنا فى هذا المصاب الذى بين أيدينا.. ويكون النظم على هذا هكذا: ألم أقل لكم ما علمتم ولم تأخذوا به وهانذا أقول لكم الآن قولاً أرجو أن تأخذوا به: ألا تسبحون الله، وتستغفرون لذنبكم؟ وفى المقام سؤال وجواب:

ان تسئل: كيف سمى أوسطهم الاستثناء تسبيحا، فقال: «ألم أقل لكم لولا تسبحون» أى لولا تستثنون.

تجيب: لوجوه: أحدها ـ سماه تسبيحا لاشتراكهما فى معنى التعظيم، لان الاستثناء تفويض إليه، وإقرار بانه لايقدر أحد أن يفعل فعلا الا بمشيئته، والتسبيح تنزيه له عن السوء. ثانيها ـ أنه كان استثناؤهم قول سبحان الله. ثالثها ـ أن معناه

لولاتنزهون أنفسكم وأموالكم عن حق الفقراء .

٢٩- (قالواسبحان ربنا اناكنا ظالمين) .

إستجابة من جماعة الضالين لمادعاهم إليه أوسطهم ، و بتّخهم على تركه من التسبيح لله جل وعلا ف «قالوا سبحان ربنا» .

وقوله تعالى حكاية عنهم : « اناكنا ظالمين» إنابة إلى الله تعالى ، واعتراف منهم بذنبهم وظلمهم على انفسهم بالحرمان ، وعلى المساكين بالمنع عن حقوقهم وحصتهم ، وعلى الله تعالى بالشرك والفرار عن حكمه .

٣٠- (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون)

نتيجة للاستجابة والانابة إلى الله تعالى ، وتصوير لماحدث بينهم، وهم على بساط التوبة والندم إذيلوم فيه كل منهم نفسه كمايلوم أصحابه على مافرط منهم، فان الجريمة مشتركة بينهم جميعاً ، و كانوا هم معترفين بها ، فلكل منهم نصيبه منها .

٣١- (قالوا ياويلنا اناكنا طاغين) .

حكاية عنهم بمانادوا على أنفسهم من الويل والثبور ، وهذا مما انتهى إليه تلاومهم ، ومراجعتهم لما كان منهم ، و تعليل لهذا الدعاء والنداء إذ استبان لهم خطأ ماعزموا عليه من منع الحقوق عن ذويهم ، فركبوا بذلك ، طريق الطغيان و الاعتداء على الفقراء وذوى الحاجة،وعلى أنفسهم ، وعلى الله تعالى ، وهذا الاعتراف بالذنب و الاعتداء والنداء هى التوبة حقاً إن صدقته النية ، و انعقد عليه العزم ، وهى التوبة نصوحاً .

٣٢- (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها اناالى ربنا راغبون) .

مقول من القوم فى رجوعهم إلى الله تعالى بعد إعترافهم بذنبهم و خطأهم ، وطلبهم المغفرة من ربهم ، فكان هذا مدخلا لهم إلى أن يطمعوا فى فضل الله جل وعلا ، وأن يرغبوا إليه فى أن يبدل لهم خيراً من جنتهم التى ذهبت ثمارها اليانعة،

و زروعها الناضجة بسبب رغبتهم عن الله تعالى ، و تعليل لذلك الابدال و العوض خيراً ، كما تشعر اليه كلمتا «رب» والرغبة إلى الله تعالى ، و الاعراض عن غيره تلويحاً ، فرجاء التائب من الله تعالى بابدال ما كان له من قبل خيراً من شؤن التربية، فتأمل جيداً .

٣٣- (كذلك العذاب و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

تهديد و وعيد شديـد ونعى على المشركين و المكذبين بالغفلة ، و أنهم ليسوا من أرباب العلم ، وأصحاب المعرفة ، واولى النهى بسبب كفرهم وتكذيبهم، فلا يعرف التفرقة بين عذاب الدنيا ، وعذاب الاخرة الا أهل العلم الذين يؤمنون بالله ورسوله ، وباليوم الاخر.

٣٤- (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) .

تقرير تبشيرى بما للمؤمنين من أهل التقوى و اليقين عند ربهم من النعيم فى جناته تجاه التهديد والانذار والوعيد الشديد للمكذبين وفى إضافة «رب» إلى ضمير المتقين،ودخول اللام فيهم إشارة إلى أن الجزاء والثواب من شئون الربوبية، وانه على طريق الاستحقاق والملكية ، فلم يقل : «عندالله» إشارة إلى رابطة التدبير و الرحمة بينهم و بين الله تعالى ، ومن ثم قصروا الربوبية فيه تعـالى ، وأخلصوا العبودية له تعالى، وان المراد من العندية : عندية التقرب والثواب ، فليست عندية مكانية إذ ليس له سبحانه مكان .

وفى «جنات النعيم» تعليل الحكم على الوصف بان حصول ذلك لتحصيل المتقين ما استحقوا بهذلك ، وفى إضافة الجنات الى «النعيم» إشارة إلى أنها نعمة لا تشوبها نقمة ، وانها لذة لا تخالطها ألم من الآلام ...

٣٥- (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) .

تساؤل على سبيل الانكار عما اذا كان يصح أن يجعل الله المسلمين كالمجرمين فى اليوم الاخر أى اننا لن نجعل المسلمين كالمجرمين فلا نسوى بين هؤلاء الاولياء،

واولئك الاعداء في الجزاء .. فاذا كانت النار هي مثوى المجرمين ، فان الجنة هي دار المسلمين فكرامة المسلمين تأبى أن يساويهم المجرمون ، فالهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام .

ففي الاية تقرير لماقبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لماتقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة ، وماوعده الله تعالى المسلمين فيها ، فان الكفرة تقول: إن صح البعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ماهي في الدنيا ، والا لم يزيدوا علينا ، ولم يفضلونا ، وأقصى أمرهم ان يساوونا .

ولعل التعبير عن المسلمين بدلاً من المتقين الذين جاء هذا الاستفهام تقريراً وتوكيداً لماوعدوا به في قوله تعالى: «ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم» إشارة إلى أن ذلك كان في أول الدعوة الاسلامية ، إذ الدعوة في أساسها دعوة الى الاسلام ، و الذين استجابوا لها كانوا يسمون المسلمين ، فالمراد بالاسلام تسليم الامر لله جل وعلا فلايتبع الا ماأراده الله تعالى من فعل أو ترك ، ويقابله الاجرام ، وهو اكتساب السيئة وعدم التسليم .

فكلمة الاسلام حينئذ كانت الكلمة الجامعة للاسلام و الايمان والتقوى جميعاً ، إذ لم يدخل في الاسلام الا من أشرق قلبه بنور الحق واليقين ، فلم يكن إسلام من أسلم في اول الدعوة عن رهبة ، أو طمع في شيء من متاع الدنيا .. ان كل مسلم استجاب لدعوة الاسلام في هذا الدور من الدعوة الاسلامية كان مسلماً ، وكان مؤمناً وكان تقياً ،أي آخذ الاسلام كله ظاهراً وباطناً إذ كان الذين استجابوا للاسلام ، انما استجابوا عن فطرة سليمة ، ونفس مطهرة من رجس الجاهلين ، و قلوب متفتحة للحق ، متشوقة إلى الهدى. وحيث وطنوا أنفسهم على إحتمال البلاء وتلقي ضربات المشركين بثبات ويقين .. فلم يكن - والامر كذلك - شيء يدخل على إسلامهم من نفاق أو طمع في جاه أومال .. بل هي التضحية والفداء في سبيل الحق الذي آمنوا به . . إلا الشذ منهم .

فالمسلمون هنا فى قوله تعالى : «افنجعل المسلمين كالمجرمين» يحققون باسلامهم معنى التقوى فى أصدق مقاماتها وأعلى منازلها ... وحسبهم أن يكونوا مسلمين ليضفى عليهم هذا الاسم صفة المؤمنين المتقين .. ومن جهة اخرى ، فان كلمة «المسلمين» فيها معنى السلام والسلامة ، وخلوّ الانسان مما يؤاخذ عليه .. فاذا وقعت المقابلة بين المسلمين و المجرمين ، وطلب إلى المشركين أن يجيبوا على هذا السؤال : «أفنجعل المسلمين كالمجرمين» ؟ لم يكن لهم أن يشغبوا وأن يجدوا مهرباً من الجواب الذى يقهرهم الواقع على النطق به .. فانهم لو قالوا : نعم نسوّى بين المسلمين والمجرمين، فان المسلمين الذين استجابوا لمحمد ﷺ هم فى نظرنا مجرمون ـ انهم لو قالوا : هذا لوجدوا من يسفّه رأيهم .. لانهم حكموا فى قضية غير القضية التى دعوا إلى قولهم فيها ..

ان القضية ليست بين الاسلام و الشرك ، و انما هى بين أهل السلام وبين المجرمين .. فهل يسوّى بين البرىء والمجرم ، ولهذا جاء قوله تعالى: «مالكم كيف تحكمون» منكراً عليهم أن يقولوا بهذه التسوية بين المسلمين والمجرمين .

وأما التعبير عن « المجرمين » بدلاً من المشركين الذين يواجهون بهذا الحديث فهو وصف يلبسهم مع الشرك لباس المجرمين الذين يساقون إلى المحاكمة، متلبسين بجرمهم ، فقد يكون المشرك ولا سلطان لاحد عليه ، يأخذه بشركه ، و يعاقبه عليه ولكنّ هؤلاءِ المشركين ، هم واقعون تحت سلطان قاهر ، لا يفلتون من عقابه الذى حق عليهم بعد أن بلّغهم الرسول ﷺ رسالة ربه .. فهم قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم كانوا مشركين واقعين تحت قوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » الاسراء ١٥) أما الآن فقد جاءهم الرسول، وبلّغهم ما أرسل به إليهم ، ولم يقبلوا منه ما دعاهم إليه من الايمان بالله جل وعلا وحده ، أما الآن فهم مشركون مجرمون ، يساقون إلى الحساب والجزاء .. وانه لا جزاء للمشركين المجرمين الاّ النار ..

٣٦- (مالكم كيف تحكمون) .

تعقيب على الاية السابقة ، وفى هذا نخس للمشر كين ، وايقاظ لهم من غفلتهم وكشف لهم عن ضلالهم .. إذ كيف يسوّى بين المسلمين والمجرمين ؟ بين أهل الحق والباطل ؟ ، بين أصحاب الكفر والايمان ، وبين أهل السلامة والسقم ، بين ذوى الاستقامة والاضطراب ، وبين أصحاب الطاعة وأرباب الجرائم والمعصية ..؟ ان هذا لايقول به عاقل ، ولايقبله منطق العقلاء !

وفى الالتفات تأكيد رد و تشديده عليهم تعجيباً من حكمهم ، و استبعاداً له ، وايذاناً بانه لايصدر عن عاقل ، وإشعاراً بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى ، اذ تأبى العقل عن تجويز التساوى ففى الاية إشارة إلى انتفاء الحجة على حكمهم بالتساوى من جهة العقل .

وفى السئوال تحدّ وتهكم موجه إلى المكذبين : فهل يظنون أن الله حقاً يمكن أن يجعل المسلمين كالمجرمين ؟ وبأى وجه يحكمون بصحة هذا الظن ؟

٣٧- (أم لكم كتاب فيه تدرسون) .

إضراب على إجابة المشر كين المكذبين التى أجابوا بها فيما بينهم وبين أنفسهم ، على ماسئلوا عنه فى قوله تعالى : «أفنجعل المسلمين كـالمجرمين» ؟ والتى أنكرت عليهم وسفهت أحلامهم من أجلها .. فاذا كان لهم مايدفعون به عن أحلامهم تلك السفاهة ، وأن يضيفوا ما أجابوا به إلى كتاب درسوه ، وتلقوا عنه هذا الجواب. فليأتوا بهذا الكتاب ان كانوا صادقين ، ففيها إشارة إلى انتفاء الحجة على حكمهم بالتساوى من جهة النقل .

وفى الاية تحدّ وتهكـّم للمشر كين ، وسدّ عليهم طريق القول ، ونفى قاطع أن يكون لهم كتاب اذ لم يكن كتاب يستندون إليه فيما يدّعون ، ولو أنهم أرادوا أن يكونوا أصحاب كتاب لما كان لهم غير هذا الكتاب الذى يتلوه عليهم رسول الله الخاتم ﷺ ، وفى قوله تعالى : « ام لكم كتاب - إلى قوله - إن كانوا صادقين »

تنبيه على نفى جميع مايمكن أن يتشبث به الانسان فى ادعائه بشىء من دليلى عقلى ونقلى .

٣٨- (ان لكم فيه لما تخيرون)

احتكام إلى هذا الكتاب ، وهو القرآن الكريم ، وإلى مقولاته ، وهو كتاب لا وجود له بين أيدى المشركين الذين أبوا أن يقبلوه . و أن يضيفوا أنفسهم إليه ، فلا كتاب لهم أن يأخذوا منه ما يختارون مما يقيم لهم حجة ما يقولون ، فان أى قول يقولونه من هذا الكتاب سيقبل منهم أياكان منطقه، وأياكان موقعه من الحق . . انهم اميون لا كتاب معهم ، فاتيانهم بكتاب أمر غير ممكن لهم .

٣٩- (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)

تحدّ وتهكم آخر ونفى قاطع عن أن يملكوا الحكم بعهد و يمين شفاهىّ لهم على الله تعالى أى هل عندهم عهد من الله جل وعلا مستمر وشامل ليوم القيامة بان لهم فيه ما يبتغون، ويحكمون؟، واذا لم يكن ثمة كتاب بين أيديهم يحكمون إليه ، ويأخذون مقولاتهم فيه . . فهل لهم على مقولاتهم تلك عهد موثق بالحلف عليه مع الله جل وعلا ، لاينقطع إلى يوم القيامة ؟ إن يكن هذا ، فان لهم ما يحكمون ، دون أن يرد حكمهم ! والحق انه لاعهد لهم من الله !

واذا لم يكن بينهم وبين الله جل وعلا عهد ، واذا لم يكن لهم كتاب ، فلم يبق إذن معهم إلاّ عقولهم تلك التى غشيها الضلال ، واستبدبها السفه ، و التى خرجت منها تلك المقولات الفاسدة ، وهذه الاحكام الباطلة التى يؤخذون بها ، ويحاسبون عليها، دون أن يكون لهم شفيع من كتاب درسوه، أوعهد مع الله وثقوه..

وفى وصف « أيمان » جمع اليمين بمعنى الحلف بـ« بالغة » و هى من البلوغ وهو الانتهاء فى الكمال توكيد نهاية التأكيد .

٤٠- (سلهم أيهم بذلك زعيم)

تلوين للخطاب ، توجيه له إلى رسول الله ﷺ باسقاط المشركين عن

رتبة الخطاب والاعراض عنهم ، فأمر نبيه ﷺ بسئوالهم عمن يضمن بهم ذلك أى سل يا محمد ﷺ هؤلاء المشركين المكذبين مبكتا توبيخاً وتقريعاً بهذا السئوال وهوأن يخرجوا من بينهم الزعيم الذى يتولى عنهم القول بان لهم كتاباً اوأن لهم مع الله عهداً ، ثم يكون هذا الزعيم ضامناً و كفيلا بتقديم الحجة على هذا أوذاك ساعة الحساب ، ويوم الجزاء ؟ فأين منهم من يتولى هذا الامر عنهم، ويحمل مسئوليته دونه ؟ وأين منهم من يزعم ذلك عن الله سبحانه لنفسه ؟ أو عن العقل ؟ أو كتاب من الله تعالى ؟ وفيه من تهكم ساخر عميق أنيق بليغ يذيب القلوب حرجاً مالايخفى .

٤١- (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

تحدٍّ آخر للمشركين بدعوة هؤلاء الشركاء وطلب نصرتهم إن كانوا صادقين ففيها ردّ عليهم أيضاً على تقدير أن يكون حكمهم بالتساوى مبنياً على دعواهم : ان لهم آلهة يشاركون الله سبحانه فى الربوبية سيشفعون لهم عند الله تعالى فيجعل المجرمين كالمسلمين، يجعل المفسدين كالمصلحين، يجعل أصحاب الآثام والجرائم كأصحاب الطاعة والتقوى . . . والاستفهام انكارى يفيد نفى الشركاء ، وقوله تعالى « فليأتوا بشركائهم الخ » كناية عن انتفاء الشركاء يفيد تأكيد ما فى قوله : « ام لهم شركاء » من النفى .

وقد أخذ القرآن الكريم فى هذا كل مسلك يمكن أن يسلكه المشركون، ويتشبث به المكذبون للافلات من جرائمهم : جريمة الشرك والكفر ، جريمة التكذيب والطغيان، جريمة العناد والعدوان ، وجريمة الضلال والعصيان ، وسدّ عليهم منافذ الخلاص من بين يديه منها ، ومن العقاب الراصد لهم عليها . . لقد سقطت من أيديهم كل حجة تسند ضلالهم و كفرهم . . .

٤٢- (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون)

حكاية لما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة على طريق الانذار والتحدى

والتبكيت : فحينما يشتدّ خطب ذلك اليوم عليهم، وتستدعى حالة الخطر المحيق بهم أن يسارعوا إلى السجود طلباً لغفران الله جل وعلا ، فلسوف يعجزون لانهم أضاعوا الفرصة التى سنحت لهم حينما كانوا يؤمرون بالسجود وهم فى متسع من الوقت والسلامة فلا يسجدون .

و فيها جواب عن سؤال مقدر من المشركين الذين يواجهون به هذا التهديد الذى سيق إليهم من قوله تعالى : « أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين» فكأنهم إذ يسمعون هذا التهديد المتحدى يقولون : « متى نأتى بهؤلاء الشركاء » ؟ انهم حاضرون معنا . . انهم آلهتنا تلك التى نعبدها . . فيجيئهم الجواب : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » و كشف الساق كناية عن شدة الامر يوم القيامة وأهواله كما تقول العرب : «وقامت الحرب بنا على ساق » تريد شدة اليوم والحرب ، وأصله : ان الرجل اذا وقع فى أمر خطير يحتاج فيه إلى الجدّ ، فيشمّر عن ساقه ، فاستعير الكشف عن الساق فى موضع الشدة .

و فى تنكير « ساق » تهويل و دلالة على انه امر مبهم فى الشدة خارج عن المألوف والعادة أو تعظيم ، وفى قوله تعالى : « ويدعون إلى السجود » توبيخ وتعنيف على تركهم اياه فى الدنيا ، وتحسير لهم على تفريطهم فى ذلك وفى قوله تعالى : « فلا يستطيعون » دلالة على انهم يقصدون السجود ولكن لا يتأتى منهم ذلك .

فى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال فى قوله تعالى: « يوم يكشف عن ساق . . » الاية ، وهذه استعارة ، والمراد بها الكناية عن هول الامر وشدته ، وعظم الخطب وفظاعته لان من عادة الناس أن يشمّروا عن سوقهم عند الامور الصعبة التى يحتاج فيها إلى المعاركة ، و يفزع عندها إلى الدفاع والممانعة ، فيكون تشمير الذيول عند ذلك أمكن للقراع وأصدق للمصاع .

و قيل : كشف الساق كناية عن سعيهم بان يسجدوا فلايقدرون عليه كمن أراد السعي في عمل يشمّر ذيله ، فيكشف ساقه .

وفي لفظة « كشف الساق » على وجازتها تشير إلى اللطيفتين : احداهما شدة الحالة الداهية . وثانيهما ـ تجليات الحقائق الاسلامية فيْ مستقبل الزمان لان العرب تكنى بكشف الساق عن هاتين الحالتين ، و قد جرت عاداتهم عن كشف الساق عند استقبال اوحال الطريق والغمرات ، وعلى الكشف عن ساق الجارية قبل شرائها اوبعده لمعرفة عيوبها والمحاسن .

ان الاية تهددالمشركين الذين أنفوا من السجود لرب العالمين فتوعدهم بمجيىء يوم عصيب (ولو في هذه الدنيا ومن بعد فتح مكة) تتجلى فيه عظمة دين التوحيدوقوة تعاليم القرآن فيزعمون فيه على عبادةالله ويدعون إلى السجود.

٤٣- (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقدكانوا يدعون الى السجودوهم سالمون)

تقريرلحال المشركين يوم القيامة إذحاولواالسجودلله جل وعلا ،وتدارك مافاتهم فلم يفلحوا، وقدلبستهم حال من اللغووالكمد ، فخشعت لذلك أبصارهم ذلة وإنكساراً ، ونسبة الخشوع إلى الابصارلظهور أثره فيها ، فلسوف تكون أبصارهم حنيئذ خاشعة من الرعب والخوف ، وقد حاقت بهم الذلة والهوان .

وقوله تعالى : « وقدكانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » سيق جواباً لسؤال مقدروهو :ماذنب هؤلاء المشركين إذادعوا إلى السجود ، ولم يستطيعوا وهل يكلف الانسان مالايستطيع ؟ وهل يحاسب على مايجاوز استطاعته ؟فكان الجواب : انهم لم يحاسبوا على عجزهم عن السجود يوم القيامة لانهم في حال لايمكّنون فيها من هذا السجود ، وانماهم يحاسبون على امتناعهم عن السجود حين دعوا إليه وهم سالمون ، أى وهم في الدنيا حيث تصح العبادة و تقبل الاعمال فالمراد بالسلامة هناهوسلامة الوقت الذى تصح فيه الاعمال ، وتقع موقع القبول.

وفى الاظهار موضع الاضمار فى قوله تعالى : « وقد كانوا يدعون إلى السجود » زيادة تقرير .

٤٤- (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون)

الفاء لترتيب الامر على ماقبلها من أحوالهم المحكية أى إذا كان حالهم فى الاخرة كذلك فاتركهم إلى "سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم إليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه كما ندفع بهم إلى جهنم خطوة خطوة دون أن يشعروا انهم سائرون إلى هذا البلاء العظيم وذلك العذاب الاليم بل انهم ليحسبون انهم على هدى و على موعد من الخير الذى يلوح لهم من وراء هذا السراب الخادع الذى يتراءى لهم فاذا انتهى بهم المطاف إلى غايته ، و تكشف لهم انهم كانوا مخدوعين بهذا السراب تضاعف حسرتهم وعظمت مصيبتهم .

ففيه كناية عن أن الله جل وعلا يكفى المكذبين ، وهو غير تاركهم ،فكأنه قال : حسبى مجازياً لمن يكذب برسولى وبآياتى ، فلا تشغل قلبك بشأنه .

وفيه تقريع وتوبيخ على المشركين المكذبين ، وتهديد مزلزل لهم الذين لاينتفعون بوعيد أو وعد من آيات الله تعالى مع تطمين وتسلية للنبى ﷺ ، و تقوية له ، والخطاب موجه إليه : فليترك الله الذين يكذبون بالقرآن ورسوله ، ولا يغتر بما يتمتعون به من قوة ومال فان الله تعالى انما يفعل ذلك استدراجالهم من حيث لايعلمون .

وفى قوله تعالى : « فذرنى » - مع أن الله جل وعلا لايحجزه أحد عما يريد - إعلان حرب من الله تعالى على المكذبين ، فحسبهم ضياعاً وهلاكاً أن يحاربهم الله جل وعلا ، و فيه إشارة إلى اطلاق يد الله تعالى فيهم بالنكال والعذاب كقوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » والمراد بالحديث هنا فى قوله تعالى :« بهذا الحديث » هو القرآن الكريم ، ومايسوق إلى المشركين من نذر بالعذاب والبلاء

وقوله تعالى : « سنستدرجهم الخ » مستأنف سيق لبيان كيفية التعذيب

المستفاد من الامر المستفاد إجمالاً « فذرني » وفي الالتفات عن التكلم وحده إلى غيره دلالة على العظمة، وإشعار بان هناك مو كلين على تلك النعمة التي تصب عليهم صباً ، والضمير راجع إلى « من » والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في « يكذب » باعتبار لفظ « من » .

٤٥- (واملي لهم ان كيدي متين)

تهديد و وعيد شديد على المكذبين ، إستمرار في حملة التقريع كسابقها مع تطمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقوية له ، وان كيده لقوي شديد، ولسوف يحيط بهم .

وفي الالتفات عن التكلم مع غيره إلى التكلم وحده دلالة على أن تأخير الاجل لا ينسب في القرآن الكريم إلى غير الله تعالى إذ قال : « هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده » الانعام : ٢) وقال : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا » آل عمران : ١٤٥) هذا بناء على أن الاملاء هو تأخير في الاجل .

٤٦- (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

خطاب موجه إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على طريق ذكر من الشبه ما ربما يكون هو المانع لهم عن قبول الحق رداً على المشركين في امتناعهم عن قبوله، وقد جاء باسلوب التساؤل عما اذا كان يطلب من الكفار أجراً على دعوته لهم ، و إرشادهم حتى يستثقلوا الطلب ، ويتهربوا من تفادياً من المغرم والخسارة، فكأنه قال : ماذا يمنع هؤلاء المكذبين عن الاستجابة لهذا الخير ، والسعادة والعزة والكمال ، وهم الذين دعوا إليها ؟ ومالهم لا يمدّون أيديهم إلى دعوتك هذه ؟ أ أنت أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطلب منهم أجرة تجاه هذه الدعوة ، فتثقلهم ، فتحول بينهم والدعوة .

ومن غير خفي على المتدبر الخبير ان اسلوب الآية منطو على التنديد بالمكذبين على تصامهم عن الدعوة ، وعدم مبالاتهم ، كما هو منطو على الانذار ،

كذلك منطوعلى نفى طلب النبى ﷺ أو طمعه فى أجر أو مكافاة على مهمته العظمى .

و قد تكرر فى القرآن الكريم أمر النبى ﷺ باعلانه ذلك فى معرض الدعوة والتنديد ، ثم فى معرض التدليل على صدق الدعوة والاخلاص لها إخلاصاً مجرداً من أى غاية خاصة الا الواجب القيام بأمر الله تعالى ، ورغبة هدايتهم إلى الله جل وعلا ومكارم الاخلاق ، وتأمين أسباب السعادة لهم فى الدنيا والاخرة ، وانذارهم بالعواقب الوخيمة لعدم استجابتهم .

وقد ورد : ان زعماء قريش عرضوا أكثر من مرة ، وبأساليب متنوعة على النبى ﷺ ما يريده من مال ليجعلوه أغناهم إذا هو تخلى عن حركته مما فيه صورة مما كان بينهم وبينه من نضال وتشاد ، ومما فيه فى الوقت نفسه صورة من تفكير الزعماء فى ماهية الدعوة المحمدية حيث لم يستطيعوا أن يهضموا أن يتكلف النبى ﷺ القيام بهذه المهمة الشاقة ، و يناضل فى سبيلها نضالاً قوياً بدون غرض ومآرب خاص ، فكان يقابل عرضهم بالاباء ، ويعلن بأمر الله ولسان القرآن الكريم أنه لا يسئلهم أجراً ، وليس له غاية الا هدايتهم و إخراجهم من الظلمات إلى النور ، من الكفر والضلالة إلى الايمان والهدى ، من الذلة والهوان إلى العزة والسيادة ، ومن الانحطاط إلى الكمال ، وضمان السعادة لهم فى الدنيا والاخرة .

ويقوى هذه الصورة الرائعة انه ليس فى آيات القرآن الكريم ما يفيدان الزعماء كانوا يتهمونه بذلك ، وفى ذلك درس لقادة الدين ودعاته ووعاظه . . .

٤٧- (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

اسلوب تساؤلى عما إذا كانوا مطلعين على غيب الله سبحانه أم بيدهم أمر المستقبل ، فيرون على ضوئه ما ينتظرهم على الطريق الحياة ؟ أو يقررون لانفسهم ما يشاؤن حتى يبدو منهم هذا الاطمئنان إلى العاقبة :

ان التدبر فى قوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين - إلى قوله - أم

عندهم الغيب فهم يكتبون» يلهمنا ان الايات بصدد الرد على المشركين المكذبين في دعواهم بتساوي المجرمين والمسلمين حالاً يوم القيامة فان الايات تورد سبع محتملات لهذا الحكم الباطل السخيف من حيث منشائه على طريق الاستفهامات الانكارية وتردّها :

و ذلك لان الحكم بالتساوي بين الفريقين ـ المسلمين والمجرمين ـ إما أن يكون من الله سبحانه فضلا ورحمة ، وإما أن لايكون منه .

وعلى الاول : إما أن يكون لهم دليل عقلي ، ولا دليل اذقال : « ما لكم كيف تحكمون » وإما أن يدل عليه دليل نقلي ، فقد نفاه بقوله تعالى : « ام لكم كتاب تدرسون » وإما أن لايكون لهم دليل عقلي ولانقلي ، بل عن مشافهة بينهم وبين الله سبحانه فعاهدوه وواثقوا به ، وليس كذلك فقال : « أم لكم أيمان علينا».

وعلى الثاني : إما أن يكون حكمهم بالتساوي حكماً جدياً وإما لايكون كذلك .

وعلى الاول : إما أن يكون الحكم مستنداً إلى أنفسهم بأن يكون لهم قدرة على أن يصيروا يوم القيامة كالمسلمين حالاً وإن لم يشاء الله تعالى ذلك فنفاه الله بقوله : « سلهم أيهم بذلك زعيم » أو يكون لهم شركاء وهم قائمون بهذا الامر ولا شركاء اذقال : « أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم » او يكون عندهم الغيب ،فتكون الامور التي ستستقبل الناس قضاؤها و قدرها منوطان بمشيتهم فهم يكتبون المساواة لهم مع المسلمين وليس لهم سبيل إلى الغيب فقال : « أم عندهم الغيب فهم يكتبون » .

وعلى الثاني : بان يكون الحكم تفوّهاً بهذا القول للتخلص والفرار من اتباعك على دعوتك ـ لاجدياً ـ لانك تسئلهم أجرة على رسالتك و هدايتك لهم إلى الحق فتثقل عليهم فنفاه بقوله تعالى : « أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون» فهذه الاحتمالات السبع فتدبر جيداً .

٤٨- (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم)

خطاب موجه إلى النبى الكريم ﷺ فأمره الله تعالى بالصبر إلى أن يتم أمره جل وعلا وحكمه، ونهاه عن أن يكون كصاحب الحوت الذى ضاق ذرعه ولم يطق صبراً على تعذيب امته وايذائه له، وإشارة خاطفة إلى ما كان من عاقبته حيث استغاث الله تعالى وناداه.

والاشارة إلى صاحب الحوت هنا وردت فى معرض التمثيل والتحذير والتثبيت حتى لا يضيق صدر النبى ﷺ بموقف التكذيب واللجاج الذى وقفه قومه منه، وهذا ما استهدفته قصص الانبياء فى القرآن الكريم التى يلحظ أنها استهدفت هدفين.

أحدهما - تثبيت النبى ﷺ ودعوته إلى التأسى كما هو فى الايات التى نحن فى صددها.

ثانيهما - إنذار الكفار وتذكيرهم ما حل بمن سبقهم من الجاحدين المكذبين الصادين.

وفى قصة المقام صورة مما كان يطرأ على النبى الكريم ﷺ من أزمات وضيق صدر من موقف الصد والتكذيب والمناوأة الذى أخذ يواجهه منذ أوائل الدعوة، وقد تكررت الاشارة القرآنية إلى مثل هذه الصورة كما تكررت الاوامر القرآنية للنبى ﷺ بالصبر والثبات.

قوله تعالى : « ولا تكن كصاحب الحوت » شدٌ من عزم الرسول ﷺ على الصبر على تكذيب قومه ﷺ برسالته، وتوكيد لالتزامه والتمسك به، و ألاّ يزايل موقفه الذى هو فيه كما فعل صاحب الحوت - وهو يونس عليه السلام - حين أخلى مكانه بين قومه وتركهم مغاضباً لهم بعد أن دعاهم إلى الله تعالى وتوقفوا عن إجابة دعوته .. ولو أنه صبر على عنادهم وعاود نصحهم يوماً بعد يوم لاستجابوا له، إذ كانت فيهم - مع هذا العناد - بقية من خير يمكن أن يكون شرارة يتوهّج

منها نور الايمان لو وجدت من ينفخ فيها برفق وأناة ، ويتلطف فى الامساك بها من غير تعجل ، فنهى الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يكون فى موقف كموقف يونس عليه السلام حين نادى ربه فى حال هو فيها مغيظ غميم ضائق صدره .

وقوله تعالى : « اذ نادى وهو مكظوم » تقرير لحال يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت مع الاشارة إلى حاله وهو ينادى فى جوف الحوت .

٤٩- (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم)

مستأنف سيق لبيان كون المنهى عنه أمراً محذوراً مستتبعاً للغائلة فلولا تداركت نعمة الله تعالى و إحسانه يونس عليه السلام لألقاه الحوت إلى الارض العارية منبوذاً مذموماً .

٥٠- (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)

إشارة إلى حال جديدة أعقبت الحال التى خرج عليها يونس عليه السلام من بطن الحوت.

٥١- (و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون)

اسلوب الاية تنديدى فى معرض حكاية موقف المشركين ، ومبالغة عداوتهم له ﷺ ، وإشارة إلى أن العداوة سرت من القلب إلى النظر ، و تقرير لصورة اخرى فى مواقف المكذبين تجاه دعوة النبى ﷺ إذ كانوا حينما يسمعونه يتلو القرآن الكريم ينظرون إليه ﷺ شزراً حتى يكادوا يلتهمونه ويهلكونه بأبصارهم ويأخذون فى نعته بالجنون .

وقوله تعالى : « ليزلقونك بابصارهم » استعارة والمراد بالازلاق ههنا: ازلال القدم حتى لا يستقر على الارض ، وذلك خارج على طريقة العرب معروفة عندهم، يقول القائل منهم : نظر إلىّ فلان نظراً كاد يصرعنى به ، وذلك لا يكون الاّ نظر المقت والابغاض ، وعند النزاع والخصام ، فالازلاق : الازلال وهو الصرع كناية عن القتل والاهلاك .

وقد أنكر الجبائى أن يكون المراد بقوله تعالى : « ليزلقونك بأبصارهم » الاصابة بالعين لان هذا من نظر السخط والعداوة ، وذلك من نظر الاستحسان والمحبة.

أجيب : بانهم كانوا يبغضون من حيث الدين الا انهم كانوا يستحسنون مصاحبته بايراده الأعاجيب من الحجج والبيان وأنواع المعجزات . . .

وفى قوله تعالى : « لما سمعوا الذكر » دلالة على أن هذا النظر كان يشتد من الكفار حال قراءة رسول الله ﷺ ما جاء من القرآن ، فهم كانوا عندئذ يحدون النظر إلى رسول الله ﷺ بعيون العداوة والبغضاء ، فالذكر كناية عن القرآن .

٥٢- (وما هو الا ذكر للعالمين)

تنطوى رداً قوياً على المكذبين الذين نعتوا النبى الكريم ﷺ بالجنون، رداً عليهم وتوكيداً بأن القرآن هو هدى للعالمين ، ومنبه ومذكر لهم ، لا يمكن أن يصدر هذا من مجنون ، رداً على هذه التهمة الفاجرة الظالمة التى تنطلق بها أفواه هؤلاء المشركين ، وتثبيتاً للنبى الكريم ﷺ فى موقفه ، وإلفاتاً له إلى ما بين يديه من آيات القرآن الذى هو ذكر للعالمين كافة ، وحياة مجددة للناس جيلاً بعد جيل ، وانه لا ذكر ولا قدر لمن فاته الاتصال بهذا الكتاب ، وتلقى عنه . و قطع مسيرة الحياة فى ظله ، و إستجهالاً أن يجنن من جاء بمثله من الآداب والحكم والسنن واصول كل العلوم والمعارف التى يحتاج إليها المجتمع البشرى فى طوال الاعصار . . .

«الاعجاز»

ان التدبر في هذه السورة يلهمنا بوجوه كثيرة من إعجازها نشير إلى ما يسعه المقام:

منها: انها معجزة في حسن تأليفها، والتئام كلمها، وفصاحتها وايجازها، وبلاغتها الخارقة عادة العرب، وصورة نظمها العجيب، والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب، وفي مناهج نثرها، ولم يوجد قبلها نظير حيث انها تشتمل على ثنتين وخمسين آية، فابتدأت بحرف النون، وانتهت فواصل ثنتين واربعين منها بحرف النون، و عشرة منها بحرف الميم على ذات نغمة خاصة، و هي من أوائل السور النازلة...

و منها: انها معجزة في تهديداتها و وعيدها و توبيخها... «فستبصر و يبصرون بأيكم المفتون - سنسمه على الخرطوم - أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون - سنستدرجهم من حيث لايعلمون و املي لهم ان كيدي متين».

يا سبحان الله! من يقول: ان هذا القرآن من كلام «محمد» و هو يحترم عقله، ويصون حياءه، ولايبذله رخيصاً في مجال المهاترات المفضوحة، والنعرات الكاذبة التي لاتغني من الحق شيئاً؟ انه لايقول هذا، ولا يطمئن إليه الاّ من سفه نفسه، و استرخص مرؤته، و استذلّ حياءه، و ركب رأسه!! ان أيّ انسان له مسكة من العقل أو مزعة من الحياء لايمكن أن يقول حتى في وسوسة نفسه و خطرة خاطره: ان هذا القرآن من كلام بشر!

ودع ما فى القرآن الكريم من الاعجاز اللائحة فى كل كلمة من كلماته ، وبين يدى كل آية من آياته ، مما يشيع فى معانيه من اشراق علوى ، وما يترقرق على ألفاظه من وراء سماوى ، و جلال ربانى . . .

دع ما فى القرآن من كل هذا ، وقف عند مثل هذا الاحداث التاريخية التى صحبت نزول القرآن ، و انظر إليها نظر المؤرخ الذى يأخذ العبرة والعظة من منطوق الوقائع والاحداث . . .

ففى هذا الحدث مثلا .. «محمد» ﷺ فى نفر قليل ممن آمن له ، وصدّق برسالته . . يستقبل صلوات الله وسلامه عليه هو ومن آمن به أيدياً مبسوطة بالاذى ، وألسنة متطاولة بالسوء . . تلقاهم صباح مساء . . غادين و رائحين . . لا يملكون دفع الضر ، ولا يستطيعون عنه تحويلاً ! انهم فى هذا الجنس معزولون عن الحياة منقطعون عن كل عون أو مدد إلا ما فى قلوبهم من ايمان ، و ما فى كيانهم من يقين .

أذلك عمل يتولاه عاقل ، و ترضاه له نفسه ، و يطاوعه عليه عقله ؟ و هل فى العقلاء من يرى التيار عاتياً متدفقاً من خلف السد ، يقذف به يمنة ويسرة ، بين الصخور والجنادل ، ثم يصرخ فى القائم على هذا السد أن يفتح عليه كل عيونه و أن يكسر كل حواجزه ؟ أهذا تدبير يكون من عاقل . . إلاّ أن يكون طالب الانتحار والخلاص من الحياة ؟ ، و لم يكن محمد ﷺ طالب انتحار ، بل كان حريصاً أشد الحرص على أداء رسالة ندبته السماء لها ، و وكلته بها و كان من أجل هذا أبعد الناس عن طلب الفرار من الحياة !

هذا هو محمد رسول الله ﷺ و تلك حاله ، و حال من آمن به فى تلك الآونة التى نزلت فيها آيات القرآن مجلجلة ، منذرة ، متوعدة ، مهددة ، موبخة . . صارخة صرخة الحرب . . ! قلة واضحة ، و ضعف ظاهر فى محمد ﷺ وفيمن آمن به ، يقابلها قرآن هادر متوعد ، يضرب الوجوه ، و يدع الرؤس . . . وجوه

السادة المتعالين المتكبرين ، و رؤس الطغاة المتجبرين « فستبصر و يبصرون بايكم المفتون - سنستدرجهم من حيث لايعلمون » انه لن تجد نفس بشرية وسط هذا الضيق الشديد مجالاً تتنفس فيه هذا التنفس القوى العميق ، حتى لكأنها و لاهمّ يكظمها ، ولابلاء يحيط بها ! و أى نفس بشرية فى أيسر يسرها ، و أعدل أحوالها ، وأسعد أوقاتها تشرف على الناس من هذا العلو ، وتخاطبهم بهذا اللسان الزاجر، المتسلط القاهر ، مخاطبة السيد المنعم المحسن للعبد المتنكر للنعمة ، الجاحد للاحسان ! ؟

ایّ انسان يقوم لهذا الموقف فى الناس ، و يخاطبهم بهذا الاسلوب القاهر المسيطر؟ فكيف وهذا الانسان فى مكان المغلوب المقهور ، المأخوذ عليه السبيل إلى أى متجه والمحدّق به الخطر من كل اتجاه؟ ان هذا الانسان لايمكن أن يتلقى هذا الكلام من ذات نفسه ، و لا أن يجد له معيناً فيها ، و مكانا منها . . فان كان له فى تلك الحال مقال ، فلا يكون الاّ فى موادعة و مهادنة ، واستسلام ،

فهذا الكلام القوى المستعلى المتحكم لا يجيىء الاّ من ذات بعيدة عن هذه الاحداث غير متأثرة بها - ذات تعلو على الناس ، و على كل ما يدور بين الناس . . فتفرض إرادتها وحكمها و سلطانها على الوجه الذى تريد ، لاعلى ما تقضى به أحوال الناس ، و تقلبات شئونهم ، و منطق أحداثهم ، ان هذه الايات التى نزلت فى تلك الحال لا تقتضيها أبداً دواعى الحال ، و لا مقتضيات الظرف ، لو انها جرت على أيدى الناس ، و اتصلت بافكارهم وتدبيرهم . . بل كانت الموادعة والمهادنة ، لا الزجر ، والاثارة هى التى تستدعيها الحال ، و يقتضيها الرأى والتدبير ، كما يراه الناس و يدبّره الناس .

و منها : لاشتما لها على الاخبار عن المغيبات الماضية ، والآتية ، وانطوائها بما سلف بلاتعلم و قراءة كتاب من قصة البستان و يونس عليه السلام و احتوائها على دقائق العلوم الالهية و أحوال المبدإ والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد إلى فنون

الحكمة العلمية والعملية ، والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر للقارىء المتدبر ، و يتجلى للمتفكر الخبير .

وقال بعض المفسرين : ان نزول هذه الايات ،كان فى حال اشتدّ فيها ضيق النبى الكريم ﷺ وكاد يقع اليأس فى قلبه من ايمان هؤلاء المشركين الذين ركبوا رؤسهم ، و أسلموا للشيطان قيادهم . .

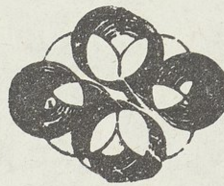
وفى تلك الايات إشارة إلى أن عاقبة هؤلاء المشركين هى الايمان بالله ، والاستجابة للرسول ﷺ كما آمن قوم يونس بعد أن عاد إليهم ، و جدّد دعوتهم إلى الايمان بالله . . كما يقول تعالى : « فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاّ قوم يونس كما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و متعناهم إلى حين » يونس : ٩٨) .

و فى هذا إشارة من أنباء الغيب إلى مستقبل هذه القرية ، و هى مكة ، و أن أهلها سيؤمنون ، كما آمن قوم يونس، فهؤلاء المشركون الذين يقفون هذا الموقف العنادىّ الضالّ من رسول الله ﷺ سوف يدخلون فى دين الله ، وسوف يرى فيهم النبى ﷺ القوم المؤمنين الذين تقوم بأيديهم دولة الاسلام . . . وغاية ما هناك أن يصبر النبى ﷺ وأن يحتمل هذا الموقف المتأزم بينه وبين قومه ، فان الضيق إلى فرج ، وان فى العسر يسراً . وهكذا كانت الاية من البشريات المسعدة ، التى بشّر بها النبى ﷺ فى قومه ، الذين كان شديد الحرص على هدايتهم و نجاتهم من الهلاك الذى يتدافعون إليه . .

و منها : لاخبارها عما فى قلوب بعض زعماء المشركين من تمنيها فى ملاينة النبى ﷺ معهم ومجاراته لهم حتى يقابلوه بالمثل ، ولو كان هذا كذباً لكذّبوه بقوله تعالى : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » انهن كلمـات الله تعالـى . . بهن كانت معجزة النبى الكريم ﷺ وبهن وقع الاعجاز ، و تشهد له ، وتقيم الحجة على مكانته وعلو مقامه ﷺ الذى لا ينال به الاّ بها . .

و منها : تحديهم بقوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ـ إلى ـ سلهم أيهم بذلك زعيم » فقد كان القرآن الكريم منذ أول يوم نزل فيه إلى المشركين فى حرب قاسية، وصراع مرير متصل ، وقد كانت دعوته إليهم دعوة تريدهم على أن ينخلعوا عن معتقدات وعادات تمكنت من نفوسهم وسكنت فى قلوبهم . . والعرب بخاصة أحرص الناس على مألوف التقاليد والعادات ، و أشدهم حفاظاً على موروث الاباء والأجداد لا ينخلعون عن تقليد من تقاليدهم إلاّ إذا انخعلت عنهم الحياة ولا يتخلّون عن عادة من عاداتهم إلاّ إذا تخلت عنهم أرواحهم التى تسكن كيانهم .

ولقد جاء القرآن الكريم يدعوهم إلى الانخلاع عن كثير من عاداتهم ومألوف حياتهم فقابلوا دعوته بالاستهزاء والسخرية والداعى بالجنون . . .



«التكرار»

ثلاث سور يشتمل كل واحدة منها على ثنتين وخمسين آية :

١- سورة ابراهيم . ٢- سورة القلم . ٣- سورة الحاقة .

وهذه السورة أول سورة بدئت باحدى الحروف المقطعة ، وان السور التى افتتحت بها تسع وعشرون سورة .

وقد نفى الله تعالى الجنون عن نبيه ﷺ ونزّهه عنه فى أول هذه السورة، و أشار فى آخرها إلى نسبة المشركين الجنون إلى النبى الكريم ﷺ و لقد تكررت هذه الصورة فى القرآن الكريم ، و هى مما يدل على ان هذا الموقف والقول كان يتكرر من الكفار، و ان اسلوب الآية الثانية يلهم بقوة ان الكفار لم يعنوا بنعت رسول الله ﷺ بالجنون انه كان مختل العقل أو به خبل و صرع ، مما هو من أعراض الامراض العقلية ، إذ كان ﷺ من النباهة فى درجة لا يعقل معها ذلك ، وهم يسمعون مايتلوه عليهم من الفصول القرآنية الرائعة فى بلاغتها وقوتها وحكمتها وأمثالها وانسجامها ، ومابدا منهم من جنوح إلى التفاهم معه و مصانعته ، وحلفهم له الأيمان على ذلك دليل قوى آخر .

وفى القرآن الكريم آيات تفيد انهم كانوا يعرفون فى النبى ﷺ رجاحة العقل وسلامة الذهن ، والبعد عن الفضول والتكلف مثل مايلهمه قوله تعالى :«قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس : ١٦) ومايلهمه قوله تعالى : « أفلم يدّبّروا القول ام جاء هم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » المؤمنون : ٦٨ - ٦٩)

فالذى يتسق مع هذا ان نعتهم كان على سبيل الاستنكار ، ومن قبيل ما اعتاد الناس أن يفعلوه إزاء من يدعو إلى شيء جديد مثير فى العقائد والآراء ، ويرون منه جرأة لا تتسع لها حوصلتهم ، ومن المحتمل أن يكونوا قد أرادوا بذلك أيضا نسبة اتصال الجن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وتلقيه عنهم على ما كانوا يعتقدونه بالنسبة إلى الشعراء والكهان والعرافين والسحرة ، ولعل نسبتهم الشعر والكهانة والسحر إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ماجاء فى كثير من الايات القرآنية كقوله تعالى : «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون » الذاريات : ٥٢) و كقوله تعالى : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن و لا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين » الطور: ٢٩-٣١)

ومن الممكن أن يكون نعتهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون يرمى إلى القصدين معاً ، بحيث كانوا أو كان بعضهم يقصد هذا حينا ، وكانوا أو كان بعضهم يقصد ذاك حينا .

وفى سورة الشعراء آيات تنفى تنزل الشياطين بالقرآن ، وهى : «وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » : ٢١٠ - ٢١٢) وفى سورة الحجر آيات تحكى قولهم انه مجنون وتتحداه أن يأتى بالملائكة إن كان من الصادقين وهى : « وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين » : ٦ - ٧)

كأنما تقول : ان اتصالك انما هو بالجن ، والا فأتنا بالملائكة ان كنت صادقاً ان اتصالك بالله حيث كانوا يعترفون ان الملائكة هم المختصون بخدمة الله و يعتقدون انهم بنات على ما حكته عنهم آيات كثيرة منها آيات الصافات هذه : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون» : ١٤٩ - ١٥٠) .

وفى هذه السورة صورة مما كان يطرأ على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من أزمات

وضيق صدر من موقف الصد والتكذيب والمناوأة الذى أخذ يواجهه منذ أوائل الدعوة ، وقد تكررت الاشارة القرآنية إلى مثل هذه الصورة كما تكررت الاوامر القرآنية للنبى ﷺ بالصبر والثبات ، وان الاشارة إلى صاحب الحوت هى أولى الاشارات القرآنية إلى الانبياء و قصصهم لأن صاحب الحوت هو يونس النبى عليه السلام على ما ذكر ذلك بصراحة فى سورة الصافات ، ثم توالت الفصول القرآنية فى قصص الانبياء وأقوامهم ، ومعظمها تكرر وروده أكثر من مرّة مقتضبا فى مكان مسهباً فى مكان آخر حتى شغلت حيزاً غير قليل من القرآن ، وخاصة المكى منه، واقتضاب الاشارة وخاصة الاكتفاء بالاشارة الضمنية إلى النبى يونس عليه السلام بتعبير صاحب الحوت يدلان على أن قصة يونس لم تكن غريبة عن سامعى القرآن .

و ان الاشارة إلى صاحب الحوت هنا وردت فى معرض التمثيل والتحذير والتثبيت حتى لايضيق صدر النبى ﷺ بموقف التكذيب واللجاج الذى وقفه قومه منه ، وهذا ما استهدفته قصص الانبياء فى القرآن التى يلحظ أنها استهدفته هدفين :

أحدهما - تثبيت النبى ﷺ ودعوته إلى التأسى .

ثانيهما - إنذار الكفار و تذكيرهم بما حل بمن سبقهم من الجاحدين المكذبين الصادين .

و كلمة «العالمين» قد تكررت فى القرآن المكى ، و فى مختلف أدوار التنزيل فى صدد رسالة النبى الكريم ﷺ بمعنى جميع الناس فى الدنيا ،وهذا ينطوى على معنى عموم الرسالة المحمدية وشمولها لجميع الاجناس والالوان والأقطار ، وتبكير ورود الكلمة فى هذا المعنى يعنى ان ذلك كان محكما منذ بدء الدعوة خلافاً لما يخلو لبعض المستشرقين أن يزعموه ، بان ذلك كان تطوراً متأخراً .

هذا ويلحظ ان فصول السورة قد نزلت بمناسبة مواقف الكفار، و أقوالهم

واحتوت رداً عليهم ، و إنذاراً و تثبيتاً و تأييداً للنبي ﷺ والمسلمين ، فهي من قسم الوسائل ، و يصح أن تكون نموذجاً كاملاً من نماذجه المبكرة في النزول ، ومع ذلك فقد تخللها مبادى اجتماعية وايمانية محكمة أيضاً ، ممافيه سورة من صور التنزيل القرآني التي تكررت في كثير من فصول القرآن وسوره .

و نشير في المقام إلى صيغ تسع لغات - أور دنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السورة القرآنية :

١- جائت كلمة « القلم » على صيغها في القرآن الكريم نحو : ٤ مرّات :

أحدها - سورة القلم : ١) ثانيها - سوره العلق : ٤) ثالثها سورة لقمان :٢٧) رابعها - سورة آل عمران : ٤٤) .

٢ « « « الدهن » « « « : ٥ مرّات :

أحدها - وثانيها - سورة القلم : ٩) ثالثها- سورة الواقعة : ٨١) رابعها - سورة الرحمن : ٣٧) خامسها - سورة المؤمنون : ٢٠) .

٣ « « « النميمة » « « « : مرّة واحدة :

وهي في سورة القلم : ١١)

٤ « « « العتل » « « « : مرتين :

أحدهما - سورة القلم : ١٣) ثانيهما - سورة الدخان : ١٧)

٥ « « « الزنيم » « « « : مرة واحدة :

وهي في سورة القلم : ١٣) .

٦ « « « الخرطوم » « « « : مرة واحدة :

وهي في سورة القلم: ١٦) .

٧ « « « الصريم » « « « : ٣ مرات :

وهي في سورة القلم : ١٧ - ٢٠ - ٢٢) .

٨ « « « الحرد » « « « : مرّة واحدة :

وهى فى سورة القلم : ٢٥) .

٩ « « « الزلق » « « « : مرتين :

أحدهما - سورة القلم : ٥١) ثانيهما - سورة الكهف : ٤٠) .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة العلق باعتبار ، و بعد سورة الفاتحة باعتبار آخر ، و نحن فى المقام بصدد تناسب هذه السورة لسورة العلق و هو بوجوه أهمها ثلاثة :

منها : ان الله تعالى لما بيّن فى سورة العلق الدعوة العلنية النبوية منذ بدئها ، و أشار إلى تصدّ زعيم من كبار الزعماء و هو أبوجهل ، و تعرّضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و وصفه بالقوة ذكر الله تعالى فى هذه السورة الكذاب الحلاف و وصفه بذى مال و بنين على سبيل الجمع ، و هذا يدل على انهم وقفوا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه المواقف ، وطلبوا منه المداهنة ونعتوه بالضلال هم من ذوى اليسار ، ولقد كان المتصدى له صلى الله عليه وآله وسلم فى المرة الاولى زعيم من الزعماء الاغنياء أصحاب العصبية .

وبادرت فى المرة الثانية طبقة الزعماء والاغنياء إلى الوقوف من النبى صلى الله عليه وآله وسلم موقف المناوأة منذ بدء الدعوة حيث رأوا على ما يبدو فى حركته صلى الله عليه وآله وسلم مايهدد مركزهم و مصالحهم ولاسيما حينما رأوه يدعو ـ فى السور والفصول القرآنية واحدة بعد اخرى مضافاً إلى إطعام الجائعين والتصدق على الفقراء والمساكين

والرفق بالضعفاء فرأوا أن أكثر هؤلاء آمنوا به ولقد ظلت هذه الطبقة تقود حركة المناوأة للرسول ﷺ والتأليب عليه إلى النهاية ، فتحول دون انتشار دعوته والاستجابة إليها بمقياس واسع ، و أشار في سورة العلق إلى أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ذكر في هذه السورة نموذجاً من ذلك .

و منها : ان الله تعالى لما نهى رسوله ﷺ في سورة العلق من اطاعة المتصدي الزعيم بمرة الاولى إذ قال : « كلا لاتطعه » نهى نبيه ﷺ في سورة القلم من إطاعة المتصدين الزعماء بالمرة الثانية اذ قال : « فلاتطع المكذبين » حيث كانوا راغبين في ملاينة رسول الله ﷺ معهم و مجاراته لهم حتى يقابلوه بالمثل كما ورد كثيراً انهم طلبوا منه ذكر آلهتهم بالخير أو السكوت عنها يستمعوا إليه ، و يجاروه في بعض ما يطلب و لقد كان الرسول ﷺ منذ البدء شديد الحب على هداية قومه شديد الحزن من إنقباضهم عن دعوته و بخاصة الزعماء كما ذكر في سورة عبس ، لانهم يسدّون الطريق أمام السواد الاعظم من العرب ، فكان بعض الزعماء يستغلون هذه العاطفة ويعرضون عليه مباشرة أو بواسطة عمه أبي طالب عليه السلام بعض العروض والاقتراحات بسبيل تبادل الملاينة والمسايرة كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزّونك من الارض ليخرجوك منها ـ ولا تجد لسنتنا تحويلا » الاسراء : ٧٦ ـ ٧٧) .

و ورد ايضاً ان فريقاً من زعماء قريش اقترحوا عليه السكوت عن شتم آلهتهم و تسفيه أحلامهم ليحاسنوه و يسايروه ، و فريقاً منهم طلبوا منه الابقاء على بعض تقاليدهم و طقوسهم مدة من الزمن ، و فريقاً منهم طلبوا منه الالمام بأصنامهم كما يفعل بالحجر الاسود ، وفريقاً منهم طلبوا منه السماح لهم بذلك ، و فريقاً منهم طلبوا منه قرآناً خالياً من الحملة عليهم و على شركائهم ، ومنهم طلبوا منه طرد الفقراء والمساكين من حوله اذا كان يريد منهم أن يجلسوا إليه ، ويستمعوا منه ويستجيبوا له كما صرّح تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون

ربهم ـ أليس الله باعلم بالشاكرين » الانعام : ٥٢ـ٥٣) و قال : « و اصبر نفسك مع الذين يدعون . . الاية » الكهف : ٢٨) .

و هذا و جنوح الزعماء إلى طلب المداهنة والملاينة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم و وعدهم بالمقابلة بالمثل منذ عهد مبكر ، و استمرارهم على ذلك يدل على انهم لم يكونوا يجدون في أنفسهم من القوة ما يستطيعون به ارغامه على الكف عن دعوته والاعتدال في تنديداته وحملاته ، كما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لديه من الجرأة والقوة الروحية والاستغراق في الله تعالى مايجعله غير مبال بما كان عليه الزعماء من قوة و مال و كثرة ، و ما يجعله يظل يقذف بنذر القرآن وحملاته في وجوههم ، و يقرع بها آذانهم منذ بدء الدعوة و يدل في الوقت نفسه على أن الزعماء يعرفون ذلك ، و في هذا ما فيه من العظمة و بليغ الاسوة .

ورد في السير : ان زعماء قريش جاؤا إلى أبي طالب متذمرين أكثر من مرة طالبين منه ردع ابن أخيه عن شتم آلهتهم و تسفيه عقولهم ، و مما قالوه له في إحدى المرات و كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاضراً في مجالسهم : اننا نحب أن يسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا .

و ورد : ان زعماء قريش عرضوا أكثر من مرة و بأساليب متنوعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يريده من مال ليجعلوه أغناهم اذا هو تخلى عن حركته مما صورة مماكان بينهم وبينه من نضال و تشادّ ، و مما فيه من الوقت نفسه صورة من تفكير الزعماء في ماهية الدعوة المحمدية حيث لم يستطيعوا أن يهضموا أن يتكلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القيام بهذه المهمة الشاقة و يناضل في سبيلها نضالاً قوياً بدون غرض و مآرب خاص ، فكان يقابل عرضهم بالاباء ، و يعلن بأمر الله تعالى ولسان القرآن انه لايسئلهم أجراً ، وليس له غاية الا هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، و ضمان السعادة لهم في الدنيا والاخرة .

و في إحدى المرات قال لعمه أبي طالب : اريد منهم أن يعطوني كلمة

يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ، فقالوا له : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : تقولون : « لا اله الا الله » و تخلعون ماتعبدون من دونه ، فصفقوا و قال بعضهم لبعض: ماهذا الرجل بمعطيكم شيئاً. وصرح الله تعالى بماتقدم فى كتابه المجيد : «قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ـ قل ماسئلتكم من أجر فهولكم إن أجرى الا على الله » سبأ : ٤٦ ـ ٤٧) وقال : « ام تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون » القلم : ٤٦) وماكان الزعماء يتهمونه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك

و منها : ان الله تعالى لما أشار إلى القلم ممتناً به على الانسان فى سورة العلق أقسم بالقلم فى هذه السورة تعظيما له و لآثاره . . .

و أما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور :

أحدها ـ لما صرح الله تعالى فى سورة الملك بانه خلق الموت والحياة ليبلو الانسان، وجعله على مايصح به الامتحان من القوى الظاهرة والباطنة وسخر له الارض والسماء وأرسل إليه الرسل ليسير سير كماله الجسمانى وينال بكماله المعنوى ، و بين فيها ان الانسان فى ذلك على طائفتين : طائفة كفر وعصيان يتبعهم الخزى والهوان ، والهلاك والعذاب و طائفة مومنة و طاعة و لهم عزة و كرامة وتنعم من نعيم الاخرة جاء فى سورة القلم بذكر نموذج من ذلك فاشار إلى قصة البستان وما رتب عليها تنبيهاً لهذا الانسان .

ثانيها ـ لما ختم الله تعالى سورة الملك بذكر تكذيب المشركين وتهديدهم بتغوير الارض ماءهم ذكر فى هذه السورة ما هو كالدليل على ذلك ، و هو ثمر البستان الذى طاف عليه طائف ، فأهلكه وأهاك أهله وهم نائمون .

ثالثها ـ لما جاء فى ختام سورة الملك قوله تعالى :« قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أورحمنا » تنبيها إلى نظرة الكراهية والاستثقال التى ينظر بها المشركون إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى مقامه فيهم ، حتى أنهم كانوا يتمنون زواله من بينهم جاء فى مفتتح هذه السورة مايضفى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلل

التكريم والتمجيد التى ألبسها اياه ﷺ ربه ومزجها بواقعه ﷺ إذ وصفه ﷺ الله بصفات لو قسمها فى خلقه جميعاً لارضاهم وأغناهم وأسعدهم فقال: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجراً غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم» و فى هذا مايكبت المشركين، ويملأ قلوبهم حسرة و كمداً رغم ما كانوا عليه من الكراهة والتمنى . . . ودفعاً لما سيرمونه بالجنون والكذب والسحر والشعر... وتسلية لنبيه ﷺ تجاه تلك النسب الواهية . . . وصبراً عليها وتبرأة منها .

وأما الثالثة: فلما أثبت الله تعالى لنبيه ﷺ من الصفات والكمال ،ومن الجزاء والكرامة عنده على طريق القسم لو قسمها بين الخلق كلهم لأرضاهم ولو اتصفوا بها السعدوا أخذ بذكر ما يحل بمن يكذب هذا النبى ﷺ و كفر من النكال والوبال فى الدنيا ومن النار والعذاب فى الآخرة فقال: «فستبصر ويبصرون بايكم المفتون» ثم اكد ما تضمنه الكلام السابق من الوعد والوعيد بقوله تعالى: «إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله»

ان الله تعالى لما أشار إلى ماتم على نبيه ﷺ من النعم أخذ بذكر ما يقوى قلبه ﷺ ويدعوه إلى التشدد مع قومه مع قلة العدد و كثرة الكفار ، فنهاه ﷺ عن طاعتهم عامة بقوله تعالى: «فلا تطع المكذبين» مع الايماء إلى سبب النهى ، ثم أعاد النهى عن طاعتهم الذين اتصفوا بذميم الاخلاق بقوله تعالى: «ولا تطع كل حلاف مهين» مع ذكر تسع صفات كلها ذميم ، تنبيهاً إلى قبح سيرتهم وضعة نفوسهم وتدسيتهم لها بعظيم الذنوب والآثام . . . مع الاشارة إلى ما يتبعها من المذلة والهوان بقوله: «سنسمه على الخرطوم»

وأما التناسب بين البلاء الذى ابتلى به أصحاب الجنة ، وما ابتلى الله تعالى به المشركين فما ينظر و يتدبر فى الايات التى تعرض لقصه أصحاب الجنة يرى انها تمثل تمثيلاً صادقاً موقف المشركين من رسول الله ﷺ ومن الخير الذى يبسط به يده الكريمة إليهم ، وأنهم كانوا بين يدى هذا الخير بين مغالين و

مقتصدين فى التدبير السيّء له ،وان المغالين منهم قد غلبوا على المقتصدين، فكانوا جميعاً فى هذا الموقف المنحرف من الخير الذى يدعون إليه والذى يريدون حرمان الفقراء والمستضعفين من الاتصال به والافادة منه . .

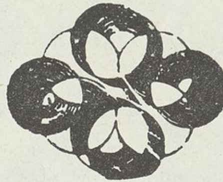
وهكذا تجرى أحداث قصة أصحاب الجنة خطوة خطوة مع مسيرة المشركين وموقفهم من تلك الجنة السماوية التى بين أيديهم . لقد ضلوا عنها أول الامر، وحرموا زمناً من ثمرها الطيب المبارك ثم رجعوا إلى الله نادمين مستغفرين بعد أن مسّهم بعض العذاب فى الدنيا بما اصيبوا به فى بدر وغيرها ، وبمن مات منهم على شركه و كفره من النار والعذاب .

ان الله تعالى لما أوعد المشركين و أنذرهم بالدمار والهلاك فى الدنيا ، والنار والعذاب فى الاخرة مستشهداً بحال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة إذ عصوا ربهم وخالفوا أمره ، وفى وراءها عذاب الاخرة تنفيراً عن فعالهم وسلوكهم ، أخذ بذكر الوعد وتبشير المتقين بالجنة ونعيمها الباقى ترغيباً للمشركين إلى سبيل المتقين ورداً على المشركين فى إدعائهم بتساويهم لهم فى مآل أمرهم فقال : « ان للمتقين عند ربهم - ان كانوا صادقين » .

ان الله تعالى لما نفى شركاء المشركين الذين يزعمون انهم وسيلة لو كان هناك بعث و حساب وجزاء أشار إلى أن وسيلة السعادة وحيدتها هى الخضوع لله تعالى وحده بتوحيد الربوبية فى الحياة الدنيا حتى يحمل معه صفة الخضوع ، فيسعد بها يوم القيامة ،إذلا شركاء لله سبحانه قط ، ولا شفاعة وهم خالون عن الخضوع لله وحده بقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق فهم يكتبون » و فى هذه القطعة تخويف الكفار من هول يوم القيامة وهوانه ، وتخويفهم من قهر الله تعالى وغضبه عليهم فى الحياة الدنيا، وسئوالهم عما يمنعهم عن قبول الحق، ويحثهم على التكذيب به تنديداً بهم .

ان الله تعالى لما بالغ فى تزييف طريق المشركين وزجرهم عما كانوا هم عليه

أمر رسوله ﷺ بالصبر على ما يلقى من سفاهة السفهاء وحماقة المحمقين منهم فقال : « فاصبر لحكم ربك الخ » مع الاشارة إلى تبعة عدم الصبر بذكر صاحب الحوت ثم إشارة إلى شدة عدوانهم وعنادهم إلى ان سرت من القلب إلى النظر بقوله : « و إن يكاد الذين كفروا . . الخ » تنبيها إلى علة ما كانوا يرمون النبى ﷺ إلى الجنون وقد نفاه عن رسوله ﷺ فى أول السورة قبل أن يرموه ففى أولها إخبار بما فى ختامها ، ثم ردّ عليهم فيما كانوا يرمونه ﷺ تثبيتاً للنبى الكريم ﷺ فى موقفه ، وتسجيلاً لامره بقوله : « وماهو الاّ ذكر للعالمين » ففى تماسك بدء السورة بختمها مالا يخفى على القارى الخبير فتأمل جيداً .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قال ابن حزم: قوله تعالى: « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون » وقوله تعالى: « فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهو مكظوم » القلم: ٤٤ و٤٨) منسوختان بآية السيف وهى قوله تعالى: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و خذوهم و احصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » التوبة: ٥)

أقول: ان الاية الاولى إستدراج، والاية الثانية بصدد بيان شيمة الانبياء وملازم النبوات، فلا نسخ.

وعن بعض المتفسرين: ان قوله تعالى: « أم عندهم الغيب فهم يكتبون» القلم: ٤٧) من المتشابهات اذ كانت قريش اميين، فكيف جعلهم الله كاتبين ؟

أقول: ان الكتابة هنا بمعنى الحكم أى أعند المشركين المكذبين علم الغيب فهم يحكمون عليه، فيقولون سنقهرك و نطردك، وتكون العاقبة لنا لا لك.

ومثله قول الجعدى:

ومال الولاء بالبلاء فملتم - وماذاك حكم الله اذهو يكتب. أى يحكم بيده

ومثله قول الاخر:

يا ابنة عمى كتاب الله أخرجنى - عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا.

أى حكم الله.

ومثل قوله للمتحالفين إليه: والذى نفسى بيده لاقضين فيكما بكتاب الله

أى بحكم الله تعالى لانه أراد الرجم والتعذيب ، وليس ذلك فى ظاهر كتاب الله .

وقال تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » المائدة : ٤٥)

وعنهم ايضا : ان قوله تعالى : « لولا أن تداركه رحمة من ربه لنبذ بالعراء وهومذموم » القلم : ٤٩) من المتشابهات لخلاف بينها وبين قوله تعالى : « فنبذناه بالعراء وهوسقيم » الصافات : ١٤٥) لايمكن الجمع بينهما اذقال فى الاخير : نبذناه مطلقا ، وقدقال : لولا أن تداركه لنبذ ، فجعله شرطاً .

أقول : معنى ذلك : لولا انا رحمناه باجابة دعائه ، لنبذناه حين نبذناه بالعراء مذموماً ، و قد كان نبذه فى حالته الاولى سقيماً يدل عليه قوله تعالى : « فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » القلم : ٥٠) لكن تداركه الله جل وعلا بنعمة من عنده ، فطرح بالفضاء وهوغيرمذموم ، واختاره الله وبعثه نبياً ، فلاخلاف ولا تناقض بين الآيتين ، وإن كان فى موضع : نبذناه مطلقا وهوسقيم ، ولم يكن فى هذه الحالة بمليم ، وفى موضع آخر نبذ مشروطاً ، ومعناه : لولا أن رحمنا يونس عليه السلام لنبذناه ملوماً ، وكان لوم عتاب لالوم عقاب لانه بترك الاولى .

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (ن والقلم وما يسطرون)

في « ن » أقوال : ١- عن مجاهد والسدى ومقاتل ومرة الهمداني وعطاء والكلبي : « ن » الحوت الذى عليه الارضون .

وعن إبن عباس : النون: الحوت الذى تحت الارض السابعة ، وقال : أول ما خلق‌الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع بخار الماء ، فخلق منه السماء ثم خلق النون ،فبسط الارض على ظهره فمادت‌الارض ، فأثبت بالجبال ،وان‌الجبال لتفخرعلى الارض . وعن مجاهد : « ن » الحوت الذى تحت الارض السابعة .

٢- قيل : « ن » الحوت الذى التقم يونس عليه‌السلام ذكره‌الله تعالى في قوله: « ولاتكن كصاحب الحوت » وقوله تعالى : « وذا النون اذ ذهب مغاضباً»الانبياء : ٨٧) واطلاق « ن » على الحوت‌لان في بعض الحيتان مادة تصلح للكتابة ،فأقسم الله تعالى بالدواة وبالقلم،وبكل ما يكتب من كتب‌الخير . وقال بعض‌المفسرين: ان أصحاب السحر يستخرجون من بعض‌الحيتان شيئاً اسود كالنقس اوأشدّ سواداً منه يكتبون منه ، فيكون النون وهو الحوت عبارة عن الدواة و يعضده ما روى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال : أول شيء خلقه‌الله القلم ثم خلق النون وهو الدواة ثم‌قال : اكتب ماهو كائن من عمل أوأثر أورزق أو أجل فكتب ماهو كائن وما كان‌إلى يوم القيامة ثم ختم على القلم فلم ينطق إلى يوم القيامة .

٣- عن الحسن وقتادة والضحاك : « ن » دواة ، والقلم يكتب بها .

٤- عن ابن عباس أيضا وسعيد ابن جبير : « ن » اسم من أسماء الله تعالى ، وذلك إذا اجتمعت أوائل هذه السور الثلاث: « الر » و«حم» و«ن» يكون مجموعها كلمة « الرحمن »و«ن» حرف من آخر حروف «الرحمن» فذكر الله تعالى حرف آخر هذا الاسم ، والمقصود : القسم بتمام الاسم . وعن إبن زيد : «ن» قسم اقسم الله تعالى به .

٥- قيل : «ن» : لوح من النور ، وقيل : « ن » مفتاح اسم النور عن عطاء . وقيل : إشارة إلى قول النبي الكريم ﷺ : أول ما خلق الله نوري فيكون النور اسمه .

٦- قيل : «ن» إشارة إلى نبوة النبي ﷺ .

٧- عن محمد بن كعب : «ن» قسم بنصرة الله تعالى المؤمنين لقوله :«وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقيل : «ن» مفتاح إسم الناصر والنصير عن أبي العالية .

٨- قيل : «ن» : إسم من أسماء الله تعالى .

٩- قيل : «ن» : حوت لطخ سهم نمرود بدمه حيث سار إلى السماء لمبارزة إله إبراهيم عليه السلام فرمى السهم نحو السماء ، فعاد السهم مختضباً بدم سمكة في بحر معلق في الجو .

١٠- قيل : اريد بـ «ن» الانسان لقوله تعالى : « الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » .

١١- قيل : «ن» إسم لهذه السورة أي هذه سورة « ن » مثل «حم» و«ص» و «يس» وما أشبه ذلك . أقسم الله تعالى بها على سبيل التأكيد في اثبات الحكم على ما عليه الامر بنفي الجنون عن رسوله ﷺ كما ان القسم في القرآن إما لاثبات أمر غير محسوس، وإما لنفي أمر غير محسوس .

١٢- قيل : «ن» : إسم نهر في الجنة .

١٣- قيل : «ن» نون الذات والقلم : قلم الصفات .

١٤- قيل : «ن» : ام الكتاب ، وهى نون النقطة التى هى مرتبة الاحدية كما قال الامام على عليه السلام فى خطبته على رؤس الاشهاد : « أنا نقطة باء بسم الله الذى فرطتم فيه ، أنا القلم ، و أنا اللوح المحفوظ و أنا العرش ، وأنا الكرسى و أنا السموات السبع والارضون أنا القرآن والسبع المثانى وروح الروح لاروح الأوانى » فاذاصح و ارتفع عنه تجلى الوحدة اثناء الخطبة يشرع معتذراً و يقر بعبوديته وضعفه وإنقهاره تحت الأحكام الالهية . . .

١٥- عن إبن كيسان : «ن» : هوفاتحة السورة .

١٦- عن أبى نصر القشيرى : «ن» حرف من حروف المعجم والهجاء لانه لو كان غير ذلك لكان معرباً ، ولو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فاذن هو حرف من حروف الهجاء كما فى سائر مفاتيح السور .

١٧- قيل : «ن» الحوت الذى فى البحر وهو من آيات الله تعالى إذخلقها فى الماء فاذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماءمات .

١٨- قيل : «ن» :حرف من حروف مقطعة فى أوائل السور أنها حروف تنبيهية نحو : «ألا» و «أما» و نحوهما التى تجيىء لاسترعاء الاسماع والاذهان لما يأتى بعدها .

١٩- قيل : «ن» : هى من المتشابه الذى لايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفونه باحالة المتشابه على المحكم والذين هم على الايمان به ايمانهم بالمحكم اذ « كل من عند ربنا »

٢٠- قيل : «ن» : إشارة إلى العلم الاجمالى المندمج فى الاحدية الذاتية الجمعية ، وان القلم إشارة إلى العلم التفصيلى فى الوحدة الاسمائية ، و ذلك ان الدواة مشتملة بما فى بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة إشتمال النواة على الشجرة وإندماج الشجرة المفصلة فى النواة المجملة ، فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ماهو فى ضمير الدواة بالاجمال .

أقول : والثانى هوالانسب بظاهر قصة يونس عليه السلام الاتية وان كانت الروايات الآتية تؤيد الثانى عشر من الاقوال من غير تناف بينهما فتأمل جيداً .

وفى «القلم» أقوال : ١- عن ابن عباس : القلم : هوا لقلم الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ ، وقال : هذاقسم بالقلم الذى خلقه الله ، فامره فجرى بكتابة جميع ماهو كائن إلى يوم القيامة ، وهوقلم من نورطوله كمابين السماء والارض .

وقيل : ان الله تعالى خلق القلم ثم نظر إليه ، فانشق نصفين ، فقال : أجر فقال : يا رب بما اجرى ؟ قال : بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فجرى على اللوح المحفوظ .

فالمراد بالقلم : قلم التكوين وهوالقلم المعهود الذى جاء فى الخبر : ان أول ماخلق الله القلم .

٢- قيل : اريد بالقلم : قلم التشريع وهوالذى تنشر به الشرايع ، و يدعو الناس إليها و يبين الوظائف والآداب والسنن والجزئيات التى يحتاج إليها المجتمع البشرى فى كل جيل ودهر مادام الشرع باقياً .

٣- قيل : أى قلم التقدير كما قال تعالى : « والذى قدّر فهدى » فكتب القضاء والقدر للانسان ، والتقادير لكل شيء .

٤- قيل : أى قلم الثواب والعقاب .

٥- قيل : اريد بالقلم ماأودعه الله تعالى فى الانسان وهويقدر به على الكتابة وعبّر عنه بقلم التعليم فى قوله تعالى : « الذى علم بالقلم » العلق : ٤) وبه تنشر التواريخ ويتآلف به الكتاب ، ولما فيه من البيان كاللسان .

٦- عن مجاهد : القلم : الذى كتب به الذكر .

٧- عن قتادة : القلم نعمة من الله تعالى على عباده .

٨- قيل : القلم : كل قلم من غير استثناء ، فيشمل كل قلم يكتب به لان

الالف واللام فيه للجنس، فتفيد العموم كما يؤمى عليه قوله تعالى: «ومايسطرون» فيكون القلم كناية عن أدوات الكتابة اياً كان نوعها مما وجد بالفعل أوسيوجد قريباً أو بعيداً.

فالكتاب كتاب التكوين الذى سطر مافى الكون ونظامه وحقائق الوجود بالقلم وشرع به للمكلفين مافيه سعادته وعزته دنيا وآخرة، وشأن القلم التشريعى لاينقص عن القلم التكوينى الذى نقش به صورة الكون لان القلم التشريعى دخيل فى نظم الكون، فالقلم الذى رسم الوجود الانسانى لاينقص قدراً وشأناً عن القلم الذى سطر الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والتى فيها عزة الانسان وسعادته، وان القلم: هو واقع على كل قلم مما يكتب به من فى السماء ومن فى الارض.

قيل: خلق الله تعالى القلم الاول، فكتب مايكون فى الذكر ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثانى ليكتب به فى الارض.

٩- قيل: اريد بالقلم أصحابه، فضمير «يسطرون» راجع إليهم كأنه قيل: وأصحاب القلم ومسطوراتهم.

اقول: والثانى هو الانسب بظاهر السياق وعليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الروايات الاتية فتدبر.

وفى قوله تعالى: «ومايسطرون» أقوال: ١- عن ابن عباس: أى مايكتبه الحفظة، وهم الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم عليه السلام من خير وصلاح أو شر وفساد، ويكتبون ما يوحى إليهم.

٢- عن ابن عباس أيضا وقتادة ومجاهد: أى ومايكتبه الكاتبون من الناس، فيتفاهمون به، وعلى هذا فتكون «ما» موصولة والمراد به المكتوب.

٣- عن ابن عباس أيضا: «وما يسطرون» أى وما يعلمون.

٤- قيل: ان الله تعالى أقسم بالقلم وبالكتاب وعلى هذا فتكون «ما» مصدرية.

٥- قيل: أى مايسطرون من الافعال والشئون الالهية على لوح القدرة

والارادة حرفاً حرفاً .

٦- قيل : أى وما يكتب به الكاتبون الكتب . فكأنه أراد بما يسطرون : القراطيس .

٧- قيل : أى يكتبون بالقلم اللوح ، فضمير الجمع للتعظيم له .

٨- قيل : أى يكتبون بجنس مابه الخط ، فضمير الجمع لتعدده لكنه ليس بكاتب حقيقة بل هو آلة للكاتب، فالازدياد مجازى ، وضمير العقلاء لقيامه مقامهم، وجعله فاعلاً أو للكتبة أو الحفظة المفهومين من القلم أولهم باعتبار انه اريد بالقلم أصحابه تجوزاً أو بتقدير مضاف معه .

٩- قيل : اريد بما يسطرون الدواة على تقدير وبما يسطرون به من الدواة.

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين ولكن الروايات الآتية تؤيد السابع من الاقوال ، ويمكن الجمع بينهما بالحمل على التعميم.

٢- (ماأنت بنعمة ربك بمجنون)

فى «بنعمة» أقوال : ١- قيل : النعمة : النبوة، والمعنى: ماأنت بنبوة ربك بمجنون ، بل أعطاكها الله تعالى منعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأى ، و تدفع هذه النعمة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كل اختلال عقلى حتى تستقيم الهداية الالهية اللازمة فى نظام الحياة الانسانية .

٢- قيل : النعمة : العصمة ، **أى ما أ**نت بعصمة ربك بمجنون .

٣- قيل:النعمة: الحمد، والمعنى:**ماأ**نت بحمد ربك بمجنون، وذلك كقولك لصاحبك : أنت بحمدالله عاقل ، **وأنت بح**مدالله لست بمجنون .

٤- قيل : أى ما أنت بمجنون **والنعمة** فى ذلك لربك كما يقال : سبحانك اللهم بحمدك أى والحمد لك .

٥- قيل : أى ماأنت مع نعمة **ربك** بمجنون على أن الجنون نوع نعمة من الله تعالى إذا اقتضت المصلحة ، **ولكن مع ذلك لست بمجنون .**

٦- قيل : ان الناس يرون النبوة جنوناً ولكنها ليست جنوناً ، ولو يرونها جنوناً .

٧- قيل : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك ، كيف و أنت متلبس بنعمة ربك النبوة وغيرها ؟

٨- عن إبن عباس وعطاء : أى بما أنعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة و حسن الخلق والايمان و سائر الصفات الفاضلة ، فلست بمجنون كما يزعمون .

٩- قيل : النعمة : فصاحته ﷺ وعقله الكامل وسيرته المرضية، وبرائته من كل عيب واتصافه بكل مكرمة ، فظهور هذه الصفات فيه ﷺ ينافى حصول الجنون فيه .

١٠- قيل : النعمة : ههنا الرحمة والمعنى : وماأنت برحمة ربك بمجنون.

أقول : والسابع هوالانسب بختام السورة .

٣- (وان لك لاجراً غيرممنون)

فى « غيرممنون » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى ليس من نبى الأولهمثل أجرمن آمن به ودخل فى دينه .

٢- عن الضحاك : أى أجراً بغير عمل .

٣- عن الحسن وأبى مسلم ومجاهد ومقاتل والكلبى : أى غير مكدّر بالمن فلايمنّ الله تعالى عليك بهذا الاجر .

٤- عن مجاهد أيضا : أى غير محسوب .

٥- قيل : أى غير ممنون به عليك من جهة الناس ، فانه عطاء الله تعالى بلاتوسط .

٦- عن مجاهد ايضاً أى غير مقدر ، وهوالتفضل لان الجزاء مقدر، والتفضل غير مقدر .

٧- قيل : أى غير مقطوع ولا منقوص من المنّ بمعنى القطع والاضعاف يقال : منّه السير منّاً اذا قطعه واضعفه لا من المنة تثقيل النعمة قولاً ، و هو ذكر المنعم انعامه على المنعم عليه بحيث يثقل عليه ويكدّ رعيشه و هذا الاجر هوأجر الرسالة،والمعنى :لاتبال يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم بكلامهم مع مالك من عندالله من الثواب الدائم المتصل والاجر العظيم.

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٤- (وانك لعلى خلق عظيم)

فى «لعلى خلق عظيم » أقوال : ١-عن إبن عباس ومجاهد وإبن زيد والحسن أى على دين عظيم من الاديان وهوالاسلام ، وليس دين أحب إلى الله تعالى ، ولا أرضى عنده منه .

٢- قيل : أى لعلى أدب عظيم .

٣- عن عائشة : أى لعلى كتاب عظيم وهوالقرآن ، و عنها أيضاً قالت كان خلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما تضمنه العشر الاول من سورة المؤمنون .

٤- قيل : أى على رفقك بامتك وإكرامك اياهم .

٥- عن الجبائى : الخلق العظيم : الصبر على الحق ، وسعة البذل ، و تدبير الامور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة، وتحمّل المكاره فى الدعاء إلى الله تعالى ، والتجاوز العفو ، وبذل الجهد فى نصرة المؤمنين ، وترك الحسد والحرص وما إليه مما تحتمل من قومك مالايحتمله غيرك .

٦- قيل : أى الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن .

٧- عن قتادة : أى على ما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يأتمر به من الله تعالى ، وينتهى عنه من نواهيه جل وعلا .

٨- عن الماوردى : أى انك على طبع كريم ، ومتخلق بأخلاق الاسلام ، فبرأه الله تعالى على الحياء والكريم والشجاعة والصفح والحلم و كل خلق كريم...

أقول : ان الاول والثانى هما المؤيدان بالروايات الآتية من غير تناف بينهما وبين غيرهما من الاقوال فتدبر جيداً .

٥- (فستبصر ويبصرون)

فى الاية أقوال : عن إبن عباس :أى فستعلم و يعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل ، وقيل : أى فسترى يوم القيامة إذ يتبين الحق والباطل .

٢- قيل : أى فستبصر ويبصرون فى الحياة الدنيا بظهور عاقبة أمر كم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ببدر ، وصيرورتك مهيباً معظماً فى قلوب العالمين ، و كون المشركين والمخالفين هم أذلة صاغرين ، وذهاب صولتهم إلى يوم الدين ، فتظهر عاقبة أمر دعوتك صلى الله عليه وآله وسلم وللمكذبين بأن الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ، فيظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين ودينه على معتقداتهم الفاسدة « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فيمحو أثرهم فى الدنيا ، ويذيق وبال أمرهم فى الاخرة .

٣- قيل : أى فسترى ماوعدناك به من النعيم المقيم ، ويرونهم ما أوعدناهم به من العذاب الاليم .

٤- قيل : أى فستظهر أمر دعوتك على العالم وينكشف الابصار والبصائر من المفتون بالجنون أنت أم المكذبون الرامون لك بالجنون ؟

أقول : ولكل وجه .

٦- (بايكم المفتون)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد:أى بايكم المجنون .

٢ - قيل : أى بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق بهذا الاسم .

٣ - قيل : « المفتون » : المعذب و منه قوله تعالى : « يوم هم على النار يفتنون » أى يعذبون .

٤- قيل : المفتون : هو الشيطان لانه مفتون في دينه ، وكان المشركون يقولون : إن به ﷺ شيطاناً وعنوا بالمجنون هذا

٥- عن إبن عباس أيضاً والحسن والضحاك : المفتون : الفتنة .

٦- قيل : أى بأيكم فتنة المفتون على حذف المضاف .

٧- قيل : أيء أنت كما يفترون أم هم بكفرهم وإنصرافهم عن الهدى .

٨- عن إبن عباس ومجاهد أيضا وقتادة : أى بأيكم أولى بالشيطان وأقرب بالجنون ، فسيعلمون غداً بأيهم الشيطان الذى يحصل من مسّه الجنون ، و إختلاط العقل ، فالمعنى : بأيكم العقل المفتون : المبتلى بالجنة .

٩- عن قتادة أيضاً وأبى عبيدة والاخفش وإبن قتيبة : أى أيكم الذى فتن بالجنون .

١٠- قيل : المفتون : الضال .

١١- قيل : المفتون : المنحرف .

١٢- قيل : المفتون : اسم مفعول من الفتنة بمعنى الابتلاء يريد به المبتلى بالجنون وفقدان العقل ، وأيكم حسن إمتحانه وقبل أوردْ كما قال تعالى : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » القلم : ١٧)

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٨- (فلاتطع المكذبين)

فى الاطاعة أقوال : ١- قيل : أى فلاتطعهم عملاً . ٢- قيل : لاتطعهم قولاً .

٣- قيل : نهى عن مطلق الموافقة وممايلة المشركين ، وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفّوا عنه ، فبيّن الله تعالى أن ممايلتهم كفر قال الله تعالى : « و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً »

٤- قيل : أى فلاتطع المكذبين فيما دعوك إليه من دينهم الخبيث .

والمعنى : فلا تطع المكذبين بتوحيد الله عزوجل الجاحدين لنبوتك ولا

تجبهم إلى ما يلتمسون منك ولاتوافقهم فيما يريدون .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينهما .

٩- (ودوا لوتدهن فيدهنون)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وعطية والضحاك والسدى وعطاءوسفيان: أى و دّوا هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله لو تكفر بالله فيتمادون على كفرهم .

٢- عن إبن عباس أيضاً : ودّوالو ترخص لهم فيرخصون لك .

٣- عن مجاهد : أى ودّوالو تركن إلى آلهتهم وتترك ماأنت عليه من الحق فيما لؤنك .

والمعنى : ودوا لوتلين لهم فى دينك بالركون إلى آلهتهم فيدنيون لك فى عبادة إلهك فهم احبوالوتترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم ، فيفعلون مثل ذلك ، فيتركون بعض مالاترضى ، فتلين لهم ويلينون لك فهومن المداهنة .

٤- عن إبن عباس أيضاً والفراء والكلبى : ودّوا لوتلين فى دينك فيلينون فى دينهم من الادهان و هومن التليين لمن لاينبغى له التليين على تشبيه التليين فى الدين بتليين الدهن .

٥- قيل : أى ودّوالو تهاون فيتهاونوافصالحهم ويصالحونك على أن يتسامح كل منكم بعض المسامحة فى دين الاخرحين عرضوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يكفّ عن ذكر آلهتهم فيكفّوا عنه وعن ربه صلى الله عليه وآله وسلم .

٦- عن الربيع بن أنس : ودّوا لوتكذب فيكذبون .

٧- عن قتادة : ودّوالو تذهب عن هذا الامرفيذهبون معك .

٨- عن الحسن : ودّوا لوتصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم .

٩- عن زيد بن مسلم : أى لوتنافق وترائى فينافقون ويراؤن .

١٠- عن الحسن أيضا : ودّوا لو ترفض بعض أمرك ، فيرفضون بعض أمرهم.

١١- قيل : أي ودّوا لو تضعف فيضعفون .

١٢- عن القتبي : ودّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم إذ طلبوا منه أن يعبد آلهتهم مدة ، ويعبدوا إلهه مدة سواء بسواء .

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

١٠- (ولا تطع كل حلاف مهين)

في الحلاف المهين أقوال : عن السدي وعطاء والشعبي وإبن اسحق : وهو الاخنس بن شريق . ٢- عن مجاهد : الحلاف المهين : هو الاسود ابن عبد يغوث . وقيل : عبدالرحمن بن الاسود . ٣- عن مقاتل : هو الوليد بن المغيرة حين عرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالاً وحلف أن يعطيه ان رجع عن دينه . ٤- عن إبن عباس : هو أبو جهل بن هشام .

أقول : ان التعميم هو الظاهر والمورد ليس بمخصّص .

وفي « مهين » أقوال : ١- عن إبن عباس : أي كذّاب ، وان الكذب اس كل شرّ ومصدر كل معصية . ٢- عن الحسن وقتادة : أي مكثار في الشر و الفساد . ٣- قيل : المهين : حقير الرأي والنظر والتدبر والتفكير ، فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي ههنا : القلة في الرأي والتمييز.

٤- عن مجاهد والحسن أيضا : أي ضعيف القلب . ٥- عن الكلبي : المهين: الفاجر والعاجز ٦- قيل : ذليل عندالله تعالى وحقير عند الناس ، و ذلك لأن من أكثر الحلف بالله ولم يعرف قدر المعبود بالحق أذله الله تعالى ، وهو الذي يحلف لعدم قبول الناس قوله ، عن إبن شجرة : انه الذليل .

٧- عن الرماني : المهين : الوضيع لاكثاره من القبيح .

أقول : والسادس هو الانسب بظاهر السياق .

١١- (همّاز مشاء بنميم)

فى « هماز» أقوال : ١- عن إبن زيد : الهماز هوالذى يهمز الناس بيده و يضربهم ، واللماز باللسان . ٢- عن الحسن : هوالذى يهمز ناحية فى المجلس كقوله تعالى : « همزة » ٣- قيل : هماز : شتام . ٤- عن أبى العالية وعطاء بن أبى رباح والحسن أيضا : الهماز : هوالذى يذكر الناس فى وجوههم . ٥- عن مقاتل و إبن عباس : الهماز : الذى يغتاب الناس بالغيبة ، واللماز : الذى يغتاب فى الوجه ٦- قيل : الهماز كثير الاغتياب . ٧- عن مرة وإبن عباس أيضا وقتادة : الهماز و اللماز هماسواء وهو القتات الطعان للمرء اذاغاب أى وقاع فى الناس مغتاب يأكل لحوم المسلمين .

٨- قيل : الهماز : العياب الطعان . ٩- قيل : الطعان بالعين والاشارة .

اقول : والثامن هوالانسب بمعناه اللغوى .

١٢- (مناع للخير معتد أثيم)

فى « مناع للخير » **أقوال** : ١-قيل : الخير : المال يريد مناع للمال عبر به عن الشح معناه : متجاوز الحد فى الظلم ، مناع للمال أن ينفق فى وجوهه .

٢- قيل : الخير كلما يطلق عليه الخير من الايمان وصالح الاعمال . . .

٣- قيل : يمنع ماعليه ومالديه من الخير .

٤- قيل : مناع الناس من الايمان الذى هوالخير كل الخير .

٥- عن إبن عباس : يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته ، و عن الحسن : يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد لا أنفعه بشىء أبداً . وقيل : كان للوليد عشرة من البنين وأموال غزيرة يهددهم وسائر أقاربه من تبع منكم دين محمد لاأنفعه شيئاً أبداً .

اقول : والتعميم غير بعيد .

١٣- (عتل بعد ذلك زنيم)

فى « عتل » أقوال : ١- عن عكرمة : أى جاف غليظ القلب ، شديد فى كفره

٢- عن الكلبى والفراء : هو الشديد الخصومة بالباطل . ٣- قيل : العتل : هو الذى يعتل الناس فيجرّهم إلى حبس اوعذاب ، مأخوذ من العتل وهو الجر ، و منه قوله تعالى : « خذوه فاعتلوه» ٤ - قيل : أى غليظ فى الخلقة، جاف فى الخليقة والطبع ، الوحشى الطبيعة الذى ينهش فى أعراض الناس، ويقطّع أواصر الاخوة بينهم دون أن تتأثر لذلك مشاعره أو تألم لذلك نفسه ، شأنه فى هذا شأن الحيوان المفترس. ٥- عن مجاهد أى سريع إلى الشر، وشديد الأشر .

٦- عن عبيد بن عمير والخليل : العتل : الاكول الشروب المنوع القوى الشديد ، يوضع فى الميزان فلايزن شعيرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً . ٧- عن الحسن : العتل : الفاحش السيّئ الخلق .

٨- عن أبى رزين : العتل : الشديد . ٩- عن معمر : هو الفاحش اللئيم ، و عن قتادة والحسن : فاحش الخلق ، لئيم الضريبة .

١٠- عن إبن عباس : العتل : العاتل الشديد المنافق .

١١- عن أبى رزين أيضاً : العتل : الصحيح . ١٢- عن وهب الذمارى وزيد بن أسلم : تبكى السماء والارض من رجل أتم الله خلقه ، وأرحب جوفه و **أعطاه** مقضما من الدنيا ثم يكون ظلوماً للناس ، فذلك العتل الزنيم .

اقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى ، ولعل غيره من الاقوال من آثاره . . .

وفى « زنيم » أقوال : ١ - عن عكرمة والشعبى : أى فاحش لئيم ، يعرف بلؤمه بأن له علامة فى الشر وهو معروف بذلك ، فاذا ذكر بالشر يتبادر إليه كما ان العنز يعرف بين الاغنام بالزنمة فى عنقه . وعن سعيد بن جبير : هو الهجين المعروف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . ٢- عن إبن عباس : أى مريب قبيح الافعال . ٣- عن أبى رزين : الزنيم : علامة الكفر . ٤- عن إبن عباس أيضاً : أى ظلوم ٥- قيل : أى جلف جاف ، جوف وتير الخلق .

٦- عن شهر بن حوشب : أكول شروب من الحرام . ٧- عن أبى رزين أيضاً أى فاجر . ٨- قيل : أى غشوم . ٩- قيل : غلظ طبعه ، وقسى قلبه ، واجترأ على كل معصية . ١٠- عن إبن عباس أيضاً : هو الملتصق فى القوم وليس منهم ، من الزنيم الذى زنمة فى عنقه كزنمة الشاة ، والزنيم هو ولد بالزنا ، فيلحق فى النسب بالقوم وذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومى دعياً فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده ، وقيل : هذا هو الاخنس بن شريق ، وقيل : هو الاسود بن عبد يغوث الزهرى .

١١- عن إبن عباس أيضاً : الزنيم : من يعرف بالابنة . ١٢- قيل : الزنيم : هو الذى لا أصل له . ١٣- عن مجاهد : الزنيم من كانت له ستة أصابع فى يده فى كل إلهام له أصبع زائدة .

أقول : والثانى عشر هو المروى وقريب منه العاشر وعليه أكثر المفسرين

١٥- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

فى الاساطير أقوال : ١- قيل : أى أحاديث الاوائل التى سطرت و كتبت **لا** أصل لها . ٢- قيل : أى أباطيل الاولين وترهاتهم وخرافيفهم . ٣- قيل : القصص التى لا تستند إلى أصل . ٤- قيل : القصص التى يشوبها الغلو أو الخرافة ٥ - قيل : القصص التى كانت فى كتب الاولين وصحفهم .

أقول : والاخير هو المؤيد بالاية الكريمة .

١٦- (سنسمه على الخرطوم)

فى معنى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : سنخطمه بالسيف ، فنجعل ذلك علامة باقية وسمة ثابتة فيه ما عاش . ٢- قيل : أى سنشينه شيناً باقياً **لا يفارقه** و عن قتادة : أى سنعلمه بشين يبقى على الابد . ٣- قيل : أى سنسم على **أنفه**. ٤- عن الزجاج : أى سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفه الناس ، فلا يخفى عليهم أمره كما لا تخفى السمة على الخرطوم .

٥- عن مجاهد وأبى العالية : سنسودّ وجهه بسمة أهل النار، فيعرف يوم القيامة بسواد وجهه . ٦- قيل : سنسمه بالكى على الانف وذلك قد أصاب أنف الوليد بن المغيرة جراحة يوم بدر فبقى أثره . ٧- قيل : هذا عبارة عن أن يذله الله تعالى غاية الا ذلال كقولهم جدع أنفه و رغم أنفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر أو نسودّ وجهه يوم القيامة او بسمة تشوّه خلقته، فيعرف من رآه انه من أهل النار.

٨- قيل : سنشهره بهذه السمة إذ نجعل على أنفه علامة يعير بها ماعاش .

٩ - عن النضر بن شميل : سنحدّه على شرب الخمر ، فان الخرطوم : الخمر . ١٠- قيل : سنلحق به عاراً وسبّة حتى يكون كمن وسم على أنفه تقول العرب للرجل : يسب سبة سوء قبيحة باقية : قد وسم ميسم سوء أى الصق به عار لايفارقه كما ان السمة لايمحى أثرها .

١١ - عن قتادة : سنسمه يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها و قد قال تعالى : « يوم تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه » فهذه علامة ظاهرة ، و قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » وهذه علامة اخرى ظاهرة ، فأفادت هذه الاية علامة ثالثة وهى الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم » .

اقول : والتعميم غير بعيد .

١٨- (ولايستثنون)

فى الاستثناء أقوال : ١- قيل : أى ولايستثنون حصة المساكين كما كان أبوهم يخرجها. ٢- قيل: أى ولايستثنون فى يمينهم بمشيئة الله تعالى فلايقولون: إن شاء الله بعد القسم . ٣- قيل التعميم و هو يظهر من قوله تعالى : « أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين» ومن قوله:«قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبّحون»

أقول : والاخير هو المؤيد بماورد عن إبن عباس فانتظر .

١٩- (فطاف عليها طائف من ربك)

فى الطائف أقوال : ١- قيل : هو جبرئيل عليه السلام ٢- عن إبن عباس : أى أمر من أمر ربك . ٣- قيل : أى حكم من أمر ربك .

٤- عن قتادة : أى عذاب ربك . ٥- عن إبن جريج : عنق من نار خرج من وادى جهنم . ٦- عن إبن عباس أيضاً : أى أحاطت بالجنة النار فاحترقت .

٧- عن قتادة أيضاً : أى طرقها طارق من أمر الله إذ أرسل عليها صاعقة فاحترقت . ٨- عن مقاتل : بعث الله تعالى ناراً بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة . وعن الكلبى: أى أرسل الله عليها ناراً من السماء فاحترقت. وعن الفراء : ان الطائف لايكون الا بالليل .

اقول : الطائف كناية عن بلاء ربانى أصاب الجنة وثمارها .

٢٠- (فاصبحت كالصريم)

فى «الصريم» أقوال : ١- عن إبن عباس والفراء وأبى عمرو بن العلاء :أى فاصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم .

٢- قيل : فاصبحت الجنة كارض تدعى الصريم وهى أرض باليمن .

٣- عن إبن عباس أيضا : فصارت كالرماد الاسود بلغة خزيمة وعن مؤرج : أى كالقطعة من الرمل ليس فيها نبات ولافائدة . قال الاخفش : أى كالصبح انصرم من الليل ، وقال المبرد : اى كالنهار فلاشىء فيها .

٤- عن الجبائى والثورى : أى فصارت الجنة كأن جميع ثمارها قطعت.

٥- عن الحسن: الصريم الذى صرم عنه الخير فليس فيه شىء منه. يقال: صرم عنه الخير : قطع ، فالصريم : مفعول

اقول : والرابع هو الانسب بمعناه اللغوى .

٢٣- (فانطلقوا وهم يتخافتون)

فى « يتخافتون » أقوال : ١- عن قتادة وعطاء : أى يتسارون أى يخفون

كلامهم ويسرّونه لئلايعلم بهم أحد من خفت يخفت إذا سكن ولم يبيّن. ٢ ـ قيل : أي يتخافتون تخافتاً في الاقدام والكلام سداً لباب الاطلاع ، وصداً عن دخول المساكين عليهم.

٣ـ قيل : أى يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم عكس ماكان يفعل أبوهم بأن يخبر الفقراء والمساكين ، فيحضروا وقت الحصاد والصرام.

أقول : والثانى هو الانسب بظاهر الاطلاق.

٢٥ـ (وغدوا على حرد قادرين)

فى «حرد» أقوال : ١ـ عن إبن‌عباس وإبن زيد : أى على قصد وشدة تصميم وسوء نية على منع المساكين . ٢ـ عن مجاهد و قتادة وأبى العالية و الحسن و عكرمة : أى على جدّ وجهد من أمرهم الذى أجمعوا عليه.

٣ـ عن الحسن أيضا : أى على حاجة وفاقة . ٤ـ عن أبى عبيدة والقتيبى: أى على منع‌من قولهم : حاردت‌الابل حراداً : قلّت ألبانها ، والحرود من‌النوق: القليلة الدر . ٥ـ عن السدى وسفيان: أى على حنق وحدة و غضب من الفقراءِ.

و قيل : على منع عن حدة ممتنعين من تناول الثمر و صرمه إذ وجدوه صريماً . ٦ـ قيل : أى على إنفراد يقال : حرد فلان عن قومه : تنحّى عنهم ، ونزل منفرداً ولم يخالطهم.

و عن أبى زيد : رجل حريد : إذا ترك قومه و تحوّل عنهم ، و كوكب حريد : معتزل عن الكواكب وقال الاصمعى : رجل حريد : أى فريد وحيد.

٧ـ عن السدى أيضاً : حرد إسم لجنتهم . ٨ـ عن الازهرى : حرد إسم لقريتهم.

اقول : والاول هو الانسب‌بمعناه اللغوى وقريب منه بعض الاقوال‌الاخر.

وفى « قادرين » أقوال : ١ـ عن الفراءِ : أى قدروا أمرهم وبنوا عليه.

٢ـ عن إبن عباس وقتادة : أى ذوقدرة فى أنفسهم على جنتهم ، و يظنون انهم تمكنوا من مرادهم مما اسسوه بينهم . ٣ـ قيل : « قادرون » يكون‌من‌باب

عكس الكلام للتهكم أى قادرون على ماعزموا عليه من الصرام وحرمان المسكين

٤- عن الشعبى : أى قادرين على المساكين .

٥- قيل : معناه من الوجود أى منعوا وهم و اجدون . ٦- قيل : قادرين فى إعتقادهم على منع المساكين وإحراز مافى جنتهم .

٧- عن أبى مسلم : أى مقدرين موافاتهم فى الجنة فى الوقت الذى قدروا اصرامها فيه وهو وقت الصبح. والمعنى: قصدوا الجنة للوقت الذى قدروا اصرامها فيه مقدرين انهم سيصرمونها ويمنعونها المساكين.

٨ - قيل : أى لم يمكنهم صرم ثمار البستان ، وقدكانوا قادرين عليه لو كان فلم يمنعهم عجزهم عن صرمه إلاّ إنصرامه قبلهم فما ذا يصرمون؟ وقادرين على منع الفقراء بهذه الحيلة لولا الصرم الالهى ، فهم على قدرتهم فى الصرم و فى منع الفقراء والمساكين ، امتنع لهم صرم الثمار بانتفاع الموضوع .

أقول : والثانى هو الظاهر وقريب منه الثامن، وفى تداخل بعض الاقوال فى بعض مالايخفى على الخبير .

٢٦- (فلما رأوها قالوا انالضالون)

فى « لضالون » قولان : ١- عن قتادة : أى ضللنا الطريق إلى جنتناوليس هذا بستاننا . ٢ - قيل : أى انا لضالون عن الصواب فى غدوّنا على نية منع المساكين ، فلذلك عوقبنا بذهاب ثمار الجنة .

اقول : ولكل وجه والجمع غير بعيد .

٢٨- (قال أوسطهم الم اقل لكم لولاتسبحون)

فى « أوسطهم » أقوال : ١- عن إبن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك أى أعدلهم قولاً ، وأسرعهم فزعاً ، وأحسنهم رجعة ، وأهدى طريقاً . ٢- قيل : أى أوسطهم سناً . ٣- قيل : أى خيرهم . ٤- قيل : أى أفضلهم وأعقلهم وأمثلهم و أرشدهم .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين.

وفي «لولاتسبحون» أقوال: ١- عن مجاهد: أي لولاتستثنون. وهذا يدل على أن الأوسط كان يأمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه، قال أبوصالح: كان استثناؤهم: سبحان الله فقال لهم: هلاتسبحون الله أي تقولون: سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقال النحاس: أصل التسبيح: التنزيه لله عز و جل، فجعل مجاهد التسبيح في موضع انشاءالله لان المعنى تنزيه الله عزوجل أن يكون شيء بمشيئته

وقيل: لأن في الاستثناء التوكل على الله والتعظيم له والاقرار بأنه لايقدر أحد على فعل شيء الا بمشيئة الله تعالى فلذلك سماه تسبيحاً.

٢- قيل: أي هلا تعظمون الله بعبادته وإتباع أمره. ٣- قيل: أي هلا تذكرون نعم الله تعالى عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق المساكين من أموالكم. ٤- قيل: أي هلا نزهتم الله تعالى عن الظلم واعترفتم بأنه لايظلم ولايرضى منكم بالظلم. ٥- عن الحسن: أي لم لا تصلون كأنهم يتكاسلون فيها، والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر.

٦- قيل: أي هلاتستغفرونه من فعلكم هذا من منع حقوق المساكين، وتتوبون إليه من خبث نيتكم، و هذه العزيمة الخبيثة، فان أوسطهم قال لهم: حين عزموا على ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين.

أقول: والثالث هو الانسب بما قلنا في قوله تعالى: «ولايستثنون» فراجع.

٣٥- (أفنجعل المسلمين كالمجرمين)

في الاية أقوال: ١- قيل: ان الاية سيقت حجة على المعاد، و ذلك كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا، وقلة حظوظ المسلمين منها، فاذا سمعوا بحديث الاخرة و ما وعدالله تعالى المؤمنين قالوا: إن صح انا نبعث كما يزعم محمد و من معه لم يكن حالنا و حالهم الا مثل ماهي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولايفضلوننا، وأقصى أمرهم أن يساوونا فقال الله تعالى: «أفنجعل المسلمين

كالمجرمين » كالكفار .

عن مقاتل انه قال : لما نزل قوله تعالى : « ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم » قال كفار مكة للمسلمين : ان الله فضلنا عليكم في الدنيا ، فلابد أن يفضلنا عليكم في الاخرة لو كانت آخرة ، فان لم يحصل التفضيل ، فلا أقل من المساواة فنفى الله تعالى معتقدهم بقوله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » والمعنى عندهم: لو كان هناك بعث ولا يكون فان الله سوف يجعل المسلمين كالمجرمين سواء على أن الاسلام هو لاشيء في حساب الحق ، فما يستحقه المجرم فالمؤمن يستحقه ، سواء أكان لاحساب أم حساب سوء أو عفو أم إثابة ، فالمجرمون هم الاصول على أية حال . وهذا من أضل ما يتقول حول الحساب .

٢- قيل : ان الاية سيقت رداً على كفار مكة إذ كانوا يقولون : لو كان هناك بعث وإعادة لكنا أكثر تنعما من المؤمنين كما في الحياة الدنيا قال الله تعالى حكاية عن قائلهم : « وما أظن الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربى إن لي عنده للحسنى » فصلت : ٥٠)

عن إبن عباس : قالت كفار مكة : انا نعطى في الاخرة لو كانت خيراً مما تعطون فنزلت : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين »

٣- قيل : أي لانعفو عن المجرمين كما نعفو عن المسلمين وذلك لأن كفار مكة كانوا يقولون : لو كان بعث فسوف يعفو عنا كما يعفو عن المسلمين فالعذاب لادافع إلا الوعد والانذار .

٤- قيل : أي لانجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب .

اقول : ولكل وجه ولكن الاوجه هو الثاني .

٣٨- (ان لكم فيه لما تخيرون)

في الاية قولان : أحدهما - أي أم لكم كتاب فية تدرسون بان لكم فيه ما تختارونه الا انه حذفت الباء و كسرت « ان » لدخول اللام في الخبر . ثانيهما-

أى أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٣٩- (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)

فى « أيمان » قولان : أحدهما ـ قيل : أى عهود ومواثيق فيكون من باب إطلاق اللازم وإرادة الملزوم كناية أومن باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

ثانيهما ـ أى أحلاف باناأقسمنا لكم مؤكداً إلى يوم القيامة انا نسلم لكم كلما تحكمون به من تساويكم بالمؤمنين .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين وإن كان للاول وجه .

٤٠- (سلهم أيهم بذلك زعيم)

فى « زعيم » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة : الزعيم عند العرب الكفيل والضمين و المتكلم عن القوم . ٢- عن إبن كيسان : الزعيم هنا : القائم بالحجة والدعوى والمتصدى لأمر الاستدلال على صحة دعواهم : ٣- عن الحسن : الزعيم: الرسول . ٤- قيل : الزعيم : أى يزعم ذلك الحكم عن الله لنفسه أو عن العقل أو كتاب من الله .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين وقريب منه الثانى .

٤١- (أم لهم شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

فى الشركاء أقوال :١- قيل: اريد بالشركاء ناس بانهم يوافقونهم فيما يدعونه فيشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه .

٢ـ قيل : اريد بالشركاء آلهة من دون الله تعالى فيسوون بينهم و بين المسلمين ، وهى الاصنام فيزعمونها شركاء لله سبحانه ، فللمسلمين حظ من الله ولهم حظ من الشركاء . ٣- قيل : الشركاء : هم الشفعاء لهم عند الله ، فيشفعون لهم فى هذه التسوية . ٤- قيل : الشركاء : هم الشهداء لهم ، فيشهدون لهم على مازعموا وعلى صحة دعواهم .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

٤٢- (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون)

فى قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة : أى عن كرب عظيم ، وأمر شديد مفظع من هول يوم القيامة ، ويوم يكشف عن ساق : هو يوم حرب وشدة تقول العرب اسنة الجدب : كشفت ساقها ، وكشف الساق كناية عن شدة الامر وتفاقمه ، يقال: كشف عن ساقه : إذا تشمّر فالمعنى : يوم يشتد الامر كما يشتدّ ما يحتاج إليه أن يكشف عن ساق ، يوم يصعب الخطب، قال إبن عباس : هى أشد ساعة يوم القيامة.

٢- قيل : هو القيامة حين يكشف الامر وتبدو السرائر، وهى أشد ساعة يوم القيامة ، وقيل : هى أول ساعة البعث التى تكشف الغطاء وهى أفظعها . ٣ - قيل : أى كشف الامر عن ساقه فتظهر حقائقه أى يوم يكشف عن أصل الامر و حقيقته بحيث يصير عياناً مستعار من ساق الشجر وساق الانسان . ٤- قيل : أى يكشف عن ساق جهنم .

٥- قيل : أى يكشف عن ساق العرش . ٦ - قيل : هذا كناية عن القرب .
٧- قيل : أى يكشف الرب تعالى عن نوره فيخرّون له سجداً . ٨- قيل : أى يكشف عن شيء من أنوار عظمته وآثار قدرته . ٩- قيل : أى يكشف عن ساق ملك مهيب عظيم . ١٠- قيل : اريد وقت إقتراب الاجل ، وضعف البدن أى يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ، ويدعوه المؤذن إلى الصلاة فلايمكنه أن يقوم ويخرج .

أقول : والثامن هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

وفى « يدعون إلى السجود » أقوال : ١- قيل : أى يدعون إلى الدعاء فلا يستطيعون . ٢- قيل : أى يدعون إلى الصلاة فلا يستطيعون أن يصلّوا يومئذ . ٣- اريد بالدعوة دعوة التكليف . ٣- قيل: أى يدعون إلى السجود نفسه خضوعاً

لله تعالى إمتحاناً لايمانهم فلا يستطيعون إذ تصير ظهورهم طبقاً واحداً لاستقرار ملكة الاستكبار في سرائرهم واليوم تبلى السرائر ويوم التأويل.

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق وخاصة قوله تعالى: «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» وقريب منه الاول.

٤٣- (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون)

في «وهم سالمون» أقوال: ١- عن إبن عباس انه قال: كان الكفار يدعون إلى السجود في الدنيا وهم آمنون فأبوا ولم يسجدوا لله تعالى، فاليوم يدعوهم وهم خائفون ليسوا بآمنين فلا يتمكنون بذلك.

٢- قيل: أي وهم معافاة أصحاء، عن ابراهيم التيمي: أي يدعون بالاذان والاقامة، فيأبونه وهم قادرون على ذلك، وعن سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حيّ على الفلاح فلا يجيبون، وعن كعب الاحبار قال: والله ما نزلت هذه الاية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات، وهم متمكنون بها. وقيل: أي يدعون إلى التكليف الموجه عليهم في الشرع، وهم يستطيعون باتيانه.

٣- قيل: اريد بالسلامة مطلق إستطاعتهم من السجود وصالح الاعمال في الحياة الدنيا. ٤- قيل: أي لا يمنعهم من ذلك مانع ولايحول بينهم وبينه حائل.

٥- قيل: اريد بالسلامة سلامتهم من الآفات والعاهات التي لحقت نفوسهم بسبب الاستكبار والعناد واللجاج على الحق، فسلبتها التمكن من اجابة الحق.

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر الاطلاق.

٤٤- (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون)

في «بهذا الحديث» أقوال: ١- عن السدي: أي بهذا القرآن. ٢- قيل: بهذا الاخبار بيوم القيامة. ٣- قيل: أي بهذا الحديث من الرسالة ونزول الوحي واليوم الاخر والحساب والجزاء.

أقول : والاخير هو الانسب بسياق السورة .

وفى « سنستدرجهم من حيث لايعلمون » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى سنمكر بهم . ٢- قيل : أى نأخذهم قليلاً ولانباغتهم . ٣- عن الحسن : كم مستدرج بالاحسان إليه ، وكم مفتون بالثناء عليه ، وكم مغرور بالستر عليه . ٤- قيل : أى سنأخذهم على غفلة وهم لايعرفون فعذّبوا بيوم بدر . ٥- عن أبى روق : كلما أحدثوا خطيئة جددنالهم نعمة ، وأنسيناهم الاستغفار . ٦- عن سفيان الثورى : أى نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر .

أقول : والثانى هو الانسب بمعنى الاستدراج وهو : فتح منافذ الاغراء إلى الشيء ، واستدراج الله تعالى لأهل الكفر والضلال ، هو أن يخلى الله جل وعلا بينهم وبين أنفسهم ، وما زينت لهم من أباطيل ومتاع الدنيا ، فينقلون من ضلال إلى ضلال خطوة خطوة حتى يقعوا فى ورطة الهلاك وفى الهاوية .

٣٧- (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : الغيب هنا اللوح المحفوظ الذى فيه نبأ ماكان و ما يكون ، فهم يكتبون مما فيه من الحجج التى يزعمون أنها تدل على قولهم فيخاصمونك به انهم يساوون بكم وهم لايعاقبون .

٢- قيل : أى أينزل عليهم الوحى بهذا الذى يقولون فيحكمون لانفسهم بما يريدون . ٣- قيل أى هل عندهم علم بصحة ما يدعونه اختصموا به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه ويتوارثونه ، وينبغى أن يبرزوه أو يقررون ما يريدون .

٤- قيل : اريد بالغيب : غيب الاشياء الذى منه تنزل الامور بقدر محدود ، فتستقرّ فى منصّة الظهور ، فيقضون ما يريدون و يقدرون ما يشاؤن بأن يكون أمر القدر والقضاء بيدهم ، فيقضون أن يساووا المسلمين يوم القيامة .

أقول : ولكل وجه وان الكتابة هنا بمعنى الحكم .

٤٨- (فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهو مكظوم)

فى « لحكم ربك » أقوال : ١- قيل : الحكم هنا : القضاء والمعنى : فاصبر لقضاء ربك فيك و فى هؤلاءِ المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن ، و هذا الدين ، وامض لما أمرك به ولا يثنيك عن تبليغ ما امرت به تكذيبهم اياك و أذاهم لك . وقيل : فاصبر لقضاءِ ربك أن يستدرجهم ويملىء لهم ولاتستعجل لهم العذاب لكفرهم .

٢- قيل : أى فاصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة و ترك مقابلتهم بالقبيح .

٣- قيل : أى فاصبر لنصر ربك على أن اللام بمعنى « إلى » والمعنى: اصبر إلى أن يحكم الله تعالى بنصر أوليائك ، و قهر أعداءِك . وقال قتادة : أى لا تجعل ولاتغاضب فلابد من نصرك . ٤- قيل : أى فاصبر لحكم الله تعالى فى التخلية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب أجله .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر سياق السورة عامة وسياق القصة خاصة .

وفى « مكظوم » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد : أى مملوءاً غماً إذ كان يونس عليه السلام مختنقاً بالغم ولم يجد لغيظه شفاء . ٢- عن عطاء و أبى مالك : أى كرباً . قال الماوردى : انالفرق بينهما : ان الغم فى القلب والكرب فى الانفاس

٣ - عن إبن بحر : أى محبوس ، والكظم : الحبس ، ومنه قولهم : فلان كظم غيظه أى حبس غضبه ، وقال المبرد : انه مأخوذ من يكظمه و هو مجرى النفس من الصدر ، و كظم فلان : حبس نفسه .

٤- قيل : أى وهو محبوس عن التصرف فى الامور .

اقول : والاول هو المروى ، ولا يخفى : ان الكاظم غير المكظوم ، فان الكاظم من غلب على غيظه وغضبه ، والمكظوم من غلب عليه غيظه وغضبه .

٤٩- (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم)

فى « نعمة من ربه » أقوال : ١ - قيل : أى رحمة من ربه إذ رحمه فوفقه

بالتوبة وقبلها منه . ٢- قيل : أى نبوة من الله تعالى . ٣- عن إبن جبير: أى عبادته التى سلفت منه . ٤- عن إبن زيد : أى نداءه إذقال : « أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » ٥- عن إبن بحر: كانت نعمة الله عليه : إخراجه من بطن الحوت .

أقول : ولكل وجه والاوجه هو الاول .

وفى « مذموم » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى مليم . ٢- عن بكر بن عبد الله : أى مذنب . ٣- قيل : أى معاتب ، فيذم ويلام بما فعله و ترك التسبيح . ٤- قيل : أى مبعد عن كل خير، مطرود من كل رحمة و كرامة .

٥- قيل : أى سيّىء الذكر والعاقبة .

أقول : والمعانى متقارب والمآل واحد .

٥١- (و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد و قتادة والضحاك : ان الكفار قاربوا لينفذونك بأبصارهم من شدة نظرهم وحدّته معاداة لكتاب الله ، ولذكره قيل : وذلك لان الكفار اذا أرادوا أن يصيبوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعين ،فنظرت إليه قريش ، فتقول : ما رأينا مثله ولامثل حججه .

٢- قيل : ان الكفارقاربوا ليصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه . وذلك كانت العين فى بنى أسد حتى كانت الناقة أو البقرة لتمرّ بأحدهم فيعاينهم ثم يقول لجاريته : خذى المكتل والدراهم ، فأتيتنا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع وتنحر، عن السدى والفراء والزجاج .

٣ ـ عن السدى أيضاً والكلبى و سعيد بن جبير : ان الكفار أرادوا أن يصرفوك عما أنت من تبليغ الرسالة بان ينظروا إليك اذ قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء فيسقطوك فزعاً من نظراتهم المصوّبة إليه بسهام الحنق

والغيظ والانتقام. وذلك كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به الابل فيقول: لم أر كاليوم ابلاً ولا غنى أحسن من هذه فماتذهب الاّ قليلا حتى يسقط ما عناه، فسئل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى رسوله وأنزل: «و إن يكاد الذين الخ..»

٤- عن الكلبي والزجاج: أى ليصرعونك وذلك انهم كانوا ينظرون عند تلاوة القرآن والدعاء إلى التوحيد نظر عداوة وبغض وإنكار بما يسمعونه وتعجب منه، فيكادون يصرعونه بحدّة نظرهم، ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل فى الكلام يقولون: نظر إلىّ فلان نظراً يكاد يصرعنى ونظراً يكاد يأكلنى فيه، وتأويله كله انه نظر إلىّ نظراً لو أمكنه معه أكلى أو يصرعنى.

وقال الزمخشرى: يعنى انهم من شدة تخوفهم و نظرهم إليك سراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك، أو يهلكونك من قولهم نظر إلىّ نظراً يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله.

٥- عن الهروى والمؤرج: أى ليعتانونك بابصارهم، وهذا إخبار بشدة عداوتهم النبى ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين. فنظر إليه قوم من قريش، و قالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، و هم يريدون بعيونهم أن يزيلوه عن مقامه الذى أقامه الله تعالى فيه عداوة له.

٦- عن إبن عباس أيضاً: أى ليقتلونك و يهلكونك. ٧- عن العوفى: أى ليرمونك. ٨- عن النضر بن شميل والاخفش: أى ليفتنونك.

٩- عن عبدالعزيز بن يحيى: أى ينظرون إليك نظراً شزراً بتحديق الشديد حتى كادوا يسقطونك من مكانك. ١٠- عن ابن زيد: أى ليمسّونك. ١١- قيل: أى ليأكلونك. ١٢- عن الحسن وإبن كيسان: أى ليقتلونك، و هذا كما يقال: صرعنى بطرفه وقتلنى بعينه.

اقول : والمعنى الجامع: ليصيبونك بالعين .

٥٢- (وما هو الا ذكر للعالمين)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أى وما القرآن إلا ذكر للعالمين . ٢- قيل : أى وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به . ٣- قيل : أى وما القرآن الا شرف كما قال تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك » والنبى صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً شرف للعالمين شرفوا باتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه حيث هداهم إلى الرشد وأنقذهم من الضلالة لما نسبوه إلى الجنون وصفه بما ينفى ذلك عنه .

٤- قيل : اريد بالذكر انه يذكرهم أمر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد . ٥- عن الحسن : أى دواء إصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الاية . ٦- قيل : أى عظة وحكمة وتذكير وتنبيه لهم على مافى قلوبهم وفطرتهم من التوحيد فكيف يجنن من جاء بمثله .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « للعالمين » أقوال: ١- قيل : أى عالم الجن وعالم الانسان . ٢- قيل: أى عالم الجن والانس والملائكة جميعاً باعتبار الجمع . ٣- قيل : أى كل مافى هذه المعمورة وما سواها من كواكب عامرة ، فالعالمون : العقلاء وهم المعنيون بهذا الذكر. ٤- قيل : أى عالم الارض و عالم السماء ولكل واحد منهما عوالم كالسموات السبع والارضين السبع .

اقول . وعلى الاول أكثر المحققين .

﴿التفسير والتأويل﴾

١- (ن والقلم وما يسطرون)

« ن » إسم نهر في الجنة على ما ورد في الروايات التي ستقرأها ، وقد أقسم الله تعالى بالقلم الشامل لقلمي التكوين والتشريع . و من الدرجة النازلة منه قلم الكتاب من بني آدم تعظيماً له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط به الوصف ، و فتحاً لباب التعليم به إذ أشار إليه في السورة السابقة نزولاً بقوله تعالى : « الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » العلق : ٤-٥)

وقد كفى به قدراً انه أول ما أقسم الله تعالى في القرآن الكريم حيث لم يقسم بشيء من قبل ، ثم اقسم بما يكتبه الكتّاب السما وين والارضين لما فيه من العظمة والحكمة ، ولما فيه من المنافع مايلي القلم نفسه ، فعلى الكتّاب بصيانة القلم وحفظ شرفه وقدره من الشر والفساد واللغو ، وتسجيله في الخير والصلاح والحق . . .

ثم أقسم الله تعالى بالامور العظام المتنوعة في سائر السور من مشاهد الكون السماوية والارضية ، وموجوداته الحية والجامدة ، والحسيّة وغيرها من الطور والبيت المعمور ، ومن الشفع والوتر ، واليوم الموعود وشاهد و مشهود ، و من السماء والارض ، والشمس والقمر والنجوم ، ومن الليل والنهار ، والعصر والفجر ، ومن النفس الانسانية . . .

كل ذلك لعظمة الخلق وجمال الصنع ، ولما فيه من نفع عظيم في واقع

حياة الانسان .

٢ - (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

لست يا محمد مجنوناً فانك متلبس بنعمة ربك التى أنعمها عليك ، رداً على المشركين إذ كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم انه مجنون و به شيطان و هو قولهم : « يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » الحجر : ٦) .

كيف هو مجنون بعد النبوة وقد كان عندهم أعقل العقلاء قبلها ، اذ كانوا يعرفونه برجاحة العقل بينهم حتى حكموه فى رفع الحجر الاسود قبل النبوة و كانوا يلقبونه بالامين و هو بينهم ؟ .

قال الله تعالى : « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير مبين » الاعراف : ١٨٤) .

فاذا كانت تلك النعم ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون ، فكلامهم ضرب من الهذيان والتهمة الحمقاء ، لتنفير الناس عنه صلى الله عليه وآله وسلم حقداً و عناداً ، و استكباراً و كراهة للحق .

قال الله تعالى : « قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق و اكثرهم للحق كارهون » المؤمنون : ٦٦ - ٧٠) .

٣ - (و ان لك لاجراً غير ممنون)

وان لك يا محمد لاجراً عظيماً لا يقادر قدره غير منقص ولا مكدر بالمن، فيخلو الاجر من النقص والقطع والكدر بالمن، وهذا الاجر هو ثوابه صلى الله عليه وآله وسلم بمقابلة مقاساته ألوان الشدائد من جهة المشركين و صبره على أذاهم ، و تحمله لاعباء الرسالة و لا أجر له صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك الا على الله تعالى يوم القيامة .

قال الله تعالى : « قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله »

سباه : ٤٧) .

و قال : « و للاخرة خير لك من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى » الضحى : ٤ ـ ٥) .

۴ - (و انك لعلى خلق عظيم)

و انك يا محمد لعلى خلق عظيم إلهى إذ أدّبك به فأحسن أدبك ، فتعفو عمن تاب ، و لا تكون فظاً غليظ القلب ، و تأمر بالمعروف بعد ما إتمرت به ، و تنهى عن المنكر بعد ما انتهيت عنه ، و تعرض عن الجاهلين ، وانتهى الخلق الحسن بكماله إليك فبعثت لتتمّم مكارم الاخلاق . . .

قال الله تعالى : « خذ العفو و امر بالعرف و أعرض عن الجاهلين » الاعراف : ١٩٩) .

و قال : « فاصدع بما تؤمرو أعرض عن المشركين » الحجر : ٩٤) .

و قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر » آل عمران : ١٥٩) .

۵ - (فستبصر و يبصرون)

فسترى يا محمد عاقبة أمر دعوتك فى الحياة الدنيا باعلاء كلمة الله تعالى وظهور الدين الاسلامى على الدين كله ، وبما وعدناك به من الأجر غير الممنون فى الاخرة ، و سيرى هؤلاء المكذبون الذين كانوا عاقبة ما يرمونك بالجنون فى الحياة الدنيا من القتل والنهب والذلة و ما أوعدناهم من النار والعذاب فى الاخرة .

نظير قوله تعالى : « سيعلمون غداً من الكذاب الاشر » القمر : ٢٦) .

وقوله: « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً » الفرقان:٤٢).

و قوله : « فسيعلمون من أضعف ناصراً و أقل عدداً » القمر : ٢٤) .

و قوله : « فستعلمون من هو فى ضلال مبين » الملك : ٢٩) .

٦ - (بايكم المفتون)

بايكم المبتلى بالجنون و فقدان العقل ، و ايكم غالب و أيكم مغلوب .

٧ - (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين)

ان ربك يا محمد هو العالم بمن حاد عن سبيل الله جل وعلا ، و عدل عن دينه ، و عن السلوك فيه ، و عن الطريق السواى ، و سبيل الهدى المؤدى إلى سعادة الدارين ، وهام فى تيه الضلال ، متوجهاً إلى مايفيضه إلى الشقاوة الابدية ، و هذا هو الجنون حقاً ، و صاحبه هو المجنون والسفيه الذى لايفرق بين النور والظلمة ، بين الحق والباطل ، بين السعادة والشقاء ، بين الخير والشر ، و بين النفع والضر ، بل يحسب الخلاف نفعاً فيؤثره ، ويحسب الصواب ضراً فيجهره ، فما أجهل ، و ما أسفه من يحسب المهتدى الهادى ضالاً ، و يظن نفسه الضالة مهتدياً ، و ذلك لما أراد من الحياة الدنيا و متاعها .

و ربك يامحمد هو العالم بالذين اهتدوا واتبعوا الحق ، وهم العقلاء حقاً.

قال الله تعالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٥٠) .

وقال : «فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و يحسبون انهم مهتدون » الاعراف : ٣٠) .

وقال : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراءاً على الله قد ضلوا و ما كانوا مهتدين » الانعام : ١٤٠) .

وقال : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون » الزخرف : ٣٦ - ٣٧) .

و قال : « فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الاّ الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى » النجم : ٢٩ - ٣٠) .

٨ - (فلا تطع المكذبين)

فلا تطع ايها الرسول صلى الله عليه و آله وسلم الذين كذّبوا بآياتنا و برسولنا فى شىء مما أراده لانك على هدى و هم على كفر ، و انك على اخلاص ، و هم على شرك ، انك على حق ، و هم على باطل ، انك على نور ، و هم على ظلمة ، و بالجملة : انك كامل و فى طريق الكمال ، و هم منحطّون و فى سبيل الانحطاط .

قال الله تعالى : « و إن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله - و لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون و هم بربهم يعدلون » الانعام : ١١٦ - ١٥٠) .

وقال : « ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » الكهف : ٢٨) .

٩ - (ودوا لو تدهن فيدهنون)

أحب المكذبون بآيات الله تعالى وبرسوله صلى الله عليه و آله وسلم أن تدارى أمرك عنهم ، فلاتذكر آلهتهم بسوء ، ولاتظهر دعوتك فى الناس فيتر كونك شأنك فلايعرضون لك بسوء ، ولايلقونك بأذى ، و يطلبون منك ذكر آلهتهم بالخير أو السكوت عنها حتى يستمعوا إليك ، و يجاروك فى بعض ما يطلب و لكن الله تعالى ثبّت رسوله صلى الله عليه و آله وسلم تثبيتاً .

قال الله تعالى : « قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع أهواءكم قد ضللت اذاً و ما أنا من المهتدين قل انى على بينة من ربى و كذبتم به » الانعام : ٥٦ - ٥٧) .

و قال : « و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقائنا ائت بقرآن غيرهذا أو بدّله قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلاّ ما يوحى إلى انى اخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم - قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله و لكن أعبدالله الذى

يتوفاكم و امرت أن أكون من المؤمنين » يونس : ١٥ - ١٠٤) حين طلبوا من النبى ﷺ قرآناً خالياً من الحملة عليهم و على آلهتهم.

وقال : « و إن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره و إذاً لا تخذوك خليلا و لولا أن ثبتنا لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » الاسراء : ٧٣ - ٧٤).

١٠- (ولا تطع كل حلاف مهين)

ولاتطع يا محمد كل من يكثر الحلف فى الحق والباطل ممن اعتاده ،ولا يكثر الحلف إلا الإنسان كاذب لايبالى بالكذب حين يدرك ان الناس يكذبونه ولا يعتمدونه ولايثقون بكلامه ، فيحلف كثيراً ليدارى كذبه ، ويستجلب ثقة الناس و هو بكذبه « مهين » : ذليل عندالله ، حقير عندالناس وعند نفسه ، ولايحترم الناس قوله ولايعتنى بكلامه ، ولايحترم هو بنفسه ، وآية مهانته حاجته إلى الحلف و عدم ثقته بنفسه وعدم ثقة الناس به فى الحق والباطل ، والصدق والكذب ، وفى الخير والشر . . . ولو كان ذامال وبنين وذاجاه ومقام ، ولو كان سلطاناً طاغياً باغياً جباراً ، وذلك لان المهانة صفة نفسية تلصق بالمرء إذا فسد كما ان العزة صفة نفسية لاتفارق النفس الكريمة ، ولو تجردت من كل أعراض الدنيا ومتاعها ،ومن هنا يقال : الغنى من غنى نفسه ، والفقير من كان فقير النفس .

قال الله تعالى فى الحالفين : « وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون - ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون - سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » التوبة : ٤٢ - ٥٦ - ٩٦)

وقال : « ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم

و يحلفون على الكذب وهم يعلمون - يـوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون لـه كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون » المجادلة : ١٤-١٨)

١١- (همازمشاء بنميم)

الهماز : هو كثير الطعن في أعراض الناس بما يكرهونه ويعيبهم كثيراً بالقول والاشارة والحركة ، وقد أحاطت عليه العيوب ، ويذكرهم بالمكروه و ينال من أعراضهم بذكر مثالبهم في حضورهم وفي غيابهم . . .

وهذه صفة ذميمة يكرهها الاسلام أشد الكراهية لانها تخـالف المرؤة و أدب النفس ، والادب في معاملة الناس ومعاشرتهم ، وتخالف حفظ كراماتهم صغروا أم كبروا .

قال الله تعالى تعالى : « ويل لكل همزة لمزة - انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة » الهمزة : ١ - ٩)

« مشاء بنميم » النمام : هو النقال الذي ينقل حديث مسلم إلـى مسلم ما يسوئه ، ويوغر صدره عليه ، ويسعى بينهما ، فيفسد الود ويوقع الـوحشة والشر بينهما ، فيوجد النزاع والقتال بين الافراد والاحباء والاسر والبيوت والجماعات...

والمعنى : يمشي كثيراً بين الناس لنقل حديث من أحد إلى غيره بما يفسد قلوبهم ، ويقطع صلاتهم ويذهب بمو داتهم فلا يقـدم عليـه انسان يحترم نفسه أو يرجو لنفسه إحتراماً عند الاخرين ، حتى اولئك الذين يفتحون آذانهم للنمام لا يحترمونه في قرار نفوسهم ، ولا يؤدونه .

قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا اخبـركم بشراركـم ؟ المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء الغيب »

١٢- (مناع للخيرمعتد أثيم)

كثير المنع لفعل الخير ، يمنع نفسه وغيره من كل خير ، فلا يجود بماله لدى البأساء والضراء ، ويمنع عن نفسه الايمان وهو جماع الخير و عن غيره إما

بمنعه إياهم عن الايمان . وإما بفعل يقعهم فى الكفر، ويسلب عنهم الايمان .

قال الله تعالى : « أرايت الذى يكذّب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ـ ويمنعون الماعون » الماعون : ١ـ٧)

وقال : « ان الانسان خلق هلوعاً إذامسّه الشر جزوعاً و إذامسّه الخير منوعاً إلاّ المصلين » المعارج : ١٩ـ٢٢)

وقال : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذجاء هم الهدى إلاّ أن قالوا ابعث الله بشراً رسولاً » الاسراء : ٩٤)

« معتد » : متجاوز فى كل شىء عرضاً كان أونفساً أومالاً ، فلا يعبأ بذلك كله ، متجاوز فى تناول ما أحل الله تعالى له ، يتجاوز فيها الحد المشروع ، متجاوز لما حدّه الله من أوامر ونواه ، فيخوض فى الباطل ، ولا يتحرج عن إرتكاب المآثم والمظالم ، متجاوز للحق والعدل على نفسه و أهله و عشيرته الذين صدوهم عن الايمان ، ومنعوهم من الدين الاسلامى ، متجاوز على الناس فى الظلم ، مجاوز عن الحق عشوم ظلوم ، ومجاوز على الله تعالى إذ جعل مع الله إلهاً آخر .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » المائدة : ٨٧)

و قال : « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين و ما يكذّب به إلاّ كل معتد أثيم » المطففين : ١٠ـ١٢)

وقال : « مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الهاً آخر » ق : ٢٥ـ٢٦)

« أثيم » : كثير المعصية والاثم بربه ، ديدنه ذلك إذ يتناول المحرمات من غير أن يبالى بما ارتكب ، ولا بما اجترح ، يرتكب المعاصى حتى يحق عليه الوصف الثابت بدون تحديد لنوع الآثام والتى يرتكبها . . .

قال الله تعالى : « ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ـ انظر كيف يفترون على الله الكذب و كفى به إثماً مبيناً ـ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم

به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثما مبيناً » النساء : ٤٨ - ٥٠ - ١١٢)

وقال : « والذين لايدعون مع الله إلهاآخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلاّ بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » الفرقان : ٦٨)

وقال : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقداحتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » الاحزاب : ٥٨)

١٣- (عتل بعد ذلك زنيم)

وفوق ذلك مما ذكرانه جاف شديد فى كفره ، فظ غليظ يعامل الناس بالغلظة والفظاظة ، وهو الذى لاأصل له ، يلصق نفسه إلى قوم وليس منهم ،وهو الوليدبن المغيرة المخزومى إدعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده .

١٤- (أن كان ذامال وبنين)

لاتطع من اتصف بتلك الصفات الرذيلة لان كان ذامال وبنين .

قال الله تعالى : « واصبر نفسك من الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلناقلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » الكهف : ٢٨)

وقال : « ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » طه : ١٣١)

ولوكان ذومال وبنين هذا هو الوليد بن المغيرة على الارجح نزلت فيه الايات التالية : « ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً فقال إن هذا إلاّ سحريوثر إن هذا إلاّ قول البشر » المدثر : ١١ - ٢٥)

١٥ (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين)

إذا تتلى على هذا ذى مال وبنين آياتنا قال : هذه ما اقتبسه و استكتبه محمد وحفظه من الكتب الاولى المتداولة ، فليس بشيء جديد ولاوحى .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الاّ افك افتراه وأعانه عليه

قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزوراً و قالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » الفرقان : ٤ - ٥)

وقال : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قدسمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاّ أساطير الاولين و إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » الانفال : ٣١-٣٢)

١٦- (سنسمه على الخرطوم)

نسم عن قريب هذا المكذب ذا مال وبنين بسمة معه فى الحياة الدنيا يعرف بها كما توسم البهائم على الخراطيم: الانف والشفتان ، وهذا هو رأس المجرمين يعرفون بسيماهم فى الحياة الدنيا ، وتسودّ وجوههم فى الاخرة .

قال الله تعالى فيهم: « وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير» الحج : ٧٢)

وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أ ليس فى جهنم مثوى للمتكبرين» الزمر : ٦٠)

وقال : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» يونس : ٢٧)

و قال : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى و الاقدام » الرحمن : ٤١)

١٧- (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذا قسموا ليصر منها مصبحين)

أعطينا أهل مكة ماتظاهر عليهم من النعم والآلاء من الاموال والبنين، و ما رحمناهم به من واسع العطاء لنرى حالهم أيشكرون هذه النعم ، و يؤدّون حقها ، وينيبون إلى ربهم ، و يتبعون الداعى لهم إلى - سبيل الرشاد ، و هو

الرسول ﷺ الذی بعثناه لهم هادیاً بشیراً و نذیراً ؟ أم یکفرون به ویکذبون بآیاتنا ویجحدون حق الله تعالی علیهم ؟

و هم جحدوا و کذبوا وبطروا وعادوا رسولنا ﷺ فبلونا هم بالقحط و الجوع ، وبألوان من البلاء والآفات ، کما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم بسبب البخل والکفران إذ حلفوا بالله تعالی لیقطعوا ثمارها و یقطفوها وقت الصباح لکیلا یشعر بهم المساکین فلایعطو نهم منها ما کان أبوهم یتصدق به علیهم منها .

قال الله تعالی : «فذرهم فی غمرتهم حتی حین أیحسبون انما نمدهم به من مال وبنین نسارع لهم فی الخیرات بل لایشعرون ـ قدکانت آیاتی تتلی علیکم فکنتم علی أعقابکم تنکصون مستکبرین به سامراً تهجرون أفلم یدّبروا القول أم جاءهم مالم یات آباءهم الاولین أم لم یعرفوا رسولهم فهم له منکرون أم یقولون به جنة بل جاء هم بالحق و أکثرهم للحق کارهون ـ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استکانوا لربهم وما یتضرّعون حتی إذا فتحنا علیکم باباً ذا عذاب شدید إذا هم فیه مبلسون» المؤمنون : ٥٤ ـ ٧٧)

وقال : « أفرأیت الذی کفر بآیاتنا وقال لاوتین مالاً وولداً ـ واتخذوا من دون الله آلهة لیکونوا لهم عزاً کلاسیکفرون بعبادتهم ویکونون علیهم ضداً » مریم : ٧٧ـ٨٢)

١٨ ـ (و لا یستثنون)

و هم أصحاب البستان الذین عزموا أن لایؤدّوا ذکاته لبائس و لا فقیر إذ قالوا : نجنی الثمار صباحاً من غیر أن یقولوا : ان شاءالله ، و لا نستثنی من ثمر الجنة شیئاً للفقراء والمساکین ، فمنعوا حقهم فیه فحق علیهم من الجزاء ماهم له أهل و دمره شر التدمیر .

١٩ ـ (فطاف علیها طائف من ربک و هم نائمون)

ان أصحاب الجنة بعد أن دبّروا هذا التدبير السيّىء وأكدوه بالقسم ناموا آمنين مطمئنين على أن يجنوا ثمارها وقت الصباح ، فسلط الله تعالى بلاءاً على بستانهم و ثماره حالكونهم نائمين . قال الله تعالى : « و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول الله منهم فكذبوه فاخذهم العذاب و هم ظالمون » النحل : ١١٢ ـ ١١٣) .

٢٠ - (فاصبحت كالصريم)

فصارت الجنة كالبستان الذى اقتطف ثماره بحيث لم يبق فيه شيء اذ أرسل تعالى بلاءً إليها .

٢١ - (فتنادوا مصبحين)

لما استيقظ أصحاب الجنة من نومهم فنادى بعضهم بعضاً حالكونهم داخلين وقت الصباح .

٢٢ - (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين)

هلموا اخرجوا و اذهبوا غدوة نقطف الثمار على غفلة من الفقراء إن كنتم قاطعين ثماركم وحاصدى زرعكم ، مادمتم على عزمكم ماعقدتموه عليه بالامس .

٢٣ - (فانطلقوا و هم يتخافتون)

خرج أصحاب الجنـة بعد سماعهم النداء و يقظتهم بالنداء فمضوا إليها مسرعين، يتسارّون شحاً وحرصاً ، ويقول بعضهم لبعض: لاتمكنوا اليوم مسكينا من الدخول فيها، ويتحدث بعضهم إلى بعض فى صوت خفيض هامس حتى لايحس بهم أحد ، ولايستيقظ على خطوهم أو صوتهم من يشهد ما يفعلون و هم يفعلون ثمار جنتهم .

٢٤ - (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)

كان بعض أصحاب الجنة يوصى بعضهم : أن لايدخل الجنة يوم الحصاد هذا

عليهم مسكين من المساكين، فيحملهم ذلك على عزل نصيب من الثمر المصروم لهم.

٢٥ - (و غدوا على حرد قادرين)

ان أصحاب الجنة قد اخذوا طريقهم وقت الصباح قاصدين إلى جنتهم بسرعة، مصممين على منع المساكين و حرمانهم حقهم من ثمارها، و هم يظنون عند أنفسهم انهم قادرون على صرامها، و على حرمان الفقراء من ثمارها اذ تخيلوا ان البستان و ثمره بأيديهم و ما دروا ان يدالله سبحانه فوق أيديهم، ولم يخطر ببالهم ان البستان الذى كان بالامس عامراً زاخراً بالخير والبركة يصبحه الله تعالى قاعاً صفصفاً، ويغيّره معالمه ويدرس رسومه حين غيّروا ما بأنفسهم . . .

قال الله تعالى: «ان الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» الرعد: ١١).

قال: «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و ان الله سميع عليم» الانفال: ٥٣).

٢٦ - (فلما راوها قالوا انا لضالون)

فلما دخلوا فى جنتهم أو قربوا منها رأوها صارمة، فعندئذ قالوا: انا لضالون عن طريق جنتنا و ما هى بها إذ لو كانت هى هى فأين ثمارها اليانعة و زروعها الناضجة؟ فلما تأملوا وعرفوا انها هى ولكنهم ضلوا عن طريق الصواب إذ عزموا الصرم و منع المساكين و حرمانهم من ثمارها.

٢٧ - (بل نحن محرومون)

ثم قالوا لما علموها: بل نحن محرومون حرمنا لجنايتنا على أنفسنا إذ قصدنا على حرمان المساكين من ثمارها فحرمنا الله تعالى منها.

٢٨ - (قال اوسطهم ألم اقل لكم لو لا تسبحون)

قال أوسطهم رأياً و أهدى طريقاً: ألم أقل لكم هلا تذكرون الله تعالى بما أنعم عليكم وتشكرون له قولاً وعملاً بالبذل و ايتاء حق المساكين، و تتوبون إلى الله تعالى من سوء نيتكم إذ قلتم: «لنصر منها مصبحين - أن لا يدخلنها

اليوم عليكم مسكين » ،

وذلك كان من أصحاب الجنة رجل رشيد جواد يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ولكنهم لم يستمعوا لنصحه فرأى ماحل بهم ماحل .

٢٩ - (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين)

اعترف أصحاب الجنة بذنبهم وخطأهم ، فنزّهوا الله تعالى عن أن يكون ظالماً فيما فعل، وأن يجرى فى ملكه شىء على خلاف مشيئته إذ قالوا : سبحان ربنا عن أن يغيّر ما بأنفسنا قبل أن نغيّره بل إنا كنا ظالمين لأنفسنا على تركنا ذكر الله تعالى ، و إضاعتنا حق المساكين ، و عزمنا على حرمانهم من حصتهم يوم الصرام ، فحرمنا قطعها والانتفاع بها .

ونظيره قوله تعالى: « فما كان دعواهم إذ جاءهم باسنا إلاّ أن قالوا انا كنا ظالمين » الاعراف : ٥) .

وقوله تعالى : « و ذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلاّ انت سبحانك إنى كنت من الظالمين » الانبياء : ٨٧) .

٣٠ - (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون)

لما رأى أصحاب الجنة بستانهم بلا ثمرة فأقبل بعضهم على بعض منهم يلوم بعضهم بعضا مع أن كلاً يلوم نفسه كما يلوم أصحابه، فان الجريمة مشتركة بينهم جميعاً ولكل منهم نصيبه منها إذ عزموا كلهم على ترك ذكر الله تعالى ، و منع المساكين حقهم ، فالكل يوجه اللوم إلى نفسه كما يوجهه إلى أصحابه . . .

٣١ - (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين)

انتهى تلاوم أصحاب الجنة إلى أن قالوا : يا ويلنا انا كنا صاحبى الجنة متجاوزين الحد فى البغى والتمرد ، و مخالفين لامر الله تعالى فى تركنا حقوق المساكين و ترك الاستثناء إذ رأينا أنفسنا استغنت .

قال الله تعالى : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ ـ ٧) .

٣٢ - (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون)

لما تابوا و رجعوا إلى الله تعالى وتعاقدوا أن لايفعلوا مافعلوه قالوا : نرجو من ربنا عفوه ، و أن يبدلنا خيراً من تلك الجنة التى هلكت لانا إلى ربنا وحده راغبون ، معرضون عن غيره فنسئله ذلك .

قيل : انهم قالوا : إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعنّ كما صنعت آباؤنا ، فدعوا الله جل و علا و تضرّعوا ، فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها .

٣٣ - (كذلك العذاب و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

كذلك عذاب الدنيا من عذاب التدمير والتذكير ، وهلاك الاموال والانفس فى الحياة الدنيا ، و لعذاب الاخرة بمن عصى ربه و كفر و كذّب بآياته أكبر من عقوبة الدنيا و عذابها ، فان عذاب الدنيا مهما اشتد له نهاية ولانهاية لعذاب الاخرة لو كان الكافرون يعلمون ذلك .

قال الله تعالى : « انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها و لا يحيى ـ و كذلك نجزى من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه و لعذاب الاخرة أشد و أبقى » طه : ٧٤ ـ ١٢٦) .

وقال : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون » السجدة : ٢١) .

وقال: « كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون » الزمر: ٢٥ـ٢٦).

وقال : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى فى الحياة الدنيا و يوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون » البقرة : ٨٥ـ٨٦).

٣٤ - (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم)

ان للذين اتقوا عقوبة الله تعالى بأداء فرائضه و إجتناب معاصيه و يقوا

شحّ أنفسهم و هم يتورعون عن محارم الله جل و علا فى جميع الحالات ... علم الناس بحالهم أم لم يعلموا لانهم لايفعلون إلاّ لوجهه الكريم ولهم جنات يتنعمون بنعيمها لا يشوبه كدر و لا ما ينغّصه كما يشوب جنات الدنيا ، و تلك الجنات يورثها الله جل و علا من كان تقياً لاغيره .

قال الله تعالى: « ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » غافر : ٩) .

و قال : « فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم و من يوق شحّ نفسه فاولئك المفلحون » التغابن : ١٦) .

وقال : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة و الخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله - و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين - لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزولاً من عند الله وما عند الله خير للابرار » آل عمران : ١٣-١٣٣-١٩٨)

وقال : « جناتِ عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً لايسمعون فيها لغواً الاّ سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم : ٦١-٦٣)

وقال : « يوم لاينفع مال ولابنون الاّ من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين » الشعراء : ٨٨-٩٠)

٣٥- (افنجعل المسلمين كالمجرمين)

أفنجعل أيها الناس فى كرامتى ونعمتى فى الاخرة الذين خضعوا لى بالطاعة وذلّوا لى بالعبودية ، وخشعوا لامرى ونهيى كالمجرمين الذين كذّبوا بآيات الله

تعالى ورسوله وباليوم الاخر، واكتسبوا المآثم وركبوا المعاصى وخالفوا أمرى ونهيى ؟ كلا ثم كلا ماالله بفاعل ذلك فلا نسوّى بين هؤلاء و اولئك فى الكرامة والنعمة والجزاء لعدم تساوى الفريقين فى العقيدة والعمل : الكفر والايمان ، الشرك والتوحيد ، الطاعة و العصيان ، الخير والشر ، الصلاح والفساد ، الصدق والكذب . . : فاذاكان بين العقائد والاعمال تضاد ، فكيف التساوى بين جزائها؟ فالنارهى مثوى المجرمين ، والجنة هى دار المتقين .

قال الله تعالى: « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » السجدة:١٨)

وقال : « أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار» ص: ٢٨)

وقال : « ولاتستوى الحسنة ولا السيّئة » فصلت : ٣٤)

وقال : « ضرب الله مثلا عبداً مملوكالايقدرعلى شىء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون و ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدرعلى شىء و هو كلّ على مولاه أينما يوجهه لايأت بخيرهل يستوى ومن يأمر بالعدل وهوعلى صراط مستقيم » النحل : ٧٥-٧٦)

وقال : « ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذاملح اجاج وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولاالحرور ومايستوى الاحياء ولا الاموات » فاطر : ١٢-٢٢)

وقال : « قل لايستوى الخبيث والطيب » المائدة : ١٠٠)

وقال : « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون» الحشر : ٢٠)

وقال: « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم » الجاثية : ٢١)

شتان بين الفريقين : فريق الجنة وفريق النار ، فريق الحق وفريق الباطل فريق النور وفريق الظلمة ، فريق الكفر و فريق الايمان ، فريق العلم و فريق الجهل ، وفريق الطاعة وفريق الطغيان . . . لايستوى مآلهم .

٣٦- (مالكم كيف تحكمون)

مالكم أيها المشركون ، أيها المكذبون ، أيها الكفار ، أيها الطغاة وأيها المجرمون ؟ كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج؟ هذا الحكم الخطاء وهذا الحكم الفاسد ؟ كأن أمر الجزاء والحساب، وأمر الجنة والعذاب مفوض اليكم حتى تحكموا فيه ما شئتم ان لكم من الجنة ونعيمها ماللمسلمين ، وأى عقل يحملكم على هذه التسوية ، على هذه الكرامة ، وعلى هذا الفضل عند الله لكم حتى صارت سبباً لاصراركم على الكفر والطغيان، وعلى الشرك والعصيان ، ولا يحسن فى الحكمة التسوية بين الاولياء والاعداء فى الحياة الدنيا فكيف فى دار الجزاء ؟ و هذا مالا يقول به عاقل ، ولايقبله منطق العقلاء .

نظير قوله تعالى : « قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لايغنى من الحق شيئاً » يونس : ٣٥-٣٦)

٣٧- (أم لكم كتاب فيه تدرسون)

بل ألكم أيها المشركون كتاب نزل من عندالله تعالى ، فتدرسون فيه و تتداولونه ينقله الخلف عن السلف يتضمن حكماً مؤكداً كما تدعون، فتجدون فيه : المؤمن كالكافر ، المشرك كالموحد ، المطيع كالعاصى والنور كالظلمة . . . و انتم متمسكون به وتستندون إليه ماتقولون ، فلاتلتفتون إلى خلافه ؟ و لم ينزل عليكم كتاب من قبل هذا القرآن ، و لم يرسل إليكم رسول من قبل هذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان لكم كتاب فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .

وفي هذا تحدٍّ للمشركين، ونفي قاطع أن يكون لهم كتاب، وانما هم يتبعون أهواءهم . . .

قال الله تعالى : « قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواء هم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٤٩-٥٠)

و قال : « ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » الاحقاف : ٤) وقال : « أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه » فاطر : ٤٠)

وقال : « أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون » الزخرف : ٢١)

وقال : « وما آتيناهم من كتب تدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير » سباء : ٤٤)

٣٨- (ان لكم فيه لما تخيرون)

ان لكم أيها المشركون في هذا الكتاب - النازل المفروض محالاً - لما تتخيرون مما تشتهونه من السعادة والجنة ونعيمها والتسوية للمتقين في الكرامة عند الله سبحانه .

٣٩- (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)

بل ألكم أيها المشركون أحلاف علينا بانا أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التأكيد ، أولكم عهود ومواثيق علينا مؤكدة بالايمان بالغة و افرة و ثابتة مستمرة إلى يوم القيامة لم يبطل منها عهد ولا يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من أن يدخلكم الجنة وينعمكم من نعيمها بتسويتكم للمؤمنين والحق انه لا يمين ولا عهد لهم بذلك من الله تعالى .

كقوله تعالى في اليهود : « قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون » البقرة : ٨٠)

٤٠- (سلهم أيهم بذلك زعيم)

سل يا محمد ﷺ هؤلاء المشركين أيهم بذلك الحكم كفيل؟ فيخرجونه من بينهم ليتولى عنهم القول بأن لهم كتاباً أو أن لهم مع الله عهوداً و مواثيق مؤكدة بايمان بأن لهم من الخير ما للمسلمين، ثم يكون هذا الزعيم ضامناً لهم بتقديم الحجة على ذلك يوم القيامة والحساب، فأين منهم من يتولى هذا الامر عنهم ويحمل مسئوليته دونهم؟

٤١- (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

أم لهم شركاء فيسوون بينهم وبين المسلمين و لو كانوا فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين فى دعواهم ذلك، والمراد انه ليس أحد أن يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه، فكما انه لا كتاب لهم ينطق بذلك، ولا عهد لهم به عند الله تعالى ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله تعالى بهذا ولا شركاء.

كقوله تعالى: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين» الشورى: ٢١)

وقوله: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء» الروم: ٤٠)

وقوله: «وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» يونس: ٣٨)

٤٢- (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون)

اذكر يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين المكذبين بآيات الله واليوم الاخر يوم ينكشف فيه عن أمر شديد صعب عظيم و هو الحساب والمداقة على الاعمال والجزاء على الافعال، وظهور السرائر وإنكشاف البواطن والمداقة على الحسنات والسيئات، أمر مبهم فى الشدة خارج عن المألوف والعادة كقوله تعالى: «يوم يدع الداعي إلى شيء نكر» القمر: ٦)

فكأنه قيل: يوم يقع أمر فظيع يشتد أمره، و عبّر بالساق عن الشدة من قولهم: قدقامت السوق: إذا إزدحم أهلها واشتد أمرها بالمبايعة والمشارات ووقع الجد فى ذلك والاجتهاد.

وهم يدعون يومئذ إلى السجود لله تعالى لفظاعتهم وتفضيحهم يوم القيامة

فلا يستطيعون السجود لاستقرار ملكة الاستكبار فى سرائرهم وانما اليوم يوم تبلى السرائر ويوم التأويل فيظهر مافى ضمائرهم . . .

قال الله تعالى : « و نفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق : ٢٠-٢٢)

وقال : « يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر » الطارق : ٩-١٠)

وقال : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » الاعراف : ٥٣)

٤٣- (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود و هم سالمون)

هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الاخر يحشرون حال كونهم ذليلة متواضعة أبصارهم خافضين رؤسهم لا يرفعون نظرهم عن قدامهم ذلة ومهانة ، حال كونهم أحاطتهم ذلة الندامة وخزى الحسرة وتبعة الاستكبار وفظاعة الطغيان ، وذلك الهوان والخزى فى الاخرة لانهم كانوا يدعون فى الحياة الدنيا يدعون إلى الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وإلى طاعة الله جل وعلا وصالح الاعمال، وكانوا هم متمكنون باتيانه ولكنهم أبوا و استكبروا وكذبوا وتولّوا وعصوا الله ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى : « يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً . وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً» طه : ١٠٨-١١١)

وقال : « ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق فلا صدّق ولا صلّى ولكن كذّب وتولّى ثم ذهب إلى أهله يتمطّى » القيامة : ٢٤-٣٣)

وقال : « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة»

عبس : ٤٠ ـ ٤٢)

وقال : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة » الغاشية : ٢ـ٣)

وقال: « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون » يونس : ٢٧)

٤٤- (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)

فكل واترك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر هؤلاء المكذبين بالقرآن الكريم و بالنبوة واليوم الاخر كقولك فى الوعيد تتوعد به رجلا : دعنى وإياه ، و خلنى و إياه تريد انه من وراء مسائته .

قال الله تعالى : « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهّلهم قليلا» المزمل:١١)

وقال : « فنذر الذين لايرجون لقائنا فى طغيانهم يعمهون » يونس : ١١)

و قال : « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » الزخرف : ٨٣)

« سنستدرجهم » : سندينهم من العذاب درجة درجة فنأخذهم قليلاً و لا نباغتهم بالامهال و إدامة الصحة و إزدياد النعمة و إنساء الذكر « من حيث لا يعلمون » انه استدراج ، وانهم يظنون ان ذلك انعام .

قال الله تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» الاعراف : ١٨٢)

وقال : « فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً » الطارق : ١٧)

٤٥- (واملى لهم ان كيدى متين)

وأمهل هؤلاء المشركين المكذبين ، واطيل لهم مدة الاخذ بالعذاب حتى تمتلى كأسهم من الآثام والكفر والطغيان ، فلا ابادر إلى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت ـ فانما يعجل من يخاف الفوت ـ لان تدبيرى فى عذابهم لقوى لا يدفع

بشيء ولايفوتني أحد. ان الله تعالى سمى التدبير في عذابهم كيداً لانه في صورته.

قال الله تعالى: «ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألاّ يجعل لهم حظاً في الاخرة و لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم ولايحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين» آل عمران: ١٧٦ـ١٧٨)

وقال: «ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب» الرعد: ٣٢)

وقال: «فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ـ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير» الحج: ٤٤ ـ ٤٨)

٤٦ـ (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أتسئل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء المشركين المكذبين أجراً على تبليغ الرسالة والارشاد إلى صراط مستقيم وقد أمرناك أن تقول لهم: «قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا» الفرقان: ٥٧) «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» ص: ٨٦) فهم من غرامة مثقلون بحملها، فلايؤمنون بسبب الاجرة في التبليغ؟ إذ لست تطلب أجراً على ذلك فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك

قال الله تعالى: «وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلاّ ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون» يوسف: ١٠٤ ـ ١٠٦)

٤٧ـ (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

بل أعند هؤلاء المشركين علم ما غاب عنهم، فهم يكتبونه فيحكمون عليه و يخرجون منه تلك المقالات التي يقولونها من تساوي المجرمين المسلمين

فى الكرامة عندالله تعالى وفى التنعم بنعيم الجنة . . . وليس الامر كذلك إذ لا يعلم الغيب غير الله جل وعلا ، ومن أوحى الله تعالى إليه من الرسول فضلا عن هؤلاء المنكرين الجهلاء .

قال الله تعالى : «أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى » النجم : ٣٣-٣٥)

وقال : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » آل عمران : ١٧٩)

وقال : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » الجن : ٢٦-٢٧)

وقال : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب و لا أقول لكم انى ملك إن أتبع إلا مايوحى إلى قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون» الانعام : ٥٠)

وقال : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » هود : ٤٩)

٤٨- (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم)

فاصبر يا محمد فى تبليغ رسالتك الخالدة ، وفى تأخير نصرتك على المشركين المكذبين و إمهالهم فى تقمصهم على الكفر والطغيان صبراً صامداً من غير فشل لافرار عمن ارسلت إليهم مهما كلف الامر عليك باستهزاءهم و أذاهم لك لحكم ربك على ذلك ، فلن نترك سدى فانك بأعيننا ، و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً ، فاثبت حتى يأتيك أمرالله تعالى كما صبر اولو العزم من الرسل فلا تستعجل لهم .

قال الله تعالى: « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

وقال : « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » الانسان : ٢٤)

وقال : « واتبع مايوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين»

يونس : ١٠٩)

وقال : « فاصبر كماصبرأولوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الاّ ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الاّ القوم الفاسقون» الاحقاف : ٣٥)

و لا تكن يا محمد ﷺ فى استعجال و الغضب على قومك المكذبين كصاحب الحوت وهو يونس النبى عليه السلام إذ غضب على قومه حين لم يؤمنوا به فدعا ربه عليهم بالهلاك والدمار ، وهو مملؤ غماً وممتلىء غيظاً لكفرهم وعنادهم ولو انه صبر على ذلك وعاود نحهم يوماً فيوماً ، ومرة بعد اخرى لاستجابوا له إذ كان فيهم - مع هذا العناد واللجاج - بقية من خير يمكن أن تكون شرارة يتوهج منها نور الايمان لو وجدت من ينفخ فيها برفق وأناة، ويتلطف فى الامساك من غير تعجل .

قال الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين - واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولاتحزنْ عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون »
النحل: ١٢٥- ١٢٧)

٤٩- (لولاأن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهومذموم)

لولاأن أدركت يونس عليه السلام رحمة من ربه - ولم يوفقه للتوبة ، ولم يقبل عذره بقبول حسن ، ولم يجب ندائه : « فنادى فى الظلمات أن لا إلـه إلاّ أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له و نجيناه من الغم و كذلك ننجى المؤمنين » و لم يخلصه من بطن الحوت بل يبقيه فيه حياً « فلولا انـه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون » ولولم يخرجه منه حياً ، ولم يعد إلى وضعه الاول فى مقام النبوة ، ولم يجددها عليه ، فان نعمة مجددة أنعم الله تعالى بها عليه فجعله بهامن الصالحين الذين سلموا من الذم ونجوا من الملامة والعيب

« فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » فلولا ذلك لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ثم طرح بفضاء القيامة مذموماً ملوماً من ربه .

و لكن الله تعالى ألقاه بفضاء من بطن الحوت سقيماً غير مذموم إذ قال : « فنبذناه بالعراء وهو سقيم » الصافات : ١٤٥)

العراء : الارض الواسعة الفضاء التى ليس فيها جبل ولا شجر يستر .

٥٠- (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)

فاصطفاه ربه لدعائه وعذره ربه ، وقرّبه و تاب عليه ، فجعله من الانبياء الصالحين ، وأرسله إلى مأة ألف أو يزيدون فآمنوا به ، وذلك لمكان سلامة فطرته وبقاء نور استعداده ، وعدم رسوخ الهيئات الغضبية عليه .

قال الله تعالى : « وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين » الصافات : ١٤٧ ـ ١٤٨)

٥١- (و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون)

وان الذين كفروا قاربوا ليصيبونك بحديد نظرهم ليقتلوك حين سمعوا ما تتلوا عليهم من القرآن لكراهتهم بذلك فحدّوا النظر إليه بالعداوة والبغضاء ، ويقولون حسداً وعناداً: ان المتلو من الهذيان الذى يهذى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم حال جنونه ، مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تكذيبا به ومعاندة عليه ، وحيرة فى أمره وتنفيراً عنه مع علمهم بانه أعقلهم .

قال الله تعالى : « وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » الحجر: ٦)

وقال : « ما بصاحبكم من جنة إن هو إلاّ نذير لكم » سباء : ٤٦)

٥٢- (وما هو الا ذكر للعالمين)

وليس ما يتلوه عليهم من القرآن إلاّ ذكراً للجن والانس إلى أن تقوم الساعة ، وفيه حياة مجددة للناس جيلا بعد جيل ، وانه لاذكر ولا قدر لمن فاته

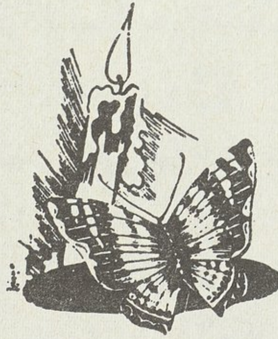
الاتصال بهذا الكتاب وتلقى عنه ، وقطع مسيرة الحياة فى ظله .

قال الله تعالى : « فاستمسك بالذى أوحى إليك انك على صراط مستقيم و انه لذكر لك ولقومك » الزخرف : ٤٣-٤٤)

وقال : « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به » الجن : ١-٢)

و قال : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١)

وقال : « وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٢٧٢- (ن والقلم وما يسطرون)

و قد أقسم الله تعالى بالقلم وما يكتبه كتّاب الثقلين من عظمة الكون و خالقه .

٥٢٧٣- (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

لست يا محمد مجنوناً ، فانك متلبس بنعمة ربك التى أنعمها عليك .

٥٢٧٤- (وان لك لاجراً غيرممنون)

وان لك يا محمدلاجراً عظيماً لايقادرقدره ، غيرمنقص ولامكدّر بالمنّ .

٥٢٧٥- (وانك لعلى خلق عظيم)

وانك يا محمد لعلى خلق عظيم الهى إذأدّبك به فأحسن أدبك .

٥٢٧٦- (فستبصر ويبصرون)

فسترى يا محمد عاقبة أمردعوتك فى الحياة الدنيا باعلاء كلمة الله تعالى و ظهور الدين الاسلامى كله ، وسيرى هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم و رميهم اياك بالجنون .

٥٢٧٧- (بايكم المفتون)

بايكم المبتلى بالجنون وفقدان العقل ، وأيكم غالب ومغلوب .

٥٢٧٨- (ان ربك هواعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

ان ربك يا محمد هوالعالم بمن حاد عن سبيل الله تعالى وعدل عن دينه والله

جل وعلا هو أعلم بمن اهتدى .

٥٢٧٩- (فلا تطع المكذبين)

فلاتطع أيها الرسول الذين كذّبوا بآياتنا وبرسولنا وباليوم الاخر .

٥٢٨٠- (ودوالوتدهن فيدهنون)

أحبّ هؤلاءِ المشركون أن تدارى أمرك عنهم فتلاينهم وهم يدارون أمرهم عنك فيلاينونك .

٥٢٨١- (ولاتطع كل حلاف مهين)

ولاتطع يا محمد كل من يكثر الحلف فى الحق والباطل وهو بكذبه ذليل .

٥٢٨٢- (هماز مشاءٍ بنميم)

كثير الطعن فى أعراض الناس، يمشى بين الناس بنقل حديث مسلم إلى مسلم، ويسعى بينهما بالافساد والشر والنزاع .

٥٢٨٣- (مناع للخير معتد أثيم)

كثير المنع لفعل الخير عن نفسه وعن غيره ، متجاوز على غيره كثير الاثم بربه .

٥٢٨٤- (عتل بعد ذلك زنيم)

وفوق ما ذكرانه جاف شديد فى كفره غليظ فى المعاشرة ، لاأصل له ولا نسب.

٥٢٨٥- (أن كان ذامال وبنين)

لاتطع أيها الرسول من اتصف بتلك ذميم الصفات ورذيل الاخلاق لان كان ذامال وبنين .

٥٢٨٦- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

اذا تتلى على هذا الخبيث آياتنا النازلة قال : هذه الايات ما حفظه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكتب الاولى المتداولة فليس بشيء جديد ولاوحى سماوى .

٥٢٨٧- (سنسمه على الخرطوم)

نسم عن قريب هذا المكذب بسمة على خرطومه يعرف بها كما توسم البهائم عليها .

٥٢٨٨- (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)

إنا إختبرنا أهل مكة بما أنعمنا عليهم من النعم كما اختبرنا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم إذ حلفوا بالله تعالى ليقطعوا ثمارها وقت الصباح .

٥٢٨٩- (ولا يستثنون)

وحال كون أصحاب الجنة عزموا أن قطع ثمار الجنة من غير تعليق ذلك بمشيئة الله تعالى ، ومن غير أداء حق المساكين منها .

٥٢٩٠- (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)

فاصابت جنتهم آفة وطاف عليها بلاء يحيط بها ليلا من جانب ربك وحال كونهم نائمين .

٥٢٩١- (فأصبحت كالصريم)

فصارت الجنة بتلك الآفة والبلاء كالبستان الذى اقتطف ثماره بحيث لم يبق فيه شيء .

٥٢٩٢- (فتنادوا مصبحين)

لما استيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضاً وقت الصباح .

٥٢٩٣- (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين)

هلموا ، واذهبوا غدوة لقطف ثماركم على حين غفلة من الفقراء ان كنتم قاطعين ثماركم .

٥٢٩٤- (فانطلقوا وهم يتخافتون)

خرج أصحاب الجنة بعد أن سمع بعضهم نداء بعضهم ، فمضوا إليها مسرعين و حال كون بعضهم يتحدث بعضاً بصوت خفيض خوفاً عن إطلاع المساكين على فعالهم . . .

٥٢٩٥- (أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين)

كان يوصى بعض أصحاب الجنة بعضهم : أن لا يدخل الجنة البتة يوم الحصاد هذا عليكم مسكين من المساكين ، فليس لاحد من المساكين أن يدخلها اليوم .

٥٢٩٦- (وغدوا على حرد قادرين)

وقد أخذ أصحاب الجنة وقت الصباح طريقهم إلى الجنة بسرعة قاصدين على منع المساكين من حقهم ظانين : انهم قادرون على صرامها وعلى حرمان المساكين من ثمارها .

٥٢٩٧- (فلما رأوها قالوا انا لضالون)

فلما قربوا من الجنة ورأوها قاطعة الثمار قالوا : اناضللنا طريق جنتنا ،و لما تأملوا وعرفوا انهاهى قالوا :

٥٢٩٨- (بل نحن محرومون)

بل نحن محرومون من ثمار الجنة لقصدنا بحرمان المساكين من حقهم .

٥٢٩٩- (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبحون)

قال أوسطهم رأياً وأهدى طريقاً : ألم أقل لكم هلاتذكرون الله تعالى بما أنعم عليكم وتشكرون له وتؤتون حق المساكين .

٥٣٠- (قالوا سبحان ربنا اناكنا ظالمين)

إعترف أصحاب الجنة بخطأهم ، فنزّهوا الله تعالى إذقالوا : سبحان ربنا انا كنا ظالمين على أنفسنا لتركنا ذكر الله تعالى وعلى المساكين لاضاعة حقهم .

٥٣٠١- (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون)

فلما رأى أصحاب الجنة بستانهم بلاثمرة أقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضاً مع ملامتهم أنفسهم لاشتراكهم فى الجريمة .

٥٣٠٢- (قالوا ياويلنا اناكنا طاغين)

إنتهى تلاوم أصحاب الجنة إلى أن قالوا : ياويلنا انا كنا متجاوزين الحد

فى البغى والتمرد ، ومخالفين لامر الله تعالى .

٥٣٠٣- (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون)

لما تابوا إلى الله تعالى وتعاهدوا أن لايفعلوا مافعلوه قالوا : نرجو من ربنا عفوه و أن يبدلنا خيراً من تلك الجنة لانا إلى ربنا وحده راغبون ، معرضون عن غيره .

٥٣٠٤- (كذلك العذاب ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

كذلك عذاب الدنيا من التدمير والهلاك ، ولعذاب الاخرة من نار جهنم أكبر من عذاب الدنيا لو كان الكافرون يعلمون ذلك .

٥٣٠٥- (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم)

ان للذين اتقوا الله تعالى عند ربهم جنات يتنعمون بنعيمها لايشوبه كدر ولا ماينقصه .

٥٣٠٦- (افنجعل المسلمين كالمجرمين)

أفنجعل المسلمين كالمجرمين متساويين فى الكرامة والتنعم بنعيم الجنة.

٥٣٠٧- (مالكم كيف تحكمون)

ما لكم أيها المشركون كيف تحكمون بتساوى الفريقين : المسلمين و المجرمين .

٥٣٠٨- (ام لكم كتاب فيه تدرسون)

بل ألكم أيها المشركون كتاب منزل من عندالله تعالى ، فتدرسون فيه بهذا التساوى بين المسلمين والمجرمين فى الكرامة ومآل الامر .

٥٣٠٩- (ان لكم فيه لما تخيرون)

إن لكم أيها المشركون فى هذا الكتاب - النازل المفروض محالاً - لما تتخيرون من التسوية .

٥٣١٠- (ام لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)

بل ألكم أيها المشر كون أحلاف علينا مؤ كدة مستمرة إلى يوم القيامة: ان لكم لما تحكمون بتسوية المسلمين المجرمين.

٥٣١١- (سلهم أيهم بذلك زعيم)

سل يا محمد ﷺ هؤلاء المشر كين : أيهم بهذا الحكم من التسوية بين الفريقين كفيل.

٥٣١٢- (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

أم لهم شر كاء فيسوون بين المسلمين والمجرمين، ولو كان الشر كاء فليأ تو ابشر كائهم إن كانوا صادقين فى دعواهم ذلك.

٥٣١٣- (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون)

اذ كر يا محمد ﷺ لهؤلاء المشر كين يوم ينكشف فيه عن أمر صعب شديد، و هم يدعون يومئذ إلى الخضوع لله تعالى لتفضيحهم يوم القيامة، فلا يستطيعون الخضوع يومئذ لامتناعهم عن الخضوع فى الحياة الدنيا.

٥٣١٤- (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون)

حال كون المشر كين يحشرون ذليلة متواضعة أبصارهم منكرين، حال كونهم محاطين بخزى الحسرة و تبعة الاستكبار، وقدكانوا يدعون فى الحياة الدنيا إلى الخضوع لله تعالى وكانوا متمكنين باتيانه ولكنهم أبوا واستكبروا.

٥٣١٥- (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)

فكل ودع يا محمد أمر المكذبين بالقرآن إلى سنأخذهم بالعذاب فلا تشغل قلبك بهم فانى أجازيهم بعد أن زدت عليهم النعمة وأمهلتهم فخاضوا فى طغيانهم من حيث لايعلمون ان إز دياد النعمة و الامهال والخوض فى الطغيان إستدراج.

٥٣١٦- (واملى لهم ان كيدى متين)

واطيل لهم المدة لاخذ العذاب حتى تمتلىء كأسهم من الاثام لان تدبيرى فى عذابهم لقوى لايدفع بشىء ولايفوتنى أحد .

٥٣١٧- (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أتسئل يا محمد ﷺ هؤلاء المشركين أجراً على تبليغ الرسالة فهم من غرامته مثقلون بحملها .

٥٣١٨- (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

بل أعند هؤلاء المشركين علم ماغاب عنهم و عن غيرهم فيحكمون عليه بتساوى المسلمين المجرمين فى الكرامة عندالله سبحانه .

٥٣١٩- (فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهومكظوم)

فاصبر يا محمد ﷺ فى تبليغ رسالتك الخالدة مهما كلّف الامر عليك بالتكذيب والأذى لحكم ربك على ذلك ولاتكن فى استعجال العذاب والغضب على قومك كصاحب الحوت وهويونس النبى عليه السلام إذ نادى ربه على قومه بالهلاك والدمار وهو مملوء غماً وممتلىء غيظاً .

٥٣٢٠- (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهومذموم)

لولا أن أدركت يونس عليه السلام رحمة من ربه لطرح بفضاء القيامة و هو مذموم ملوم من ربه ، ولكن الله تعالى ألقاه بفضاء الارض من بطن الحوت وهو سقيم .

٥٣٢١- (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)

فاصطفى الله تعالى يونس عليه السلام فجعله من الانبياء الصالحين .

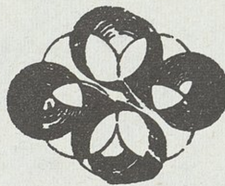
٥٣٢٢- (و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون)

و انّ الذين كفروا قاربوا ليصيبونك بحديد نظرهم ليقتلوك حين سمعوا

ماتتلوا عليهم من القرآن لكراهتهم بذلك ، ويقولون حسداً وعناداً : ان المتلو من الهذيان الذى يهذى به محمد ﷺ حال جنونه .

٥٣٢٣- (وما هو الا ذكر للعالمين)

وليس ما يتلوه محمد ﷺ على المشركين من القرآن إلا ذكر للثقلين: الجن والانس إلى أن تقوم الساعة .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : عن إبن أبي عمير عن عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن « ن » و « القلم » قال : ان الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها : الخلد ، ثم قال لنهر في الجنة : كن مداداً ، فجمد النهر و كان أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من الشهد ، ثم قال للقلم : اكتب قال : يا رب و ما اكتب ؟ قال : اكتب ماكان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم في رق أشد بياضاً من الفضة ، وأصفى من الياقوت ، ثم طواه فجعله في ركن العرش ، ثم ختم على فم القلم ، فلم ينطق بعد ، ولاينطق أبداً ، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها أولستم عرباً ؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام ، و أحدكم يقول لصاحبه : انسخ ذلك الكتاب ، أوليس إنما ينسخ من كتاب اخذ (آخر) من الاصل ، وهو قوله : « انا كنانستنسخ ما كنتم تعلمون »

وفي معاني الاخبار : باسناده عن سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق عليه السلام في تفسير الحروف المقطّعة في القرآن قال : وأما « ن » فهو نهر في الجنة قال الله عزوجل : اجمد فجمد ، فصار مداداً ، ثم قال عزو جل للقلم : اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ماكان وماهو كائن إلى يوم القيامة ، و « المداد » مداد من نور و « القلم » : قلم من نور و « اللوح » : لوح من نور ، قال سفيان : فقلت له : يابن رسول الله بيّن لي أمر اللوح و القلم والمداد فضل بيان ، وعلّمني مما علّمك الله ، فقال : يابن سعيد لولا انك أهل للجواب ما أجبتك ، فنون ملك يؤدّي إلى القلم ، وهو ملك ، والقلم يؤدّي إلى اللوح وهو ملك ، واللوح يؤدّي إلى إسرافيل وإسرافيل

يؤدى إلى ميكائيل ، و ميكائيل يؤدى ، إلى جبرئيل و جبرئيل يؤدّى الى الأنبياء ، والرسل صلوات الله عليهم ، قال : قال لى : قم يا سفيان فلا آمن عليك .

وفى الخصال : عن محمدبن سالم مرفوعاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : قال عثمان بن عفان : يارسول الله ماتفسير أبجد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعلّموا تفسيرأبجد فان فيه الاعاجيب كلها، وهل للعالم جهل تفسيره ؟ فقال : يارسول الله ماتفسيرأبجد ؟قال:أما الألف فآلاءالله إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : وأما النون فنون (فنورخ) والقلم ومايسطرون ، فالقلم : قلم من نور و كتاب من نور فى لوح محفوظ يشهده المقربون .

و فى العلل : باسناده عن يحيى بن أبى العلا الرازى عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث قال : و قد سئل عن قوله عزوجل : « ن والقلم ومايسطرون » وأما «ن» فكان نهراً فى الجنة أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل ، قال الله عزوجل له : كن مداداً ، ثم أخذ شجرة فغرسها بيده ثم قال : واليدالقوة وليس بحيث تذهب إليه المشبهة ثم قال لها : كونى قلماً ثم قال له : اكتب ، فقال له : يا رب ، و ما أكتب ؟ قال : ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ففعل ذلك ثم ختم عليه ، و قال : لاتنطقن إلى يوم الوقت المعلوم .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن ابراهيم الكرخى قال: سئلت جعفر بن محمد عليه السلام عن اللوح والقلم قال : هما ملكان .

و فيه : باسناده عن الاصبغ بن نباته عن أميرالمؤمنين عليه السلام : « ن والقلم و ما يسطرون » القلم : قلم من نور و كتاب من نور فى لوح محفوظ يشهده المقربون ، و كفى بالله شهيداً .

وفى البرهان : بالاسناد عن الكلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال: يا كلبى كم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من إسم فى القرآن؟ فقلت : إسمان أوثلاثة ، فقال : يا كلبى له عشرة أسماء ثم ذكرها و قال فيها : « ن والقلم و ما يسطرون » الحديث .

و فى تفسيرالقمى : فى قوله تعالى : «ومايسطرون» قال : أى مايكتبون

و هو قسم و جوابه : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » و قوله تعالى : « و إن لك لاجراً غير ممنون » قال : أى لا منّ عليك فيما يعطيك من عظيم الثواب .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « إن الله سبحانه أدّب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « خذالعفو وامر بالعرف و أعرض عن الجاهلين » فلما علم أنه قد تأدّب قال له : « و انك لعلى خلق عظيم » .

و فى الكافى : باسناده عن أبى إسحق النحوى قال : دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فسمعته يقول : ان الله عزوجل أدّب نبيه على محبته ، فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » الحديث .

و فيه : باسناده عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : ان الله عزوجل أدّب نبيه ، فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال : « انك لعلى خلق عظيم » .

وفيه : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى أدّب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلما إنتهى بـه إلى ما أراد قال الله له : « إنك لعلى خلق عظيم » .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل : « و انك لعلى خلق عظيم » قال : هو الاسلام .

و فى تفسير القمى : عن أبى الجارود عن أبى جعفر فى قوله : « إنك لعلى خلق عظيم » قال : على دين عظيم .

أقول : و ذلك لاشتمال الديـن الاسلامى على كمال الخلق و استنـان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بهلما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:«بعثت لاتمم مكارم الاخلاق».

وفيه : فى قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » قال : العتل : العظيم الكفر، والزنيم : المدعى و فى نسخة « الدعى » .

وفى المجمع : عن شداد بن اوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يدخل

الجنة جوّاظ ولا جعظريّ ولا عتل زنيم قلت: فما الجوّاظ؟ قال: كل جمّاع منّاع قلت: فما الجعظري؟ قال: الفظّ الغليظ قلت: فما العتل الزنيم؟ قال: كل رحيب الجوف سيّىء الخلق أكول شروب غشوم ظلوم زنيم.

وفيه: و روى انه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن العتل الزنيم فقال: هو الشديد الخلق، الشحيح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس الرحيب الجوف.

وفيه: في معنى «زنيم» قيل: هو الذي لا أصل له عن علي عليه السلام.

و في جوامع الجامع: و كان الوليد دعياً في قريش ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده جعل جفاه و دعوته أشد معايبه لان من جفا و قسى قلبه اجترأ على كل معصية، ولأن النطفة إذا خبثت خبث الناشي منها، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يدخل الجنة ولد الزنا و لا ولد ولده.

و في معاني الاخبار: باسناده عن محمد بن مسلم قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: ما معنى قول الله عزوجل: «عتل بعد ذلك زنيم»؟ قال: العتل: العظيم الكفر، والزنيم: المستهزىء بكفره.

و في نسخة «المستهتر» بدل «المستهزىء» والمستهتر ـ بالفتح على بناء المفعول يقال: استهتر الرجل بكذا مبنياً للمفعول ـ: صار مستهتراً به أي مولعاً به لا يتحدث بغيره، و لا يفعل غيره، و يقال: استهتر فلان فهو مستهتر: إذا كان كثير الاباطيل.

و في المحاسن: باسناده عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الرجل ليذنب الذنب، فيدرأ عنه الرزق، وتلا هذه الاية: «اذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين و لا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون».

و في نور الثقلين: عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ وأما قضى الامر فهو الوسم على الخرطوم يوسم الكافر.

و فى تفسير القمى : عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » ان أهل مكة إبتلوا بالجوع كما إبتلى أصحاب الجنة وهى كانت فى الدنيا ، و كانت باليمن يقال له : الرضوان على تسعة أميال من صنعاء .

وفيه : عن سعيد بن جبير عن إبن عباس انه قيل له : ان قوماً من هذه الامة يزعمون ان العبد يذنب الذنب ، فيحرم به الرزق ، فقال ابن عباس : فو الذى لا اله الا هو هذا أنور فى كتاب الله من الشمس الضاحية ذكره الله فى سورة « ن والقلم » :

انه كان شيخاً ، وكانت له جنة ، وكان لا يدخل بيته (إلى بيته خ) ثمرة منها و لا إلى منزله حتى يعطى كل ذى حق حقه فلما قبض الشيخ ورثه بنوه ، و كان له خمس من البنين ، فحملت جنتهم فى تلك السنة التى هلك فيها أبوهم حملاً لم يكن حملته قبل ذلك ، فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر ، فأشرفوا على ثمرة و رزق فاضل لم يعاينوا مثله فى حياة أبيهم ، فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا ، وقال بعضهم لبعض : إن أبانا كان شيخا كبيراً قد ذهب عقله وخرف ، فهلمّوا نتعاقد (و نتعاهد خ) فيما بيننا ان لا نعطى أحداً من فقراء المسلمين فى عامنا هذا شيئاً حتى نستغنى ، وتكثر أموالنا ، ثم نستأنف الصنيعة فيما يستقبل من السنين المقبلة ، فرضى بذلك منهم أربعة ، و سخط الخامس ، و هو الذى قال الله : « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » .

فقال الرجل : يا ابن عباس كان أوسطهم فى السّنّ ؟ فقال : لا بل كان أصغرهم سناً و أكبرهم عقلاً ، و أوسط القوم : خير القوم ، والدليل عليه فى القرآن قوله : انكم يا امة محمد أصغر الامم و خير الامم قوله عزوجل : « و كذلك جعلناكم امة وسطا » قال لهم أوسطهم : اتقوا (الله خ) و كونوا على منهاج أبيكم تسلموا و تغنموا ، فبطشوا به و ضربوه ضرباً مبرحاً ، فلما أيقن الأخ منهم انهم

يريدون قتله دخل معهم فى مشورتهم كارهاً لامرهم غير طائع ، فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله ليصرموه اذا أصبحوا ، و لم يقولوا : إن شاءالله فابتلاهم الله بذلك الذنب ، وحال بينهم و بين ذلك الرزق الذى كانوا أشرفوا عليه ، فأخبر عنهم (فاخبرهم خ) فى الكتاب فقال : « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين و لا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون فأصبحت كالصريم » قال : كالمحترق .

فقال الرجل : يابن عباس ما الصريم ؟ قال : الليل المظلم ، ثم قال : لاضوء له ولانور ، فلما أصبح القوم « فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين » قال : « فانطلقوا و هم يتخافتون » قال الرجل : و ما التخافت يابن عباس ؟ قال : يتشاورون ، فيشاور بعضهم بعضاً لكى لا يسمع أحد غيرهم فقالوا : « أن لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين و غدوا على حرد قادرين » وفى أنفسهم أن يصرموها و لا يعلمون ما قد حلّ بهم من سطوات الله و نقمته « فلما رأوها » وما قد حلّ بهم « قالوا : إنا لضالون بل نحن محرومون » فحرّمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم و لم يظلمهم شيئاً .

« قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » قال : يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه « قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا إلى ربنا راغبون » فقال الله : « كذلك العذاب و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون »

وفى التوحيد : باسناده عن محمد ابن على الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل : « يوم يكشف عن ساق » قال : تبارك الجبار ـ ثم أشار إلى ساقه فكشف عنها الازار ـ قال : « و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون » قال : أفحم القوم و دخلتهم الهيبة ، و شخصت الابصار و بلغت القلوب الحناجر « شاخصة أبصارهم ترهقهم الذلة و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون » .

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : قوله عليه السلام : تبارك الجبار ـ وأشار إلى ساقه فكشف عنها الازار ـ يعنى به تبارك الجبار أن يوصف بالساق الذى هذه صفته .

و قوله عليه السلام : « أفحم » يقال : أفحمته : اسكتته فى خصومة أو غيرها .

وفيه : باسناده عن عبيد بن زرارة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : « يوم يكشف عن ساق » قال : ـ كشف إزاره عن ساقه و يده الاخرى على رأسه ـ فقال : سبحان ربى الاعلى .

قال الصدوق رحمة الله تعالى عليه: معنى قوله عليه السلام : «سبحان ربى الاعلى» تنزيه لله عزوجل عن أن يكون له ساق .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن الحسين بن سعيد عن أبى الحسن عليه السلام فى قوله عزوجل : « يوم يكشف عن ساق » قال : حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً ، و تدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود .

أقول : رواه الطبرسى قدس سره فى الاحتجاج .

و قوله عليه السلام : « تدمج » دمج دموجاً : دخل فى الشىء و استحكم فيه ، والدامج : المجتمع .

و قوله عليه السلام : « يكشف» أى عن شىء من أنوار عظمته وآثار قدرته . . .

وفى التوحيد : باسناده عن محمد بن على الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون » قال : و هم مستطيعون ، يستطيعون الاخذ بما امروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا قال : وسئلته عن رجل مات و ترك مأة ألف درهم و لم يحجّ حتى مات ، هل كان يستطيع الحج ؟ قال : نعم انما استغنى عنه بماله و صحته .

اقول : و ليس فى بعض النسخ «عنه» وهو الاظهر ، و مع وجوده يحتمل أن يكون «عن» بمعنى «اللام» كما قيل فى قوله تعالى: «الا عن موعدة» ويحتمل

أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك ، والباء بمعنى «مع» أى تركه مع وجود ماله و صحته .

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل « ويدعون إلى السجود فلايستطيعون » قال : صارت أصلابهم كصياصى البقر- يعني قرونها- « و قد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » و هم مستطيعون وهم سالمون .

أقول : و في رواية « و يبقى ظهورهم كصياصى البقر » .

وفيه : باسناده عن حمزة بن محمد الطيار قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » قال: مستطيعون يستطيعون الاخذ بما امروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، ثم قال : ليس شيء مما امروا به و نهوا عنه إلا و من الله عزوجل فيه ابتلاء و قضاء .

وفي العلل : باسناده عن سفيان بن السمط قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : اذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً ، فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ، ويذكره الاستغفار، واذا أراد الله عزوجل بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة فينسيه الاستغفار ، و يتمادى به وهو قول الله تعالى : « سنستدرجهم من حيث لايعلمون » بالنعم عند المعاصي .

و في المجمع : و روى عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : إذا أحدث العبد ذنباً جدد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج .

وفي رواية: « ان رجلا من بني اسرائيل قال: يارب كم اعصيك وانت لاتعاقبني قال - فاوحى الله إلى نبي زمانهم ! أن قل له : كم من عقوبة لى عليك و أنت لاتشعر ان جمود عينيك و قساوة قلبك استدراج مني و عقوبة لو عقلت » .

و في الكافي : باسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام : انى سئلت الله تبارك و تعالى أن يرزقني مالاً ، فرزقني ، و انى سئلت الله أن يرزقني ولداً فرزقني ، و سئلته أن يرزقني داراً فرزقني ، و قد خفت أن يكون ذلك استدراجاً ؟ فقال : أما مع الحمد فلا .

و في مشكاة الانوار : عن سنان بن طريف قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : خشيت أن أكون مستدرجاً قال : و لم ؟ قلت : لاني دعوت الله تعالى أن يرزقني داراً فرزقني، ودعوت الله أن يرزقني ألف درهم ، فرزقني ، ودعوته أن يرزقني خادماً فرزقني خادماً قال : فأيّ شيء تقول ؟ قال : أقول : الحمد لله قال : فما أعطيت أفضل مما أُعطيت . الخبر .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله تعالى ليملي للظالم حتى أخذه لم يفلته ثم قرأ : « و كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى و هي ظالمة ان أخذه أليم شديد » .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « ولاتكن كصاحب الحوت » قال : يعني يونس عليه السلام دعا على قومه ثم ذهب مغاضبا ثم قال : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « اذ نادى و هو مكظوم » يقول : مغموم .

وفيه : في قوله تعالى : « لو لا أن تداركه نعمة من ربه » قال : النعمة : الرحمة ، و في قوله تعالى : « لنبذ بالعراء » قال : الموضع الذى لاسقف له .

و في الدر المنثور : في قولي تعالى : « وان يكاد الذين كفروا » أخرج البخارى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : العين حق .

وفيه : عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر.

وفي المجمع : وجاء في الخبر : إن أسماء بنت عميس قالت : يارسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم ؟ قال : نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبق العين .

﴿ بحث فقهى ﴾

قال بعض الفقهاء :يفتتح بقوله تعالى : « سلهم أيهم بذلك زعيم » القلم:٤٠) باب الضمان حيث ان الزعامة والكفالة والضمان مترادفة .

اقول : ان فى الاية ماهو أنسب بباب الكفالة من باب الضمان ، حيث ان الضمان فى الامور المالية ، وهو عندنا : نقل المال من ذمة المضمون عنه إلى ذمة الضامن للمضمون له . وان الكفالة أعم منها فتأمل جيداً .

و استدل بعضهم بقوله تعالى : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » القلم : ٤٣) على وجوب إقامة الصلاة جماعة و قال : ذلك لانهم كانوا يدعون إلى الصلاة فان المراد بالاية دعاؤهم إلى الجماعات بأذان المؤذن حين يقول : حىّ على الصلاة ، وقد عبّر الله تعالى عن الصلاة بالسجود لانه من أركانها بل هو أعظم الاركان ، وغايتها كما عبّر عنها بالركوع وبالقرآن .

ثم قال: إن تسئل كيف قال الله تعالى: « وهم سالمون » أى صحيحون مع ان الصحة ليست شرطاً لوجوب الصلاة ؟

تجيب : ان وجوب الخروج إلى الصلاة بالجماعة مشروط بالصحة و هو المراد .

اقول : وفيه نظر وخفاء .

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد استدل بعض الاعلام بقوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » القلم : ٣٥) على أن المجرم لايكون مسلماً إذقال : فيه دليل واضح على أن وصفي المسلم والمجرم متنافيان فلايكون الفاسق مسلماً .

وقد أجاب عنه بعضهم : ان الله تعالى لم ينف المماثلة من كل الوجوه لتما ثلهما في الجوهرية والجسمية وسائر الاوصاف التي لاتكاد تحصر فاذن المراد نفي التسوية في أثرى الاسلام و الاجرام ولانزاع في ذلك ، فان أثر أحدهما وعد وأثر الاخر وعيد أو يكون ثواب المسلم غير المجرم أكثر من ثواب المسلم المجرم على أن المجرم في الاية يحتمل أن يراد به الكافر الذي ضرب مثل أصحاب الجنة فيه وفي أمثاله نظير الاية : « أم نجعل المتقين كالفجار » .

وقد احتجت المشبهة والمجسمة بقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » القلم : ٤٢) على أن لله سبحانه ساقاً ، وانه جل وعلا يتمثل يوم القيامة ثم يقول لعباده : أتعرفون ربكم ؟ فيقولون : اذا عرّفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف الرحمن عن ساقه ، فاما المؤمنون فيخرّون سجداً ، و أما المنافقون فتكون ظهورهم كالطبق الواحد ، وذلك قوله تعالى : « ويدعون إلى السجود فلايستطيعون »

اقول : و هذا مردود بالكتاب والسنة والعقل والاجماع ، و ان الدليل الدال على أن الله جل وعلا منزه عن الجسمية وعن كل صفات الحدوث و سمات الامكان دلّ على أن الساق لم يرد بها الجارحة ، وان المفسرين اجمعوا على أن كشف الساق كناية عن هول يوم القيامة وشدة أمره وعظم الخطب و فظاعته لأن

من عادة الناس أن يشمّروا عن سوقهم عند الامور الصعبة التى يحتاج فيها إلى المعاركة، و يفزع عندها إلى الدفاع، والممانعة فيكون تشمير الذيول عند ذلك أمكن للقراع وأصدق للمصاع فلاساق ولا كشف يومئذ سبحانه.

فأين الاية الكريمة من الدلالة على ساق الرب سبحانه سيمامع تنكير الساق وعدم إضافته إلى أحد.

ولايخفى: ان المجسمة: هى فرقة تفشت بعد القرن الاول الهجرى بين المسلمين وزعمت ان لله تعالى أوصاف الانسان الجسمانية و النفسانية، و ان له سبحانه يداً وجنباً وعيناً واذناً وقدماً وساقاً.. حتى كشف زعيمهم عن ساقه و قال: « لله ساق كهذه » ولهجت عامتها بخرافات يأنف اليراع من ايرادها.

وسبب انتشار دعواهم قصور أفهام العامة من الناس عن تفسير متشابهات القرآن الكريم وتمييز وجوه أمثالها ومجازاتها الرائعة عند الخواص، فصاروا يفسّرون الظواهر من مثل: « قدم صدق » يونس: ٢) و « مطويات بيمينه » الزمر: ٦٧) و « يدالله فوق أيديهم » الفتح: ١٠) و « ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم - و يكشف عن ساق » القلم: ٣٤-٤٢) وغيرها من الآيات الكثيرة بنحو مايفهم من الكلمة فى أصل اللغة على مافى تخيلاتهم...

وقد اختلفت كلمات المفسرين: فى التكليف يوم القيامة، فذهب إلى جانبى النفى والايجاب كثير من اعلامهم، واستدل المثبتون بقوله تعالى: « و يدعون إلى السجود فلايستطيعون » القلم: ٤٢) قالوا: لولم يكن يومئذ تكليف فكيف يدعون إلى السجود؟

أجاب عنه النافون بوجوه أهمها ثلاثة:

احدها - انهم لايدعون إلى السجود تكليفاً وتعبداً، بل يدعون إليه توبيخاً وتعنيفاً على تركه فى الحياة الدنيا.

ثانيها - ان هذا فى الدنيا لانه تعالى قال فى وصف ذلك اليوم « و يدعون

إلى السجود » ولاريب أن يوم القيامة ليس فيه تعبد ولاتكليف فهوزمان العجز أوآخرأيام دنياه فانه وقت النزع ترى الناس يدعون إلى الصلاة بالجماعة اذا حضرت أوقاتها وهؤلاء لايستطيعون الصلاة لانه الوقت الذى لاينفع نفساً ايمانها .

قيل: فى التعليل ضعف فان يوم القيامة ليس وقت تعبد ولاتكليف ولكن لامانع من الدعاء إلى السجود لتفضيح المتمردين عنه فى الدنيا على رؤس الاشهاد يوم القيامة .

وعن الجبائى انه قال : لما خصّص عدم الاستطاعة بالاخرة دلّ على أنهم كانوا يستطيعون .

قيل : هذا يبطل قول من قال :لا قدرة للانسان على الايمان والجمع بين المتنافيين محال فالاستطاعة فى الدنيا أيضاً غير حاصلة على قول الجبائى .

قال النظام فى تفسيره : ان عدم الاستطاعة فى الدنيا لمانع آخر وهو انه تعالى لم يرد منهم الايمان ، وعلم منهم الكفر وقدّر لهم ذلك ، و عدم الاستطاعة فى الاخرة لمانع آخر له من السجود وهو لين المفاصل ومطاوعة الاعصاب وسلامة الفقر. انتهى كلامه .

اقول : وفضاعته أشد من فضاعة هؤلاء الكافرين الذين يدعون إلى السجود وهم لا يستطيعون ، اذ كيف ما أراد الله تعالى من الكافرين الايمان وعلم منهم الكفر وقدّر لهم الكفر وهو يقول فى كتابه الكريم : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات :٥٦) ويقول : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولايرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم » الزمر . ٧) ويقول : « وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان » الحجرات : ٧) وغيرها من الايات القرآنية . . .

ثالثها ـ ان المانع هنا أمران : أحدهما ـ عدم إستطاعة المكلفين ثانيهما ان الدار الاخرة دار جزاء لادار تكليف وعمل .

اجيب عنه : ان الكافرين لايحاسبون على عجزهم عن السجود يوم القيامة

لانهم فى حال لايستطيعون فيها من هذا السجود، وانما هم يحاسبون على امتناعهم عن السجود حين دعوا إليه وهم فى الدنيا صحيحون حيث تصح العبادة و تقبل الاعمال فيكلفون يوم القيامة إتماماً للحجة وإزاحة للعذرفان مستطاع الطاعة و واقعها فى الدنيا مستطاع فى الاخرة وتركها رغم الاستطاعة فى الدنيا ترك لها فى الاخرة.



﴿القلم و السيف﴾

قال الله عزوجل: « ن والقلم وما يسطرون » القلم : ١)

إن الله تعالى أقسم بالقلم لما فيه من منافع الخلق وخير الناس الدنيوية و الاخروية ، فان القلم هو أحد لسانى الانسان يؤدّى عنه ما فى جنانه و يبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه ، و تحفظ به أحكام الدين ، وتبقى به حوادث الدهر عبرة للـــذاكرين ، وتنشر به شرائع الانبياء والمرسلين وتحدث به فضائل الاولياء ومناقب المعصومين ، وتستقيم به امور العالمين ، ونعم ماقيل : ان البيان بيانان : بيان اللسان ، وبيان البنان ، و ان بيان اللسان تدرسه الاعوام و بيان الاقلام تدرسه الخواص وهو باق على مرّ الايام .

وقيل : القلم شجرة ثمرتها الالفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

وقيل : ان آدم عليه السلام هو أول من كتب بالقلم ، وقيل : أول من كتب ادريس عليه السلام .

قال بعض الحكماء : انما قوام امور الدين والدنيا بشيئين : القلم والسيف ، وان السيف تحت القلم ، ولولا القلم ماقام دين ولاصلح عيش .

وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيماقال :

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت — له الرقاب و دانت حذره الامم

فالموت و الموت شيء لايغالبه — مازال يتبع مايجرى به القلم

كـذا قضى الله للاقلام مذبريت — ان السيوف لهامذار هفت خدم

وقال الاخر :

إذا اقسم الابطال يوماً بسيفهم و عدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهران الله اقسم بالقلم

وقيل : ان السيف والقلم **كليهما** آلة لصاحب الدولة يستعين بها على أمره إلاّ أن الحاجة فى أول إلى السيف مادام أهلها فى تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم لأن القلم فى تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطانى و السيف شريك فى المعونة و كذلك فى آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم الذى قدّمناه فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف، وتقوى الحاجة إليهم فى حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن أول الامر فى تمهيدها ، فيكون للسيف مزية على القلم فى الحالتين ، ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها وأكثر نعمة وأسنى أقطاعاً .

وأما فى وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد تمهّد أمره ولم يبق همه الاّ فى تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له فى ذلك ، فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة فى مضاجع أعمادها إلاّ إذا أنابت نائبة أودعيت إلى سدّ فرجة و مما سوى ذلك ، فلاحاجة إليها فتكون أرباب الاقلام فى هذه الحاجة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة ، وأقرب من السلطان مجلساً ، وأكثر إليه تردداً و فى خلواته نجياً لانه حينئذ آلته التى بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله . . .

و يكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على أنفسهم من بوادره .

ومن كلمات الحكماء : عقول الرجال فى أطراف أقلامها .

ومنها : القلم أحد اللسانين .

﴿القلم وأول ما خلق الله تعالى﴾

قالت العلماء : ان الاقلام على ثلاثة أقسام :

أحدها ـ هو الذى خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب .

ثانيها ـ أقلام الملائكة التى جعلها الله تعالى بأيديهم فيكتبون بها المقادير والكوائن والاعمال : صالحها وفاسدها ، خيرها وشرها . . .

ثالثها ـ أقلام الناس التى جعلها الله عزوجل بأيديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها ماربهم ، وفى هذا القلم فضل كثير ، فانه مما اختص به الآدمى و له فيه الكمال والسعادة فعليه بصيانته من كل مايوجب الانحطاط والشقاء . . .

فى تفسير القمى : عن إبن أبى عمير عن هشام عن أبى عبد الله عليه السلام قال : أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « كل فى كتاب مبين » قال : هذا إخبار منه سبحانه : ان جميع ذلك مكتوب فى كتاب ظاهر ، وهو اللوح المحفوظ وإنما أثبت ذلك مع انه عالم لذاته لايعزب عن علمه شىء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك .

وقد اختلفت الروايات ، و كلمات الاعلام فى أول ما خلق الله تعالى :

ففى بعض الروايات : إن أول ما خلق الله جل وعلا هو القلم .

وفيها : أول ما خلق الله سبحانه هو النور .

وفيها : ان أول المخلوقات هو نور النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيها : أول ما خلق الله تعالى نور النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع أنوار أئمة أهل بيت عليهم السلام .

وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أول ما خلق الله تعالى روحى .

وفيها : أول ما خلق الله جل وعلا جوهرة .

أقول : يمكن الجمع بين الروايات من غير تناف فيها بحمل أولية القلم على النوع الاول من أنواع القلم وغيره حقيقة ، وبحمل أولية غير القلم على التقدم الاضافى بالنسبة إلى غير عالمه ونوعه .

و قالت الحكماء : أول ما خلق الله تعالى هو العقل الاول ، ثم العقل الاول خلق العقل الثانى والفلك الاول إلى أن انتهى إلى العقل العاشر وهو الفلك التاسع وهيولى العناصر .

ومن العلماء : من قال : أول ما خلق الله تعالى هو الماء .

ومنهم : من قال : أول المخلوقات الهواء .

ومنهم : من قال : أول المخلوقات النار .

أقول : ويمكن الجمع بين ذلك أيضاً بحمل أولية الماء على التقدم الاضافى بالنسبة إلى الاجسام المشاهدة المحسوسة التى يدركها جميع الخلق ،فان الهواء ليست منها، ويكون خلق الارواح قبل خلق الماء وسائر الاجسام ، وتكون أولية الماء بالنسبة إلى العناصر والافلاك ، إذ فى بعض الاخبار مايدل على تقدم خلق الملائكة على خلق العناصر والافلاك ، ودلت الاخبار الكثيرة على تقدم الارواح والانوار على كل شيء .

﴿ حسن الخلق وحقيقته ﴾

قال الله تعالى مخاطباً لنبيه الكريم ﷺ : « وانك لعلى خلق عظيم » القلم:٤)

وقد اختلفت كلمات علماء الاخلاق والمفسرين ، والحكماء والمتكلمين، والفلاسفة والمحدثين واللغويين فى حقيقة الخلق إطلاقاً وجانبيه : حسن الخلق وسوئه حتى اشتبهت على بعضهم فجعل آثاره من حقيقته ، ونحن نكتفى بذكرما وجدناله فائدة :

و من علماء الاخلاق : من قال : إن الخلق عبارة عن هيئة راسخة فى النفس ، تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، وإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت هذه الهيئة خلقاً سيئاً، ولابد من رسوخ الهيئة فى النفس ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لايقال : انه سخى إذلابد من رسوخ صفة السخاء فى نفس السخى، فلابد فى الخلق أن يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال : خلقه السخاء والحلم .

ثم قال : ان الخلق - بفتح الخاء وضمها - : كلمتان تستعملان معاً، فيقال: فلان حسن الخلق أى حسن الباطن ، وفلان حسن الخلق أى حسن الظاهر ، و يراد بالاول صورته الباطنة ، وبالثانى صورته الظاهرة، وذلك لأن الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر ، ومن نفس يدرك بالبصيرة ، و لكل واحد منهما هيئة و

صورة، وهى إمّا قبيحة ، و إما جميلة ، ومن غير ريبة ان النفس التى تدرك بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد الذى يدرك بالبصر، و لذلك عظم الله تعالى أمره باضافته إليه إذقال : « انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ص : ٧٠ - ٧١) تنبيهاً على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والنفس إلى رب العالمين ، على أن المراد بالنفس هى الروح فى المقام .

فههنا امور أربعة : أحدها - فعل الجميل والقبيح . ثانيها - القدرة عليهما. ثالثها - المعرفة بهما رابعها - هيئة للنفس تميل بها إلى أحد الجانبين ويتيسّر عليها أحد الامرين : إما الحسن وإما القبيح .

و منهم : من قال : حسن الخلق هو بسط الوجه وبذل الندى و كف الاذى، وسوء الخلق ما يخالف ذلك .

و منهم : من قال : حسن الخلق هو أن لايخاصم لشدة معرفته بالله تعالى ، وهو إرضاء الخلق فى السرّاء والضرّاء ، وسوء الخلق هو أن يخاصم لفقد المعرفة بالله جل وعلا .

ومن المفسرين : من قال :حقيقة الخلق : أن يأخذ الانسان نفسه من الآداب المحسنة والصفات الفاضلة ، وسمى ذلك خلقا لانه يصير كالخلقة فى الانسان من الطبائع المكتسبة بخلاف الخيم لانه الطبع الغريزى ، فيكون الخلق : الطبع المتكلف ، والخيم : الطبع الغريزى .

و منهم : من قال : حقيقة الخلق : قوة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة و الآداب المرضية ، ويدخل فى حسن الخلق التحرّز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ، ويصدق حسن الخلق بل من له آثار يظهر ممن اتصف به ، وهى التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور على الناس وعلى الاسرة والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر بلاجهة و

سبب . . . مع طلاقة الوجه وإدامة البشر، و هذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ، ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ ولهذا وصفه تعالى بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » و فيه رمز إلى أن الاخلاق الحسنة لا تكون مع الجنون ، و كلما كان الانسان أحسن أخلاقاً كان أبعد من الجنون رداً على ما قد يتوهم بعض : بان من كان حسن الخلق كان فيه جنون .

و منهم : من قال : كفاك فضل الخلق على الفقه : ان الايات النازلة في الفقه بصراحة لا تزيد على مأة وخمسين آية ، وما استفاد منه الفقهاء فيه من غير صراحة لا تزيد على ثلاث مأة وخمسين آية ، فمجموعها في الفقه لا يزيد على خمسمأة آية وأما الايات النازلة في الاخلاق فسبعمأة وخمسين آية بصراحة ، ثم قال : ان الفقه بمنزلة الجسد ، والخلق بمنزلة الروح ، فلابد للفقيه أن يكون خليقاً والا فكان جسماً بلا روح يتأذى به الناس ومن هنا ورد : «اذا فسد العالم فسد العالم» ثم قال : ومن هنا نرى الفقهاء أكثر اتباعاً من الهواى من علماء الاخلاق .

ومنهم : من قال : أدنى حسن الخلق هو الاحتمال وترك المكافأة والرحمة لمن أساء به والاستغفار له والشفقة عليه ما لم يوجب اجرائه عليه وعلى غيره .

و منهم : من قال : لما كانت مادة الخلق - بالضم - من الخلق - بالفتح - فلتكن كما الخلق كأنها من كيان الانسان مخلوقاً معها ، وليست الا بسعيه الجميل بين عنايتين إلهيتين : فطرة الحق . وتأييد الله لمن يتبنا الفطرة في استزادة من الخلق الطيبة .

ومن الحكماء : من قال : ان الخلق حال للنفس داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : أحدهما - يكون طبيعياً من أصل المزاج كالانسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ، ويهيج من أقل سبب، وكالانسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه ، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه ، وكالذي يغتم و

يحزن من أيسر شيء يناله .

ثانيهما ـ ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب و ربما كان مبدأه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة و خلقاً .

و لهذا اختلف القدماء في الخلق ، فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة ، و قال بعضهم يكون للنفس الناطقة فيه حظّ .

و منهم : من قال : ان الخلق هو الملكة النفسانية التي تصدر عنها الافعال بسهولة ، وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالصداقة والامانة والعفة والشجاعة والسخاء و ما إليها ، و إلى الرذيلة و هي المذمومة كالكذب والخيانة والشر والجبن والبخل و ما إليها . . . لكنه إذا اطلق فهم منه الخلق الحسن .

و من المتكلمين : من قال : ان الخلق الحسن : الصبر على الحق ، وسعة البذل و تدبير الامور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة ، و تحمل المكاره في الدعاء إلى الله تعالى ، والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص والعناد واللجاج والعداوة على أهل الحق ، والبغض والشدة والغلظة على أهل الباطل .

و من الفلاسفة : من قال : الخلق ـ بالضم ـ : يطلق على الملكات والصفات الراسخة في النفس حسنة كانت أم قبيحة ، وهي في مقابلة الاعمال ، و يطلق حسن الخلق غالباً على ما يوجب حسن المعاشرة و مخالطة الناس بالجميل .

و منهم : من قال : حسن الخلق انما يحصل من الاعتدال بين الافراط والتفريط في القوة الشهوية والقوة الغضبية ، ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل والتودد والصلة والصدق واللطف والمبرّة و حسن الصحبة والعشرة والمراعاة والمساواة ، والرفق والحلم والصبر والاحتمال لهم والاشفاق عليهم ، و بالجملة هي حالة نفسانية يتوقف حصولها على إشتباك الاخلاق النفسانية بعضها ببعض ، و من ثم قيل : هو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة الناطقة كما ان حسن

الخلق- بالفتح - : هو صورة الصورة الظاهرة وتناسب الاجزاء إلاّ ان حسن الصورة الباطنة قد يكون مكتسباً .

و من المحدثين : من قال: الخلق: السجية والطبيعة ثم يستعمل فى العادات التى يتعوّدها الانسان من خير أو شر ، والخلق ما يوصف العبد بالقدرة عليه ، و لذلك يمدح و يذم به ، و يدل على ذلك قول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « خالق الناس بخلق حسن » .

و منهم : من قال : حسن الخلق : هو كف الأذى و احتمال المؤن ، و أن يكون الانسان من الناس قريباً و فيما بينهم غريباً .

و منهم : من يقول : ان الخليق هو الذى لا يتهم الحق فى الرزق و يثق به ، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيعطيه و لا يعطيه فى جميع الامور فيما بينه و بينه ، و فيما بينه و بين الناس .

و منهم : من قال : حسن الخلق هو الرضا عن الله تعالى ، و أن لا يكون للانسان همّ غير الله جل وعلا ، و أن لا يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعته للحق .

و أما اللغويون : فقال الراغب : الخلق والخلق فى الاصل واحد كالشرب والشرب والصرم والصرم لكن خصّ الخلق بالهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر ، و خص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة .

وقال ابن الأثير فى النهاية : الخلق- بضم اللام وسكونها- : الدين والطبع والسجية ، و حقيقته انه لصورة الانسان الباطنة و هى نفسه و أوصافها و معانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة و أوصافها و معانيها و لهما أوصاف حسنة و قبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة و لهذا تكررت الاحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع . انتهى كلامه .

وغير ذلك من الكلمات فى حقيقة الخلق وجانبيه ، ولم أجد فائدة لذكرها ،

ونختم البحث بذكر روايات واردة عن أهل بيت الوحي عليهم السلام في الخلق وهي:

في الكافي: باسناده عن اسحق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الخلق منيحة يمنحها الله عزوجل خلقه، فمنه سجيّة، ومنه نيّة، فقلت: فأيتهما أفضل؟ فقال: صاحب السجيّة هومجبول لايستطيع غيره، و صاحب النية يصبر على الطاعة تصبّراً فهو أفضلهما.

أقول: المنيحة: العطية، و «سجية» أي جبلة و طبيعة خلق عليها «ومنه نية» أي يحصل عن قصد و اكتساب وتعمّل، والحاصل انه يتمرّن على الخلق حتى يصير كالغريزة، فبطل قول من قال: ان الخلق غريزة و لا مدخل للاكتساب فيه.

وفي نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عوّد نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق التصبّر» أي تحمّل الصبر بتكلف ومشقة لكونه غير خلق.

فمن الخلق مايكون خلقية، ومنه ما يكون إكتسابية بالتفكر والمجاهدة والممارسة و تمرين النفس عليه، فلا ينافي وقوع التكليف به، كما ان البخيل يعطي أولاً بمشقة و مجادلة للنفس، ثم يكرر ذلك حتى يصير خلقاً و عادة له.

و في الفقيه: وسئل الصادق عليه السلام ما حدّ حسن الخلق؟ قال: تلين جانبك و تطيب كلامك و تلقى أخاك ببشر حسن.

و بالجملة: ان علم الاخلاق يبحث عن معنى الخير والشر، و يبيّن ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أقوالهم و أفعالهم و ينير السبيل لعمل ما ينبغي.

و من غير ريبة: ان الاخلاق هي الدعامة الاولى لحفظ كيان الامم، و لهذا نرى ان الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على وجوبها للفرد لصالح نفسه و للمجتمع في جملته، فكما ان الفرد يضيره و يفسد من أعماله أن يكون

كاذباً مرائياًحسوداً بخيلاً متكبراً شريراً ماكراً .. . كذلك تفسدالمجتمعات . . . بشيوع تلك الصفات الذميمة فى آحادها . . .

لهذا أول ماتوجهت إليه عناية الحكماء و زعماء الدين العاملين على أنهاض الجماعات البشرية - الدعوة إلى الاخلاق الفاضلة لانها الدعامة الاولى فى بناء كل مجتمع سليم فان الاخلاق هى أساس كل مجتمع ، و من أجل ذلك كانت رسالة الانبياء تحث على الاخلاق الفاضلة ، و جاء القرآن الكريم مشدداً على الاستمساك بها لانها هى التى تحقق الفوز بالنعيم الاخروى كما تحقق النيل بالعيش الهنيىء الدنيوى .

فى حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون الفرنسى قال : « ان اصول الاخلاق فى القرآن عالية علو ما جاء فى كتب الديانات الاخرى جميعها » .



﴿ علائم حسن الخلق و علم الفراسة ﴾

وقد اشير فى الايات القرآنية والروايات إلى علائم حسن الخلق قدجمعها بعض علماء الاخلاق وهى :

أن يكون الخليق كثير الحياء ، وقليل الأذى ، صدوق اللسان ، و كثير الصلاح ، قليل الكلام ، و كثير العمل ، قليل الزلل والفضول ، و كثير الانصاف ، قليل الخلاف و كثير العفو على من ظلمه ، قليل الغش والغل والحقد والحسد، و كثير الرضا بكل ما قدره الله تعالى وقضاه عليه ، طليق الوجه ، و لطيف الكلام لمن دونه وفوقه ، نقىّ القلب ، ودقيق النظر ، و كثير القناعة والشكر ، تارك المكافأة باراً أميناً وفياً وقوراً صبوراً شكوراً سخياً رضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً بشاشاً ، واعظاً ومتعظاً ، و يعتبر بالحوداث ، ويمشى على الارض هوناً ، واذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً يحب فى الله تعالى ، ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله جل وعلا .

ولا يكون فحّاشاً سبّاباً نماماً مغتاباً ظلوماً معتدياً ، و لا عجولاً مكذباً حسوداً حقوداً بخيلاً ، هتّاكاً ، ولا موذياً للجار قولاً وفعلاً .

و يظهر أكثر ماذكرنا فى السفر ، و بعضها بالمصاحبة والاخر بالمجاورة ، وأولى ما يمتحن به حسن الخلق : الصبر على الاذى ، واحتمال الجفاء .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « السفر ميزان الاخلاق » .

وفيه : قال عليه السلام : « كما تعرف أوانى الفخار بامتحانها باصواتها ، فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الانسان بمنطقه فيعرف ماعنده »

ومنهم : من قال : ان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، و حركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والاعمال نتيجة الاخلاق ، والآداب رشح المعارف ، وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها ، و أنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر ، فتزينها وتجليها ، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها . . .

ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية . . .

أقول : ومن البديهي : ان جمال الوجه عبارة عن تناسب العينين والخدين والانف والفم ، و كلما اعتدلت هذه الاربعة كان الحال أتم ، و كلما اختلفت كان القبح ، وعلى القدر التوافق والاختلاف يكون اشتداد الحسن والوسامة ، أو القبح والدمامة .

ولاريب في أن الظاهر دليل على الباطن حسناً وقبحاً غالباً لا إطلاقاً ، إذ ربما يوجد جميل الظاهر قبيح الباطن ، والعكس بالعكس .

و كما ان للوجوه جمالاً على اعتدال هذه الاربعة للباطن جمال بصفات أربعة : أحدها - العفة . ثانيها - الشجاعة . ثالثها - الحكمة . رابعها - العدل ، فاذا اجتمعت هذه ، وتلك كمل الانسان في الجمال ظاهراً وباطناً ، وحينئذ يصير انساناً جميلاً واقعاً يوافق ظاهره باطنه ، وباطنه ظاهره ، وعلى نقصان كل واحد منها يكون ناقصاً إما ظاهراً ، وإما باطناً وإما معاً ، فاذا كان الانسان عفيفاً في الشهوات ، وشجاعاً في القوة الغضبية ، وحكيماً بالقوة العقلية ، وعادلاً بالاعتدال بين تلك القوى الثلاثة كان حسناً في الخلق كما بالاربعة الاولى كان حسناً في الخلق . نعم ماقال الشاعر :

ليس الجمال باثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب .

وقال الاخر :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وان رديت برد .

ان الجمـال محاسن ومناقب اورثنى مجدا

والمقصود فى العالم الانسانى أخلاقه ومواهبه لاملابسه وحلاه لان الغرض الاعلى جمال الاخلاق ، فاذادل ظاهر الانسان وجمال ملابسه على ذوقه ، وحسن اختيازه فليس الدليل بمساوللمدلول عليه فى القيمة ، وليست المقدمة كالنتيجة ، واذا أحب الناس جمال الوجوه فى ذلك الا لانها غالباً تدل على جمال البواطن والاخلاق...

وحقيق لنا أن نشير اجمالاً إلى مايفيد المقام وهو :

علم الفراسة : وهو علم تعرف به أخلاق الانسان من النظر إلى شكل أعضائه أوهى كما يقول أصحابه : استدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن .

وهو علم قديم يعرفه القدماء وكتبوا فيه كتباً لاتخلو من غث وثمين منهم ارسطو اذ ذكر : ان فى الاعضاء الجسدية الظاهرة علامات تدل على القوة والضعف والذكاء أو الغباوة ، وجعل الملامح والالوان وأشكال القامة والشعر والصوت من المساعدات على الوصول إلى ذلك ، واشتغل كثير من الناس بما قال ، و جعلوا إعتمادهم عليه .

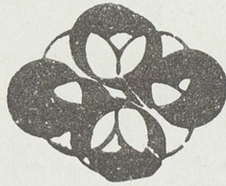
وصنف ابن الرشد والرازى وغيرهما كتباً ، ثم إنتقل هذا العلم من المسلمين إلى اوروبا ، فترجموه إلى لغتهم مع ماترجموه من سائر العلوم ، واشتغلوا به فى القرون الوسطى ، ولايزالون يشتغلون به إلى اليوم .

وقدتوسع بعضهم فى هذا العلم ، فجعلوه دالاً على الامور الغيبة التى قدرت على الانسان ، فاختلط بكثير من الاوهام وتعاطاه الدجالون لكسب الحطام ، فخرج عن موضوعه ولحق بالشعوذة .

ولكن قداقدم بعض المحققين وأصحاب النظر أخيراً إلى تخليصه من الخرافات التى اضيفت إليه فجعلوه علماً مبنياً على اصول الفزيولوجيا والتشريح وقرّروا ان غايته الاستدلال بأشكال الاعضاء الظاهرة على أخلاق الانسان الباطنة بدون نظر إلى ما سيصيب الانسان فى مستقبل أيامه . . .

أقول : إن هذا العلم لو اقتصر على الاستدلال على الأخلاق من شكل الأعضاء أو جمال الظاهر وقبحه أوشك أن تؤدّى إلى نتائج يمكن التعويل عليها إلى حدّ محدود كما قلنا سابقاً .

أما اذا خوّل لنفسه حتى الحكم على مستقبل الانسان و ما سينتابه من خير أو شر كان ذلك منه دخول فيما ليس من شأنه ، فأى مناسبة بين شكل اليد والقدمين ، وبين المستقبل من نعيم وشقاء ، ومن صحة أو مرض ؟ ففى حاجة إلى علم وايمان وصفاء قلب وتزكية نفس كما ورد: « ان المؤمن كيّس » .



«النبي الكريم ﷺ على خلق عظيم»

«و انك لعلى خلق عظيم»

ان الثناء من الله جل وعلا على خلق النبي الخاتم ﷺ بهذا الاسلوب البليغ التوكيدي، ووصفه بالعظمة رائع كل الروعة، يتضاءل أمامه كل ثناء و وصف وتكريم بشري، وقدكان رسول الله ﷺ يتحلى بهذا الخلق العظيم قبل البعثة وهو الذي أهلّه للاصطفاء والمهمة العظمى واستحق به هذا الثناء البليغ الرباني.

ياله من شرف رفيع لم يخطر على قلب بشر، ولم يطمح إليه إنسان و لم يدرك شأوه مخلوق رب العزة يصف محمد إبن عبدالله ﷺ بانه «لعلى خلق عظيم» وقدكان من خلقه ﷺ العلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد و التواضع والعفو والعفة والسجود والشجاعة والحياء والمروّة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة والصدق والامانة إلى غير ذلك من الخلال العلية والاخلاق المرضية التي لا يحيط بها احد ولا يحصيها عدّ، وحقاً ان المادحين مهما وصفوا وبالغوا في مدح الرسول ﷺ فلن يصلوا إلى مابلغه من شرف مدح الله تعالى له.

نعم ماقال القائل:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم — و الكون لم تفتح له أغلاق

أيروم مخلوق ثناؤك بعد ما — أثنى على أخلاقك الخلّاق

و كيف يستطيع الواصف أن يصف أخلاق من آذاه قومه بأشد صنوف الايذاء

وابتلوه بأشنع أنواع الابتلاء فلم يقابلهم المثل بالمثل بل قال : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » وقديماً اصيب نوح عليه السلام وهو من أولى العزم ببعض ما اصيب به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً » نوح:٢٦)

فياله من نبى عظيم صاحب خلق كريم ، وتبارك من خصّنا ببعثته وشرفنا برسالته وانظر ما قال الله تعالى فيه : « وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » الاعراف: ١٩٩-٢٠٠)

ومن هنا نجد سبب ماجرى قدر الله تعالى أن يجعل الاسلام هو الرسالة الاخيرة وأن يجعل منهجه هو المنهاج الباقى إلى آخر الخليقة ، وأن تجرى حياة المؤمنين به وفق الناموس الكونى العام ، وأن يكون هذا الدين هو الذى يقود حياة البشرية ويهيمن على نشاطها فى كل ميدان جعل الله تعالى هذا المنهج على صورة شاملة كاملة تلبى كل طاقات البشر واستعداداتهم أينما رفعت هذه الطاقات، وكيفما علت الاستعدادات إلى الافق اللائق بخليفة الله تعالى فى الارض ، وجعل الله جل وعلا طبيعة هذا الدين الانطلاق بالحياة إلى الأمام نمواً وتكاثراً و رفعة وتطهراً فى آن واحد ، فلم يعطل طاقة بانية ، ولم يكبت استعداداً نافعاً بل نشط الطاقات وأيقظ الاستعدادات ، ولماجرى قدره تعالى أن يجعل طبيعة هذه العقيدة هكذا جرى قدره أن يختار رسولها صلى الله عليه وسلم انساناً تتمثل فيه هذه العقيدة بكل خصائصها ، و تتجسم فيه بكل حقيقتها .

ويكون هو بذاته وبحياته الترجمة الصحيحة الكاملة لطبيعتها و اتجاهها انساناً قد اكتملت طاقاته الانسانية كلها ضليع التكوين الجسدى والخلقى قوى البنية سليم البناء صحيح الحواس يقظ الحس حسن الخلق والخلق يتذوق المحسوسات تذوق كاملاً سليماً وهو فى ذات الوقت ضخم العاطفة حىّ الطبع ، سليم الحساسية يتذوق الجمال متفتح للتلقى والاستجابة وهو فى الوقت ذاته كبير العقل ، واسع

الفكر، فسيح الافق ، قوى الارادة يملك نفسه ، ولا تملكه وهو الذى كان تشرق روحه بالنور الكلى و تطيق أن تصعد روحه مع جسمه إلى المعراج ، فينادى من السماء و يرى نور ربه و تتصل حقيقته بحقيقة كل شيء فى الوجود من وراء الاشكال والظواهر فيسلم عليه الحصى والحجر و يحن له الجذع . .

ثم تتوازن فى شخصيته هذه الطاقات كلها فاذا هو التوازن المقابل لتوازن العقيدة التى اختير لها ، وجعل الله تعالى حياته الخاصة وجميعها كتاباً مفتوحاً لامته ، و للبشرية كلها تقرأ فيه صور هذه العقيدة ، وترى فيه ﷺ تطبيقاتها الواقعية ، و قد جاء رسول الله ﷺ ليعرضها للناس فى شخصه وفى حياته كما يعرضها بلسانه وتوجيهه ، ولهذا خلق ولذاك جاء : « انك على خلق عظيم » فلابد أن ينهض هذا الرسول ﷺ بانشاء امة و إقامة دولة على غير مثال معروف ، و على غير نسق مسبوق بل امة تنهض بحمل امانة العقيدة الالهية فى صورتها الاخيرة ، و تنشىء فى الارض مجتمعاً ربانياً فى صورة واقعية يتأسى بها الناس ، و هى صورة من حياة إنسان كريم رفيع جليل عظيم يزاول إنسانيته فى الوقت الذى يزاول فيه نبوته ، فلا تفترق هذه عن تلك لان القدر جرى بان يكون بشراً رسولاً حينما جرى بأن يحمله الرسالة الاخيرة للبشر أو منهج الحياة الاخيرة انها الرسالة الكاملة يحملها الرسول الكامل .

ومن كمالها أن يظل الانسان بها إنساناً ، وكانت سيرة محمد ﷺ وحياته الواقعية بكل ما فيه من تجارب الانسان ، ومحاولات الانسان ، وضعف الانسان ، و قوة الانسان مختلطة بحقيقة الدعوة السماوية مرتقية بها خطوة خطوة - كما يبدو فى سيرة أهله وأقرب الناس إليه كانت هى النموذج العملى للمحاولة الناجحة يراها ، و يتأثر بها من يريد القدوة الميسرة العملية الواقعية التى لا تعيش فى هالات ولا فى خيالات ، فتحققت حكمة القدر فى تنزيل الرسالة الاخيرة للبشر بصورتها الكاملة الشاملة المتكاملة .

و فى اختيار الرسول الذى يطيق تلقيها و ترجمتها فى صورة حية ، و فى جعل حياة هذا الرسول كتاباً مفتوحاً يقرؤه الجميع ، و تراجعه الاجيال بعد الاجيال قال : « و انك لعلى خلق عظيم » هذه كلمة عظيمة تدل على عظمة محمد ﷺ يعجز كل قلم ، و كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة من رب الوجود لانها شهادة من الله جل و علا فى ميزان الله تعالى لعبد الله لايبلغ مداه أحد من العالمين وهى ذاتها دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل لانها صدرت عن العلى الكبير فما كان الا محمد ﷺ بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الاخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى ، و ان هذه الرسالة من الكمال والجمال والعظمة والشمول والصدق والحق بحيث لا يحملها الا الرجل الذى يثنى عليه الله جل و علا هذا الثناء ، فتطيق شخصيته كذلك تلقى هذا الثناء فى تماسك و توازن و طمأنينة القلب الكبير الذى يسع حقيقة تلك الرسالة و حقيقة هذا الثناء : « والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

فحقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة ، و ان عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، فمحمد ﷺ وحده هو الذى يرقى إلى هذا الافق من العظمة، و يبلغ قمة الكمال الانسانى ، و يكافىء هذه الرسالة الكونية العالمية الانسانية حتى تتمثل فى شخصه حية تمشى على الارض فى اهاب انسان و هو ﷺ وحده الذى علم الله تعالى منه انه أهل لهذا المقام ، و أعلن انه «لعلى خلق عظيم» تارة و انه تعالى يصلى عليه ﷺ وملائكته وأمر المؤمنين أن يصلوا عليه : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلموا تسليما » الاحزاب : ٥٦) تارة اخرى .

وتمثلت الاخلاق الاسلامية تقوم عليها اصولها التشريعية والتهذيبية بكمالها وجمالها و توازنها و استقامتها و اطرادها و ثباتها فى محمد ﷺ تمثلت فى ثناء الله العظيم « و انك لعلى خلق عظيم » تدل على تمجيد العنصر الاخلاقى التى

تقوم عليها الدعوة الكبرى : الدعوة إلى التوحيد ، الدعوة إلى الايمان بالله تعالى، الدعوة إلى العبادة لله وحده ، الدعوة إلى الاخلاص، الدعوة إلى العلم والحكمة ، الدعوة إلى تهذيب النفس و تزكيتها ، الدعوة إلى الطهارة والنظافة ، الدعوة إلى الصدق والامانة ، الدعوة إلى الرحمة والعدل ، الدعوة إلى البر والاحسان ، الدعوة إلى الوفاء و حفظ العهد ، الدعوة إلى مطابقة القول للفعل ، و مطابقتهما معاً للنية والضمير ، الدعوة بالنهى عن الجور والظلم ، عن الخداع والغش، عن أكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الحرمات والأعراض، بالنهى عن إشاعة الفحشاء بأية صورة من الصور . . .

والدعوة إلى التشريعيات التى تحمى هذه الاسس ، و تصون هذه العنصر الاخلاقى فى الشعور والسلوك ، وفى أعماق الضمير ، وفى واقع المجتمع البشرى، و فى العلاقات الفردية والاسروية والجماعية والدولية على السواء و هو يقول : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فلخّص رسالته فى هذا الهدف النبيل، وتواردت احاديثه فى الحض على كل خلق كريم و اقامت سيرته الشخصية مثالاً حياً ، و صفحة نقية وصورة رفيعة تستحق من الله تعالى أن يقول عنها فى كتابه الخالد « وانك لعلى خلق عظيم » .

﴿ خلق النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

في الكافي: باسناده عن بحر السقاء قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا بحر حسن الخلق يسير (يسرح)، ثم قال: ألا اخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟ قلت: بلى قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالس في المسجد إذ جائت جارية لبعض الانصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها النبي شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الانصار فعل الله بك وفعل حبست رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات لاتقولين له شيئاً، وهو لا يقول لك شيئاً ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: ان لنا مريضاً فارسلني أهلي لا خذ هدبة من ثوبه يستشفي بها فلما أردت أخذها رآني، فقام واستحييت ان آخذها وهو يراني واكره ان استأمره في أخذها.

وفي شرح الحديد: سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: كان خلقه القرآن: «خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»

وفي البرهان: روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشي و معه بعض أصحابه فادركه اعرابي فجذبه جذباً شديداً، وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية، فاثرت الحاشية في عنقه صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم أمد بعطائه، ولما اكثرت قريش أذاه وضربه قال: اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون فلذلك قال الله تعالى: «وانك لعلى خلق عظيم»

و في رواية : عن أنس خادم رسول الله ﷺ قال: « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: اف قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم افعله ألا فعلته ؟ »

و كان رسول الله ﷺ على هذا الخلق العظيم يقول : « اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي » ويقول : « اللهم جنبني منكرات الاخلاق »

وكان رسول الله ﷺ اذا استقبله الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ، ولايصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له .



﴿ الخلق الحسن وائمة اهل البيت عليهم السلام ﴾

لايسع المقام بذكر خلق امام من أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين فضلاً عن ذكر أخلاق جميعهم ولكن جدير لنا أن نشير إلى نماذج من أخلاق بعضهم فانهم قدوة ولنا فيهم اسوة حسنة :

فـي الرسالة القشيرية للقشيري النيشابوري الشافعي مالفظه : روى ان أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام دعا غلاماً له ، فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام إليه ، فرآه مضطجعاً ، فقال : أماتسمع ياغلام ؟ فقال : نعم قال:فما حملك على ترك جوابى ؟ فقال : آمنت عقوبتك ، فتكاسلت فقال : امض فانت حرّ لوجه الله تعالى .

اقول : رواه جماعة من اعلام العامة :

منهم: الامرتسرى فى (أرجح المطالب) والكشفى الحنفى فى (المناقب المرتضوية) والابشهى فى (المستطرف) .

وفى محاضرات الادباء للراغب الاصبهانى مالفظه : كان لا مير المؤمنين عليه السلام جارية وعلى بابها مؤذّن اذا اجتازت به يقول لها: أنا احبك، فحكت الجارية لامير المؤمنين فقال لها : قولى له : وأنا احبك فماذا ؟ فقالت له : فقال : نصبر إلى يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فأخبرت أمير المؤمنين بذلك،فدعاه وقال : خذ هذه الجارية فهى لك .

و فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن محمد بن سليمان عن أبيه

قال: كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبى جعفر عليه السلام وكان مركزه بالمدينة يختلف إلى مجلس أبى جعفر يقول له: يامحمد ألاترى انى انما اغشى مجلسك حياء منى منك ولاأقول: ان أحداً فى الارض أبغض إلىّ منكم أهل البيت، وأعلم ان طاعة الله وطاعة رسوله و طاعة أمير المؤمنين فى بغضكم و لكن أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ، فانما اختلافى إليك لحسن أدبك.

وكان أبوجعفر (محمدبن على الباقر) عليه السلام يقول له خيراً، ويقول: لن تخفى على الله خافية، فلم يلبث الشامى الا قليلا حتى مرض و اشتدّ وجعه، فلما ثقل دعا وليّه وقال له: اذا أنت مددت علىّ الثوب فائت محمد بن على عليه السلام و سله أن يصلّى علىّ، وأعلمه أنى أنا الذى أمرتك بذلك، قال: فلما أن كان فى نصف الليل ظنّوا انه قدبرد وسجّوه، فلما أن أصبح الناس خرج وليّه إلى المسجد، فلما أن صلّى محمدبن على عليه السلام و تورّك وكان اذا صلّى عقّب فى مجلسه قال له يا أباجعفر! ان فلان الشامى قد هلك وهو يسئلك أن تصلّى عليه، فقال أبو جعفر: كلاّ ان بلاد الشام بلاد صرد، والحجاز بلاد حرّ ولهبها شديد، فانطلق فلاتعجلن على صاحبك حتى آتيكم، ثم قام عليه السلام من مجلسه.

فأخذ عليه السلام وضوءاً ثم عاد فصلّى ركعتين، ثم مدّ يده تلقاء وجهه ماشاء الله ثم خرّ ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض عليه السلام فانتهى إلى منزل الشامى فدخل عليه فدعاه فأجابه، ثم أجلسه وأسنده ودعاله بسويق فسقاه وقال لأهله: املؤا جوفه، وبرّدوا صدره بالطعام البارد ثم انصرف عليه السلام فلم يلبث الاّ قليلاً حتى عوفى الشامى، فأتى أباجعفر عليه السلام فقال: أخلنى فأخلاه فقال: أشهد انك حجة الله على خلقه، وبابه الذى يؤتى منه فمن أتى من غيرك خاب وخسر وضل ضلالاً بعيداً قال له أبوجعفر: ومابدالك؟

قال: أشهد أنى عهدت بروحى وعاينت بعينى فلم يتفاجأنى الاّ ومناد ينادى

أسمعه باذنى ينادى وماأنا بالنائم : ردّوا عليه روحه ، فقد سئلنا ذلك محمد بن علي فقال له أبو جعفر : أما علمت ان الله يحبّ العبد ، ويبغض عمله ، و يبغض العبد ويحبّ عمله ؟ قال : فصار بعد ذلك من أصحاب أبى جعفر عليه السلام .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن ابراهيم بن العباس قال : ما رايت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفى أحداً بكلامه قط ، و ما رأيت قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه ، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدرعليها ، ولا مدّ رجليه بين يدى جليس له قطّ ، ولا اتكأبين يدى جليس له قط ، ولارأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط ، ولارأيته تفل قط ولارأيته يقهقه فى ضحكه قطّ ، بل كان ضحكه التبسّم :

وكان اذاخلا ونصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه حتى البوّاب والسائس ، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل ، كثيرالسهر ، يحيى أكثر لياليه من أولها إلى الصبح ، وكان كثيرالصيام ، فلايفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر ، و يقول ذلك صوم الدهر ، وكان عليه السلام كثيرالمعروف والصدقة فى السرّ وأكثرذلك يكون منه فى الليالى المظلمة ، فمن زعم انه رأى مثله فى فضله فلاتصدّقوه .

و فى المناقب لابن شهر آشوب رحمه الله تعالى : دخل الرضا عليه السلام الحمام ، فقال له بعض الناس : دلّكنى فجعل يدلّكه فعرّفوه ، فجعل الرجل يستعذر منه ، وهو يطيّب قلبه ويدلّكه .

و فى رواية : وكان نيسابور حمام على باب دارعلى بن موسى الرضا عليه السلام وكان اذا أراد دخول الحمام ، فرغه له الحمامى ، فدخل ذات يوم ، فاغلق الحمامى الباب ومضى فى بعض حوائجه ، فتقدم رجل رستاقى إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا ، فظن انه بعض خدام الحمام ، فقال له : قم و احمل إلىّ الماء ، فقام على بن موسى و امتثل جميع ما كان يأمره به .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ قال : كنت مع الرضا عليه السلام فى سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له ، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقلت : جعلت فداك لوعزلت لهؤلاء مائدة ، فقال: مه ان الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة والاب واحد ، والجزاء بالاعمال.



﴿سوء خلق بعض الخلفاء﴾

ولم أجد تجاه هذا الخلق العظيم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و ذاك حسن الخلق لاهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لمن ادعى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا خلقا سيئاً ، فلابد من ذكر نبذة من هذا السيىء الدنيء لئلا يلتبس المحق بالمبطل ، والخبيث بالطيب . . . على من أراد الاهتداء والاقتداء .

في صحيح البخاري : عن عبدالله بن الزبير قال : قد ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبوبكر : أمّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمّر الاقرع بن حابس ، فقال أبوبكر : ما أردت الا خلافي ، فقال عمر : ما اردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزل في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله و رسوله و اتقوا الله ان الله سميع عليم » .

أقول : الاقرع بن حابس هوذلك الاعرابي الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو يبول في المسجد .

وفيه : عن ابن أبي ملكية (مليكة خ) قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لاأحفظ اسمه ، فقال أبوبكر لعمر: ما أردت الا خلافي ، قال: ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و انتم

لا تشعرون ».

فيا عجبا من هذين الرجلين انهما طيلة مصاحبتهما النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كيف لم يحدهما التأثر باخلاقه العظمى إلى الحصول على أدب محاضرة العظماء والمثول بين أيديهم لا سيما هذا العظيم: العظيم خلقه بنص القرآن الكريم: « و انك لعلى خلق عظيم » ؟

و كيف لم يعرفا أن الكلام بين يديه لابد و أن يكون تخافتاً و همساً إكباراً لمقامه الشريف و إعظاماً لمرتبته العالية؟ وأن لايتقدم أحد إليه بالكلام إلاّ أن يكون جواباً عن سؤال ، أوماينمّ عن إمتثال أمر أو إخبار عن مهمة أو سؤالاً عن حكم لكنهما تقدّما بالكلام الخارج عن ذلك كله ، وتماريا و احتدم الحوار بينهما ، و ارتفعت أصواتهما فى ذلك ، وكاد الخيّران أن يهلكا حتى جعلا أعمالهما فى مظنّة الاحباط فنزلت الاية الكريمة .

و فى تاريخ ابن عساكر : عن المقدام انه قال : استبّ عقيل بن أبى طالب و أبوبكر و كان أبوبكر سبّاباً .

ويظهر من لفظ الحديث كمافى (الخصائص الكبرى ج٢ ص٨٦) ان السباب بين أبى بكر و عقيل كان بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان ذلك فى اخريات أيامه صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى شرح ابن ابى الحديد ما لفظه : وكان عمر ابن الخطاب اذا غضب على واحد من أهله لايسكن غضبه حتى يعضّ يده عضاً شديداً حتى يدميها .

وفيه : وذكر الزبير بن بكار فى «الموفقيات»: ان سرية جائت لعبدالرحمن أو لعبيدالله ابن عمر بن الخطاب إليه (الى عمر) تشكوه فقالت : يا أمير المؤمنين ألا تعذرنى من أبى عيسى ؟ قال : و من أبوعيسى ؟ قالت : ابنك عبيدالله ، قال : ويحك ! و تكنّى بأبى عيسى ! ثم دعاه فقال : إيهاً اكتنيت بأبى عيسى ؟ فحذر و فزع و أخذ يده فعضّها ، ثم ضربه و قال : ويلك ! و هل لعيسى أب ؟ أتدرى

ما كنى العرب ؟ أبوسلمة ، أبوحنظلة ، ابوعرفطة ، أبومرة . . .

قال الزبير : وكان عمر اذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضاً شديداً وكان عبدالله بن الزبير كذلك ، لقوة هذا الخلق عنده أضمر عبدالله بن عباس فى خلافته ابطال القول بالعول و أظهره بعده .

ثم قال ابن أبى الحديد : و قد علمت حال جبلة بن الأيهم و ارتداده عن الاسلام لتهدّده له و وعيده اياه أن يضربه بالدرّة ، و فساد الحال بينه وبين خالد بن الوليد بعد أن كان ولياً مصافياً ومنحرفاً عن غيره قالياً ، والشأن الذى كان بينه و بين طلحة حتى همّ أن يوقع به وحتى همّ طلحة أن يجاهره ، وطلحة هو الذى قال لابى بكر عند موته : ماذا تقول لربك وقد ولّيت فينا فظاً غليظاً ! و هو القائل له : يا خليفة رسول الله انا كنا لا نحتمل شراسته و أنت حيّ تأخذ على يديه ، فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هو الخليفة ؟

وغير ذلك من رذيلة الاخلاق لهما ، فمن اراد معرفتها فعليه بكتب العامة. وأما عثمان بن عفان فهو أسوأ خلقاً منهما وهو الذى ضرب زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرباً شديداً حتى ماتت لبغضه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحبّه بابن خالته المغيرة بن شعبة راس الكافرين و كهف المنافقين .

﴿ مكارم الاخلاق ﴾

فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن أبى قتادة القمى عن أبـى عبد الله عليه السلام قال : ان الله عز وجل وجوهاً خلقهم من خلقه وأرضه لقضاء حوائج إخوانهم، يرون الحمد مجداً ، والله سبحانه يحب مكارم الاخلاق ، وكان فيما خاطب الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « وانك لعلى خلق عظيم » قال : السخاء وحسن الخلق .

وفى رواية : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الاخلاق ، وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

وفى رواية : عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله بعثنـى لتمام مكارم الاخلاق ، وتمام محاسن الافعال .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثت ليتمّم بى مكارم الاخلاق .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

و فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن محمد بن على بن الحسين بن زيد عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بمكارم الاخلاق فان الله عزوجل بعثنى بها ، وان من مكارم الاخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، وأن يعود من لا يعوده .

وفيه : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه على عليهما السلام قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بعثت بمكارم الاخلاق ومحاسنها .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله عزوجل خصّ رسله بمكارم الاخلاق، فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أن ذلك من خير، وإن لاتكن فيكم فاسئلوا الله وارغبوا إليه فيها، قال : فذكر عشرة : اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة.

أقول : لعل المراد بتخصيص الرسل بمكارم الاخلاق : ان الفرد الكامل منها مقصورة عليهم أوهم مقصورون عليها دون أضدادها، فان الباء قد تدخل على المقصور كما هوالمشهور، وقد تدخل على المقصور عليه، أوالمعنى: خصّ الرسل بانزال المكارم عليهم وأمرهم بتبليغها كما روى عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق».

وفي الخصال : باسناده عن إبن مسكان عن الصادق عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الاخلاق فامتحنوا أنفسكم، فان كانت فيكم فاحمدوا الله عزوجل وارغبو إليه في الزيادة منها فذكرها عشرة :اليقين و القناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن المفضل عن الصادق عليه السلام انه قال : عليكم بمكارم الاخلاق، فان الله عزوجل يحبّها وإياكم ومذامّ الافعال، فان الله عزوجل يبغضها وعليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عددآيات القرآن، فاذاكان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق، فكلماقرأ آية رقى درجة، وعليكم بحسن الخلق فانه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وعليكم بحسن الجوار، فان الله عزوجل أمر بذلك، وعليكم بالسواك فانها مطهرة، وسنّة حسنة، و عليكم بفرائض الله فأدّوها و عليكم بمحارم الله فاجتنبوها.

وفي مجالس المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن بكير عن أبي

عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما انه قال : لنحبّ من شيعتنا من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مداراً صبوراً صدوقاً وفيئاً ثم قال : ان الله تبارك وتعالى خصّ الانبياء عليهم السلام بمكارم الاخلاق ، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ، ومن لم تكن فيه فليتضرّع إلى الله و ليسئله ، قال قلت : جعلت فداك و ماهى ؟ قال : الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداء الامانة .

وفى الكافى : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله عز وجل ارتضى لكم الاسلام ديناً ، فاحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه على عليهما السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان من مكارم الاخلاق صدق الحديث واعطاء السائل ، وصدق الناس وصلة الرحم وأداء الامانة ، والتذمم للجار والتذمّم للصاحب وإقراء الضيف .

وفيه : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه قال : قال على عليه السلام لأبى أيوب الانصارى : ياأبا أيوب ما بلغ من كريم أخلاقك قال : لااوذى جاراً فمن دونه ولا امنعه معروفاً أقدر عليه .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن حماد بن عثمان قال : جاء رجل إلى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له : يابن رسول الله أخبرنى بمكارم الاخلاق ، فقال : العفو عمن ظلمك ، وصلة من قطعك ، وإعطاء من حرمك ، وقول الحق ولو على نفسك .

وفيه : باسناده عن جرّاح المدائنى قال : قال لى أبو عبد الله عليه السلام : ألا احدّثك بمكارم الاخلاق ؟ الصفح عن الناس ومواساة الرجل أخاه فى ماله وذكر الله كثيراً .

وفى تحف العقول : فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لامير المؤمنين على

ـ عليه السلام ـ : وعليك بمحاسن الاخلاق فاركبها ، وعليك بمساوىء الاخلاق فاجتنبها

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم .

وفى أمالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن حماد بن عثمان قال : جاء رجل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له : يابن رسول الله أخبرنى بمكارم الاخلاق ؟ فقال : العفو عمن ظلمك وصلة من قطعك و اعطاء من حرمك وقول الحق ولو على نفسك .

وفى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لامير المؤمنين على عليه السلام ـ قال : ياعلى ثلاث من مكارم الاخلاق فى الدنيا والاخرة : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك وتحلم عمن جهل عليك .

وفى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال: يا معاذ اوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، و أداء الامانة ، و ترك الخيانة ، وحفظ الجوار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وحسن العمل ، وقصر الامل ، ولزوم الايمان ، والتفقه فى القرآن ، وحب الاخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح ، واياك أن تسب حكيما وتكذب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصى إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً ، اوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر ، والعلانية ، بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب .

ونعم ماقال أبو جعفر القرشى :

كل الامور تزول عنك وتنقضى ... إلا الثناء فانه لك باقى
و لو اننى خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الاخلاق

﴿القيم الاخلاقية فى الاسلام﴾

وقد سبق ان سورة القلم ثالثة سور نزلت على رسول الله ﷺ، والتدبر فيها يلهمنا انها تدور حول الاصول الاخلاقية و من هنا يعلم قيمها فى الدين الاسلامى ، ومن البديهى ان أول عوامل الرقى العلمى فى الامة العربية كان القرآن الكريم لا بصفته كتاباً انزل بلسان عربى مبين ، وله مكان خلص من مستوى لا يشاركه فيه غيره ، من حيث علو الاسلوب ، وفخامة النظم وجلالة العبارة ، بل بصفات فيه أرقى من ذلك بكثير ، وهى كونه مستودع الاصول الاخلاقية والادبية التى دفعت الامة العربية الى باحات المعارف دفعاً اصولياً ، ونهجت لمجهوداتهم مناهج حكمية اثمرت لهم فى سنوات قليلة مالم تثمره المجهودات لسواهم فى قرون .

فان عجب الناظر في سرعة انتقال تلك الامة من حالة الانحطاط الفكرى إلى درجة عالية من الحياة الاخلاقية والعلمية فى سنوات معدودة لا تكفى فى العادة لسعة الادوار التى تقتضيها اطوار النشؤ فاولى به أن يبحث عن علة ذلك فى ذات القرآن ، فهو مستودع هذا السر الجليل ، وينبوع العوامل التى احدثت هذا الحادث الخطير جرت سنة الله فى الامم انها متى اتجهت للحياة الادبية والاخلاقية تندفع فيها إندفاعاً مشوشاً ، فيتولى الزمن تربيتها قرناً بعد قرن .

ولو بحث الباحث فى نشؤ المعارف اليونانية أو الرومانية أو الهندية لوجدها ثمرة انقلابات شتى ، وأدوار متعاقبة فى عدة أجيال ، بخلاف الامة العربية ، فما ظهرت فيها الدعوة للاسلام حتى رآها الناس بعد قرن من الزمان حاملة لواء العلوم الاخلاقية والطبيعية فى الارض .

انقلاب سريع مدهش، ولكنه نتج من عوامل فعّالة مثارها هذا القرآن الكريم، حيث ان أكثرما فيه أخلاق وآداب، وقد تلقاه المومنون،وهم فى فراغ من البال، فتمكن من نفوسهم، وسطت تعاليمه على مشاعرهم فقاموا على سنته فى البحث والنظر والاستدلال كما قاموا عليها فى الصلاة والحج والجهاد والزكاة والصيام... والذى ينظر لاخلاق القرآن الكريم و آدابه العلمية يجدها أرقى من الاصول التى تتبجح بها الفلسفة العصرية وتقدمها للناس كأنها من مكتشفاتها الحديثة التى لاكمال فى العالم ورائها.

فى الكافى: باسناده عن أبى اسامة زيدالشحام عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال لى - : يا زيد ان الله اصطفى الاسلام و اختاره، فاحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق.

و فى الدر المنثور: عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال لى جبرئيل: قال الله تعالى: ان هذا الدين ارتضيته لنفسى و لا يصلحه الا السخاء و حسن الخلق فاكرموه بهما ما صبحتموه.

وفى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الحسن بن زياد عن الصادق جعفربن محمد عليه السلام انه قال: ان الله تبارك وتعالى رضى لكم الاسلام ديناً، فاحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق.

و فى رواية: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال: يارسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» فأتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق» ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه و قال: أما تفقه؟ هو أن لا تغضب.

و فى وسائل الشيعة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسن الخلق نصف الدين.

و فى تحف العقول: فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذبن جبل لما

بعثه إلى اليمن : « يا معاذ علّمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة ، و أنزل الناس منازلهم ـ خيرهم و شرهم ـ و انفذ فيهم امرالله . . . » الوصية .

وفيه : عن الحسن بن علي عليه السلام قال : ان أحسن الحسن : الخلق الحسن .

و فى الدر المنثور : عن الحسن بن علي بن ابيطالب عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان أحسن الحسن الخلق الحسن .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله استخلص هذا الدين لنفسه و لا يصلح لدينكم الاّ السخاء و حسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما .

و فى رواية : عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق و محاسن الاعمال .

و غيرها من الروايات الواردة فى قيم الاخلاق فى الاسلام . . .

و هناك طوائف لا يرون للاخلاق قيماً او يرون لمصلحة خاصّة :

فقال «نيتشه» فيلسوف الانسان الاعلى ـ على زعم أذنابه ـ : « لاواقع لقيم الاخلاق ، فالحرية والعدالة والمساواة مجرد ألفاظ صنعها الضعفاء ليحدّوا بها من سيطرة الاقوياء » .

وقال «ماركس» فيلسوف الثورة ضد الانسان الاعلى : « العكس هو الصحيح فالزهد والصبر والوداعة ألفاظ صنعها الاقوياء ليسيطروا بها على الضعفاء » ومعنى ذلك عند الاثنين : ان الفاظ القيم لامصدر لها الاّ الهوى والمصلحة الشخصية ، و ما دام الهوى لا يتفق مع الانسانية والمثل الاعلى ، فتكون الفاظ القيم دجلاً و نفاقاً .

و ان الاسلام يقول : ان مصدر القيم هى المصلحة ، و لكنها منبثقة من طبيعة الانسان بما هو انسان لا بما هو طبقة من الطبقات أوفئة من الفئات ، ولا ريب ان هذه المصلحة تتفق مع الانسانية والمثل العليا بل هى هى ولذا سميت قيماً انسانية لاطبقية ، وعليه يكون لها واقع ثابت بثبوت الانسان نفسه ، وهذا

لا ينفى استغلال من يستغلها ، و تحريف من يحرّفها حسب أهوائه و مصلحته ، و إلاّ لم يصح تقسيم الانسان إلى محق ومبطل يحرّف الكلم عن مواضعه ، وإلى مخلص ومنافق يتستر بشعار الصالحين هذا إلى انه ليس فى تاريخ الانسان مجتمع واحد قال للفرد : افعل ما شئت فانك غير مسئول عن شىء : قتلت او سرقت . . . أجل هناك آراء شتى لتحديد القيم الاخلاقية لا يتسع المقام ذكرها . . .

والذى يهمنا أن نحددها كما هى فى نظر الاسلام ، و قد انطلقت اقلام الغيورين تحدد القيم الاسلامية بانها تهدف إلى تكوين الفرد الصالح فى المجتمع الصالح . . . وهذا التحديد يحتاج إلى تحديد لان القارىء لا يفهم منه شيئاً واضحاً يلتزمه عند الانطباق والممارسة ، فجدير تجنباً لهذا المحذور نمهد أولاً بذكر بعض الامثلة ثم نستخرج من دلالتها التحديد الواضح الذى يمكن ممارسته و انطباقه فى الحياة اليومية :

و ذلك ان الاسلام يأمر الانسان بالصدق والوفاء والبذل والتواضع والصبر والعفو و ما إليها . . . و لكن قيّد وجوبها بحدّ لا يصح تجاوزه بحال و هو أن لا يؤدى الالتزام بها إلى عكس الغرض المطلوب منها ، فالصدق واجب مادام فى مصلحة الانسان ، فاذا تولد منه ضرر أو إضرار كاخبار العدو بالاسرار العسكرية او نقل الكلام بقصد الفتنة ، فكان محرماً قطعا ، والكذب محرم الاّ فى حرب عدو الدين وفى الصلح بين الاثنين ، وفى صيانة نفس بريئة و مال محرم ، والوفاء باليمين واجب مادام الحالف لا يجد خيراً من يمينه و الاّ تركها لحديث : « إذا وجدت خيراً من يمينك فدعها »

و بذل المال فى سبيل الله تعالى حسن الاّ اذا احتاج إليه صاحبه ، والصبر راجح الاّ على الظلم والعوز ، والعفو فضيلة الاّ اذا كان سبباً للفوضى ونشر الجرائم و إشاعة الفحشاء .

و بذلك يتبين ان قيم الاخلاق فى الاسلام تقاس بمدى ما تحققه للانسان من جلب مصلحة أو دفع مفسدة ، ومعنى هذا : انها وجدت من أجل الانسان ولم

يوجد هو من أجلها كي يجب عليه التعبد بها على كل حال ، فالقيم الاخلاقية ـ اذن ـ هي التي تحصر تصرفات الانسان في اطار مصلحته و مصلحة الجماعة أو عدم الاضرار به أو بغيره على الاقل .

و أما الضابطة لتمييز النافع من الضار فهـو الاحساس والشعور العام بان يقول : هذا ضار و ذاك نافع فان الشعور العام هو بديهية بالذات فلا يتخلف في التمييز إذا لم يتغير بالعوارض الخارجية والاوهام والاباطيل المخرّبة . . .مضافاً إلى دين الفطرة قال الله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)



﴿ التخلق واختلاف الناس في الخلق ﴾

ومن البديهى ان الناس مختلفون فى الاخلاق فى جانبى النفى والايجاب، واختلفت كلمات الاعلام فى هذا الاختلاف :

فمنهم : من ذهب إلى أن الخلق هو ملكة راسخة فى النفس ، وهى حاصلة من جانب الاعتدال بين القوى الثلاثة : العاقلة ، والبهيمية ، والغضبية ،ولما كان حصول الملكة ذا درجات ومراتب كان الخلق على قدر ما حصل ، وكذلك فى جانب النفى .

كما ان حركة النفس الناطقة إن كانت معتدلة غير خارجة عن ذاتها،وكان شوقها إلى المعارف صحيحاً حدثت عنها فضيلة العلم على قدر الحركة، وتتبعها الحكمة ، وان حركة النفس البهيمية إن كانت معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متأبية عليها حدثت عنها فضيلة العفة على قدر الحركة والانقياد ، وتتبعها فضيلة السخاء ، وإن كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسط لها حدثت منها فضيلة الحلم على قدر الاطاعة وتتبعها فضيلة الشجاعة ، ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ،ونسبة بعضها إلى بعض فضيلة رابعة هى كمالها وتمامها ، وهى فضيلة العدالة،فلذلك أجمع الحكماء على أن اصول الفضائل أربع وهى:الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة على مراتبها ودرجاتها . . .

و منهم : من قال : ان سبب اختلاف الناس فى الاخلاق أربعة :

أحدها - من جهة اختلاف أخلاط أجسادهم ومزاجها من تراب وماء وهواء

ونار، وذلك لان العزم من التراب، واللين من الماء، والحدّة من النار، و الأناءة من الهواء، وإن غلب التراب كان العزم قساوة وفظاظة ،وان غلب الماء صار اللين توانياً ومهانة، ولوغلب النارصارت الحدة طيشا وسفاهة، ولوغلب الهواءصارت الانائة ريثاً وبلادة، وإن اعتدلت العناصر الاربعة وكنّ سواء اعتدلت اخلاقه، و استقام أمره وكان عازما فى أناته، لينا فى عزمه، هادئاً فى لينه، متأنياً فى حدته، لايغلبه خلق من أخلاقه، ولاتميل به طبيعة من أخلاطه عن المقدار المعتدل، من أيها شاء استكثر، ومن أيها شاء قلّل، و كيف شاء عدل.

ثانيها - من جهة اختلاف تربة البلدان والأهوية التى تتغير من ان جهات أربع من الجنوب والشمال والشرق والغرب، وتتغير من جانب أماكن الارتفاع والا-نخفاض، من رؤوس الجبال و بطون الاودية والاغوار و سواحل البحار وشطوط الانهار، وفى البرارى والقفار وفى الارض ذات الرملة وفى الارض السباخ والسهلة...

و ذلك لان أهوية البلاد والبقاع تختلف باختلاف تصاريف الرياح الاربع ونكباتها، وبمطالع البروج وشعاع الكواكب عليها من آفاقها، وهذه كلها تؤدى إلى اختلاف أمزجة الاخلاط وإختلافها يؤدى إلى اختلاف أخلاق أصحابها وطباعهم وألوانهم ولغتهم و عاداتهم وآرائهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم و تدابيرهم وسياساتهم، لايشبه بعضها بعضاً، وعلى هذا القياس توجد صفات أصحاب البلدان المتضادة بالطباع والاهوية مختلفين فى الطباع والاخلاق غالباً.

ثالثها - من جهة اختلاف نشوئهم على الاديان و تقاليد الآباء واختلاف التعليم والتربية والمحيط والمصاحبة... والاغذية والاشربة...

رابعها - من جهة موجبات أحكام النجوم فى اصول مواليدهم و مساقط نطفهم وهى الاصل وباقيها فروع عليها.

أقول: وقد ورد ان الخلق على ثلاثة اقسام:

منها: منيحة أى عطية الهى يعطيها من يشاء ولانعلم سرّها.

ومنها سجية : طبيعية خليقة ممتزجة بذات صاحبها .

ومنها : نية أي يكون عن قصد واكتساب .

وان الخليقة هي تهيؤ مافي كل عضو من أعضاء الجسد يسهل به على النفس اظهار فعل من الافعال ، أو عمل من الاعمال ، أو صناعة من الصنائع ، أو تعلم علم من العلوم أو أدب من الآداب أو سياسة من غير فكر ولا روية ، ومثال ذلك انه اذا كان الانسان مطبوعاً على الشجاعة فانه يسهل عليه الاقدام على الامور المخوفة من غير فكر ولا روية ، واذا كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولا روية ، و متى كان مطبوعاً على العفة يسهل عليه اجتناب المحظورات والمحرمات من غير فكر ولا روية وهكذا غيرها من الصفات الفاضلة كما ان الامر كذلك في جانب الصفات الرذيلة .

في الكافي : باسناده عن الحسين بن عطية عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المكارم عشر فان استطعت أن تكون فيك فلتكن فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في الولد ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في الحر قيل : وما هن قال : صدق اليأس ، وصدق اللسان ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم ، وإقراء الضيف و إطعام السائل والمكافاة على الصنايع والتذمم للصاحب ورأسهن الحياء .

قوله عليه السلام : « صدق اليأس » أي اليأس عما في أيدي الناس ، وقصر النظر على فضل الله تعالى و لطفه والمراد بصدقه : عدم كونه بمحض الدعوى من غير ظهور آثاره وقوله عليه السلام : « التذمم للجار » أي يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

وفي العلل: باسناده عن بريد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الله عزوجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها أحد إبنيه ، و تزوج الاخر إلى الجن فولدتا جميعاً ، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق ، فهو من الحوراء ، وماكان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان ، وأنكر أن يكون زوج

بنيه من بناته .

وفی أمالی الصدوق رضوان الله تعالی علیه باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول ـ فی حديث ـ ومن لم يجتنب مصادقة الاحمق اوشك أن يتخلق باخلاقه .

و فی أمالی الطوسی قدس سره:عن أبی قتادة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لداود بن سرحان يا داود ان خصال المكارم بعضها مقيّد ببعض يقسّمها الله حيث شاء يكون فی الرجل ولايكون فی ابنه ، ويكون فی العبد ولا يكون فی سيّده الحديث .

وفی الكافی : عن أبی عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك و تعالی أعار أعدائه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أوليائه مع أعدائه فی دولاتهم .

وفی رواية اخری : لولا ذلك لماتركوا ولياالله الاّ قتلوه .



﴿حسن الخلق واكمل الناس ايماناً﴾

في الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً.

وفيه: باسناده عن أبي ولاّد الحناط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أربع من كنّ فيه كمل ايمانه، وان كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، و هو الصدق وأداء الأمانة والحياء وحسن الخلق.

اقول: ومن غير مراء ان تلك الخصال توجب التوبة إلى الله لو كان صاحبها عاصياً، ولا ينقص التائب شيئاً من ثواب الاخرة.

قال الله تعالى: «انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم» النساء: ١٧)

و في وسائل الشيعة: قال الامام علي عليه السلام: أكملكم ايماناً أحسنكم خلقاً

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أحسن الناس ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهلي.

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً، وخيار كم خيار كم لنسائه (لنسائهم خ)

وفي رواية: عن إبن عمر: قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ المؤمنين أفضل قال: أحسنهم خلقاً.

وفي الكافي: باسناده عن حبيب الخثعمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله : أفاضلكم (أفضلكم خ) أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم .

قوله صلى الله عليه وآله : « أكنافاً » جمع كنف بمعنى جانب و ناحية يقال : رجل موطى الاكناف أى كريم مضياف ، والمراد انهم الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى .

وفى تحف العقول : قال الامام على عليه السلام : حسن الخلق خير قرين ، و عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه .

وعن إبن عباس انه قال : لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق .

وفى الكافى : باسناده عن ابراهيم بن عبد الحميد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن يأخذ من الله خلقاً حسناً .

وعن بعض الظرفاء : قال : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ، وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان .

﴿الخير و حسن الخلق﴾

فى الكافى : باسناده عن بريد بن معاوية عن أبى جعفر عليه السلام قال : وجدنا فى كتاب على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ـ وهو على منبره ـ : والذى لا اله الاّ هو ما اعطى مؤمن قطّ خير الدنيا والاخرة الاّ بحسن ظنه بالله ورجائه له ، و حسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين . الحديث .

وفى احقاق الحق : ومن كلام محمد بن على الباقر عليه السلام : «من اعطى الخلق والرفق فقد اعطى الخير كله والراحة ، وحسن حاله فى دنياه و آخرته ، ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك له سبيلاً إلى كل شر وبلية الاّ من عصمه الله تعالى»

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة ـ « وأكرم الحسب حسن الخلق »

و فى تحف العقول : فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام ـ إلى أن قال ـ : ولاحسب كحسن الخلق . .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا أراد الله لاهل بيت خير أرزقهم الرفق فى المعيشة وحسن الخلق »

ورد انه قال ابن لقمان الحكيم لابيه : ياأبت أىّ الخصال من الانسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فاذاكانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال قال : فاذاكانت ثلاثاً ؟ قال : الدين والمال والحياء قال : فاذاكانت أربعاً ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق ، قال : فاذاكانت خمساً ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق

والسخاء قال : فاذاكانت ستاً ؟ قال : يابنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى تقى ولله ولى ومن الشيطان برىء .

وسئل ابن عباس : ماالكرم ؟ فقال : هو ما بين الله فى كتابه العزيز : « ان أكرمكم عندالله اتقاكم » قيل :فما الحسب ؟ قال : أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً

وفى أمالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام عن جده عليه السلام قال : قالت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله : بابى أنت و امى المرأة يكون لها زوجان ، فيموتون و يدخلون (فيموتان ويدخلان خ) الجنة لأيهما تكون ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا ام سلمة تخير أحسنهما خلقا ، وخيرهما لاهله يا ام سلمة ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والاخرة .

وفى الكافى : باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن على بن الحسين صلوات الله عليهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى آخر خطبته : طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته ، و أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه .

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام : « خير الاخلاق أعونها على التقى والورع »

﴿حسن الخلق و مداراة الخلق﴾

فى الكافى: باسناده عن الحسن بن الحسين قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يابنى عبدالمطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر.

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن غياث بن ابراهيم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوا بأخلاقكم.

وفيه: باسناده عن عبد العظيم بن عبدالله الحسنى عن أبى جعفر محمد بن على الرضا عليه السلام عن آبائه عن على عليه السلام قال: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم.

فى شرح ابن أبى الحديد: قال ابراهيم بن عباس الصولى: لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحاسن الخلق كلها لرجحت قوله: «انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»

و فى الكافى: باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث من لم يكن فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصى الله، و خلق يدارى به الناس، و حلم يردّ به جهل الجاهل.

و فى تحف العقول: من مواعظ النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال: طوبى لمن

حسن مع الناس خلقه ، و بذل لهم معونته ، و عدل عنهم شره .

وفيه : قال صلى الله عليه و آله و سلم : مدارة الناس نصف الايمان ، والرفق بهم نصف العيش .

وفيه : قال صلى الله عليه و آله و سلم : امرت بمداراة الناس كما امرت بتبليغ الرسالة .

و في الخصال : باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبيطالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : ثلاث من لم يكن فيه فليس مني ولا من الله عزوجل قيل : يا رسول الله و ما هنّ؟ قال : حلم يرد به جهل الجاهل ، وحسن خلق يعيش به في الناس ، و ورع يحجزه عن معاصي الله عزوجل .

و في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، و إن عشتم حنّوا إليكم » .

قوله عليه السلام: «حنوا» أي ضجّوا شوقاً إليكم.

و في وسائل الشيعة : عن عنبسة العابد قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : مايقدّم المؤمن على الله عزوجل بشيء (بعمل خ) بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه .

و في معاني الاخبار : قال لقمان لابنه يابني صاحب مأة ولا تعاد واحداً، يا بني انما هو خلاقك و خلقك ، فخلاقك دينك ، و خلقك بينك و بين الناس ، و لا تبتغض إليهم ، و تعلّم محاسن الاخلاق ، يا بني كن عبداً للأخيار ولاتكن ولداً للاشرار، يابني أدّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، و كن أميناً تكن غنياً.

و في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « من لان عوده كثفت أغصانه ».

و في الشرح : تكاد هذه الكلمة أن تكون ايماءاً إلى قوله تعالى: « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه » و معنى هذه الكلمة ان من حسن خلقه و لانت كلمته كثر محبّوه و أعوانه و أتباعه .

و نحوه قوله : « من لانت كلمته وجبت محبته »

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام : « أصحب الناس بأي خلق شئت

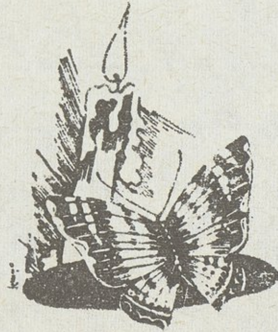
يصحبوك بمثله » .

و في محاسن البرقي : باسناده عن عمرو بن ثابت عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اغسلوا أيديكم في إناء واحد تحسن أخلاقكم .

و في رواية : « اذا وسعتم الناس ببسط الوجوه ، وحسن الخلق ، و حسن الجوار فكأنما وسعتموهم بالمال » .

و عن بعض الحكماء : قال : لا تكن حلواً جداً لئلا تبلع ، و لا مراً جداً لئلا تلفظ .

و عن الاسكندر الرومي : قال: أظهر لاهلك انك منهم، و لاصحابك انك بهم ، و لرعيتك انك لهم .



﴿الخلق الحسن و أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم﴾

في عيون الاخبار: باسناده عن الحسين بن خالد عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزل عليّ جبرئيل من رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق فانه ذهب بخير الدنيا والاخرة ألاوان أشبهكم بي أحسنكم خلقاً.

وفي امالي الصدوق رضوان الله تعالى باسناده عن الحسين بن خالدعن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جبرئيل الروح الامين نزل عليّ من عند رب العالمين، فقال: يامحمد عليك بحسن الخلق فان سوء الخلق يذهب بخير الدنيا و الاخرة ألا وان اشبهكم بي أحسنكم خلقاً.

وفي تحف العقول: من مواعظ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا اخبر كم بأشبهكم بي أخلاقاً؟ قالوا: بلى يارسول الله، فقال: أحسنكم أخلاقاً و أعظمكم حلماً و أبرّكم بقرابته، و أشدكم إنصافاً من نفسه في الغضب والرضا.

وفي امالي الطوسي قدس سره باسناده عن الحسن بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقربكم غداً مني في الموقف أصدقكم للحديث، و أداء الامانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس.

وفى الدر المنثور : عن عبدالله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الدعاء : يقول : اللهم انى اسئلك الصحة والعفة والامانة و حسن الخلق و الرضا بالقدر .

وفى رواية : كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم فى افتتاح الصلاة : اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الاّ أنت ، واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها الاّ أنت .



﴿حسن الخلق وآثاره الدنيوية﴾

فى الكافى باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: البر و حسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان فى الاعمار.

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام: «سعة الاخلاق كيمياء الارزاق»

وفيه: وقال عليه السلام: «ولاقرين كحسن الخلق»

و فى وسائل الشيعة: قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام: «حسن الخلق خير قرين».

وفى تحف العقول: قال الامام محمد بن على الباقر عليه السلام: البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقرب من الله، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله.

اقول: و ذلك لان من البديهى عند علماء الاخلاق: ان الالفة والانس والمحبة فى الاسرات والاجتماع البشرى من ثمرات الخلق الحسن، وان التفرق و النزاع والخلاف من حصيلات الخلق السيّىء، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق بين الافراد والجماعة، وبذلك تراعى الحقوق كلها، و تصفو بحسن الخلق الاخوة إطلاقاً عن شوائب الكدورات ونزعات الشيطان، و انما القيام بأداء الحقوق يوجب التقرب إلى الله تعالى، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العالية.

وان سوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتفارق بين الافراد والجماعة

وبذلك يظلم بعضهم بعضاً ويعتدى كل على الاخرين فتكدر الاخوة بينهم ويسلط عليهم الشيطان ، فيغضب الله جل وعلا عليهم . . .

ومن غير مراء ان المثمر مهما كان محمود أكانت الثمرة محمودة ، كما ان المثمر مهما كان مذموماً كانت الحصيلة مذمومة .

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : من سعادة المرء حسن الخلق .



﴿حسن الخلق و النجاة﴾

في قرب الاسناد: باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: أتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبعة اسارای فقال: لي يا علي قم فاضرب أعناقهم قال: فهبط جبرئيل طرف العين، فقال: يا محمد اضرب أعناق هؤلاء الستة، و خلّ عن هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل مابال هذا من بينهم؟ قال: لانه كان حسن الخلق سخياً على الطعام، سخيّ الكف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقلت: يا جبرئيل: عنك أوعن ربك؟ فقال: لابل عن ربك عز و جل يامحمد.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: «رب عزيز أذلّه خرقه، و ذليل أعزّه خلقه»

وفي البحار: بالاسناد عن هشام ابن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم باساری فأمر بقتلهم ماخلا رجلاً من بينهم، فقال الرجل: كيف اطلقت عنّي من بينهم؟ فقال: أخبرني جبرئيل عن الله تعالى ذكره ان فيك خمس خصال يحبّه الله ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك. والسخاء وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة، فأسلم الرجل وحسن إسلامه.

وفي رواية: قال الامام علي عليه السلام: يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلايرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لايرجو ثواباً، ولايخشى عقاباً لقدكان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الاخلاق، فانها مماتدل على سبيل النجاة، فقال له رجل: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: نعم، وماهو خير منه لما اتى

بسبايا طيىء وقفت جارية في السبى ، فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب ، فانى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفك العانى ، ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى ، فقال صلى الله عليه وآله : ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها، فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ، وان الله يحب مكارم الاخلاق .

فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ! الله يحب مكارم الاخلاق، فقال : والذى نفسى بيده لايدخل الجنة الاحسن الاخلاق .

وفي الخصال : باسناده عن زيد بن على عن على بن الحسين عليه السلام قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وصلّى الفجر ثم قال : معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزى ليقتلونى ، وقد كذبوا و رب الكعبة ؟ قال : فأحجم الناس وما تكلّم أحد ، فقال : ما أحسب على بن أبيطالب عليه السلام فيكم فقام إليه عامر بن قتادة ، فقال : انه وعك فى هذه الليلة ، ولم يخرج يصلّى معك فتأذن (أفتأذن خ) لى أن اخبره ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله : شأنك فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنه نشط من عقال ، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته فقال : يارسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا الخبر ؟

قال : هذا رسول ربى يخبرنى عن ثلاثة نفر قد نهضوا إلىّ لقتلى ، وقد كذبوا و رب الكعبة ، فقال على عليه السلام : يا رسول الله أنا لهم سريّة وحدى ، هو ذا ألبس علىّ ثيابى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : بل هذه ثيابى و هذا درعى ، و هذا سيفى ، فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبر من الارض ، وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين على وركيها تقول : اوشك أن يؤتم هذين الغلامين ، فأسبل النبى صلى الله عليه وآله عينه يبكى، ثم قال: معاشر الناس من يأتينى بخبر على ابشّره بالجنة، وافترق الناس

في الطلب لعظيم مارأوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و خرج العواتق ، فاقبل عامر بن قتادة يبشّر بعليّ وهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما كان فيه .

وأقبل عليّ أمير المؤمنين عليه السلام معه أسيران و رأس وثلاثة أبعرة و ثلاثة أفراس ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : تحبّ أن اخبرك بما كنت فيه يا أبا الحسن؟ فقال المنافقون : هو منذ ساعة قد أخذه المخاض وهوالساعة يريد أن يحدّثه ! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بل تحدّث أنت يا أبا الحسن لتكون شهيداً على القوم ، قال : نعم يا رسول الله لما صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباناً على الاباعر فنادوني من أنت فقلت : أنا علي بن أبيطالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : مانعرف لله من رسول سواه علينا : وقعنا عليك أو على محمد ، وشدّ عليّ هذا المقتول ، ودار بيني وبينه ضربات ، وهبّت ريح حمراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله و أنت تقول : قد قطعت لك جربّان درعه ، فاضرب حبل عاتقه ، فضربته ، فلم أحفه ، ثم هبّت ريح صفراء سمعت صوتك فيهايا رسول الله وأنت تقول : قدقلّبت لك الدرع عن فخذه فاضرب فخذه ، فضربته وذكرته ، و قطعت رأسه و رميت به ، و قال لي هذان الرجلان : بلغنا ان محمداً رفيق شفيق رحيم ، فاحملنا إليه ولاتعجل علينا ، و صاحبناكان يعدّ بألف فارس .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي أما الصوت الاول الذي صكّ مسامعك فصوت جبرئيل ، وأما الاخر فصوت ميكائيل ، قدّم إلي أحد الرجلين ، فقدّمه فقال : قل: لااله الاّ الله ، واشهد اني رسول الله ، فقال : لنقل جبل أبي قبيس أحب إليّ من أن أقول هذه الكلمة ! قال : يا عليّ أخره واضرب عنقه ، ثم قال : قدّم الآخر فقال : قل : أشهد أن لا اله الاّ الله و اشهد اني رسول الله قال : ألحقني بصاحبي قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا عليّ أخّره واضرب عنقه ، فأخّره ، و قام أمير المؤمنين عليه السلام ليضرب عنقه ، فهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد ان ربك يقرؤك السلام ، ويقول : لاتقتله فانه حسن الخلق سخيّ في قومه .

فقال النبى ﷺ : يا علىّ أمسك فان هذا رسول ربى عزوجل يخبرنى انه حسن الخلق سخىٌّ فى قومه ، فقال المشرك تحت السيف : هذا رسول ربك يخبرك ؟ قال : نعم ، قال : والله ما ملكت درهماً مع أخ لى قطّ ولاقلبت وجهى فى الحرب ، وأنا أشهد أن لااله الاّ الله وانك رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : هذا ممن جرّه حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم .

قوله : « آلوا » أى حلفوا ، و « أحجم القوم » : تأخّروا و كفّوا ، و«الو . عك » : الحمّى ، « جربان » جيب القميص ، و « فلم احفه » الاحفاء : المبالغة فى الاخذ ، و«و كزته»:ضربته بجمع الكف والطعن والدفع .



﴿حسن الخلق و آثاره الاخروية﴾

فى قرب الاسناد: و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أول ما يوضع فى ميزان العبد يوم القيامة حسن خلقه.

وفيه: باسناده عن الامام الحسين بن على عليهما السلام عن أبيه عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ليس شىء أثقل فى الميزان من الخلق الحسن.

وفيه: بهذا الاسناد قال عليه السلام: قيل: يارسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ماأفضل حال اعطى للرجل؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: الخلق الحسن ان أدناكم منى واوجبكم علىّ شفاعة اصدقكم حديثاً و أعظمكم امانة و احسنكم خلقاً و اقربكم من الناس.

وفى شرح الحديد: و فى الحديث المرفوع: «أول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن».

و فى وسائل الشيعة: عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: عليكم بحسن الخلق، فان حسن الخلق فى الجنة لامحالة، و اياكم و سوء الخلق فان سوء الخلق فى النار لا محالة.

وفيه: بهذا الاسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ان العبد لينال بحسن خلقه درجة الصائم القائم.

وفيه: قال على بن أبيطالب عليه السلام: سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما أكثر ما (مما خ) يدخل به الجنة؟ قال: تقوى الله و حسن الخلق.

و فى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن على بن ميمون

الصابغ قال: سمعت أباعبدالله الصادق عليه السلام يقول: من أراد أن يدخله الله عزوجل في رحمته و يسكنه جنته فليحسن خلقه. الخبر

و في الكافي: باسناده عن ذريح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان صاحب الخلق له مثل أجر الصائم القائم.

وفيه: باسناده عن علي بن أبي علي اللهبي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغد و عليه و يروح.

و في رواية: عن الحسن بن علي عليه السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه الاجر و يروح.

و في الدر المنثور: عن أنس قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباذر فقال: ألا أدلك على خصلتين: هماخفيفتان على الظهر، و أثقل في الميزان عن غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق و طول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما.

و في الخصال: باسناده عن عبدالله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربع من كن فيه نشرالله عليه كنفه، و أدخله الجنة في رحمته: حسن خلق يعيش به في الناس، و رفق بالمكروب و شفقة على الوالدين، و إحسان إلى المملوك.

و في تحف العقول: من مواعظ الامام علي بن الحسين عليهما السلام: «و ان أقربكم من الله أوسعكم خلقا».

و في أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن الثمالي عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: أربع من كن فيه كمل اسلامه، و اعين على ايمانه، و محّصت ذنوبه، و لقي ربه و هو عنه راض، و لو كان فيما بين قرنه إلى قدميه ذنوب حطّها الله

عنه ، وهي : الوفاء بما يجعل لله على نفسه ، و صدق اللسان مع الناس ، والحياء مما يقبح عندالله و عندالناس ، و حسن الخلق مع الاهل والناس . الخبر .

أقول : من كانت هذه خصاله يوفقه الله تعالى للتوبة ان كان عاصياً فيتوب الله جل وعلا عليه .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن موسى بن ابراهيم عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال: سمعته يقول : ما حسّن الله خلق عبد ، ولاخلقه الاّ استحيى أن يطعم عليه السلام لحمه يوم القيامة النار .

و في الكافي : عن على بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مايوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق .

و في وسائل الشيعة : عن الامام على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً و خيركم لاهله .

و في قرب الاسناد : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أحبكم إليّ ، و أقربكم مني يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً و أشدكم تواضعاً ، و ان أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون و هم المستكبرون .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الثرثارون» : جمع الثرثار وهو كثير الكلام، والمراد كثرة الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق من غير حاجة إليه بل لنيل الحظوظ الدنيوية .

و في الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : أوحى الله تبارك وتعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد .

قوله عليه السلام «يميث» أي يذيب و «الجليد» : مايسقط على الارض من الندى فيجمد ، والمراد : ان حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد ، و هو الماء الجامد من البرد .

و فى رواية : قال رسول الله ﷺ : ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، و شرف المنازل ، و انه لضعيف فى العبادة .

و فى تحف العقول : فى وصية النبى الكريم ﷺ للامام على عليه السلام قال ﷺ : يا على أحسن خلقك مع أهلك و جيرانك ، و من تعاشر و تصاحب من الناس تكتب عندالله فى الدرجات العلى .



﴿ سوء الخلق و آثاره الشؤمة ﴾

و من المعلوم ان للخلق السيىء آثاراً شؤمة ترجع إلى نفس الخليق و عمله ، و إلى معاشريه والمجتمع البشرى أعاذنا الله تبارك وتعالى منه ومنها بحق محمد و آله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

فنشير إلى بعض ما ورد فى هذا الباب :

١ ـ فى قرب الاسناد باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال على صلى الله عليه و آله لابى أيوب الانصارى : يا أباأيوب مابلغ من كريم (كرمخ) أخلاقك ؟ قال : لا اوذى جاراً فمن دونه ، و لا امنعه معروفاً اقدر عليه قال : ثم قال : ما من ذنب الاّ و له توبة ، و ما من تائب إلاّ و قد تسلّم له توبته ما خلا السيىء الخلق لايكاد يتوب من ذنب الاّ وقع فى غيره أشرّ منه (أشدّ خ) .

٢ ـ فى الكافى : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل .

اقول : ان سوء الخلق وصف للنفس الانسانية يوجب فسادها و انقباضها و تغيّرها على أهل الخلطة والمعاشرة و ايذائهم . . .

٣ ـ و فيه : باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه و آله : أبى الله لصاحب الخلق السيّىء بالتوبة ، قيل : و كيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : لانه اذا تاب من ذنب وقع فى ذنب أعظم منه .

٤ ـ فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسحق بن غالب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من ساء خلقه عذّب نفسه .

٥- فى الخصال : باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خصلتان لا تجتمعان فى مسلم : البخل و سوء الخلق .

٦ - وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام فى وصيته لابنه محمد بن الحنفية : اياك والعجب وسوء الخلق و قلة الصبر ، فانه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث ، صاحب ، و لا يزال لك عليها من الناس مجانب ، و ألزم نفسك التودد . الخبر .

٧ - و فيه : قال الصادق عليه السلام للثورى : يا سفيان لا مروة لكذوب ، و لا أخ لملول ، و لا راحة لحسود ، و لا سؤدد لسيّئ الخلق .

٨- فى شرح الحديد: وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ماالشؤم؟ فقال: سوء الخلق

٩- و فيه : و صحب جابر رجلاً فى طريق مكة ، فآذاه سوء خلقه ، فقال جابر : انى لأرحمه ، نحن نفارقه ، و يبقى معه سوء خلقه .

١٠ - وفيه : و فى الخبر المرفوع : « حسن الخلق زمام من رحمة الله فى أنف صاحبه ، والزمام بيد الملك ، والملك يجرّه إلى الخير ، يجرّه إلى الجنة ، وسوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه ، والزمام بيد الشيطان ، والشيطان يجرّه إلى الشر ، والشرّ يجرّه إلى النار .

١١- وفيه : عن بعض السلف انه قال : الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب، والسيىء الخلق أجنبىّ عند أهله .

١٢ - و فيه : ومن كلام الاحنف : ألا اخبركم بأدوأ الداء ؟ الخلق الدنىّ واللسان البذى .

١٣ - فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سوء الخلق ذنب لا يغفر .

١٤ - و عن يحيى بن معاذ انه قال : سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات .

١٥ - فى الكافى : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان سوء الخلق ليفسد الايمان كما يفسد الخل العسل .

﴿سوء الخلق وعذاب الاخرة﴾

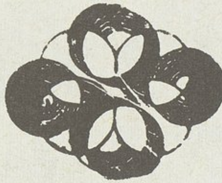
في عيون الاخبار: عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق في النار لا محالة.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم.

وفي العلل: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: ان سعد بن معاذ قدمات، فقام رسول الله وقام أصحابه فحمل فأمر بغسل سعد، وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنّط و كفّن وحمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة، و يسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحّده و سوّى عليه اللبن، و جعل يقول: ناولني (ناولوني خ) حجراً ناولني (ناولوني خ) تراباً رطباً يسدّ به مابين اللبن.

فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني لاعلم انه سيبلى ويصل إليه البلى، ولكن الله عزو جل يحبّ عبداً اذا عمل عملاً فاحكمه، فلما أن سوّى التربة عليه قالت ام سعد من جانب: هنيئاً لك الجنة فقال رسول الله: ياام سعدمه؟ لاتجزمي على ربك، فان سعداً قد أصابته ضمّة قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و رجع الناس، فقالوا: يا رسول الله لقد رأيناك

صنعت على سعد مالم تصنعه على أحد انك تبعت جنازته بلارداء و لاحذاء ! فقال ﷺ : إن الملائكة كانت بلاحذاء ولارداء، فتأسّيت بها ، قالوا : و كيف (و كنت خ) تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة ، قال : كانت يدى فى يد جبرئيل آخذ حيثما أخذ (ياخذ خ) فقالوا : أمرت بغسله وصلّيت على جنازته، ولحّدته (فى قبره خ) ثم قلت : ان سعداً أصابته ضمة ؟ قال : فقال ﷺ : نعم انه كان فى خلقه مع أهله سوء .



﴿ كلمات قصار فى الخلق ﴾

غرر حكم و درر كلم عن مولى الموحدين وامام المتقين على بن ابيطالب عليه‌السلام نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ قال أمير المؤمنين على عليه‌السلام: « حسن الخلق رأس كل برّ ».

٢ـ قال عليه‌السلام « أفضل الاخلاق ما حملك على المكارم ».

٣ـ قال عليه‌السلام: « اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم ».

٤ـ قال عليه‌السلام: « رأس العلم التمييز بين الأخلاق واظهار محمودها وقمع مذمومها ».

٥ـ قال عليه‌السلام: « رأس الايمان حسن الخلق والتحلّى بالصدق ».

٦ـ قال عليه‌السلام: « أشرف أخلاق الكريم كثرة تغافله عما يعلم ».

٧ـ قال عليه‌السلام: « ثمرة الادب حسن الخلق ».

٨ـ قال عليه‌السلام: « ثلاث يوجبن المحبة: حسن الخلق وحسن الرفق والتواضع »

٩ـ قال عليه‌السلام: « حسن الخلق للنفس، وحسن الخلق للبدن، حسن الخلق أفضل الدين ».

١٠ـ قال عليه‌السلام: « حسن الخلق من أفضل القسم وأحسن الشيم ».

١١ـ قال عليه‌السلام: « الخلق المحمود من ثمار العقل، والخلق المذموم من ثمار الجهل ».

١٢ـ قال عليه‌السلام: « أحسن شيء الخلق، أقبح شيء الخرق ».

١٣- قال عليه السلام : « أحسن السناء الخلق السجيح ».

١٤- قال عليه السلام: « الخلق السجيح أحد النعمتين ».

١٥- قال عليه السلام : « الاحتمال خلق سجيح » السجيح : اللين السهل.

١٦- قال عليه السلام: « المروّة تحثّ على المكارم ».

١٧- قال عليه السلام: « النصيحة من أخلاق الكرام ، الغش من أخلاق اللئام ».

١٨- قال عليه السلام: « الفضيلة بحسن الكمال ومكارم الاخلاق ، لا بكثرة المال وجلالة الاعمال ».

١٩- قال عليه السلام : « أكرم الحسب الخلق ».

٢٠- قال عليه السلام: « اذا حسن الخلق لطف النطق ».

٢١- قال عليه السلام: « بحسن الاخلاق يطيب العيش ».

٢٢- قال عليه السلام : « بحسن الاخلاق تدر الارزاق ».

٢٣- قال عليه السلام: « حسن الاخلاق يدر الارزاق ويؤنس الرفاق ».

٢٤- قال عليه السلام: « سبب تزكية الاخلاق حسن الادب ».

٢٥- قال عليه السلام: « ستة تختبر بها أخلاق الرجال : الرضا والغضب والامن والرهب والمنع والرغب ».

٢٦- قال عليه السلام : « في سعة الاخلاق كنوز الارزاق ».

٢٧- قال عليه السلام : « كم من وضيع رفعه حسن خلقه ، كم من رفيع وضعه قبح خرقه ».

٢٨- قال عليه السلام : « حسن الخلق يورث المحبة و يؤكد المودة ».

٢٩- قال عليه السلام : « لم يضق شيء مع حسن الخلق ».

٣٠- قال عليه السلام : « حسن الخلق خير قرين ».

٣١- قال عليه السلام : « من كرم خلقه اتسع رزقه ».

٣٢- قال عليه السلام : « من حسنت خليقته طابت عشرته ».

٣٣- قال عليه السلام: « حسن الخلق أحد العطائين ».

٣٤- قال عليه السلام: « من حسن خلقه سهلت له طرقه ».

٣٥- قال عليه السلام: « عنوان فضيلة المرء عقله وحسن خلقه ».

٣٦- قال عليه السلام: « نعم الحسب حسن الخلق ».

٣٧- قال عليه السلام: « نعم الشيم حسن الخلق ».

٣٨- قال عليه السلام: « معالجة الذنوب بالغفران من أخلاق الكرام ».

٣٩- قال: « خير الاخلاق أبعدها عن اللجاج ».

٤٠- قال عليه السلام: « من كرم الخلق التحلى بالقناعة ».

٤١- قال عليه السلام: « قارب الناسَ فى أخلاقهم تأمن غوائلهم ».

٤٢- قال عليه السلام: « خالقوا الناس بأخلاقهم و زايلوهم فى الاعمال ».

٤٣- قال عليه السلام: « خير الخلائق الرفق ».

٤٤- قال عليه السلام: « خوا فى الاخلاق تكشفها المعاشرة ».

٤٥- قال عليه السلام: « ان خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام ».

٤٦- قال عليه السلام: « ما استجلبت المحبة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق»

٤٧- قال عليه السلام: « لاعيش أهنأ من حسن الخلق ، ولاوحشة أوحش من سوء الخلق ».

٤٨- قال عليه السلام: « التقوى رئيس الاخلاق ».

٤٩- قال عليه السلام: « التجمل من أخلاق المؤمنين ».

٥٠- قال عليه السلام: « ان بذل التحية من محاسن الاخلاق ».

٥١- قال عليه السلام: « السخاء والحياء أفضل الخلق ».

٥٢- قال عليه السلام: « الحياء خلق جميل »

٥٣- قال عليه السلام: « أشرف الخلائق الوفاء ».

٥٤- قال عليه السلام: « ان أزين الاخلاق الورع والعفاف ».

٥٥- قال عليه السلام: « اذا رأيت فى غيرك خلقاً ذميماً فتجنب من نفسك أمثاله ».

٥٦- قال عليه السلام: « تخيّر لنفسك من كل خلق أحسنه فان الخير عادة، وتجنب من كل خلق أسوأه »

٥٧- قال عليه السلام: « أفتزهدون فى مكارم الاخلاق ».

٥٨- قال عليه السلام: « أكرم الاخلاق السخاء وأعمها نفعاً العدل ».

٥٩- قال عليه السلام: « السخاء خلق الانبياء ».

٦٠- قال عليه السلام: « السخاء يكسب المحبة ويزين الاخلاق ».

٦١- قال عليه السلام: « العلماء أطهر الناس أخلاقاً وأقلهم فى المطامع أعراقاً »

٦٢- قال عليه السلام: « أربع من أعطاهن فقد اعطى خير الدنيا والاخرة: صدق حديث، وأداء أمانة، وعفة بطن، وحسن خلق ».

٦٣- قال عليه السلام: « أطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً ».

٦٤- قال عليه السلام: « حسن الاخلاق برهان كرم الاعراق ».

٦٥- قال عليه السلام: « من أشرف الاعراق كرم الاخلاق ».

٦٦- قال عليه السلام: « الحزن شين الخلق ».

٦٧- قال عليه السلام: « الكذب شين الاخلاق ».

٦٨- قال عليه السلام: « أربع تشين الرجل: البخل والكذب والشره وسوء الخلق ».

٦٩- قال عليه السلام: « إياك والخديعة، فان الخديعة من خلق اللئيم، اياك والمكر فان المكر لخلق ذميم ».

٧٠- قال عليه السلام: « أقبح الخلائق الكذب ».

٧١- قال عليه السلام: « أقبح الخلق التكبر ».

٧٢- قال عليه السلام: « اقبح الخلق الخيانة ».

٧٣- قال عليه السلام: « أسوأ الخلائق التحلى بالرذائل ».

٧٤- قال عليه السلام: « تجنبوا البخل والنفاق فهما من أذم الاخلاق ».

٧٥- قال عليه السلام : « العسر يشين الاخلاق ويوحش الرفاق » .

٧٦- قال عليه السلام : « العسر يفسد الاخلاق » .

٧٧- قال عليه السلام : « التكلف من أخلاق المنافقين » .

٧٨- قال عليه السلام : « الشره من مساوى الاخلاق » .

٧٩- قال عليه السلام : « بالشره تشان الاخلاق » .

٨٠- قال عليه السلام : « لاخلق أشين من الخرق » .

٨١- قال عليه السلام : « لاأدب لسيء النطق ولاسؤدد لسيء الخلق » .

٨٢- قال عليه السلام : « شر أخلاق النفس الجور » .

٨٣- قال عليه السلام : « من اللؤم سوء الخلق » .

٨٤- قال عليه السلام : « ان الفحش والتفحش ليسا من خلائق الاسلام » .

٨٥- قال عليه السلام : « خلتان لا يجتمعان في مؤمن سوء الخلق والبخل » .

٨٦- قال عليه السلام : « من ضيق الخلق البخل وسوء التقاضى » .

٨٧- قال عليه السلام : « مقارنة السفهاء تفسد الخلق »

٨٨- قال عليه السلام : « شر الاخلاق الكذب والنفاق » .

٨٩- قال عليه السلام : « شر الاخلاق الكبر » .

٩٠- قال عليه السلام : « يستدل على اللئيم بسوء الفعل وقبح الخلق وذميم البخل »

٩١- قال عليه السلام : « السيء الخلق كثير الطيش منغص العيش » .

٩٢- قال عليه السلام : « الخلق السيء أحد العذابين » .

٩٣- قال عليه السلام : « ثلاث لا يهنأ لصاحبهن عيش : الحقد والحسد وسوء الخلق » .

٩٤- قال عليه السلام : « سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس ، و سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الانس » .

٩٥- قال عليه السلام : « من ضاق خلقه ملّه أهله » .

٩٦- قال عليه السلام : « من ساء خلقه ضاق رزقه » .

٩٧- قال ﷺ : « سوء الخلق شؤم » .

٩٨- قال ﷺ : « كل داء يداوى الا سوء الخلق » .

٩٩- قال ﷺ : « سوء الخلق شر قرين » .

١٠٠- قال ﷺ : « سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد » .

١٠١- قال ﷺ : « إياك والخرق فانه شين الاخلاق »



«النميمة والمشاؤون بها»

قال الله تعالى : « هماز مشاز بنميم » القلم : ١١)

نمّ الرجل الحديث نماً : سعى به ليوقع فتنة و إفساداً و شراً أو وحشة ، والنميمة : نقل الحديث من قوم إلى قوم لذلك ، وتطلق غالباً على من ينمّ قول الغير إلى المقول فيه ، كأن يقول : فلان كان يتكلم فيك بكذا و كذا ، ولاتختص النميمة بالقول فيه بل يطلق على ماهو أعم من القول كما في الغيبة .

وحد النميمة : بالمعنى الاعم : كشف مايكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أم المنقول إليه أم كرهه ثالث ، و سواء كان الكشف بالقول أم بالكتابة أم الرمز أو الايماء ، وسواء كان المنقول من الاعمال أم من الاقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه ام لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء الشر وهتك الستر عما يكره كشفه ، بل كل مارآه الانسان من أحوال الناس ، فينبغي أن يسكت عنه الاّ ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصيته ، كما اذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه ، فاما اذا رآه يخفي مالاً لنفسه ، فذكره نميمة وإفشاء للشر، فان كان ماينمّ به نقصاناً اوعيباً .

و أما السبب الباعث : على النميمة فاما إرادة السوء بالمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرّج بالحديث أو الخوض في الفضول ، و كل من حملت إليه النميمة ، وقيل له : ان فلاناً قال فيك : كذا و كذا ، وفعل فيك كذا و كذا وهو يدبر في إفساد أمرك أوفي ممالاة عدوّك أو تقبيح حالك أوما يجري مجراه ،

فعليه ستة امور :

الاول : أن لايصدّقه لان النمام فاسق ، وهومردود الشهادة قال الله تعالى: « إن جاءكم فاسق بنباء فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الحجرات : ٦)

الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبّح له فعله قال الله تعالى : «وامر بالعرف وانه عن المنكر » لقمان : ١٧)

الثالث : أن يبغضه في الله تعالى فان النمام بغيض عندالله جل وعلا، وفيجب بغض من يبغضه الله سبحانه .

الرابع : أن لا تظن بأخيك السوء بمجرد قوله لقوله تعالى : « اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم » الحجرات: ١٢) بل تثبّت حتى تتحقق الحال.

الخامس : أن لا يحملك ما حكى لك على التجسّس والبحث للتحقيق لقوله تعالى : « ولاتجسّسوا » الحجرات : ١٢)

السادس : أن لا ترضى لنفسك مانهيت النمام عنه ، فلا تحكي نميمته ، فتقول : فلان قد حكى لي كذا و كذا ،فتكون به نماماً ومغتاباً فتكون قدأتيت بمانهيت عنه . وقدروى عن الامام على عليه السلام : ان رجلاً أتاه يسعى إليه برجل ، فقال عليه السلام : يا هذا نحن نسئل عماقلت، فان كنت صادقاً مقتناك ، وان كنت كاذباً عاقبناك ، وان شئت أن نقيلك أقلناك قال : أقلني يا أمير المؤمنين و عن الحسن انه قال : من نمّ إليك نمّ عليك ، وفيه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض و لا يوثق بصداقته ، و كيف لايبغض وهولاينفك من الكذب والغيبة والغدروالخيانة والغلّ والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة ، وهوممن سعى في قطع ما أمرالله تعالى به أن يوصل قال الله تعالى : « ويقطعون ما أمرالله به أن يوصل ويفسدون في الارض » البقرة : ٢٧)

وقال تعالى : « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق » الشورى : ٤٢) والنمام منهم .

في الكافي: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا انبئكم بشرار كم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الاحبة، الباغون للبراء المعائب.

اقول: والمراد بالجملة الاخيرة: من يثبت لمن لاعيب له عيباً ليسقطه من أعين الناس، ويحتمل شموله لمن يتجسّس عيوب المستورين ليفشيها عند الناس، وإن كانت فيهم، فالمراد البراء عند الناس.

و في أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم: المشاؤون بالنميمة والمفرّقون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب، اولئك لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولايزكيهم.



﴿الشر و فساد النميمة﴾

ومن غير ريب ان النميمة تفسد القلب الانسانى كما تفسد الصحب ، و توجد بها الفرقة والنزاع والقتال بين الافراد والاسرة والجماعات، وتتدنى بالقائل قبل أن تفسد بين الجماعـة ، و تأكل قلبه و خلقه قبل أن تأكل سلامة المجتمع ، و من فساد النميمة أن يفقد الناس الثقة بعضهم ببعض و يجنى على الابرياء فى معظم الاحايين ، و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى أن ينقل إليه أحد ما يغيّر قلبه على صاحب من أصحابه و كان يقول : « لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئاً فانى احب ان اخرج اليكم و أنا سليم الصدر » .

حكى عن بعض : انه دخل إليه رجل ، فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال البعض له : إن شئت نظر نافى أمرك فان كنت كاذباً فانت من أهل هذه الايـة : « ان جاءكم فاسق بنباء فتبينوا » و ان كنت صادقاً فانت من أهل هذه الايـة : « هماز مشاء بنميم » و إن شئت عفونا عنك فقال : العفو لا أعود إليه أبداً .

فالسعاية قبيحة و ان كانت صحيحة ، مع ما فيها من هتك الستر ، فيجب على المستمع الاعراض لقوله تعالى : « واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه » القصص : ٥٥) فالمستمع شريك القائل ، ومافيها من هيجان الوساوس و بقاؤها فى النفس ، فشرّ النمام عظيم ، هادم لرباط الالفة بين الافراد وفى الاسرة والجماعة . . . يجب على كل مسلم أن يتوقى قائلاً و مستمعاً .

عن حماد بن سلمة : ان رجلاً باع عبداً ، و قال للمشترى : ما فيه عيب الا

النميمة ، فقال : رضيت ، فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه : ان سيدى زوجك لا يحبك و هو يريد أن يتسرى عليك ، فاضطربت و قالت : ما افعل به ؟ قال العبد : خذى الموسى و احلقى من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحر عليه ، فيحبك، ثم قال للزوج : ان امرأتك أخذت خليلاً، وتريد ان تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك ، فتناوم فجائت امرأته بالموسى فظن أنها تريد قتله ، فقام إليها فقتلها، فجاء الغلام بسرعة أهل المرأة ، فأخبرهم بعمل مولاه فجاؤا به ، فلما رأوه بذلك قتلوه و جاء الغلام أهل الزوج ،.فاخبرهم بعمل أهل الزوجة ، فجاؤا فلما رأوهم بذلك وقع القتال بين القبيلتين و طال الامر بينهم .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « النمام سهم قاتل » .

وفيه : قال عليه السلام : « النمام جسر الشر » .

و فى وسائل الشيعة : عن الربيع صاحب المنصور ان الصادق عليه السلام قال للمنصور : لاتقبل فى ذى رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرّم الله عليه الجنة و ماواه النار ، فان النمام شاهد زور ، و شريك ابليس فى الاغراء بين الناس ، و قد قال الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله أوحى إلى موسى أن بعض أصحابك ينمّ عليك فاحذره ، فقال: يارب لا أعرفه . فأخبرنى به حتى أعرفه فقال: ياموسى عبت عليه النميمة و تكلّفنى أن أكون نماماً ؟ فقال : يا رب و كيف أصنع ؟ قال : يا موسى فرّق أصحابك عشرة عشرة ، ثم تقرع بينهم، فان السهم يقع على العشرة التى هو فيهم ثم تفرّقهم و تقرع بينهم ، فان السهم يقع عليه ، قال : فلما رأى الرجل ان السهام تقرع قام ، فقال: يارسول الله أناصاحبك لا والله لا اعود أبداً.

و فى رواية : ان موسى عليه السلام استسقى لبنى اسرائيل ـ حين أصابهم قحط ـ فاوحى الله إليه : « لا أستجيب لك ، ولا لمن معك ، و فيكم نمّام قد أصرّ على

النميمة » فقال : يا رب ! و من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : « يا موسى ! أنهاكم عن النميمة و أكون نماماً ؟ » فتابوا بأجمعهم فسقوا .

و فى احقاق الحق : قال الامام جعفر محمد الصادق عليه السلام فى حديث:- « و إياك والنميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال » الحديث .

أقول : ومن غير ريب ان قبول السعاية شرمن السعاية لان السعاية دلالة والقبول إجازة ، و ليس من دلّ على قبيح كمن أجازه و عمل به ، فيجب على كل مسلم و مسلمة أن يطرد النمام عن عمله و يقصى عن بابه ، فانه لو لم يكن فى سعايته كاذباً لكان فى صدقه لئيماً ، إذ لم يرع الحرمة ، و لم يستر العورة .

وقوله عليه السلام : « الشحناء » أى العداوة التى امتلأت منها النفس .

و فى الاختصاص : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان شرّ الناس يوم القيامة المثلّث قيل : وما المثلّث يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : الرجل يسعى بأخيه إلى إمامه فيقتله ، فيهلك نفسه و أخاه و إمامه .

أقول : ليس المراد بالامام اماماً معصوماً عليه السلام بل انما المراد به الحاكم سواء كان حقاً غير معصوم أم جوراً .

وفى الامامة والتبصرة : عن ابن فضال عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : شر الناس المثلث ، قيل : يارسول الله و ما المثلث ؟ قال : الذى يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه و يهلك أخاه و يهلك السلطان .

و فى رواية : قال الامام على عليه السلام : « النميمة شر رواية » .

و فى رواية : قال على عليه السلام : « اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتبعد عن الله و عن الناس » .

و فيها : قال على عليه السلام : « أسوأ الصدق النميمة » .

و فيها : قال عليه السلام ايضا : « بئس الشيمة النميمة » .

و فيها : قال عليه السلام ايضاً : «من سعى بالنميمة حاربه القريب ومقته البعيد» .

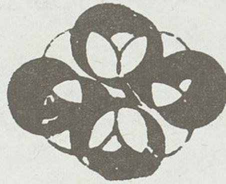
و فيها : قال عليه السلام أيضاً : « لا يجتمع أمانة و نميمة » .

و فيها : قال عليه السلام أيضاً : «أكذب السعاية والنميمة باطلة كانت أم صحيحة» .

وفيها : قال عليه السلام أيضا : « النميمة شيمة المسارق » .

فالنميمة من ضروب الكذب ، و هي من أشد الشرور التي تصيب الفرد والمجتمع ، والتي تدل على أن صاحبها ذو نفس مريض لاهمّ له الاّ رؤية الناس متعادين متخاصمين ، و ان أكبر سلاح يحارب به هؤلاء هو عدم الاستماع لهم ، و هذا ما يأمرنا الله تعالى به في قوله : « ولا تطع كل حلاف مهين همّاز مشاء بنميم » القلم : ١٠ - ١١) .

فالمشاء بنميم : هو النقّال للحديث من قوم إلى آخرين لان يفسد بينهم ، و لذلك نهى الله جل و علا عن تصديقه و طاعته .



النميمة و عذاب القبر

و قد وردت روايات كثيرة فى أن النميمة توجب عذاباً شديداً فى القبر للنمام مضافاً إلى عذاب الآخرة ، فنشير إلى نبذة منها :

١- فى العلل باسناده عن زيدبن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : عذاب القبر يكون فى النميمة ، والبول ، وعزب الرجل عن أهله .

اقول : ان المراد بالبول البول فى الطرق النافذة ، والماء الراكد ، و من إستقبال القبلة والريح واستقبال قرصى الشمس والقمرحين البول ، و تحت الأشجار المثمرة ، و كذا البول من غير طهارة كما هو من دأب بعض المنافقين والبول قائماً ، وغيرذلك من نواه البول . . .

٢- فى دعوات الراوندى : روى ابن عباس : ان عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث للغيبة وثلث للنميمة ، وثلث للبول .

٣- وفى رواية : عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبرين فقال : « انهما ليعذبان ، ومايعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لايستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » .

٤- فى ثواب الاعمال : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فى خطبة له : و من مشى فى نميمة بين اثنين سلط الله عليه فى قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة ، و اذا خرج من قبره سلط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار .

٥- فى تحف العقول : فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلى احذرالغيبة والنميمة فان الغيبة تفطر ، والنميمة توجب عذاب القبر .

﴿النميمة وحرمان الجنة﴾

فى مكارم الاخلاق : فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر رضوان الله تعالى عليه فى حديث طويل - : يا أباذر لايدخل الجنة قتّات ، قلت : وما القتّات؟ قال : النمام .

و فى ثواب الاعمال : باسناده عن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : حرمت الجنة على النمام ، ومدمن الخمر ، والديوث و هو الفاجر.

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لايدخل الجنة سفّاك الدم ، ولامدمن الخمر ، ولا مشاء بنميم .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايدخل الجنة نمام .

و فى رواية : قال الباقر عليه السلام : الجنة محرمة على المغتابين والمشائين بالنميمة .

و فى الكافى : باسناده عن محمد بن قيس عن أبى جعفر عليه السلام قال: محرّمة الجنة على القتّاتين المشائين بالنميمة .

و فى امالى الصدوق : رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبى سعيد هاشم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أربعة لايدخلون الجنـة : الكاهن والمنافق و مدمن الخمر والقتات و هو النمام .

وفيه : فى مناهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه نهى عن النميمة والاستماع إليها وقال: لايدخل الجنة قتات يعنى نماماً ، و قال صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله عزوجل : حرّمت الجنة

على المنان والبخيل والقتات و هو النمام .

وفيه : باسناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة يؤذون (تؤذون خ) أهل النار على مابهم من الاذى يسقون من الحميم والجحيم ، ينادون بالويل والثبور ، فيقول أهل النار بعضهم لبعض : مابال لهؤلاء الاربعة قد آذونا على مابنا من الأذى ، فرجل معلّق عليه تابوت من جمر ، و رجل تجرى (تجرّ خ) أمعاؤه ، و رجل يسيل فوه قيحاً و دماً، و رجل يأكل لحمه ، فيقال لصاحب التابوت : مابال الأبعد قدآذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد مات و في عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء و لا وفاء ثم يقال للذي تجرى أمعاؤه : ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا الأذى ؟ فيقول : ان الابعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده ، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً و دماً : مابال الابعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابعد كان يحاكي فينظر (ينظر خ) إلى كل كلمة خبيثة فيسندها (فيفسدبها خ) و يحاكي (فيحاكي خ) بها ثم يغتاب الناس ثم يقال للذي يأكل لحمه : مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى؟ فيقول : ان الابعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة و يمشي بالنميمة .

﴿النمام والعذاب وترك النمامة والنجاة﴾

وقد وردت في المقام روايات كثيرة لايسعها ، فنختم سورة القلم بذكر نبذة منها :

في وسائل الشيعة : في وصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لابي ذر رضوان الله تعالى عليه : يا أباذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الاخرة .

و في عيون الاخبار : باسناده عن عبدالعظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لما اسرى بي رأيت امرأة رأسها رأس خنزير ، و بدنها بدن الحمار ، و عليها ألف ألف لون من العذاب ، فسئل ما كان عملها ؟ فقال : انها كانت نمامة كذابة .

وفي منهاج العابدين : ان تلميذاً للفضيل بن عياض حضرته الوفاة ، فدخل عليه الفضيل و جلس عند رأسه و قرأ سورة (يس) فقال يا استاذ لا تقرأ هذه ، ثم سكت ثم لقنه ، فقال : لا اله الا الله فقال : لا أقولها لاني بريء منها و مات على ذلك ، فدخل الفضيل منزله ، و جعل يبكي أربعين يوماً لم يخرج من بيته ثم رآه في النوم ، وهو يسحب إلى جهنم فقال : بأي شيء نزع الله المعرفة عنك و كنت أعلم تلاميذي ؟ فقال بثلاثة :

أولها بالنميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك ، والثاني بالحسد حسدت أصحابي ، والثالث كان لي علة فجئت إلى الطبيب وسئلته عنها فقال : تشرب في كل سنة قدحاً من الشراب فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربه .

و **فى أمالى الصدوق** رضوان الله تعالى باسناده عن يونس بن ظبيان عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : بينا موسى بن عمران عليه السلام يناجى ربه عزوجل اذ رآى رجلاً تحت ظل عرش الله عزوجل فقال : يارب من هذا الذى قد أظلّه عرشك ؟ فقال : هذا كان باراً بوالديه و لم يمش بالنميمة .

تمت سورة القلم والحمد لله خالق العالم
وصلى الله على محمد وآله وسلم

سورة الحاقة مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة (١) ما الحاقة (٢) وما أدراك ما الحاقة (٣) كذبت ثمود وعاد بالقارعة (٤) فأما ثمود
فأهلكوا بالطاغية (٥) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من
باقية (٨) وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة (٩) فعصوا رسول ربهم فأخذهم
أخذة رابية (١٠) إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية (١١) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
أذن واعية (١٢) فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة (١٣) وحملت الأرض والجبال فدكتا
دكة واحدة (١٤) فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦)
والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية (١٨) فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه (١٩) إني
ظننت أني ملاق حسابيه (٢٠) فهو في عيشة راضية (٢١) في جنة عالية (٢٢) قطوفها
دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية (٢٤) وأما من أوتي
كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه (٢٥) ولم أدر ما حسابيه (٢٦) يا ليتها كانت القاضية (٢٧)

مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ
فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾
لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ
كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾
تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ
لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ
أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

«فضلها و خواصها»

فى ثواب الاعمال : باسناده عن جابرعن أبى جعفر عليه السلام قال : أكثروا قراءة سورة الحاقة ،فان قرائتهافى الفرائض ، والنوافل من الايمان بالله ورسوله لأنها إنما انزلت (نزلت خ) فى أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية ، ولم يسلب قاريها دينه حتى يلقى الله عزوجل .

اقول : رواه البحرانى فى البرهان والحويزى فى نور الثقلين ، والشيخ الحر العاملى فى وسائل الشيعة والمجلسى فى البحار .

وفى المجمع : وروى جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السلام قال : أكثروا من قراءة الحاقة فان قرائتها فى الفرائض والنوافل من الايمان بالله ورسوله ، و لم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله .

أقول : وذلك لأن التدبر فيما جاء فى هذه السورة من أهوال القيامة و شدائدها ، ومآل أمر طائفتى الايمان و الكفر إلى الجنة والنار يوجب الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم واستمرار الايمان إلى لقاء الجزاء يوم الاخرة .

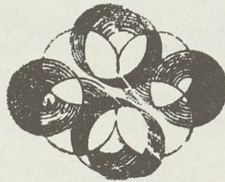
وأما نزول السورة فى الامام على عليه السلام لنزول آية الاذن الواعية فيه عليه السلام ونزولها فى معاوية لتوليه زمام السلطنة إزاء الخلافة فى الاسلام فعصى الشريعة الاسلامية و قد اشير إلى سلطنة فرعون مصر فى هذه السورة فمعاوية بن سفيان عليهما الهاوية وفرعون الذى عصى الرسول فى شرع سواء .

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :من قرأ هذه السورة حاسبه

الله حساباً يسيراً ، ومن كتبها وعلقها على إمرأة حامل حفظ مافى بطنها باذن الله تعالى ، و ان كتبت وغسلت وسقى ماؤها طفلاً يرضع اللبن قبل كمالها ، فطامه خرج زكياً حافظاً .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : إذا كتبت وعلقت على حامل حفظت الجنين و سقى منها الولد ذكاه وسلمه الله تعالى ، ونشأ أحسن نشوه باذن الله تعالى .

أقول : و فى سندالروايتين الاخيرتين ما لا يخفى على القارىء الخبير ، ولكن مفاهيمهما غير بعيد .



﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لمآل أمر الكفر إلى الهلاك والدمار لاهله فى الحياة الدنيا وإلى النار والعذاب فى الاخرة وان هذا هو شأن الكفر من غير فرق بين كفر الاولين و كفر الاخرين ، فشأن كفار العرب هو شأن الكفار السابقين ومصيرهم هو نفس المصير .

وقد جاء ذكر مصير أهل التقوى واليقين فى سياق مصير أهل الكفر والعصيان للمقابلة والتنويه ولبعث الطمأنينة والاستبشار والرغبة فى صالح العمل فى المؤمنين كما ان وصف مصير الكفار مفزعاً يثير الخوف ويحمل على الارعواء ، جرياً على الاسلوب القرآنى .

وفى السورة : تذكير لكفار العرب بما كان من تكذيب الاقوام السابقين لرسلهم وما اقترفوه من آثام ومعاص ، وماكان من إنصباب بلاء الله تعالى المتنوع عليهم حينما يحق و يحل فى قوم من الاقوام ، و تنبيههم إلى ما يجب عليهم من الاعتبار والاتعاظ ، و إنذارهم بما يمكن أن يصيبهم من عذاب و بلاء ربانى مثل أمثالهم الاولين ، فكما أهلك الله تعالى المكذبين الكافرين العاصين الاولين بأنواع البلاء فى الدنيا و أعدّلهم أنواع العذاب فى الاخرة ، فكذلك شأن كفار الاخرين ، وانه لحسرة على الكافرين .

﴿النزول﴾

سورة الحاقة مكية نزلت بعد سورة الملك وقبل سورة المعارج ، و هي السورة الثامنة والسبعون نزولاً ، والتاسعة والستون مصحفاً ، وتشتمل على ثنتين وخمسين آية ، سبقت عليها / ٤٢٢٢ آية نزولاً و / ٥٣٢٣ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على / ٢٥٦ كلمة ، وقيل : ٢٥٩ كلمة ، و قيل : ٤٨٠ كلمة ، و على ١٤٨٠ حرفاً ، وقيل : ١٠٣٤ حرفاً ، وقيل : ١٠٨٤ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في أسباب النزول للواحدي النيسابوري باسناده عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : ان الله أمرني أن أدنيك ولاأقصيك ، وأن أعلمك وتعي وحق على الله أن تعي ، فنزلت : « وتعيها اذن واعية » .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن جابر قال : نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الاية : « وتعيها اذن واعية » فسئله أن يجعلها أذن عليّ ففعل .

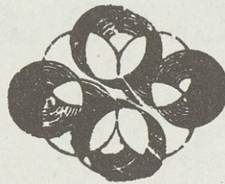
أقول : ومما أجمع عليه المفسرون ان هذه الاية نزلت في الامام علي عليه السلام وقد وردت روايات كثيرة في المقام عن الطريقين نشير الى نبذة منها تحت عنوان « الامام علي عليه السلام اذن واعية » ستقرأها انشاء الله تعالى .

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قوله عزوجل « فاما من اوتي كتابه بيمينه . . . الخ » نزلت في علي عليه السلام و جرت في أهل

اقول : وذلك لما ورد صحيحاً عن الطريقين : مامن آية نزلت في أهل الايمان إلا وعلي عليه السلام أميرهم .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « و امامن اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه . . إلى آخر الايات » قال : نزلت في معاوية .

وروى : ان الوليد قال : ان محمداً ساحر ، وقال أبوجهل : انه شاعر ، و قال عتبة : انه كاهن ، فنزلت الايات رداً عليهم : « فلا اقسم بما تبصرون و مالا تبصرون انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون».



﴿القراءة﴾

قرأ حمزة وأبوعمرو « وما أدراك » بالامالة ، وقرأ أبو عمرو « ومن قبله » بكسر القاف و فتح الباء ، والآخرون بفتح القاف وسكون الباء و قرأ إبن كثير « وتعيها » بسكون العين مختلساً وهو بين الكسر والسكون وقرأ حمزة «وتعيها» بالسكون والباقون بكسر العين ، وقرأ نافع « اذن » باسكان الذال والباقون بالضم وقرأ حمزة «لا يخفى» بالياء تذكيراً والباقون «لا تخفى» بالتاء تأنيثاً .

و قرأ حمزة « مالى » و « سلطانى » بحذف الياء منهما وصلاً والباقون باثباتها فيهما وقفاً ووصلاً ، و قرأ إبن كثير و إبن عامر « يؤمنون » بياء الغيبة والباقون بالتاء ، وقرأ نافع « تذكرون » بتاء الخطاب وتشديد الذال ، والباقون بياء الغيبة مع التشديد .

﴿الوقف والوصل﴾

« الحاقة لا » لأن مابعدها خبرها ، و « ما الحاقة ج »لاحتمال الواو بعدها الحال والاستيناف ، و« وماأدراك ما الحاقة ط » لتمام الكلام ، و « عاتيـة لا » للبيان الآتى و « أيام لا» لأن « حسوماً» نعت من ثمانية » و«صرعى لا» لأن مابعده صفة و « خاوية ج » للاستفهام مع الفاء و «باقية ط » لتمام الكلام .

« بالخاطئة ج » لتمام الكلام مع الفاء و« رابية ى » علامة العشر التى توضع عند انتهاء عشر آيات ، و «الجارية لا » للتعليل الآتى ، و« واحدة لا » للعطف ، « والواقعة لا » كالمتقدم ، و« واهية لا» لماتقدم، و«أرجائها ط » لاختلاف النظم ، و « ثمانيه ط » لتمام الكلام ، و « كتابيه ج» و « حسابيه ج » لتمام الكلام والفاء، و« راضية لا» و « عالية لا»للصفة الآتية ، و « كتابيه ج » لتمام الكلام والواو التى تحتمل العطف و« حسابيه ج » و«القاضية ج » و «ماليه ج » و« سلطانيه ج » كلها جائزات وتفصيلات بين النداءات مع اتحاد المقولات .

و« فغلوه لا » لمكان « ثم» للعطف و « صلوه لا» لماتقدم ، و « فاسلكوه ط» لتمام الكلام .

« العظيم لا» للعطف « المسكين ط » لتمام الجملة و « حميم لا » للعطف و « غسلين لا » للنعت و«الخاطئون ع » علامة إنتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين ، و «تبصرون لا » للعطف و«تبصرون لا»لجواب القسم و« كريم ج » لاحتمال الواو بعدها الحال والاستيناف .

« شاعر ط » لتمام الكلام، و « تؤمنون لا » للعطف ، و « كاهن ط »لتمام الجملة ،و « تذكرون ط » لماتقدم اى هوتنزيل . . و « الاقاويل لا » للجواب الآتى ، و « باليمين لا » للعطف ، و « الوتين ز » والوصل أجوز لدخول الفاء و اتحاد الكلام ، و« المكذبين لا » لرجوع الضمير الآتى إلى السابق .



﴿ اللغة ﴾

٣٧ - الحسم والحسوم - ٣٢٥

حسم الشيء يحسمه حسماً وحسوماً - من باب ضرب - : قطعه و استأصله والحسم : إزالة أثر الشيء ، يقال : قطعه فحسمه : أزال مادته .

و رأى حاسم : قاطع بات ، والحسوم : الشؤم والدؤوب في العمل .

قال الله تعالى : « سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوماً » الحاقة : ٧٠) وصف بالمصدر ، ومعناها حاسمات : قاطعات الخير عن أهلها ، تباعاً متوالية مستأصلات . و منه دعاء الاستسقاء : « لا تجعل برده علينا حسوماً » .

و في الحديث : « انه اتى بسارق فقال : اقطعوه ثم احسموه » أي اقطعوا يده ثم اكووها بالنار لينقطع بالدم .

يقال : حسمت العرق : قطعته ثم كويته لئلا يسيل دمه ، وحسم الداء بالدواء : قطعه به و أزال أثره بالكي .

المحسمة : الباعث على القطع ، يقال : هذا محسمة للداء أي يقطعه ، و في الحديث : « عليكم بالصوم فانه محسمة للعرق » أي مقطعة للنكاح .

والمحسمة : المنع ، والحيسمان : الضم الآدم . وحسماً للباب أي قطعاً للوقوع قطعاً كلياً ، والحسام : السيف القاطع ، وحسام السيف : طرفه الذى يضرب به .

٢٣ - الصرعى - ٨٥٣

صرع الشيء يصرعه صرعاً - بفتح الصاد و كسرها - و مصرعا - من باب منع - : طرحه على الارض، فهو مصروع و ذاك صريع، و جمعه : صرعى، وهو الذى ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة إذ قال تعالى : «فترى القوم فيهاصرعى» الحاقة : ٧) الصريع : القضيب من الشجر ينهصر إلى الارض، فيسقط عليها، و أصله من الشجر، فيبقى ساقطاً فى الظل لاتصيبه الشمس، فيكون ألين من الفرع . و فى الحديث : « سئلته عما صرع المعراض من الصيد » أى طرحه .

و يقال : تركتهم صرعين : ينتقلون من حال إلى حال .

و فى الدعاء : « و أعوذ بك من سقم مصرع » و هو المفضى بصاحبه إلى الصرعة، ومنه الحديث : « انه صرع عن دابة فجحش شقه » أى سقط عن ظهرها، و يقال : صرعهم ريب المنون، و صرع الشعر : طرحه، والتصريع فى الشعر : تقفية المصراع الاول، والمصراع من الشعر : نصف البيت، و له مصراعان : أولهما صدر، والثانى عجز، جمعه : مصاريع تشبيهاً بمصراعي الباب، و صرع فلان الباب : جعله ذامصراعين .

صرعان : إبلان ترد أحدهما حين تصدر الاخرى لكثرتها، و يقال : هو ذوصرعين أى ذولونين، والصرعان : الليل والنهار، و قيل : الغداة والعشى من غدوة إلى الزوال صرع، و إلى الغروب صرع آخر، و رجل صرّاع - مبالغة - كشداد - : شديد الصرع، وإن لم يكن معروفاً بذلك، والصريع : الكثير الصرع، لأقرانه، والصريع: القوس التى لم ينحت منهاشيء، والتى جف عودها على الشجر، و كذلك السوط اذا لم ينحت منه شيء والصريع : المجنون، صرع الانسان صرعاً : جنّ .

الصرعان : المثلان، والصرعة - بضم الصاد - : الحليم عندالغضب لان حلمه

يصرع غضبه ، والصرع : الضرب والفن من الشيء .

مصارع الشهداء : امكنتهم التي صرعوا فيها ، و في الحديث : « صنائع المعروف تقى مصارع الهوان » .

٧٧ - واهية - ١٧١٠

و هى الثوب يهى وهياً - من باب ضرب نحو وقى - : تخرّق و انشق ، و وهى فلان ضعف و استرخى ، و وهى السقاء والقربة والحبل : استرخى و انشق وخرق ، و وهى الشيء : بلى ، و من هذا يقال : وهى الشيء المشدود اذا استرخى رباطه ، و زايله إستمساكه ، ويقال : و هى السقاء : تخرّق والوصف واه جمعه : و اهون و وهاة ، و واهية .

قال الله تعالى : « و انشقت السماء فهى يومئذ واهية » الحاقة : ١٦) أى ضعيفة ، مسترخية ساقطة القوة بعد أن كانت صلبة مستمسكة و فى الحديث : « الفأرة توهى السقاء » أى تخرقه .

وهى السحاب: انبثق شديداً ، و وهى الرجل : حمق وسقط ، و وهى الحائط : سقط ، أو يكاد أن يخرب .

وفى حديث الامام على عليه السلام مع الرجلين : « واهاً لهما فقد نبذا الكتاب جملته » قيل : معنى هذه الكلمة « واهاً » التلهف ، و قد توضع موضع الاعجاب بالشيء يقال له : « واهاًله » و قد ترد بمعنى التوجع يقال فيه : «آهاً» و منه قوله : « إن يكن خير فواهاً واهاً و إن يكن شراً فواهاً واهاً »

٨ - الوتين - ١٦٤١

وتن يتن وتناً - من باب ضرب نحو : وعد - : أصاب وتينه .

وتن الماء وتوناً وتنة : دام ولم ينقطع ، و وتن فلان بالمكان و وتوناً: ثبت

و أقام به .

الوتين : عرق فى القلب إذا قطع مات صاحبه ، وهو الشريان الرئيس الذى يغذى جسم الانسان بالدم النقى الخارج من القلب ، وجمع الوتين : أوتنة ووتن.

قال الله تعالى : « لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » الحاقة: ٤٦)

وفى حديث غسل النبى الكريم ﷺ : « والفضل يقول : أرحنى أرحنى قطعت وتينى أرى شيئاً ينزل علىّ » .

إستوتن الابل : إذا غلظ وتينها من السمن .

الواتن: الشيء الثابت الدائم الراكد فى مكانه ، والوتن: الدوام على العهد، والمواتنة : الملازمة فى قلة التفرّق، والواتن: الماء المعين الدائم الذى لايذهب.

و فى الحديث : « أماتيماء فعين جارية و أما خيبر فماء واتن » أى دائم لا يجرى .

واتن القوم دارهم : أطالوا الاقامة فيها، والمواتنة : المماطلة والمطاولة ، والوتنة : ملازمة الغريم ، والوتنة : المخالفة .

والوتن: أن تخرج رجلا المولود قبل رأسه ، و أو تنت المرأة : إذا وضعت ولدها معكوساً .

«النحو»

١ - (الحاقة)

« الحاقة » خبر لمبتداء محذوف أي هذه الحاقة ، وهي في الاصل صفة لكل حادثة ثابتة ثم خرجت عن الوصف ، و صارت علماً ليوم القيامة ، و إن كان فيها ايماء إلى أصل معناها أيضاً و مثلها «الواقعة» و «القارعة» ، و قيل : مبتداء و ما بعده الخبر .

٢ - (ما الحاقة)

«ما» إستفهامية في موضع رفع على الابتداء و «الحاقة» خبره ، وعلى ماقيل سابقاً ان الجملة خبر من «الحاقة» الاولى ، و في الاظهار موضع الاضمار تفخيم و تعظيم أي الحاقة ما هي ، و لهذا جاز أن يقع المبتداء الثاني و خبره خبراً عن الاول .

٣ - (و ما أدراك ما الحاقة)

«ما» إستفهامية في موضع رفع على الابتداء ، و « أدراك» أدرى فعل ماض من باب الافعال ، والكاف في موضع نصب ، مفعول به الاول والجملة خبر للمبتداء و «ما» مبتداء و «الحاقة» خبره والجملة في موضع نصب ، مفعول ثان لفعل الادراك و لم يعمل «أدراك» في «ما» لأنها إستفهامية ، و لا يعمل في الاستفهام ما قبله .

٤ - (كذبت ثمود و عاد بالقارعة)

« كذبت» فعل ماض من باب التفعيل ، وجاء بالتأنيث باعتبار جماعة فاعله ،

و «بالقارعة» متعلق بفعل التكذيب على حذف الموصوف أى بالصيحة القارعة، ويحتمل حذف المضاف أى يوم القارعة، وقيل: ان المراد بالقارعة: الحاقة وهى يوم القيامة، والاصل: كذبت ثمود وعاد بها أى بالحاقة، فوضعت القارعة موضع الضمير تنبيهاً على معنى الروع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها و لا ريب انها تفزع الناس بالافزاع والاهوال: السماء بالانشقاق، والارض بالدك، والنجوم بالطمس، والجبال بالنسف والسير، والشمس بالتكوير و غير ذلك...

٥ - (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية)

«أما» حرف تفصيل، وفيها معنى الشرط للزوم الفاء، والتزم حذف شرطها، و عوّض بينهما عن فعلها جزء مما فى حيّزها، و «فاهلكوا» الفاء جزائية، و مدخولها فعل ماض من باب الافعال مبنى للمفعول، وجمعه باعتبار معنى الجماعة فى «ثمود» و «بالطاغية» متعلق بفعل الاهلاك على حذف الموصوف أى بالصيحة الطاغية، فان ذكر العذاب فى قوله تعالى: «و أما عاد فاهلكوا بريح صرصر» إقتضى ذلك كى يكون المعطوف كالمعطوف عليه، وقيل: بفعل النفس الطاغية، فحذف المضاف والموصوف، و هو عاقر الناقة، وقيل: بل الطاغية للطغيان أى أهلكوا بطغيانهم كالكاذبة، و قيل: «الطاغية» مصدر كالعافية، وقيل: إسم فاعل بمعنى الزائدة.

٦ - (و أما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية)

عطف على ما قبله، و «صرصر» صفة من «بريح» و «عاتية» صفة ثانية.

٧- (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كانهم أعجاز نخل خاوية)

مسأنف أو نعت من السابق و «سخر» فعل ماض من باب التفعيل، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى وضمير «ها» فى موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «ريح» و «سبع ليال» مفعول فيه و «ليال» جمع ليلة من منتهى الجموع

على حذف الياء، و «ثمانية أيام» عطف على ما قبله، و «أيام» جمع قلة، وفى نصب «حسوماً» وجوه: أحدها - أن يكون صفة من «سبع ليال و ثمانية أيام» أى متتالية متتابعة من غير فتور و لا انقطاع. ثانيها - أن يكون مصدراً لفعل محذوف أى يستأصل إستئصالاً أو، يحسمهم حسوماً والجملة نعت من «سبع ليال...» ثالثها - أن يكون جمع حاسم كراقد و رقود وساجد وسجود و شاهد و شهود، و على هذا فيكون منصوباً، صفة من «سبع ليال و ثمانية أيام» أى متتابعات لا تنقطع حتى تقطعهم رابعها - أن يكون وصفاً بالمصدر أى ذات حسوم. خامسها - أن يكون مفعولاً له.

«فترى» فعل مضارع، خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من رؤية البصر، و «القوم» مفعول به و ضمير «فيها» راجع إلى الجهات أو إلى الليالى والايام، و «صرعى» فى موضع نصب على الحال من «القوم» و «كأنهم أعجاز نخل» فى موضع نصب على الحال من الضمير فى «صرعى» على تقدير: مشبهين أعجاز نخل، و «خاوية» صفة من «نخل» و جائت بالتأنيث لأن النخل يجوز فيه التأنيث كما يجوز فيه التذكير فى نحو قوله تعالى: «أعجاز نخل منقعر» القمر: ٢٠) و يحتمل أن يكون التأنيث فى المقام لرعاية الفواصل.

٨ - (فهل ترى لهم من باقية)

«من باقية» نعت من موصوف محذوف أى من حالة باقية، وقيل: أى من نفس باقية وقيل: أى من فرقة باقية، وقيل: أى هل تجد لهم أحداً باقياً وقيل: «من» زائدة، و قيل: «باقية» مصدر بمعنى البقاء اريد به البقية كالعافية.

٩ - (و جاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة)

«و من» موصولة فى موضع رفع، عطف على «فرعون» و «قبله» معرب للاضافة لفظاً، والفتح لكونه خبراً لكان مقدراً أى و جاء من كان قبل فرعون، و «المؤتفكات» جمع المؤتفكة عطف على «فرعون» و «بالخاطئة» متعلق بفعل المجيىء، و هى مصدر بمعنى الخطأ كالعافية، و قيل: وصف أى الافعال ذوات

الخطأ العظيم.

١٠- (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)

«فعصوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، وضميره راجع إلى «فرعون و من قبله والمؤتفكات» و « رسول ربهم » مفعول به، و « فأخذهم» الفعل ماض، فاعله: ضمير مستتر فيه راجع إلى الرب تعالى، و ضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، و «أخذة» مفعول مطلق للنوع، و «رابية» صفة لـ «أخذة».

١١ - (انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية)

«لما » اذا دخلت على الماضى كانت لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى، وان الاولى بمنزلة الشرط، والثانية بمنزلة الجزاء و «حملنا» فعل ماض للتكلم مع غيره، و « كم» في موضع نصب، مفعول به على حذف المضاعف أي حملنا آباءكم المؤمنين، و «في الجارية» متعلق بـ «حملنا» و كان التقدير: لما طغى الماء فانا حملناكم في الجارية، فحذفت الفاء لنقل مدخولها من الجزاء، و تقدمها على الشرط.

١٢ - (لنجعلها لكم تذكرة و تعيها اذن واعية)

«لنجعلها» اللام تعليلية، و مدخولها فعل تكلم مع غيره من المضارع، منصوب بـ «أن» مقدرة، وضمير التأنيث في موضع نصب، مفعول به الاول، راجع إلى تلك الواقعة والحالة و هي نجاة المؤمنين و إغراق الكافرين فانها تذكرة لمن تذكر و عبرة لمن اعتبر، و قيل: راجع إلى «الجارية» وقيل: راجع إلى الحمل باعتبار انه فعلة أي فعلنا بكم تلك الفعلة و «تذكرة» مفعول ثان، و «تعيها» منصوب بـ «أن» مقدرة عطفاً على «لنجعلها» والضمير، في موضع نصب، مفعول به راجع إلى « تذكرة » و « اذن » فاعل الفعل و « واعية » صفة من « اذن » وتانيث «واعية» باعتبار تانيث « اذن » معناً لتصغيرها باذينة، و من المحتمل أن يكون للفواصل.

١٣ - (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)

«نفخ» فعل ماض مبنى للمفعول ، و «نفخة» نابت مناب الفاعل، و «واحدة» صفة مؤكدة ل «نفخة» إذ لا تكون النفخة إلاّ واحدة كقوله تعالى : « لا تتخذوا إلهين اثنين » النحل : ٥١) على أن «اثنين» تأكيد للالهين .

١٤ - (و حملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة)

عطف على «نفخ » و «فد كتا» الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل ماض لتثنتين، مبنى للمفعول ، و «د كة» مصدر نوعى ، و «واحدة» صفة مؤ كدة أيضاً حيث ان «د كة»تفيد الوحدة .

١٥ - (فيومئذ وقعت الواقعة)

الفاء جزائيـة ، و مدخولها ظرف لفعل الوقوع ، والجملة جزاء للشرط المتقدم «اذا» .

١٦ - (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية)

« انشقت» فعل ماض من باب الانفعال عطف على ما تقدم ، و «فهى» الفاء للتفريع ومدخولها مبتداء و «يومئذ» ظرف متعلق ب«واهية» وهى خبر المبتداء .

١٧ - (والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئـذ ثمانية)

الواو تحتمل الحال والاستيناف، و «الملك» مبتداء و «على أرجائها» متعلق بمحذوف وهو الخبر، والضمير راجع إلى «السماء» و «ويحمل» فى الواو احتمالان كالسابقة و«يحمل» فعل مضارع، و «عرش ربك» مفعول به و «فوقهم يومئذ» ظرفان متعلقان بفعل الحمل ، وضمير الجمع راجع إلى «ثمانية» و هذا من باب الاضمار قبل الذكر وهذا جائز لانه بعده حكماً كقوله : « فى بيته يؤتى الحكم » و «ثمانية» فاعل الفعل على حذف المعدود أى ثمانية أيام أو أفراد أو أنفار من الملائكة ، حذف للفواصل .

١٨ - (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

«يومئذ» ظرف متعلق بـ «تعرضون» وهذا فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر، مبنىّ للمفعول، و «لا» نافية و «منكم» متعلق بفعل الخفاء و «خافية» فاعل الفعل، والجملة فى موضع نصب، حال من الفاعل النيابى فى «تعرضون».

١٩ - (فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)

«أما» حرف تفصيل، و «من» شرطية و «اوتى» فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال، و «كتابه» مفعول به الثانى قام مقام الاول، و «بيمينه» متعلق بفعل الايتاء والجملة شرطية، و «فيقول» الفاء جواب لـ «اما»، و «هاؤم» إسم فعل بمعنى: خذوا، على تقدير: خذوا كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه، و «كتابيه» منصوب بـ «اقرؤا» وفيه دلالة على إعمال الثانى فى باب التنازع، ولو أعمل «هاؤم» لقال: «اقرؤه» وذهب إلى الاول البصريون وإلى الثانى الكوفيون.

ولا يخفى: ان الهاء فى «كتابيه» و «حسابيه» و «ماليه» و «سلطانيه» كلها للسكت، و تسمى هاء السكت وهاء الاستراحة لنظم الآى، وهى ساكنة دائماً و وقعت فى تسعة مواضع من القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: «لم يتسنّه» البقرة: ٢٥٩) على قول.

٢ - قوله تعالى: «فبهداهم اقتده» الانعام: ٩٠).

٣ - ٨ قوله تعالى: «كتابيه» مرتين و «حسابيه» مرتين أيضا و «ماليه» و «سلطانيه» القلم: ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩).

٩ - قوله جل و علا: «و ما أدراك ماهيه» القارعة: ١٠).

و أما الهاء التى فى «القاضية» و «الهاوية» و «خاوية» و «ثمانية» و «عالية» و ما إليها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء و يوصلن بالتاء.

٢٠ - (انى ظننت أنى ملاق حسابيه)

«انى» حرف تأكيد، و ياء التكلم فى موضع نصب إسمها، و «ظننت» فعل ماض للتكلم وحده من أفعال القلوب، و «أنى» حرف تأكيد فتحت ألفها لوقوعها

بعد الظن ، وياء التكلم فى موضع نصب اسمها ، و « ملاق» اسم فاعل من باب المفاعلة خبرها على حذف الياء تخفيفاً ، و « حسابيه » مفعول به ل « ملاق » والجملة فى موضع نصب نابت مناب المفعولين لفعل الظن .

٢١- (فهوفى عيشة راضية)

الفاء للجزاء ، ومدخولهامبتداء و « فى عيشة » متعلق بمحذوف وهوالخبر ، و « راضية » صفة من « عيشة » والجملة جزاء للشرط المتقدم : « من أوتى»

٢٢- (فى جنة عالية)

متعلق بمحذوف ، حال من « عيشةراضية» أى حالكون تلك العيشةالراضية فى جنة عالية .

٢٣- (قطوفها دانية)

« قطوفها»مبتداء ، والضمير راجع إلى« جنة » و « دانية » خبرها،والجملة فى موضع جر، وصفاً من «جنة»

٢٤- (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية)

« كلوا» فعل أمر ، خطاب لجمع المذكر « واشربوا » عطف على « كلوا» وجمع الخطاب مع انه وحّدالضمير فى قوله تعالى : « اوتى» و غيره حملاً على لفظ «من» ثم على معناه و« هنيئاً » حال من ضمير « كلوا» وقيل : وصف قائم مقام مفعول مطلق أومفعول به أى كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً أوطعاماً وشراباً هنيئاً ، و«بما» متعلق بـ« كلوا » وقيل : بـ« هنيئاً » و « ما » موصولة و «أسلفتم» فعل ماض خطاب لجمع المذكر من باب الافعال على حذف العائد على تقدير: بما أسلفتموه ، و« فى الايام » متعلق بـ« أسلفتم » و«الخالية» صفة من « الايام » .

٢٥- (وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه)

عطف على ماتقدم ، و«لم اوت» فعل تكلم وحده من المضارع مجزوم بحرف الجحد على حذف لام الفعل ، مبنى للمفعول ، و« كتابيه » مفعول به الثانى الذى

قام مقام المفعول الاول.

٢٦- (ولم أدرما حسابيه)

الوا وللعطف و «لم أدر» فعل تكلم وحده من المضارع، منفى بحرف الجحد على حذف الياء عطف على « لم اوت» و«ما» إستفهامية، خبر مقدم، و«حسابيه» مبتداء مؤخر.

٢٧- (ياليتها كانت القاضية)

الضمير فى « ياليتها» عائد إلى الموتة الاولى يدل عليها سياق الكلام، و لعل فى قوله: « ولم أدر » إشارة إليها لانها حالة العدم المستلزمة لعدم الادراك أى الموتة التى متها ياليتها، و قيل: راجع إلى الحالة أى ليت هذه الحالة، و « القاضية » خبر ل «كانت» أى كانت الموتة التى قضت علىّ.

٢٨- (ما أغنى عنى ماليه)

فى «ما» وجهان: أحدهما ـ أن تكون إستفهامية فى موضع نصب لكونها مفعول « أغنى» و«ماليه» فاعله، وتقديره: أىّ شيء أغنى عنى ماليه.

ثانيهما ـ أن تكون نافية، ويكون مفعول أغنى محذوفاً، وتقديره ما أغنى عنى ماليه شيئاً.

٢٩- (هلك عنى سلطانيه)

« هلك » فعل ماض لازم، و «عنى» متعلق به، و « سلطانيه » فاعله.

٣٠- (خذوه فغلوه)

« خذوا » فعل أمر لجمع المخاطب والضمير فى موضع نصب، مفعول به «فغلوه» الفاء للتفريع، ومدخولها فعل أمر كسابقه.

٣١- (ثم الجحيم صلوه)

« ثم » حرف عطف و « الجحيم » مفعول به لفعل مقدر يفسّره « صلوه » و هو فعل أمر والضمير فى موضع نصب، مفعول به وهذا من باب الاشتغال.

٣٢- (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

« ثم » حرف عطف ، و « فى سلسلة » متعلق بـ « فاسلكوه » و لم تمنع الفاء من ذلك، والتقدير : ثم فاسلكوه، فثم لترتيب الخبر عن المقول قريباً من غير تراخ، ولا يبعد أن تكون « ثم » للتراخى فى الرتبة ، و« ذرعها » مبتداء و « سبعون ذراعاً » خبره ، والجملة فى موضع جر ، وصفاً من « سلسلة » .

٣٣- (انه كان لايؤمن بالله العظيم)

الضمير راجع إلى « من اوتى كتابه بشماله » و« لايؤمن » فى موضع نصب ، خبراً ا « كان » .

٣٤- (ولايحض على طعام المسكين)

عطف على « لايومن » وأصل « طعام » أن يكون منصوباً بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف إلى « المسكين » للملابسة التى بينهما ومن أعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع « المسكين » نصب ، والتقدير : على اطعام المطعم المسكين ، فحذف الفاعل واضيف المصدر إلى المفعول .

٣٥- (فليس له اليوم ههنا حميم)

الفاء للنتيجة و « له » متعلق بمحذوف وهو الخبر ا « ليس » و « حميم » إسمها ، فلايكون « اليوم » خبرلها لان « حميم » جثة وظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة ولايكون « ههنا » خبراً لها لان التقدير يصير : ولا طعام ههنا الا من غسلين ، وهذا غير جائز : و« ههنا » متعلق بما فى « له » من معنى الفعل .

٣٦- (ولا طعام الامن غسلين)

عطف على ماقبله وان الياء والنون فى « غسلين » زائدتان لانه غسالة أهل النار ، وقيل : التقدير : ليس له حميم الا من غسلين والاطعام ، وقيل : الاستثناء من الطعام والشراب لان الجميع يطعم بدليل قوله تعالى : « ومن لم يطعمه »

٣٧- (لاياكله الا الخاطئون)

ان الجملة فى موضع جر ، وصفاً من « غسلين »

٣٨- (فلا اقسم بما تبصرون)

الفاء تفريعية ، ومدخولها جائت لتأكيد القسم و « بما » موصولة متعلق ب « تبصرون » على حذف العائد أى بماتبصرونه .

٣٩- (ومالا تبصرون)

عطف على ماقبله ، مع حذف العائد .

٤٠- (انه لقول رسول كريم)

جواب للقسم والضمير راجع إلى القرآن الكريم ، وهو المستفاد من السياق واللام فى «لقول» للتأكيد ، و« كريم» وصف من «رسول» .

٤١- (وماهوبقول شاعرقليلاً ما تؤمنون)

عطف على ما قبله من باب عطف النفى على الايجاب و«ما» من حروف مشبهة بليس و«هو» إسمها و« بقول شاعر » خبرها على زيادة الباء للتأكيد وفى «قليلاما» وجوه : أحدها - ان « قليلا » صفة لمصدر محذوف و «ما» زائدة أى ايماناً قليلاً تؤمنون . ثانيها - صفة لظرف محذوف أى وقتا قليلاً تؤمنون . ثالثها - أن تكون «ما» مصدرية و« قليلا» حال أى قليلاً ايمانكم .

٤٢- (ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون)

عطف على ماقبله والكلام فى « قليلاما » هو الكلام فيما سبق .

٤٣- (تنزيل من رب العالمين)

«تنزيل» خبر لمحذوف أى هو تنزيل .

٤٤- (ولوتقول علينا بعض الاقاويل)

«تقولَ» فعل ماض من باب التفعل و«علينا» متعلق به وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و«بعض الاقاويل» مفعول به، والاقاويل . جمع الاقوال ، وهى جمع القول ، فالاقاويل جمع الجمع .

٤٥- (لاخذناه منه باليمين)

اللام للتأكيد تدخل على جواب «لو» و «أخذنا» فعل تكلم مع غيره من الماضي والضمير في موضع نصب ، مفعول به راجع إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و قيل : راجع إلى بعض الاقاويل وضمير « منه » راجع إلى الرسول ، و«باليمين» متعلق بـ« أخذنا» وقيل : حال من الفاعل ، وقيل : من المفعول .

٤٦- (ثم لقطعنا منه الوتين)

« ثم » حرف عطف و « لقطعنا» عطف على « لاخذنا » و«الوتين» مفعول به.

٤٧- (فما منكم من أحد عنه حاجزين)

« ما » تشبه بليس و « من أحد » في موضع رفع لانه إسم « ما » على زيادة « من » لتأكيد النفي ، ولم يبطل « منكم » عمل « ما » لأن الفصل بالجار و المجرور والظرف في هذا النحو كلافصل ، والاصل فما أحد منكم حاجزين عنه

وفي موضع « منكم » وجوه : أحدها - نصب ، حال من «أحد» وقيل تبيين ثانيها - نصب ، خبر«ما» . ثالثها - رفع ، وصف على موضع « من أحد » رابعها - جر ، وصف على اللفظ ، ولما تقدم على الموصوف صار في موضع نصب على الحال و« عنه » في موضع نصب لانه متعلق بـ« حاجزين » والضمير راجع إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي موضع « حاجزين » وجوه : أحدها - نصب ، خبر « ما » وجمعه، وإن كان خبراً لـ« أحد » لانه في معنى الجمع لانه في سياق النفي ، فجمع «حاجزين» حملاً على المعنى . ثانيها - جر، صفة من« أحد » وتقديره : مامنكم قوم حاجزون عنه ، ويكون «ما» غير عاملة هنا على لغة غير تميم . ثالثها - جر، صفة من«احد» حملاً على اللفظ .

٤٨- (وانه لتذكرة للمتقين)

الضمير في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، راجع إلى القرآن الكريم

وقيل : راجع إلى محمد ﷺ أى هو تذكرة ورحمة ونجاة لاهل التقوى واليقين و« لتذكرة » اللام للتأكيد ومدخولها خبر لحرف التأكيد، و« للمتقين » متعلق بمحذوف وهو نعت من « تذكرة ».

٤٩- (وانا لنعلم ان منكم مكذبين)

« لنعلم » فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و « منكم » متعلق بمحذوف خبراً لحرف التأكيد الثانى و « مكذبين » إسمها.

٥٠- (وانه لحسرة على الكافرين)

و « لحسرة » خبر لحرف التأكيد و« على الكافرين » متعلق بمحذوف وهو صفة من « لحسرة ».

٥١- (وانه لحق اليقين)

فى رجوع ضمير « انه » وجوه : أحدها - راجع إلى ما أخبرت به هذه السورة ثانيها - راجع إلى القرآن بان هذا القرآن للمتقين لحق اليقين. ثالثها - راجع إلى النبى الكريم ﷺ ورسالته. رابعها - راجع الى حسرة الكافرين، و فى إضافة « لحق » إلى « اليقين » وجوه : أحدها - بيانية نحو: خاتم فضة، جيء بها للتأكيد. ثانيها - من إضافة الموصوف إلى الصفة. ثالثها - من إضافة البعض إلى الكل. رابعها - من إضافة أحد الوصفين إلى الاخر للتأكيد كقولك : هو حق العالم، فالمعنى : حق يقين لا ريب فيه.

٥٢- (فسبح باسم ربك العظيم)

الفاء للتفريع، والباء للاستعانة أو للملابسة، و« العظيم » نعت من « إسم » وقيل : من « ربك ».

﴿ البيان ﴾

١- (الحاقة)

إسم من أسماء يوم القيامة ، وسمّى بها تنبيهاً إلى حقّيته وحقيقته ، وأنه واجب الوقوع ، وان كل مايقع فيه من الاهوال والشدائد ، وما يحق الكفار من النار والعذاب فهوحق لاريب فيه ، كما ان الاخبار بماوقع على الكفار والعاصين من الهلاك والدمار فهوحق لامراء فيه .

٢- (ماالحاقة)

سئوال إستعظام وإجلال وتهويل لأمر الحاقة ، وفى وضع الظاهر موضع الضمير تعظيم و تهويل آخر لشأنها ، ففى الاية تعظيم بعد تفخيم و تهويل فوق تهويل : مبالغة فى الغرض الذى سيق له الكلام .

ان الحاقة وإن كانت كناية عن يوم القيامة غيران التذكير بما حل من عذاب دنيوى فى الاقوام الاولين فى الايات التى تلت الايات الثلاث الاولى من السورة يلهم ان القصد من الحاقة التنبيه على بلاء الله تعالى وعذابه مطلقا اذفى الايات التالية إشارات تذكيرية مقتضبة إلى ماحل من عذاب ربانى بالامم السالفة كما ان الايات الآتية بعدها تشير إلى مايحل بهم يوم القيامة .

٣- (وما أدراك ما الحاقة)

ان الاية الكريمة بصدد لفت النظر إلى خطورة الحاقة ، و تفظيع شأنها ، وتفخيم أمرها وتهويل حالها تأكيداً لماسبق كأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب

بان عظم شأنها ، و ما اشتملت عليه من الاوصاف مما لـم تبلغـه دراية أحد مـن المخاطبين ، ولم تصل إليه معرفة أحد من السامعين ، ولا أدركه وهمه و كيفما قدرحالها فهى وراء ذلك ، وأعظم بحيث لايبلغها وصف واصف ولا نعت مخبر ، ومنه يعلم أن الاستفهام فى « وما أدرك » كناية عن لازمه من أنها لاتعلم ، و لا يصل إليها دراية دار ، ولاتبلغها العقول والافكار . . . وفىوضع الظاهر«الحاقة» موضع الضمير تأكيد بعد تأكيد لشانها ، ومبالغة اخرى لما سيق لهالكلام .

ان تسئل : لم قال :« وما أدراك » بصيغةالماضى ولم يقل : « ومايدريك» كمافىقوله تعالى : « ومايدريك لعله يزكى » عبس : ٣) ؟

تجيب : انه يقال للمعلوم : بفعل الماضى ، و يقال لما ليس بمعلوم بفعل المضارع ، وان الكلام فى المقام لمن يعلمهابالصفة ، ولايخفى عليه واقعها وعن ابن عباس انهقال : ان مافىالقرآن منقوله تعالى: « وماأدراك » كنايةو« مايدريك » تصريح. وعن سفيان بن عيينة: كل مافى القرآن قال فيه : «وما أدراك» فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اخبربه ، و كل ما قال فيه : « ومايدريك » فانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبربه .

٤- (كذبت ثمود وعاد بالقارعة)

مستأنف بيانى سيق لاعلام بعض أحوال الحاقة للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إثر تقريرانه ماأداره صلى الله عليه وآله وسلم بها أحد كمافىقولهتعالى : « وماأدراك ماهيه نارحامية» القارعة : ١٠-١١)

خلا ان المبين هناك نفس المسئول عنها ، وههنا حال منأحوالها كمافى قوله جلوعلا : « وما أدراك ماليلة القدرليلةالقدرخيرمن ألف شهر»القدر:٢-٣) فالمبين هناك ليس نفس ليلة القدربل فضلها و شرفها كما ان المبين ههنا هـول الحاقة وعظم شأنها ، و كونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها كأنه قيل :«وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا » .

وفىموضع « القارعة » موضع « الحاقة » دلالة على معنى القرع فيها بعد

تأكيد تحققها بمرات تشديداً لهولها كما ان في وضع الظاهر « القارعة » موضع الضمير دلالة على معنى الروع فى « الحاقة » زيادة فى وصف شدتها ، وان « القارعة » كناية عن يوم القيامة حيث تقرع الآذان والقلوب من شدة هولها وفزعها ، اذ لا ريب انها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ، والسماء بالانشقاق ، والارض بالدك ، والنجوم بالطمس ، والشمس بالتكوير والقمر بالخسف وغير ذلك . . .

ان تسئل : ان عادة القرآن الكريم كانت جارية بتقديم قصة عاد على ثمود ، ولم عكست فى هذه السورة ؟

تجيب : لان قصة ثمود ههنا على غاية الاختصار ، و من العادة الجارية تقديم ماهو أخصر .

٥- (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية)

بيان تفصيلى لما حقت على الامم الطاغية منهم ثمود كلمة العذاب فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار على أنواعه وألوانه و « الطاغية » : كناية عن البلاء الطاغى الشديد الذى حلّ بهم بسبب طغيانهم ، فالطاغية ، على أن جزاء سيئة سيئة مثلها قال الله تعالى : « من عمل سيئة فلايجزى الا مثلها » غافر : ٤٠)

٦- (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية)

تقرير آخر لما حق على عاد كلمة العذاب فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار و « عاتية » كناية عن البلاء العاتى الذى حلّ بهم بسبب عتوهم ، و « عاتية » : شديدة هبوب ترد بغير ترتيب مشبهة بالرجل العاتى ، وهو المتمرد الذى لايبالى على ما أقدم ولا فيما ولج ووقع .

ان تسئل : لما قال الله تعالى : « بريح صرصر » ولم يقل : « صرصرة » كما قال : « عاتية » وهو صفة لمؤنث لانها شديدة الصوت أو شديدة البرد ؟

تجيب : لان « صرصر » وصف مخصوص بالريح ، ولايوصف به غيرها ، فهو يشبه بباب حائض وطامث وحامل ، بخلاف « عاتية » فان غير الريح من الاسماء

المؤنثة يوصف به .

٧- (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)

مستأنف بياني سيق لتقرير كيفية هلاك عاد بالريح ، وإشارة إلى نتائج ذلك

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « فترى القوم فيها صرعى » أي في تلك الليالي والايام ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مارآهم ولا يراهم فيها ؟

تجيب : « فيها » ظرف لقوله تعالى : « صرعى » لا لقوله جل وعلا: «فترى» والرؤية هنا من رؤية العلم والاعتبار ،فصار المعنى ،فتعلمهم صرعى في تلك الليالي والايام باعلامنا حتى كأنك تشاهدهم .

٨- (فهل ترى لهم من باقية)

إستفهام إنكاري ، والجملة كناية عن استيعاب الهلاك لهم جميعاً ولما يتعلق بهم من المنازل والاموال . . .

٩- (وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة)

ان تسئل : ان المؤتفكات هي قرى قوم لوط ، وما معنى الخاطئة ؟

تجيب : ان المراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات على حذف المضاف كقوله تعالى: « وسئل القرية » يوسف : ٨٢) و ان الخاطئة صفة لموصوف محذوف أي النفس الخاطئة لدلالة الاية التالية على ذلك .

١٠- (فعصوا رسول ربهم فاخذهم أخذة رابية)

تقرير لأس خطأهم ، وإشارة إلى تبعة عصيانهم ، وفي الاية من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى على القارئ الخبير . و في الجمع بين فرعون و قوم لوط في مقام العصيان لرسول الله مع أن كلاً منهما كان له موقف مع رسول من رسل الله - إشارة إلى أن رسل الله جميعاً هم رسول واحد من حيث الرسالة التي يحملها الرسول من الله إلى الناس ، والدعوة التي يدعوهم إليها ، وهو الايمان بالله . .

فمن كذب برسول وعصاه من رسل الله فهو مكذب برسل الله وعاصيهم جميعاً .

وقوله تعالى : « فاخذهم أخذة رابية » إستعارة لان المراد بالرابية ههنا: الغالبة القاهرة من قولهم : ربا الشيء اذا زاد ، و الربا مأخوذ من هذا ، فكأن تلك الاخذة كانت قاهرة لهم وغالبة عليهم .

١١ - (انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية)

إشارة إلى قصة بعض من كان قبل فرعون ، وهى حادثة طوفان نوح عليه السلام و سفينته و أما توجيه الكلام للسامعين بضمير الجمع المخاطب فهو من باب ما للحادثة من صلة بهم عن طريق الاجداد الاولين الذين أنجاهم الله تعالى على السفينة ، و هم نوح و أهله لقوله تعالى : « و جعلنا ذريته هم الباقين » الصافات : ٧٧) و ضمير الجمع المخاطب قد ينطوى على قرينة على كون السامعين يعرفون الحادثة ، و يعرفون صلتهم بنوح ، و أبنائه الذين نجوا على السفينة .

و فى قوله تعالى : «طغى الماء» إستعارة والمراد بها قريب من المراد بالاستعارتين الاوليين و هو تشبيه للماء فى طمو أمواجه و إرتفاع اثباجه بحال الرجل الطاغى الذى علا متجبراً و شمخ متكبراً و مستكبراً .

و ان النكتة فى الالتفات من إفراد الغيبة إلى جمع التكلم تعظيم للمتكلم و فى الخطاب إمتنان للسامعين .

١٢ - (لنجعلها لكم تذكرة و تعيها اذن واعية)

تعليل لحمل الباقين فى السفينة تنبيهاً على كمال القدرة الالهية و الحكمة الربوبية وعلى غضبه تعالى على الطغاة والعاصين، و رحمته على أهل التقوى واليقين فلابد للسامعين من الاعتبار والاتعاظ إذ يمكن أن يصيبهم من عذاب و بلاء مثل ما أصاب الاولين لو سلكوا مسلكهم .

وفى الاية إشارة إلى كلا القسمين من الهداية: الهداية بمعنى إراءة الطريق كما يدل عليها قوله تعالى: « لنجعلها لكم تذكرة » على أن التذكرة لاتستوجب

التذكر ممن ذكر بها بل ربما أثرت و ربما تخلّفت. والهداية بمعنى الايصال إلى المطلوب بمعنى هداية الاشياء إلى كمالاتها وايصالها إليها بتحريكها وسوقها نحوه، و يدل عليها قوله تعالى: «و تعيها اذن واعية» على أن الوعى مصداق من مصاديق الاهتداء بالهداية الالهية.

ان الله جل و علا لم ينسب الوعى إلى نفسه كما نسب التذكرة إلى نفسه لان المطلوب بالتذكرة إتمام الحجة و هو من الله تعالى، و أما الوعى فانه و إن كان منسوباً إليه جل و علا كما انه منسوب إلى الانسان، و لكن السياق سياق الدعوة وبيان الأجر والمثوبة على إجابة الدعوة، و انما الأجر والمثوبة من آثار الوعى بما أنه فعل للانسان، منسوب إليه لابما أنه منسوب إلى الله جل و علا.

قيل: فى إفراد «اذن» و تنكيره ايذان بان الوعاة فى الناس قلة، و توبيخ عليهم بقلة من يعى منهم، و دلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت فهى عندالله تعالى بمكان و ما سواها لا يلتفت إليه.

١٣ - (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)

شروع فى بيان نفس الحاقة و كيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها، و انما حسن إسناد الفعل «نفخ» إلى المصدر «نفخة» لتقييد الفعل، و حسن تذكير الفعل للفصل، و فى بناء الفعل للمفعول و تنكير الفاعل النيابى «نفخة» إفزاع و تهويل، و ان النفخ فى الصور كناية عن الصيحة الهائلة التى تخرب عقيبها العالم، و فى توصيف «نفخة» بـ «واحدة» إشارة إلى مضىّ الامر، و نفوذ القدرة، فلا وهن فيه حتى يحتاج إلى تكرار النفخة لذلك، فالمؤثر لدك الارض والجبال و خراب العالم هى وحدها غير محتاجة إلى نفخة اخرى معها، و إن كانت نفخة اخرى تخرج عقيبها الموتى من القبور لفصل القضاء والجزاء.

قال الله تعالى: «و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض الّا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨).

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « فاذا نفخ نفخة واحدة - إلى - يومئذ تعرضون » والمراد بها هنا النفخة الاولى ، و هى نفخة الصعق بدليل ما ذكر بعدها من فسادالعالم العلوى والسفلى، والعرض ، إنما يكون بعدالنفخة الثانية ، و بين النفختين من الزمان ماشاءالله تعالى ، فكيف قال الله جل و علا : «يومئذ تعرضون» ؟

تجيب : وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان و ما بعدهما ، إذ ليس فى القيامة أيام أو يومان ، و انما يومها يوم مستمر المدى تقع فيه النفختان ، والحساب والجزاء . . .

١٤ - (و حملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة)

تقرير لآثار النفخة فى الصور ، و بيان لكيفية خراب العالم ، و فى بناء الفعلين «حملت» و «فدكتا» للمفعول تعظيم باعتبار، و تهويل باعتبار آخر، وفى توصيف «دكة» بـ «واحدة» إشارة إلى سرعة تفتتهما بحيث لايفتقر إلى دكة ثانية .

١٥ - (فيومئذ وقعت الواقعة)

تفريع على خراب العالم السفلى ، و ان الواقعة : كناية عن قيام القيامة .

١٦ - (و انشقت السماء فهى يومئذ واهية)

تقرير لخراب العالم العلوى و كيفيته ، إثر بيان خراب العالم السفلى ، و انشقاق السماء كناية عن إنصداعها و تشققها و تبدل أحوالها . . .

١٧ - (والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)

تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان فى الارض، و إنطلاق أهلها إلى أطرافها، فكأن الملائكة و هم سكان السموات لجاؤا إلى أطرافها بعدخرابها . و فى قوله تعالى : « و يحمل عرش ربك فوقهم » دلالة على أن العرش ليس فى السموات بل وراء الكون والسماوات لاينفذ فيه الملائكة عرش ، كما ان الانس والجن لاينفذ على السموات ولايخرجان من حول الارض ، ولايعلم أحد أين العرش؟ و كيف هو؟

و ان «الملك» إسم يطلق على الواحد والجمع ، فهو أعم من الملائكة .

ان تسئل : ان الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى إذ قال تعالى: « و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض » الزمر : ٦٨) فكيف يقفون على أرجاء السماء ؟

تجيب : انهم يقفون لحظة ثم يموتون أو هم الذين استثنوا فى قوله تعالى: « الا من شاء الله » الزمر : ٦٨) .

و فى كلمة الرب و إضافتها إلى كاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يخفى من اللطائف . . . على المتأمل الخبير .

١٨ - (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

خطاب عام للسامعين تهديداً و وعيداً شديداً و زجراً عظيماً ، و فضيحة للكافرين و بشارة و سروراً للمؤمنين بظهور ما كان خفياً عليهم من أعمالهم ، و بذلك يتكامل حبورهم و سرورهم ، و ان التعبير بالعرض تشبيه بعرض السلطان لعسكره ليعرف أحوالهم ، و فى هذا العرض إقامة للحجة ، و مبالغة فى اظهار العدل ، وتصوير شدة هول القيامة للتذكير والانذار وتنكير«خافية» يفيد العموم والاستغراق لكونها فى سياق النفى .

١٩ - (فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)

شروع فى كيفية عرض الناس يوم القيامة ، وبيان تفصيلى لاختلافهم يومئذ من حيث السعادة والشقاء ، من حيث العزة والذلة ، و من حيث الثواب والعقاب حسب إختلافهم فى العقيدة والعمل فى الحياة الدنيا، وقد جاء بهم النظم القرآنى أفراداً لاجماعات كماجاء بأصحاب اليمين أفراداً كذلك لان الحساب يوم القيامة انما يقوم على هذا الوجه وهوأن يحاسب كل انسان بما عمل كما يقول سبحانه : « و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً » مريم : ٩٥) .

وقدّم وصف مصير المؤمنين على مصير الكافرين أخاذاً من شأنه أن يبعث

فى المؤمنين طمأنينة وسروراً و إستبشاراً و رغبة فى صالح الاعمال كما جاء وصف مصير الكفار مفزعاً يثير الخوف و يحمل على الارعواء ، مع إجمال قصة المؤمنين، و تفصيل قصة الكافرين ، و ان الاجمال مقدم على التفصيل فى الذكر .

٢٠ - (انى ظننت انى ملاق حسابيه)

تعليل لايتاء الكتاب بيمينه ، و لمقالته بأخذ الملائكة كتابه و قرائتهم اياه ، والمعنى: ان كتابى كان كتاب اليمين ، و قلت لكم : خذوه و اقرؤه من غير خوف و حزن على ذلك لانى آمنت بهذا اليوم و ايقنت انى الاقى حسابى يوم القيامة بما عملت فى الحياة الدنيا ، فأصلحت عملى .

٢١ - (فهو فى عيشة راضية)

تفريع على ايتاء الكتاب باليمين ، و تقرير لجزاء من أيقن انه يلاقى فى الاخرة حسابه وجزاء ما عمل به فى الحياة الدنيا، ووصف «عيشة» بـ«راضية» استعارة، إذ كان الوجه أن يقال : « فى عيشة مرضية» ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم : شعر شاعر ، و ليل ساهر اذا شعر فى ذلك الشعر ، و سهر ذلك الليل ، فكأنهما وصفا بما يكون فيهما لا بما يكون منهما ، فبان ان تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الانسان فيها حاله جاز أن توصف هى بالرضا مبالغة فى كمالها وجمالها وهنيئها إلى حدّ كأن الرضا أدغمت فى ذاتها ، فأصبحت راضية .

٢٢ - (فى جنة عالية)

تقرير و توصيف لـ« عيشة راضية » بما لا عين رأت ، و لا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، وفى تقديم مكان « عيشة راضية » على نعيمها ايماء إلى منقصة العيش مهما كثر النعيم و عظم ما لم يكن فى مكان يناسبه أو مكان غير دائم .

٢٣ - (قطوفها دانية)

وصف لـ «جنة» بما يناسب علوّها .

٢٤ - (كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية)

إلتفات من الافراد و الغيبة إلى الجمع و الخطاب، و « الايام الخالية » كناية:

عن الدنيا ، و فى الاية من دلالة تقابل الجزاء بصالح العمل ما لا يخفى .

٢٥ - (و أما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه)

شروع فى بيان موقف الكفار، و تفصيل أحوالهم يوم القيامة لما يعتريهم من الرعب و إستشعارهم بالندم والحسرة .

٢٦ - (و لم أدر ما حسابيه)

فى الاية وفى ذيل السابقة دلالة على عذابهم الروحى قبل عذابهم الجسمانى، فان اتيان الكتاب بالشمال عذاب روحى ، و دراية الحساب عذاب روحى آخر فوق العذاب قبل عذاب النار .

٢٧ - (يا ليتها كانت القاضية)

حسرة اخرى على سوء حاله ، و ان الضمير فى «ليتها» كناية عن الحال التى هم فيها ، و قيل : كناية عن الموتة الاولى .

٢٨ - (ما أغنى عنى ماليه)

جملة تحسّر يتكلم بها من يرى يوم القيامة خيبة ما سعى فى الحياة الدنيا، إذ كان يحسب أن مفتاح سعادته فى الدنيا هو المال ، فيدفع عنه كل مكروه القيامة ، و من ثم كان يبذل جهده كله فى تحصيله ، و يكفر بالله تعالى وآياته و يكذّب برسله ، و لما شاهد يوم القيامة تقطع الاسباب ، و انه لا ينفع يومئذ مال و لا بنون ذكر عدم نفع ماله بحاله تحسّراً ، و ماذا ينفع تحسراً ؟ .

٢٩ - (هلك عنى سلطانيه)

جملة تحسّر كالسابقة يتكلم بها من كان يرى المقام والجاه مفتاحاً لسعادته فى الحياة الدنيا ، و لما رآه غير نافع له فى الاخرة ذكر بطلان سلطانه تحسّراً و توجعاً ، و ماذا ينفع تحسّراً ؟

٣٠ - (خذوه فغلوه)

تقرير لسوء منقلب الكافر بعد ذكر سوء حاله وتحسّره يوم القيامة و بيان

لكيفية عذاب جسمى بعد ذكر عذاب روحى على طريق حكاية ما يأمر به الله تعالى يومئذ خزنة النار من إدخاله النار .

٣١ - (ثم الجحيم صلوه)

فى تقديم «الجحيم» على «سلسلة» دلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به ، و «ثم» لتفاوت ما بين الغل والتصلية ومابينهما ، وبين السلك فى السلسلة فى الشدة ، و تقديم «الجحيم» على التصلية للحصر أى لا تصلوه إلاّ فى الجحيم .

٣٢ - (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

«ثم» للتراخى فى الرتبة، وتقديم«سلسلة» على السلك للحصر أى ولاتسلكوا هذا الكافر العنيد المكذب إلاّ فى هذه السلسلة الطويلة ، وانها كلما طالت كانت الكلفة أشد والعذاب عليه آلم ، و لم يقل : فاسلكوا السلسلة فيه لانه أراد ان السلسلة تكون ملتفة على جسده بحيث لايقدرعلى حركة نحو : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، والخاتم فى إصبعى ، و «سبعون» كناية عن الكثرة ، و قيل : مبالغة على عادة العرب والمراد انها طويلة المدى . و قيل : كناية عن طولها و لكنها تمدّ بكثرة كثيرة .

٣٣ - (انه كان لا يؤمن بالله العظيم)

تعليل لما تقدم على طريق الاستئناف البيانى كأنه قيل : ماله يعذّب بهذا العذاب الشديد ؟ فاجيب عنه : « انه كان لا يؤمن بالله العظيم . . . » وفى وصفه تعالى بالعظم ايذان بانه المستحق للعظمة فحسب ، وانه ما لم يؤمن بالله العظيم فكيف بغيره ؟ و فى الجملة إخبار باستمرار عناده كأنه أصبح كيانه بالكفر .

٣٤ - (و لا يحض على طعام المسكين)

فى عطف حرمان المساكين على الكفر تغليظ شديد ، و فى ذكر الحضّ دون الفعل تغليظ دون تغليظ ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك

الفعل ، وفى تخصيص عدم الحض على طعام المسكين حصر البر فى إطعام المسكين والاثم فى عدمه ، غير ان ذلك ينطوى على تلقين قرآنى مستمر المدى فى صدد هذا العمل ، والحث عليه ، و اعتباره من أعظم أعمال البر الاجتماعية ، وبخاصة فى البيئات التى تكون الحاجة فيها شديدة و ملحة .

٣٥ - (فليس له اليوم ههنا حميم)

تفريع على قوله تعالى : « انه كان لايؤمن بالله . . . » و «ههنا» إشارة إلى مكان عذابهم أو إلى مقام الوصول إلى هذا الحد من العذاب .

٣٦ - (و لا طعام الا من غسلين)

عطف على قوله تعالى : «حميم» فمتفرع على قوله جل علا : «ولايحض» والمعنى : انه لما كان لا يحرّض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ههنا طعام إلاّ من غسلين أهل النار ، و إطلاق الطعام على الغسلين من باب التهكم .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى فى وصف أهل النار : « فليس له اليوم ههنا حميم ولاطعام الاّ من غسلين » و قال فى موضع آخر : « ليس لهم طعام الاّ من ضريع » الغاشية:٦) وفى موضع آخر : «انشجرة الزقوم طعام الاثيم»الدخان:٤٣) وفى موضع آخر : « لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون » الواقعة : ٥٢)

وفى موضع آخر : « اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار » البقرة:١٧٤)؟

تجيب : عنه بأجوبة ثلاثة : أحدها ـ أن يكون المعنى : الاّ من غسلين و ما أشبهه . ثانيها ـ أن وضع الغسلين موضع كل مؤذ كريه . ثالثها ـ ان العذاب ذوألوان وأنواع ، والمعذبون طبقات ، فمنهم : من يأكل الزقوم ، و منهم : من يأكل الغسلين ، ومنهم : من يأكل الضريع ، فلكل باب منهم جزء مقسوم لان النار دركات والجنة درجات، على إختلاف السيئات والحسنات . . .

٣٧- (لايأكله الا الخاطئون)

وصف لـ « غسلين » على طريق الحصر والتعليق ، فلايأكل غسليناً الاّ من كان متلبساً بالخطيئة والاثم. قيل: ان الفرق بين الخاطىء والمخطىء : ان المخطى هوفاعل الشيء بلاتعمد ، والخاطىء هوالمذنب المتعمد الجائر عن الصراط السوى

٣٩و٣٨- (فلا اقسم بماتبصرون ومالا تبصرون)

قسم ربانى بما يراه السامعون ، و مالايرونه من مشاهد الكون و أسراره فى معرض التوكيد بصحة رسالة النبى الكريم ﷺ وصدق قوله ، واثبات حقية ما أنبأ به من أمر الامم السالفة من الهلاك والدمار فى الدنيا ، ومن العذاب والنار فى الاخرة ، وشأن كفارهذه الامة هو شأن الكفار السابقين ، و مصيرهم هو نفس المصير .

عظم شأن القرآن الكريم بالاقسام بكل الاشياء لانها امامبصراوغيرمبصر، فيعمّ اللاقسم هنا جميع الكائنات منعطفاً على حقيقة ناصعة فى ذاتها ومعطياتها .

٤٠- (انه لقول رسول كريم)

جواب للقسم ، تصديقاً لرسالة النبى الخاتم محمد ﷺ قبال ما كان المشركون يقولون : انه شاعرأوكاهن أو مجنون أو كذاب ، و« رسول كريم » كناية عن النبى ﷺ وفى ذكر « رسول »إشارة إلى أن هذا القرآن ليس قوله ﷺ من تلقاء نفسه ،وانما هوقوله ﷺ المؤدى عن الله عزوجل بطريق الرسالة وفى وصفه بـ« كريم» إشارة إلى أمانته ، وانه ليس ممن يغيّر الرسالة طمعاً فى أعراض الدنيا الخسيسة ، وأيضاً من كرمه انه أتى بأفضل أنواع المزايا والعطايا، وهو المعرفة والارشاد والهداية .

٤١- (وماهوبقول شاعرقليلاً ما تؤمنون)

نفى الله تعالى عن رسوله ﷺ الشعر و الكهانة على سبيل الاندماج ، وقوله تعالى : « قليلاً » ما تؤمنون » توبيخ لمجتمعهم حيث ان الاكثرين منهم لم يؤمنوا ، وما آمن به الاّ قليل منهم .

٤٢ - (ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون)

نفى الله جل وعلا عن أن يكون القرآن الكريم كهانة ، وأن يكون النبى ﷺ كاهناً يأخذ القرآن من الجن وهم يلقونه إليه ، وقوله تعالى : « قليلاً ما تذكرون » توبيخ آخر لمجتمعهم حيث ان أكثرهم لايتذكرون .

قيل : انما قال تعالى عند نفى الشعر عن القرآن : « قليلاً ما تؤمنون » وعند نفى الكهانة : « قليلا ما تذكرون » لان انتفاء الشعرية عن القرآن أمر كالبين المحسوس أما من حيث اللفظ فظاهر لان الشعر كلام موزون مقفى ، و ألفاظ القرآن الكريم ليست كذلك إلا ماهو غاية الندرة بطريق الاتفاق من غير تعمد، وأما من جهة التخيّل فلان القرآن فيه اصول كل المعارف والحقائق والبراهين والدلائل المفيدة للتصديق اذا كان المكلف ممن يصدّق ولا يعاند ،وانتفاء الكهانة عنه أمر يفتقر إلى أدنى تأمل يوقف على أن كلام الكهان أسجاع لامعانى تحتها ، وأوضاع تنبو الطباع عنها .

وأيضاً فى القرآن الكريم سبّ الشياطين و ذم سيرتهم و الكهان إخوان الشياطين فكيف رضوا باظهار قبائحهم . . . ؟

٤٣ - (تنزيل من رب العالمين)

بيان لكون القرآن الكريم منزلاً من عند الله تعالى ، ولامنافاة بين ذلك و بين قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم » إذ نسب القرآن إليه ﷺ ،وذلك نسبته إليه ﷺ انما تكون بما انه رسول ، والرسول بما انه رسول لايأتى الاّ بقول مرسله لامن تلقاء نفسه .

٤٤ - (ولو تقول علينا بعض الاقاويل)

تأكيد لما تقدم وتصديق للنبى الكريم ﷺ و إثبات انه ماينبئه الرسول ﷺ فهو تنزيل من رب العالمين وليس من تلقاء نفسه على طريق إمتناع الثانى لامتناع الاول . نحو : لو قام زيد لقام عمرو ، حيث ان قيام عمرو محكوم بالانتفاء

لانتفاءِ قيام زيد .

٤٥- (لاخذنا منه باليمين)

جواب مؤكد لحرف الامتناع ، وفي الاية إستعارة على أن يكون المراد باليمين ههنا القوة والقدرة فيكون المعنى : انه لو فعل ما تكره فعله لانتقمنا منه عن قدرة وعاقبناه عن قوة ، ويجوز أن يكون اليمين ههنا راجعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون المعنى : لو فعل ذلك لسلبناه قدرته وانتزعنا منه قوته ، ويكون ذلك كقوله تعالى : « تنبت بالدهن » المؤمنون : ٢٠) أي تنبت الدهن .

٤٦- (ثم لقطعنا منه الوتين)

والايات الثلاث من باب : إياك أعني واسمعي ياجاره على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى على امته ، للرواية الاتية .

قيل : في الايات تهديد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على تقدير أن يفتري على الله كذباً ، وينسب إليه شيئاً لم يقله وهو رسول من عنده أكرمه بنبوته و اختاره لرسالته ، فالآيات في معنى قوله تعالى : « ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تر كن إليهم شيئاً قليلاً إذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجدلك علينا نصيراً » الاسراء : ٧٥) و كذا قوله تعالى في الانبياء بعد ذكر نعمه العظمى عليهم : « ولو أشر كوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون » الانعام : ٨٨)

فلا يرد أن مقتضى الايات ان كل من ادعى النبوة وافترى على الله الكذب أهلكه الله وعاقبه في الدنيا أشد العقاب ، و هو منقوض ببعض مدعي النبوة من الكذابين .

وذلك ان التهديد في الاية متوجه إلى الرسول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم في رسالته لو تقوّل على الله ونسب إليه بعض ماليس منه لامطلق مدّعي النبوة على الله في دعواه النبوة وإخباره عن الله تعالى .

٤٧- (فما منكم من احدعنه حاجزين)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الافراد إلى الجمع .

ان تسئل : كيف وصف الله تعالى الفرد بالجمع في قوله : « فما منكم من أحدعنه حاجزين » ؟

تجيب : ان « احد » هنا بمعنى الجمع الذى هو آحاد ، فكأنه قال : فما منكم من أحد من آحاد منكم حاجزين لانه في سياق النفى كقوله جل و علا : « لانفرّق بين أحد من رسله » البقرة : ٢٨٥) ولان أحداً يصلح للمفرد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما نفياً واثباتاً تقول : ما رأيت أحداً الا بنى فلان ، أوالا بنات فلان سواء فيستوى فيه الكل ، مضافاً إلى أن مناسبة فواصل الآيات تقتضى ذلك .

٤٨- (وانه لتذكرة للمتقين)

بيان وتأكيد لحقيّة القرآن الكريم و حقيقته ، و وصف بانه تذكرة و موعظة ينتفع بهماذووا القلوب النقية والرغبة الصالحة ، والمتقون لغضب الله تعالى الراغبون في رضائه .

٤٩- (وانا لنعلم أن منكم مكذبين)

وعيدشديد على المكذبين بمؤكدات ثلاث . . . و فى الاية من الاخبار الغيبة مالايخفى .

٥٠- (وانه لحسرة على الكافرين)

بيان لسبب حسرة الكافرين فى الدنيا والاخرة ، و هو تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء بهم من القرآن الكريم ، فانهم سيندمون على تكذيبهم لاينفعهم الندم ، ويتحسّرون على جحودهم لايفيد بحالهم التحسر .

٥١- (وانه لحق اليقين)

تأكيد بعد تأكيد ، وإضافة الحق إلى اليقين ليست من إضافة الشىء إلى نفسه لأن الحق هو غير اليقين . وانما هوخالصه وأصحّه ، فجرى مجرى إضافة

البعض إلى الكل .

٥٢- (فسبح باسم ربك العظيم)

تفريع على ما أنبأ به النبى الكريم ﷺ مما تقدم ذكره، وانتهى بأمر موجه إلى النبى ﷺ بتقديس ربه وتنزيهه عما يقوله المكذبون ، و فيه ما ينطوى تسلية وتثبيت بعد هذا التأييد الربانى العظيم من جهة ، وبعد تقرير طبيعة وجود المكذبين له .



﴿الاعجاز﴾

يدور البحث في هذه السورة حول أربعة من وجوه إعجازها :

احدها : مافيها من أصوات صارخة مدمدمة ، تثير الهول والفزع بما تبعث من نذر الهلاك والدمار، وبما تحمل من صور الانقلابات الهائلة المروّعة التي تقلب أوضاع هذا الوجود.

وقد كانت تلك الاصوات تضرب آذان قريش ، فتضطرب لذلك القلوب وتهيج النفوس . . . و هيهات أن يفرّ انسان من وجه هذا النذير المبين ، و ما تكاد هذه الكلمات : « الحاقة ما الحاقة - فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة - ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه » تطرق الآذان لتنطبع في كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها ، وتوازن آياتها وتقابل معانيها . . . واذا هي على كل فم ، وفي كل بيت غناء وحداء ونشيداً ولكن لاتعيها الأ اذن واعية .

مع كونها طلقات راعدة مدمدمة مزلزلة، تملأ الآفاق رعباً وفزعاً ، فلايتنفس أهل مكة منها الأ الرعب والفزع وذلك لفساد الكيان بالكفر، والعناد و كدورة الطبع بالطغيان واللجاج .

وتقرع هذه الايات أسماع الكافرين، فتوغر صدورهم وتضطرم فيها نار الحقد على القرآن والعداوة له . . فتذهب نفوسهم حسرة وتتقطع أنفاسهم ألماً وتتحرك ألسنتهم بكلمات محمومة مسعورة ، يرمون بها القرآن الكريم رميات طائشة... يأخذها القرآن من أفواههم فيسفع بها وجوههم و يقدع أنوفهم . .

وتزحف هذه السورة على قريش مواكب يتمشى بين يديها الفزع والرعب فيغشى القوم منها كرب بعد كرب، وبلاء فوق بلاء . . ولقد أطبقت على القوم من كل جهة هذه الصواعق التى لا تخطىء أهدافها ، فاصابت منهم مواطن الغطرسة و الكبر، وأخمدت أنفاس الحمية الجاهلية فى معطس كل جبار عنيد . . .

لقد خرست الألسنة وخضعت الاعناق ، وانكفأت الرؤس ، و همد القوم همود الاموات ، وهنا يصدر عن السماء هذا البلاغ المبين ، يؤذّن به محمد ﷺ فى أسماع الدنيا . . فيظل هذا الصوت العلوى الكريم قائماً على الحياة آخذاً مداره فى فلك الزمن، يطلع على الاجيال والامم . . صباحاً ومساءاً . . بنور الحق و بقول الحق .

ثانيها - ما فى قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم - إلى - تنزيل من رب العالمين » الحاقة ، ٤٠-٤٣) من ردّ مقالة المشركين فى القرآن الكريم ،وتثبيت رسالة النبى الكريم ﷺ وان هذا القرآن ليس من تلقاء نفسه ، وانما هو منزّل من عند الله تعالى .

وذلك لان القرآن لو كان كلاماً مثل كلام البشر لعرف المشركون وجهه، ولكان قولهم فيه قولاً واحداً لا إختلاف عليه ، ولا رجوع عنه ، ولم يقولوا فيه تارة: انه شعر وقائله شاعر، وتارة اخرى : انه كهانة ، وقائلها كاهن ، وثالثة ورابعة . . .

وهم ما كانوا يخلطون بين شعر شاعر من شعرائهم ، وبين خطبة خطيب ،أو سجع كاهن بل كانوا يعرفون وجوه شعرائهم شاعراً شاعراً كما كانوا يعرفون وجوه خطبائهم وحكمائهم و كهانهم واحداً واحداً، وكانوا يضيفون إلى كل واحد قوله. .قولاً واحداً لا اختلاف عليه .

أما القرآن الكريم فكان شان عندهم شأن أىّ كلام عرفوه ، وكان ذلك هو واقع الامر الذى ينبغى أن يكون للقرآن فانه كلام . . ولكنه ليس على صفة أىّ كلام يعرفه البشر، وهم كانوا يقرّون باعجازه وعجزهم عن الوقوف له بشعرائهم

و خطبائهم و حكمائهم و كهانهم و أبطالهم وفرساتهم . . . فقامت عليهم الحجة و تحققت بهم المعجزة ووقع الاعجاز الذى لزم الناس جميعاً باقرارهم الذين تحدتهم المعجزة و قهرتهم ، ولذلك كان القرآن تحداه فى أول أمره مقصوراً على العرب وحدهم لتقرير هذه الحقيقة وحقيته ولكن قليلاً منهم يؤمنون و قليلاً منهم يتذكرون وفى هذا الذى تكشف لنا من موقف القرآن فى مجال الدعوة ، و فى أخذه بنواصى المعاندين والمتكبرين والمكذبين جميعاً ـ وفى هذا كله بلاغ لمن يطلب الاعجاز القرآنى ويريد الشواهد له .

فى أنوار التنزيل : قال فى قوله تعالى : « وماهو بقول شاعر » كما تزعمون تارة « قليلا ماتؤمنون » تصدّقون لماظهر لكم صدقه تصديقاً قليلاً لفرط عنادكم « ولابقول كاهن » : كماتزعمون اخرى « قليلا ما تذكرون » : تذكرون تذكراً قليلاً ، فلذلك يلتبس الامر عليكم ، و ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيّن لاينكرها الا معاند، بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحوال الرسول صلى الله عليه وآله و معانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم . . .

« فبأى حديث بعده » أى بعد القرآن « يؤمنون » اذالم يؤمنوا به و هو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة . . .

ثالثها ـ مافى قوله تعالى: «ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦) من التهديد والوعيد الشديد ظاهراً للنبى الكريم صلى الله عليه وآله لعلك لاتمرّ بهذا الخطاب والعتاب دون أن تخشع له و تستجمع له كيانك كله ، ولو كان هذا القرآن من تلقاء نفسه لماقال ماقال الله تعالى فيه بهذا القول .

ونحن لو نقف قليلاً عند الايات الكريمة لنرى منها بعض مشاهد الحق ومطالع الاعجاز ، ولنطالع ماللنبى الكريم صلى الله عليه وآله فيها من شواهد نشهد لمكانه المكين

من القرآن وإعجازه .

وكان على هذا الكمال أهله الله جل وعلا لان يكون المربى الكامل، والرائد البصير، و الهادى الامين ، والقائد الحكيم للمجتمع الانسانى كله ، حيث تأوى إليه النفوس ، وتسكن لديه الارواح وتطمئن به القلوب... فى طوال الاعصار . . .

و فى ذلك كله ما يكشف لنا عن مقام الرسول ﷺ ومكانته من الرسالة التى دعى إلى حملها والسفارة بها . . إذ ليس كل انسان بالذى يصلح لهذا الامر، ويقوم له و يحتمل أثقاله وأعباءه . . . وإذ ليس بالامر الهين أن يقف إنسان وحدة فى وجه الانسانية الشاردة ليردها إلى الطريق القويم ، ويسلك بها مسالك الحق والخير . . انه سيصطدم بضلالات الضلال وسفاهات السفهاء وتكذيب المكذبين ، و إستهزاء المستهزئين و إستكبار المستكبرين، وسيقف له هؤلاء الاغبياء بكل سبيل ، ويقعدون له بكل مرصد، يسلقونه بالسنة حداد ويرمونه بما وسع جهدهم وبلغ كيدهم من أذى وبلاء !

رابعها : مافى قوله تعالى : « وانا لنعلم ان منكم مكذبين » الحاقة : ٤٩) من الاخبار بموقف الكفار وتكذيبهم اخباراً غيبياً ، ولو كان من تلقاء نفسه ﷺ لدخلوا فى الاسلام لانطفاء دعوته ﷺ ولاقامة الحجة عليه بانه كذب و افتراء ورجم بالغيب ، وانه قول البشر ، ولو أسلموا لماكان للآية منصرف ولا واقع و لاصحبت الاية فى واد والواقع الذى يكذبها ويتحداها فى واد آخر، و ماذا يبقى لمحمد ﷺ بعد ذلك ؟ وبأى وجه يلقى الناس بقرآنه هذا الذى يقول عنه: انه من عندالله تعالى إذ كيف يقول هذا القول ، وهم كافة مسلمون ولو لوقت ما ولو ظاهراً ولكنهم مادخلوا فى الاسلام عامة ، وثبت إعجاز الآية مستمر المدى .

﴿التكرار﴾

وقد جاء قوله تعالى : « فأما من اوتى كتابه بيمينه » بالفاء وجاء بعده « و أما من اوتى كتابه بشماله » بالواو لان الاول متصل بأحوال القيامة وأهوالها وخرابها وشدائدها . . فاقتضى الفاء للتعقيب ، والثانى متصل بالاول ، فادخل الواو لانه للجمع .

وقد خص ذكر الشعر فى «وماهو بقول شاعر » بقوله تعالى :«قليلاما تؤمنون» لان من قال : القرآن شعر ، ومحمد شاعر بعد ما علم إختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر ، و إختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه ، فان الشعر كلام موزون مقفى .

وخص ذكر الكهانة فى «ولا بقول كاهن» بقوله تعالى : « قليلاما تذكرون » لان من ذهب إلى أن القرآن كهانة ، وأن محمداً كاهن فهو ذاهل عن كلام الكهان، فانه أسجاع لامعانى تحتها ، و أوضاع تنبو الطباع عنها ، و لا يكون فى كلامهم ذكر الله تعالى .

ونشير فى المقام إلى صيغ أربع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ جائت فى هذه السورة فقط .

١ـ جاء كلمة « الحسوم » فى القرآن الكريم مرة واحدة : وهى فى هذه السورة : ٧)

٢ـ « « « الصرعى » « « « «

« « : ٧)

٣- « « « واهية » « « »

« « : ١٦)

٤- « « « الوتين » « « »

« « : ٤٦)



﴿ التناسب ﴾

ان البحث فی المقام علی جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الملك » فلما انتهت إلى ايعاد الكفار والمكذبين بالهلاك والدمار، ووعد المؤمنين بالنجاة فی الحياة الدنيا، أخذت هذه السورة بذكر الامم الذين هلكوا بسبب عتوهم و كفرهم وطغيانهم، و نجاة الاخرين بسبب ايمانهم وطاعتهم وتقواهم فی هذه الدنيا، فليس الكفار والمؤمنون من هذه الامة خارجين عن هذا الحكم السارى بين الامم فی طوال الاعصار . .

و أما الثانية : فمناسبة هذه السورة لسورة « القلم » فبوجوه :

أحدها ـ انه لما اشير فی السورة السابقة إلى هلاك بستان قوم إجمالاً بسبب طغيانهم ، جائت هذه السورة بذكر هلاك الاقوام من الامم السابقة تنبيهاً على أن الطغيان إذا اشتد يوجب هلاك النفس قبل هلاك المال والسلطان فلا يغنی المال، ولا ينفع السلطان .

ثانيها ـ لما جاء فی السورة السابقة حديث القيامة وأهوالها ، وموقف الكفار ومآل أمر المتقين فيها إجمالاً ، جائت هذه السورة بذلك تفصيلاً .

ثالثها ـ لما ذكر فی ختام السابقة مقالة الكفار والمكذبين حول القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فی ختام هذه السورة بردها عليهم ، و إثبات حقية

القرآن وصدق النبي الكريم ﷺ .

و أما الثالثة : فلما ابتدأت السورة بما فيه من الابهام لافادة التفخيم والمبالغة في الغرض بقوله تعالى : « الحاقة ما الحاقة » على طريقي الاخبار والسؤال الذي يوجد ذكره الرعب والفزع في القلوب حتى كأن الناس يتجهون بهذا السؤال إلى النبي ﷺ الذي القي بهذا الاسم على أسماعهم زادت في تفظيع شأنهما و تفخيم أمرهما وتهويل حالهما بقوله تعالى : « وما أدراك ما الحاقة » على طريق الجواب من الله تعالى على تساؤل السائلين للنبي ﷺ من الحاقة .. ان النبي ﷺ الذي يسئلونه ويرجون الجواب عنده ،لايدري ماهي الحاقة ؟ انها شيء من وراء تصورات العقول ، وإحتمال المدارك ... ثم أخذت بذكر ماحاق ببعض الامم السالفة بسبب كفرهم وطغيانهم وعتوهم وعصيانهم وتكذيبهم الرسل وآيات الله تعالى في الحياة الدنيا بقوله جل وعلا : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة - إلى - فأخذهم أخذة رابية » : ٣-١٠) ثم أشارت إلى نجاة المؤمنين إجمالاً في الدنيا ، ثم أخذت بذكر كيفية وقوع القيامة وأهوالها ، و أحوال الفريقين ومواقفهم و مآل أمرهم فيها ، ثم أكّدت حقيّة ما أخبر به القرآن الكريم وصدق رسول الله ﷺ رداً على المشركين بما زعموا فيهما ، فتدبروا واغتنم .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجدمن الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أو متشابهاً فآياتها محكمات والله تعالى هوأعلم .

﴿تحقيق في الاقوال﴾

١- (الحاقة)

في الحاقة أقوال : ١- عن ابن عباس وقتادة والضحاك و عكرمة والزجاج : انها إسم من أسماء يوم القيامة الكبرى، عظّمها الله تعالى وحذّرها عباده والمعنى: الساعة التي تحق لكل عامل أعماله ، ويجب فيها الجزاء على الاعمال وتحقق فيها الجزاء خيراً وشراً ، وفيها تثبت الحقوق لصاحبيها ، ويؤتى كل ذي حق حقه. وقيل سميت بها إذ يومئذ تعرف الامور بحقيقتها وتظهر فيها السرائر وتبرز الخفايا، وهذا من قولك : لا احق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها ، وهذا من قبيل « ليل نائم » .

٢ ـ عن الليث : الحاقة : النازلة التي حقت ، فلا كاذبة لها .

٣ ـ قيل : الحاقة : الحالة التي يحق وقوع الساعة .

٤ ـ عن الكسائي والمؤرج : الحاقة يوم الحق ، سميت بها لان فيها يصير كل انسان حقيقاً بجزاء عمله ، ولثبوت القيامة ثبوتاً لامردّ له ، ولاريب فيه من حق الشيء إذا ثبت ، و تقرّر تقرراً واقعياً .

٥ ـ قيل : الحاقة : هي التي تحق على القوم أي تقع بهم .

٦ ـ عن أبي مسلم و ابن الانباري : الحاقة الساعة التي يحق وقوعها و هي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجييء بدون ريب و هي يوم القيامة .

٧ ـ قيل : الحاقة : يتحقق فيها الوعد والوعيد ، و بهذا عظّم الله تعالى

أمرها فقال : « وما أدراك ما الحاقة » فهي التي يوجد فيها حواق الامور ، وهي الواجبة الحصول من الثواب والعقاب و غيرهما من أحوال القيامة و انها تحق لاقوام الجنة و نعيمها ، و لاقوام آخرين النار و عذابها .

٨ ـ عن الزهري قال : سميت بالحاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي تخاصم كل مخاصم وتغلبه ، يقال : حاقه : خاصمه ، و ادعى كل واحد من المتخاصمين الحق فاذا غلبه قبل حقه .

٩ ـ قيل: الحاقة إسم من أسماء القيامة ولكن فيها ايماء إلى مايحق الكافرين في الحياة الدنيا من الذلة والهوان ، والهلاك والدمار ، و ما يحق بهم في الاخرة من الهول والفزع ، والنار والعذاب مضافاً إلى دلالتها على كونها ذات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق لان جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود .

١٠ ـ قيل : الحاقة : القيامة الكبرى التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك .

اقول : والتاسع هو الانسب بسياق السورة إذ تذكر ما حق على الطغاة والكفرة من الهلاك والدمار في الحياة الدنيا ، وما سيحق عليهم من الهول والفزع والنار والعذاب يوم القيامة ، من غير فرق في ذلك بين كفار الامم السالفة و بين الكفار الاخرين ، و لا منافاة بين هذا القول و بين القول بكونها إسماً من أسماء القيامة .

٣ ـ (و ما أدراك ما الحاقة)

في الاية أقوال : ١ـ عن يحيى بن سلام قال: بلغني أن كل شيء في القرآن: « و ما أدراك » فقد أدراه و علمه ، و كل شيء قال : « و ما يدريك » فهو مما لم يعلمه .

٢ ـ قيل : أي أي شيء أعلمك ما ذلك اليوم ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عالماً

بالقيامة ، و لكن بالصفة ، فقيل تفخيماً لشأنها ، و ما أدراك ما هى كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها وقال الثورى: يقال للمعلوم : « ماأدراك » ولما ليس بمعلوم: « ما يدريك » فى جميع القرآن ، و انما قال لمن يعلمها : « ما أدراك » لانه انما يعلمها بالصفة .

٣ ـ عن سفيان بن عيينة قال : كل شىء قال فيه : « و ما أدراك » فانه أخبر به و كل شىء قال فيه : « و ما يدريك » فانه لم يخبر به .

٤ ـ عن قتادة : أى وماأدراك ما الحاقة تعظيماً ليوم القيامة كما تسمعون و ما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها لابكنهها و لا بوصفها .

٥ ـ عن إبن عباس : ان ما فى القرآن من قوله تعالى : « ما أدراك » فقد أدراه ، و ما فيه من قوله : « ما يدريك » فقد طوى عنه . قيل : يعنى ان «أدراك» كناية و « ما يدريك » تصريح .

اقول : و على الثانى أكثر المفسرين ، مع تقارب أكثر الاقوال مآلاً .

٤ ـ (كذبت ثمود و عاد بالقارعة)

فى «القارعة» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و قتادة : هى الساعة التى تقرع قلوب الناس بالمخافة والاهوال . . . يقال : أصابتهم قوارع الدهر : أى أهواله و شدائده ، وقوارع القرآن: الايات التى يقرؤها الانسان إذا فزع من الجن والانس نحو آية الكرسى كأنها تقرع الشيطان .

٢ـ قيل: القارعة : القيامة ، وسميت القيامة بها إذ تقرع فيها قلوب العباد بالمخافة والرعب ، و بالهول والفزع . و قيل : سميت بها لأن العذاب الذى أو عدهم نبيهم وقدكانوا يكذبونه حتى نزل بهم فى الحياة الدنيا فقرع قلوبهم كما ينزل بهم عذاب الاخرة و هو لها فيها فيقرع قلوبهم .

٣ ـ قيل : القارعة : الحالة التى تقرع الناس بفنون الاهوال والافزاع والاجرام: السماء بالانشقاق، والكواكب بالانتشار، والنجوم بالطمس والانكدار،

والارض والجبال بالدك والنسف .

٤ ـ عن المبرد : القارعة : مأخوذة من القرعة فى رفع قوم وخفض آخرين و ان يوم القيامة يرفع قوم ، و يخفض آخرون إذ قال الله تعالى : « اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة » الواقعة : ١ ـ ٣) .

اقول : و على الثانى اكثر المفسرين .

٥ ـ (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية)

فى «الطاغية» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد و إبن زيد والحسن : أى فاهلكوا بالذنوب كما قال الله تعالى : « كذبت ثمود بطغواها » و طغيانهم : كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم بآياته و رسله ، و باليوم الاخر، وذنوبهم وعصيانهم و تركهم طاعة الله جل و علا و طغيانهم فى معاصى الله سبحانه و خلاف كتابه .

٢ ـ عن قتادة والجبائى و أبى مسلم : أى فاهلكوا بالصيحة التى قد جاوزت مقادير الصياح من الهول ، و طغت عليها فأهمدتهم . وقال الزجاج : أى بالرجفة الطاغية المجاوزة الحد فى القوة .

٣ ـ قيل : الطاغية : المهلكة كما قال الله تعالى : « و أما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية » و هى الشديد العصوف مع شدة بردها و تجاوزت فى الشدة والعصوف مقدارها المعروف فى الهبوب والبرد فأهلكتهم .

٤ ـ عن الكلبى : الطاغية : الواقعة التى جاوزت الحد فى الشدة والقوة والمراد بها الصاعقة .

٥ ـ قيل : أى أهلكوا بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها فى الشدة التى أهلك الله تعالى بها أهل الفساد .

٦ ـ عن إبن زيد : الطاغية : الفرقة التى عقروا الناقة ، فاهلك قوم ثمود بما أقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة ، وكان واحداً ، وانما هلك الجميع لرضاهم بفعله . وقيل له : طاغية كما يقال فلان : راوية الشعر و داهية وعلامة ونسّابة .

أقول : و يمكن الجمع بين الاقوال : بانهم لما طغوا على أنحاء الطغيان هلكوا بأنواع العذاب الطاغى الذى جاوز الحد من الصيحة والرجفة والصاعقة : الطاغية بالطاغية . فاسباب الهلاك كثيرة مترتبة نسب بعضها إلى قريب ، وبعضها إلى بعيد منها .

٦ - (و اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية)

فى «صرصر» أقوال : ١ - عن ابن عباس والضحاك وقتادة : أى باردة مأخوذ من الصر وهوالبرد ، كأن الريح كرّر فيهاالبرد و كثر بحيث تحرق بشدة بردها.

٢ - عن إبن زيد : الصرصر : الشديدة ، كأن الريح تصطك الأسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها ، و هى الريح العاصفة الباردة ، القاتلة ببردها .

٣- قيل: أى شديدة الصوت فى الهبوب فلهاصرصر يتجاوز حدّها المعروف.

٤ - عن مجاهد : أى الشديدة السموم .

أقول : و لكل وجه من غير تناف بينها .

و فى «عاتية» أقوال : ١ - عن إبن عباس و إبن زيد : العاتية : القاهرة ، وهى تجاوزت على عاد و عتت عليهم فقهرتهم ، فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا بحيلة من لياذ إلى جبل أو إختفاء فى حفرة إذ كانت تنزعهم عن مكانهم و تهلكهم.

٢- قيل: أى تجاوزت عن قدرتها العادية فعتت عليهم بغير رحمة ولا بركة حتى نقبت عن أفئدتهم .

٣ - عن الكلبى : أى تجاوزت عن خزنتها ، فهى شديدة العصف كأنها عتت على خزانها ، فلم يستطيعوا ضبطها ، إذ غضبت لغضب الله تعالى .

أقول : والاخير هو المروى .

٧ - (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)

فى «حسوما» أقوال : ١ - عن إبن عباس و إبن مسعود و مجاهد و قتادة و

عكرمة والسدى والحسن وسفيان والفراء والمبرد : أى متتابعات ليس لها فترة ، جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها ، فكأنه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم ، شبهت بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم .

٢ ـ عن إبن زيد والزجاج : الحسوم : الريح التى كانت تحسم كل شيء فقطعت دابر عاد و لم تبق منهم أحداً بل أفنتهم ، فالحسوم من صفة الريح .

وقيل : ان الريح حسمت الليالى والايام حتى استوعبتها لانها بدأت طلوع الشمس من أول يوم ، و انقطعت غروب الشمس من آخر يوم . و قيل : حسمت كل خير واستأصله . يقال : هذه ليالى الحسوم، وهذه أيام الحسوم : تحسم الخير عن أهلها .

٣ ـ عن الليث و عطية الحوفى : الحسوم : الشؤم . و عن عكرمة و سفيان أيضاً والربيع ابن أنس : «حسوما» : مشائيم نكداً قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها ، دليله قوله تعالى : « فى أيام نحسات » .

٤ ـ عن الكلبى و مقاتل : أى دائمة .

٥ ـ عن الخليل : أى قاطعة قطعتهم قطعاً حتى أهلكتهم .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين .

و فى أول «ليال» و «أيام» أقوال : ١ ـ عن السدى : هو غداة يوم الاحد . ٢ ـ عن الربيع بن أنس : غداة يوم الجمعة . ٣ ـ عن يحيى بن سلام و وهب بن منبة : غداة يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال . وقال وهب : هذه الايام هى التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد و ريح شديدة و كان أولها يوم الاربعاء و آخرها يوم الاربعاء ، و نسبت إلى العجوز لان عجوزاً من عاد دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها فى اليوم الثامن .

وقيل : سميت أيام العجوز لانها وقعت فى عجز الشتاء ، و هى فى آذار من

أشهر السريانيين و لها أسام مشهورة .

اقول : والثالث هو المروى .

و فى «خاوية» أقوال : ١ - عن أبى الطفيل و قتادة : أى بالية نخرة لأن البالية إذا بليت خلت أجوافها ، فشبهوا بعد أن هلكوا بالنخل الخاوية .

٢ - عن السدى : أى فارغة خالية الاجواف لاشيء فيها ، والمعنى : كانت الريح تدخل أجوافهم ، فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف .

٣ - قيل : أى كأنهم أعجاز نخل خاوية عن اصولها من البقاع كما قال تعالى : « فتلك بيوتهم خاوية » أى خربة لاسكان فيها .

٤ - عن يحيى بن سلام و إبن شجرة : كانت الريح فى أفواههم فتخرج ما فىأجوافهم من الحشو من أدبارهم ، فصاروا كالنخل الخاوية ، وذلك لانأبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية .

٥ - قيل : أى ساقطة مثل قوله : « أعجاز نخل منقعر » .

٦ - قيل : أى مهدمة .

اقول : والثالث هو المؤيد بالايات القرآنية . . .

٩ - (و جاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة)

فى «الخاطئة» أقوال : ١ - عن مجاهد : أى بالخطايا التى كانوا يفعلونها. ٢ - عن إبن عباس : أى بالتكذيب . ٣ - قيل : أى بالفعلة الخاطئة و هى الشرك والتكذيب والمعصية . ٤- عن الجرجانى: أى بالخطاءالعظيم ، على أن «الخاطئة» مصدر كالخطأ والخطيئة . ٥ - قيل : أى الافعال ذوات الخطاء العظيم أى بالنفس الخاطئة .

اقول : والثالث هو الانسب بعموم السياق .

١٠ - (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)

فى « رسول ربهم » أقوال : ١ - عن الكلبى : هو موسى عليه السلام . ٢- قيل:

هو لوط . ٣ ـ قيل : عنى موسى و لوطاً عليهما السلام كما قال الله تعالى : « فقولا انا رسول رب العالمين » ٤ ـ قيل : «رسول» بمعنى رسالة بالرسول عن أبى مسلم .

اقول : اريد بالرسول : الرسل على ما قدمناه

وفى « أخذة رابية » أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد : أى أخذة شديدة كأنه أراد زائدة فى الشدة . والمعنى : أخذة زائدة فى الشدة نامية على أخذات الامم السابقة الهالكة ، زائدة على عقوباتهم لزيادة قبائحهم على قبائح غيرهم .

٢ـ قيل : أى عقوبة شديدة . ٣ـ قيل : أى أخذة قهر وغضب بحيث لم يبق أحداً من مكذبيهم برسول الله و عاصيه «رابية» : عالية عليهم محيطة بهم . ٤ ـ قيل : أى خارجة عن العادة .

اقول : و لكل وجه من غير تناف بينها .

١١ ـ(انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية)

فى «طغى الماء» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و سعيد بن جبير و إبن زيد : أى تجاوز الماء على خزانه من الملائكة غضباً لربه ، فلم يقدروا على حبسه ، فكثر على قوم نوح عليه السلام بحيث لم يدروا كم خرج ، وليس من الماء قطرة تنزل قبله ، و لا بعده إلاّ بكيل معلوم غير ذلك اليوم .

٢ ـ قيل:أى تجاوز حدّه فى الارتفاع والعلو المعروف حتى غرق الارض بمن عليها إلاّ من شاء الله تعالى نجاته .

٣ ـ عن قتادة : أى زاد على كل شيء خمسة ذراعاً .

اقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

١٢ ـ (لنجعلها لكم تذكرة و تعيها اذن واعية)

فى قوله تعالى : « لنجعلها لكم تذكرة » أقوال : ١ ـ قيل : أى لنجعل هذه الامور المذكورة عبرة و موعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله تعالى و بديع صنعه .

٢ـ قيل: أى لنجعل هذه الفعلة المذكورة التى هى عبارة عن إنجاء المؤمنين و إغراق الكافرين لكم تذكرة و عظة و عبرة لدلالتها على كمال قدرة الصانع و حكمته وسعة رحمته.

٣ـ عن قتادة: أى لنجعل سفينة نوح عليه السلام تذكرة وعظة لهذه الامة حتى أدركها أوائلهم.

٤ـ قيل: أى لنجعل نجاتكم فى أصلاب آبائكم الاولين تذكرة لكم أيها المشركون تذكرون بها أنكم من أصلاب آبائكم كانوا مؤمنين فكونوا مثلهم إذا كنتم حقاً تحرصون على التمسك بما كان عليه آبائكم...

٥ـ عن إبن جريج: أى أبقيت لكم ألواح السفينة على الجودى حتى تذكروا ما حلّ بقوم نوح و إنجاء الله تعالى آباءكم و كم من سفينة هلكت وصارت تراباً و لم يبق منها شىء.

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق.

وفى قوله تعالى: «و تعيها اذن واعية» أقوال: ١ـ عن إبن عباس: أى وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله تعالى. ٢ـ عن قتادة: أى تحفظها اذن سامعة قابلة لما سمعت. ٣ـ عن الفراء: أى لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن يأتى بعد.

أقول: و على الاول أكثر المفسرين.

١٣ - (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)

فى «نفخة واحدة» قولان: أحدهما ـ عن إبن عباس و عطاء: هى النفخة الاولى لقيامة الساعة، و عندها خراب العالم، فلا يبقى حينئذ أحد الآمات. ثانيهما ـ عن مقاتل والكلبى: هذه النفخة الثانية للفصل والقضاء بين الخلائق لقوله تعالى بعد ذلك: «يومئذ تعرضون».

أقول: والاول هو المؤيد بالسياق.

١٧ - (والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)

فى « الملك على أرجائها » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد و قتادة والضحاك والحسن : أى الملائكة على أطراف السماء ونواحيها حين تنشق لانها مكانهم قبل ذلك فاذا انشقت صارت فى نواحيها و جوانبها . . .

٢ ـ عن سعيد بن جبير : أى الملك على حافات الدنيا أى ينزلون إلى الارض و يحرسون أطرافها . . .

٣ ـ قيل : أى الملائكة اليوم على جوانب السماء فينظرون إلى أهل الارض و لا نراهم ، و لا ندرى كم هم و لا كيف هم و لا الحكمة فى ذلك ، فلابد من تفويض علم ذلك إلى الله تعالى والايمان به .

٤ ـ قيل : إذا صارت السماء قطعاً تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى أنفسها .

٥ـ قيل: إن الناس إذا رأوا جهنم هالتهم فيندّوا كما تندّ الابل فلا يأتون قطراً من أقطار الارض إلاّ رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاؤا .

٦ ـ قيل :والملائكة على أرجاء السماء ينتظرون مايؤمرون به فى أهل النار من السوق إليها ، و فى أهل الجنة من التحية والكرامة .

٧ ـ قيل : أى و يرى الملائكة يوم القيامة على جنبات السماء فى أحوال شتى . . بين ساجد و قائم ، و غاد و رائح . . هكذا يراهم الناس سواء كانوا من أهل الجنة أم من أهل النار، فنراهم يومئذ و إن كانوا اليوم محجوبين عن أنظارنا .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين ، و هو الانسب بظاهر السياق .

وفى « عرش ربك » أقوال : ١ـ قيل : كناية عن العز والملك والسلطان .

٢ ـ قيل : العرش : سرير الملك . ٣ ـ قيل : لا يعلم أحد : أين العرش و كيف هو ؟

أقول : ان العرش على ما ورد ليس كهيئة السرير كما توهم بعض ، بل

هو شيء محدود مخلوق مدبر ، و ان الملائكة امروا بحمله على ما أقدرهم الله تعالى عليه والبحث فيه تفصيلاً في سورة البروج انشاء الله تعالى .

و في «فوقهم» أقوال : ١ ـ عن مقاتل : أى فوق رؤوسهم .

٢ـ عن السدى : العرش تحمله الملائكة ، والحملة فوقهم، ولا يحمل حملة العرش إلاّ الله تعالى فحملة العرش فوق الملائكة الذين في السماء على أرجائها .

٣ـ قيل : أى عرش ربك فوق الكون والخلق أجمعين . ٤ـ قيل : أى عرش ربك يوم القيامة فوق الخلائق . ٥ ـ قيل : أى عرش ربك فوق الحملة و هم على أطراف السماء .

أقول : والاخير هو الاظهر .

وفي قوله تعالى : «ثمانية» أقوال : ١ـ عن إبن عباس والضحاك : أى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهن إلاّ الله تعالى وهي الصفوف من وراء الصفوف .

٢ ـ قيل : حملة العرش ثمانية لكل واحد ثمانية أعين ، كل عين طباق الدنيا .

٣ ـ عن إبن زيد والثعلبي : ثمانية أملاك على خلق الوعلة بانهم اليوم أربعة ، و إذا كان يوم القيامة أمدّهم الله تعالى بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء . ٤ ـ قيل : ثمانية أيام من أيام الاخرة . ٥ ـ قيل : إن الخلق عشرة أجزاء : أحدها ـ الانس والجن و سائر الحيوانات . . . ثانيها ـ ملائكة السموات والارض ثمانية اخرى و هم حملة العرش و هم الكروبيون .

٦ ـ قيل : إن السموات اليوم سبعة فتخرب يومئذ ، فتبقى الثمانية و هي العرش فقط . ٧ ـ قيل : أى ثمانية أبواب الجنة . ٨ ـ قيل : إن حملة العرش بعد تفتت السموات والارض ثمانية و هم الملائكة كما ان للعرش اليوم حملة من الملائكة لقوله تعالى: « الذين يحملون العرش ومن حوله » وقال بعض المفسرين: الحمل على الاشخاص أولى لأن هذا أقل ما يصدق اللفظ عليه ، ولا دليل على الزائد .

٩ ـ عن الحسن : الله أعلم كم هم ؟ ثمانية أم ثمانية آلاف ؟

١٠ ـ عن الكلبى : ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة ١١ ـ عن الكلبى أيضاً : ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء من الملائكة . ١٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : أى ثمانية أجزاء من تسعة ، و هم الكروبيون ، والمعنى : ينزل بالعرش .

١٣ ـ قيل : أى ثمانية أفلاك هى إطباق السموات التى فيها الجنات الثمانى .

أقول : والاول هوالمروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٨ ـ (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

فى قوله تعالى : « لاتخفى منكم خافية » أقوال : ١ ـ عن إبن شجرة : أى هو تعالى عالم بكل شىء من أعمالكم ، وعلى هذا ف«خافية» بمعنى خفية إذ كانوا يخفونها من أعمالهم . ٢ـ قيل : أى لايخفى على الله تعالى إنسان أى لايبقى انسان لا يحاسب يومئذ و لا نفس خافية . ٣ ـ قيل : أى لا يخفى المؤمن من الكافر ، ولا البر من الفاجر ، ولا السعيد من الشقى ، ولا الطيب من الخبيث ، ولا المطيع من العاصى ، و لا المخلص من المنافق . . .

٤ ـ قيل : أى لا تستتر منكم عورة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يحشر الناس حفاة عراة » ٥ ـ قيل : أى لايخفى منكم يوم القيامة ماكان مخفياً فى الدنيا على غير الله وذلك ليتكامل سرور المؤمنين و يعظم توبيخ المذنبين فلا تبقى يوم القيامة فعلة خافية ، و لا خافية أحد .

٦ ـ قيل : أى و انتم مكشوفوالجسد ، مكشوفوالنفس ، مكشوفوالضمير ، مكشوفوالعمل ، ومكشوفوالمصير ، فيسقط عنكم جميع الاستار التى كانت تحجب الاسرار ، و تتعرى بها النفوس والاجساد ، فتبرز الغيوب بروز الشهود ، وانما النفوس والاجساد والضمائر والسرائر معراة لا يسترها شىء ، فالانسان عريان من كل ساتر .

أقول : والتعميم غير بعيد لوقوع النكرة فى سياق النفى وخاصّة إذا كان

فاعلاً لفعل .

١٩ - (فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)

فى « فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه » أقوال : ١- عن إبن زيد : أى فيقول الله تعالى للمؤمنين : تعالوا أيها المؤمنون اقرؤا كتاب أعمالكم .

٢ - قيل: أى فيقول من اوتى كتابه بيمينه خطاباً لما سرّ به للمؤمنين: تعالوا أو خذوا أيها المؤمنون اقرؤا كتابى فرحاً به لانه لما اوتيه باليمين علم انه من الناجين الفائزين بالنعيم فأحب أن يظهره لغيره حتى يفرحوا بما نال من خير وفضل.

٣ - قيل : أى فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول للملائكة : خذوا اقرؤا كتابى انها كتاب يقضى بسعادتى . ٤ - عن مقاتل : فيقول من اوتى كتابه بيمينه لأهل القيامة من المؤمن والكافر، من المطيع والعاصى ، من السعيد والشقى، ومن البر والفاجر : هلمّوا يا أهل القيامة اقرؤا كتابى كيف كانت معرفتى بالله تعالى و اعتقادى بنبيه و ايمانى بوعده ؟ و كيف عملى الصالح فى الحياة الدنيا ليتكامل سرور المؤمنين ، و يعظم توبيخ الكافرين والعاصين .

اقول : و على الثانى أكثر المفسرين ، و هو الانسب بظاهر السياق .

٢٠ - (انى ظننت انى ملاق حسابيه)

فى « ظننت » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة وإبن زيد : أى علمت وأيقنت وقال الضحاك : كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد : ظن الاخرة يقين ، وظن الدنيا شك.

٢- عن الحسن فى الاية : ان المؤمن أحسن الظن بربه ، فاحسن العمل ، و ان المنافق أساء الظن بربه ، فأساء العمل . ٣- قيل : أى انى ظننت أن يؤاخذنى الله بسيئاتى عذابى، فقد تفضّل علىّ بعفوه ولم يؤاخذنى بها .

وقال بعض المفسرين : ان للظن ههنا تفسيرين : أحدهما - انه بمعنى العلم تجوّزاً لان الظن هو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض ، وتجويز نقيض لقاء الرب

أى البعث والنشور كفر، فكيف يمدح به ، كما فىقوله تعالى : « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم » البقرة : ٤٦)، و سبب هذا التجوز أنهما يشتركان فى رجحان الاعتقاد وإن افترقابتجويز النقيض وعدمه ، فصح إطلاق أحدهما على الاخر ،ولا سيما إذاكان الظن عنأمارة قوية تقرّبه من العلم .

ثانيهما ـ ان الظن بمعناه الحقيقى وان لقاء الحساب مظنون الآ انهمتوقع راجحاً عند المؤمن .

أقول : والاول هوالمروى .

٢١ـ (فهوفى عيشة راضية)

فى « عيشة راضية » أقوال : ١ـ عنأبى عبيدة والفراء : أى مرضية منوضع إسم الفاعل موضع اسم المفعول ، مثل دافق بمعنى مدفوق .

٢ـ قيل : أى ذات رضا علىالنسب أى يرضى بها صاحبها نحو ،لابنوتأمر أى ذات لبن وذات تمر . ٣ـ قيل : هىعلى بابها و كأن العيشة رضيت بمحلها و حصولها فى مستحقها على انها عيشة بالغة فىانها مرضية لحد كأن الرضاأدغمت فىذاتها، فأصبحت راضية نحو : شعر شاعر وليلساهر وسحر ساحر مبالغة فى جمالها و كمالها .اوانهالاحال أكمل من حالهاعلى سبيل المجاز العقلى .

٤ـ قيل : أى فىعيش يرضاه لامكروهفيه إذيلقى الثواب ويؤمن منالعقاب

٥ـ قيل : أى فىحياة طيبة يجد فيها الرضا كله فى جميع أحواله . . .

أقول : وعلى الثالث اكثرالمفسرين .

٢٢ـ (فىجنة عالية)

فىالاية أقوال : ١ـ قيل : أى فىجنة رفيعة المكان والقدروالمكانة علىما لاعين رأت ، ولااذن سمعت ، ولاخطرعلى قلب بشر.٢ـ قيل : أى رفيعةالدرجات لانها فوق السماوات على تفاوت الطبقات . . . ٣ـقيل : أى فى جنة رفيعةالمعانى

والقصور والاشجار . . . ٤- قيل : أى فى جنة عظيمة فى النفوس . . . ٥- قيل :فى بستان عال رفيع ؟ ٦- قيل : أى فى جنة عالية علواً حسياً ومعنوياً .

اقول : ولكل وجه ، والتعميم هو الاوجه .

٢٣- (قطوفها دانية)

فى الاية أقوال : ١- عن قتادة : أى لا يرد أيديهم عن ثمرها بعد ولا شوك .

٢- عن البراء بن عازب : أى يتناول الرجل من ثمرة الجنة و هو نائم من غير أن يمنعه منها بعد ،ولا يحول بينه و بينها شوك ، ولا تتكلف القيام ، ولا التوسل بأية وسيلة . ٣- قيل : أى ثمار الجنة قريبة ممن يتناولها ، فمن أحب أن تدنو دنت فيتناولها كيفما يشاء وحيثما يريد .

اقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين من غير تناف بين الاقوال .

٢٧- (ياليتها كانت القاضية)

فى الاية أقوال : ١- عن قتادة : أى ياليت الموتة الاولى كانت هذا اليوم قاضية أيضاً . على أنه يتمنى يوم القيامة الموت الذى قضى عليه فى الدنيا ، إذ لم يكن فى الدنيا شيء عنده أشد كراهة من الموت،ولكنه يتمناه يومئذ فيقضى عليه وتخرج منه نفسه ليستريح من الخجل وسوء المنقلب ، ومن النار والعذاب اذ يراها أشد وأشنع من الموت.

٢ - قيل : أى ياليت القارعة التى سبق ذكرها كانت قاضية عليّ ، ما حقة لوجودى بعد الموت فحسب دون أن تتلوها قارعة العذاب بعد صيحة الاحياء فى الاخرة .

٣- عن الفراء : أى ياليت الموتة الاولى التى متها كانت هى قاطعة للحياة أبداً ، وكانت هى فارغة من كل ما بعدها ، فلم احى بعدها ، و لم ابعث للحساب والجزاء بناء على أنه يتمنى دوام الموت الدنيوى .

٤- قيل : أى ياليت هذه الحالة التى أنا فيها كانت هى القاضية من قبل .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الثالث غير بعيد .

٢٨- (ماأغنى عنى ماليه)

في الاية أقوال : ١- قيل : أي مادفع عني مالي من عذاب الله شيئاً . ٢-قيل: أي اني قصرت همتي على تحصيل المال ليكشف الكرب عني فما نفعني اليوم .

٣- قيل : أي أيّ شيء أغنى عنى ما كان لي من اليسار، فانه لم يبق منه الا الوبال . على أن تكون « ما » للاستفهام .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٢٩- (هلك عنى سلطانيه)

في الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وعكرمة والسدى والضحاك :أي ضلّ عني ما كنت أعتقده حجة قوية وبينة ظاهرة على محمد . ٢- قيل : أي ذهب عني حججي ، فلاحجة لي احتجّ بها ولا بينة استدل بها اليوم . ٣- قيل : عن إبن زيد : ذهب عني سلطان الدنيا ، و هلك عني ملكي وتسلطي على الناس وأمري و نهيي في الحياة الدنيا على ما كنت مسلطاً عليه ، فلاأمر لي ولانهي وملك وتسلط لي فصرت فقير أذليلاً ضعيفاً ،فذهبت العزة والقوة والمال وبقيت الذلة والضعف والوبال

أقول : وعلى الاخير جمهور المفسرين .

٣٢- (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

في « ذرعها سبعون ذراعاً » أقوال : ١ -- عن إبن عباس : طول السلسلة سبعون ذراعاً بذراع الملك .

٢ -- قيل: طولها سبعون ذراعاً ، والمراد به الكثرة لاستعمال السبعين عليها كقوله تعالى: « إن تستغفر لهم سبعين مرة » التوبة: ٨١) إذ ليس المراد خصوص السبعين من العدد، فان العرب إذا أرادت الكثرة عبّرت عنها بالسبعة والسبعين وسبعمأة ، والغرض إثبات أنها طويلة المدى .

٣- عن الحسن : الله تعالى هو أعلم بأي ذراع ٤- قيل : اريد بالسبعين هو

هذا العدد . ٥- عن نوف : كل ذراع سبعون باعاً ، وكل باع أبعد مابينك ـ و قد كان هو بمسجد الكوفة ـ وبين مكة .

اقول : والاول غير بعيد على أن كل شيء يناسب بعالمه الدنيوى والاخروى.

وفى « فاسلكوه » أقوال : ١- عن مقاتل وسفيان : ان السلسلة تدخل فى دبر الكافر ، فتخرج من فيه ، والمعنى : ثم اسلكوا فيه سلسلة . ٢- قيل : أى اجعلوا هذا الكافر فى السلسلة بأن تدخل عنقه فيها لانه يؤخذ عنقه فيها ثم يجرّ بها . ٣- عن إبن عباس : تدخل السلسلة فى دبره ثم تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه. ٤- عن الضحاك : أى تدخل السلسلة فى فيه ، وتخرج من دبره ، فينادى أصحابه هل تعرفونى ؟ فيقولون : لا ولكن قد نرى مابك من الخزى فمن أنت ؟ فينادى أصحابه : أنا فلان بن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا .

فعلى هذا يكون المعنى : ثم اسلكوا السلسلة فيه . فقلب كما يقال: ادخلت القلنسوة فى رأسى .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

٣٥- (فليس له اليوم ههنا حميم)

فى « حميم » أقوال : ١- قيل : أى ماء حار يستحمّ فى الجحيم لقوله تعالى: « يصب من فوق رؤسهم الحميم » الحج : ١٩) وقوله :« وسقوا ماء حميما» محمد:١٥)

٢- قيل : أى ليس له قريب يرق له ويدفع عنه وهو مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار كانه الصديق الذى يرق ويحترق قلبه له . ٣- أى ليس له شفيع يشفع له إذ لاشفاعة لكافر يوم القيامة .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين وهو الانسب لما جاء الحميم والشفيع فى قوله تعالى : « ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع » غافر : ١٨) وقيل السياق وخاصة ذكر الطعام يؤيد الاول على أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً والمعنى :فليس له اليوم ههنا حميم إلاّ من غسلين و هو الماء الحار و « لاطعام» أى ليس له طعام

ينتفع به .

٣٦- (ولاطعام الامن غسلين)

فى « غسلين » أقوال : ١- عن إبن عباس : هو صديد أهل النار السائل من جروحهم وفروجهم . على أن «غسلين» من الغسل - بفتح الغين - فكأنه ينغسل من أبدانهم . ٢- عن الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهل النار . ٣- عن الاخفش الغسل - بكسر الغين - : مايغسل به الرأس من خطمى وغيره ، ومنه الغسلين، وهو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم ثم زيد فيه الياء والنون كما زيد فى «عفرين»

٤- عن قتادة وإبن زيد : غسلين : هو شر الطعام وأبشعه .

٥- عن إبن زيد أيضاً : لايعلم ماهو ولا الزقوم . وعن إبن عباس أيضاً : انه سئل عن الغسلين فقال : لاأدرى . ٦- عن الكلبى: هو مايسال من أهل النار، فغسلين من الغسالة . ٧- قيل : فى الكلام تقديم وتأخير وحذف أى ليس لهم طعام إلاّ من ضريع ولاشراب إلاّ من غسلين .

إذ قال الله تعالى فى موضع آخر : « ليس لهم طعام إلاّ من ضريع » الغاشية:٦)

وقيل : يجوز أن يكون الضريع من الغسلين كما يجوز أن يكون أهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسلين ، ومنهم من طعامه زقوم ، ومنهم من طعامه ضريع .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن الاخير هو الانسب من غير تناف بينهما.

٣٨- (فلااقسم بما تبصرون)

فى القسم المنفى أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة وإبن زيد والفراء : أى ليس الامر كما مايقوله المشركون على أن «لا» ردّ عليهم فى النبى ﷺ وما جاء بهم قال مقاتل : سبب ذلك : ان الوليد بن المغيرة قال : ان محمداً ساحر، وقال أبو جهل : انه شاعر، وقال عقبة : انه كاهن فقال الله تعالى : « فلاأقسم» اى بل اقسم انه لقول رسول كريم : ٢- قيل : «لا» زائدة جيئت للتأكيد أى فاقسم . ٣- عن أبى مسلم: لايحتاج الامر إلى القسم لوضوح الحق فى أنه لقول رسول كريم ، فالمراد

به نفى القسم .

٤- قيل : انه كقول القائل : لاوالله لاأفعل كذا ، ولاوالله لافعلن كذلك، و قال الجبائى : انما أراد انه لايقسم بالاشياء المخلوقات : مايرى ومالايرى ، وانما اقسم بربها لان القسم لايجوز الاّ بالله تعالى .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « بماتبصرون » أقوال : ١- قيل : أى بماتبصرون من الأجسام . ٢- عن عطاء : أى بماتبصرون من آثار القدرة الالهية ومظاهر الحكمة الربوبية . ٣- قيل: أى بماترون من المشاهدات والمحسوسات. ٤- قيل : أى بما تبصرون من الدنيا و متاعها . ٥- قيل : أى بما تبصرون من الانس . ٦- قيل : أى بما تبصرون من الخلق . ٧- قيل : أى بما تبصرون من النعم الظاهرة وماعلى ظهر الارض. ٨- قيل : هوالذى أظهره الله تعالى من مكنون غيبه الملائكة والجن واللوح والقلم والكون وما فيه .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

٣٩- (ومالاتبصرون)

فى الآية أقوال : ١- قيل : أى ومالاتشاهدونه من المكنونات والموجودات المستورة عن أعينكم . ٢- قيل : أى ومالاترون من الآخرة وامورها . . . ٣- قيل: أى بمالاترون مافى بطن الارض . ٤- قيل : أى الارواح . . . ٥- قيل : أى الجن والملائكة . ٦- قيل : هوالذى لم يظهره الله تعالى ، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ٧- قيل : أى النعم الباطنية . ٨- قيل : أى أسرار القدرة الالهية . ٩- قيل : أى و مالاتبصرون الخالق فانه لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار .

اقول : والاول هوالانسب بسياق العام .

٤٠- (انه لقول رسول كريم)

فى « رسول » قولان : أحدهما - عن الكلبى والقتبى : أى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ٢- عن الكلبى أيضا ومقاتل والحسن والجبائى : هو جبرئيل

فالمعنى انه لرسالة رسول كريم .

اقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق لان المشركين لا يقولون فى جبرئيل: انه شاعر أوكاهن أومجنون . . . وانما يقولون ذلك فى رسول الله ﷺ و أما نسبة القرآن الكريم إلى قول النبى ﷺ فباعتبار تكلمه ﷺ بما أوحى الله تعالى إليه و ان الرسول لا يأتى الا بقول مرسله ، و ان الرسول لا يقول عن نفسه : « و ما ينطق عن الهـوى إن هو إلا وحى يوحى » و لهـذا أكّده بقوله : « تنزيل من رب العالمين » لازالة الاشكال بأن القرآن كلام الله تعالى فكيف اضيف إلى النبى ﷺ و لتقرير تلك الحقيقة و إزاحة ذاك الاشكال جاء بعد هذا قوله تعالى : « و لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» ليؤكد هذه الحقيقة ويقطع كل شبهة بان لرسول الله شيئاً من هذا القرآن الذى يتلوه على الناس ، و انما هو من كلام رب العالمين و انما النبى ﷺ يبلغه عن الله جل وعلا .

٤١ - (و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)

فى « قليلا ما تؤمنون» أقوال : ١- قيل: أى قليلا ما تؤمنون بهذا القرآن والمعنى : لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفى ايمانهم أصلا كما تقول لمن لا يزورك : قل ما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً . ٢- قيل: أى تؤمنون بذلك القرآن ايماناً قليلاً بحيث يرجعون عن الايمان سريعاً . ٣- قيل : أى تؤمنون بالاخرة قليلاً منكم ، و ذلك القليل من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا من خلقهم ؟ قالوا : الله . و «ما» زائدة . ٤ - قيل : أى قليل منكم تؤمنون بالله تعالى و رسوله ﷺ .

اقول : والاخير هو المؤيد بظاهر السياق و خاصة قوله تعالى : « و انا لنعلم ان منكم مكذبين » .

٤٥ - (لاخذنا منه باليمين)

فى الاية أقوال : ١ - عن إبن عباس و مجاهد و إبن قتيبة والفراء والمبرد والزجاج : أى لاخذنا منه بالقوة والقدرة ، و انتقمنا منه أشد الانتقام و نحن قادرون عليه ما لكون له ولعا جلناه بالعقوبة و لنلنا منه عقاباً . ٢ - قيل : أى لسلبنا عنه القدرة على التكلم بذلك القول لئلا يشتبه الصادق بالكاذب . ٣ - عن السدى : أى لأخذناه بحق ، وننتقم منه بيقين من قبل الحق كقوله تعالى : « انكم كنتم تأتوننا عن اليمين » الصافات: ٢٨) أى من قبل الحق. ٤ - قيل : أى لأخذناه بالاستحقاق على زيادة «من» فى «منه» ٥ - قيل : أى لانقبضنا عليه بقوتنا . ٦- عن الحسن و أبى مسلم : أى لقطعنا يده اليمنى .

٧ - عن نفطويه : أى لقبضنا بيمينه عن التصرف ، ولامسكنا به من يمينه كما يقبض على المجرم ، فيؤخذ بيده ما اوتيه .

هذا الكلام خرج مخرج الا دلال على عادة الناس فى الاخذ بيد من يعاقب كما يقول السلطان لمن يريد هوانه اذا تخلّف عن وظائفه: خذوا يديه أى لامرنا بالاخذ بيده و بالغنا فى عقابه أى لاهناه كالذى يفعل بما وصفنا حاله .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين و عبّر عن القوة والقدرة باليمين لان قوة كل شيء فى ميامنه كتعبير اليد عن القدرة لانها مظهرها .

٤٦ - (ثم لقطعنا منه الوتين)

فى الاية أقوال : ١ - عن إبن عباس و سعيد إبن جبير و إبن زيد : أى لاهلكناه بقطع نياط القلب وهو عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه . و قيل: هو وريد القلب الذى هو ينبوع الحياة . ٢ - قيل : أى لنضرب رقبته على الفور و نزهق روحه و « الوتين » : عرق غليظ تصادفه شفرة الناجر . ٣ - عن محمدبن كعب : «الوتين» : هوالقلب ومراقه ومايليه .

٤- عن مجاهد وقتادة : « الوتين » : هو حبل القلب الذى يتصل بالظهر، وهو النخاع ، فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه ، والموتون الذىقطع وتينه

وقال الضحاك: هو وتين القلب، وهو عرق يكون فى القلب فاذا قطع مات الانسان.

وقال الراغب : عرق يسقى الكبد وإذا انقطع مات صاحبه.

٥- قيل : هو وتين الوحى والعقل بان ينقطع عنه الوحى فيفتضح، ويزول منه العقل فيهان بذلك بين الناس . ٦- قيل : أى لانتقمنا منه بقوة عرق ظهره و «الوتين» عرق الظهر يكون منه الولد . ٧- قيل: الوتين : عرق غليظ تصادفه شفرة الناجر .

قال الكلبى : هو عرق بين العلباءِ والحلقوم والعلباء : عصب العنق و هما عبا وان بينهما ينبت العرق. وقال عكرمة: ان الوتين إذا قطع لا إن جاع عرف، وإن شبع عرف .

٨- عن الحسن : الوتين : عرق يتصل من القلب بالرأس فاذا انقطع مات الحيوان .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٤٧- (فما منكم من احد عنه حاجزين)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أى فليس منكم أيها الناس أحد مانعين عن عقوبة محمد وتنكيله لو تقوّل علينا بعض الا قاويل ، اذ لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ، ويدفعه عنه ، فلاتقدروا على أن تحوّ لوا بينه وبينه .

٢- قيل : أى فما منكم أيها المشركون قوم يمنعون عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عقوبتنا ويحجزوننا عن مانفعله به أو يدفعون عنه عذابنا. ٣- قيل : أى فما منكم أيها المشركون أحد أن ينقذ محمداً عن العذاب والتنكيل لو تقوّل علينا بعض الا قاويل .

اقول : ظاهر سياق الخطاب يؤيد الثانى وخاصة قوله تعالى: «وانا لنعلم ان منكم مكذبين» وهذا من باب إياك أعنى و اسمعى ياجاره .

٥٢- (فسبح باسم ربك العظيم)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : أى فصلّ لربك . ٢- قيل : أى نزّه

الله تعالى عن السوء والنقائص وعظّمه بحسن الثناء عليه ، على زيادة الباء فالمعنى: سبح اسم ربك ، والاسم المسمى .

٣ ـ قيل : أى فسبّح الله تعالى بذكر اسمه تنزيهاً له عن الرضا بالتقول عليه وشكراً له على ما اوحى به إليك من هذا القرآن الجليل الشأن . ٤ـ قيل: أى نزّهه عما لا يليق به ، فلاتضف إليه صفة أو عملاً قبيحاً .

٥ ـ قيل : أى قولوا : سبحان ربى العظيم . و العظيم فى صفة الله تعالى معناه : ان كل شيء سواه يقصر عنه فانه القادر العالم الغنى الذى لايساويه ، ولايخفى عليه شيء جلت آلائه و تقدّست أسمائه .

٦ـ قيل : أى فصلّ بذكر ربك و بأمره . ٧ـ قيل : أى فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه ، و العظيم هو الجليل الذى يصغر كل شيء تجاه عظمته ويتضاءل كل شيء لعظمته وسلطانه .

٨ـ قيل: أى أوقع التنزيه الكامل عن كل شائبة نقص « باسم » بسبب علمك بصفات «ربك» الموجد والمربى لك والمحسن إليك بأنواع الاحسان « العظيم » الذى ملات أقطار السموات والارضين عظمته و كبريائه لاتسعه العقول .

اقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق والمقام .

«التفسير والتأويل»

١ - (الحاقة)

الحاقة : الحادثة التى يحق فيها الموعود من عذاب الله تعالى إما فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار ، و إما فى الاخرة من الهول والفزع والنار والعذاب بسبب الكفر والتكذيب والطغيان . . . من غير فرق فى ذلك بين الكفار الاولين والكفار الاخرين . . . فالحاقة : ما يقع على الأسماع موقع الصيحة الراعدة المزلزلة فى هدأة الليل ، تغشى الناس بالفزع المذعور الذى تدهش له العقول ، و تزيغ به الابصار ، و تخرس معه الألسنة . . .

قال الله تعالى : « كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الاوتاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب الأيكة اولئك الاحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب و ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق و قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » ص : ١٢ - ١٦) .

وقال : « و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » الاسراء : ١٦) .

و قال : « لينذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين » يس : ٧٠) .

و قال : « اذا السماء انشقت - و أذنت لربها وحقت » الانشقاق : ١ - ٥) .

٢ - (ما الحاقة)

أى شيء هى الحاقة ؟ و أى شيء هو أعظم منها ؟ تفخيماً لشأنها و أمرها و

حالها، و تعظيما لهولها و فزعها وخوفها ، و ذلك لما سمع الناس كلمة «الحاقة» وقع عليهم الفزع والرعب و استبدّ بهم الخوف من مجرد التلفظ بها فكأنهم اتجهوا بهذا السؤال إلى النبى الكريم ﷺ الذى ألقى بها على أسماعهم . . . كقوله تعالى : « القارعة ما القارعة » القارعة : ١ ـ ٢) .

٣ - (و ما أدراك ما الحاقة)

و أىّ شىء أعلمك وعرّفك ما هى الحاقة ، و قد بلغت من الشدة والفزع، من الصيحة والخوف ، ومن الرعب والهول أن لا يبلغها علم المخلوقين ، ولا يبلغ حقيقتها وصف الواصفين ، ولا كنهها خبر المخبرين لكونها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لعظم شأنها و مدى هولها و شدتها ، فلا تحيط بها العبارة ، و مهما يقدّر الانسان حالها فهى أعظم من ذلك وفوقه ، فلا يدرى أحد حقيقتها الاّ بعد وقوعها ، و ان كنت تدرى وصفها بما عرّفك الله جل و علا و أدراك بها بما فى الآيات التالية . . . مما حقّ على الامم السالفة وما سيحق بمن سلك مسلكهم فى الحياة الدنيا ، و ما يحق بهم و من إليهم يوم القيامة .

نظير قوله تعالى : « وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث و تكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٣ ـ ٥) .

و قوله سبحانه : « ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً » الانفطار : ١٨ ـ ١٩) .

و قوله جل وعلا : « و ما ادراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر» المدثر: ٢٧ـ٣٠) إذ وصف الله تعالى «القارعة» و «يوم الدين» و «سقر» من غير بيان كنهها و حقيقتها .

٤ - (كذبت ثمود و عاد بالقارعة)

كذبت ثمود : قوم صالح ، و عاد : قوم هود بيوم القيامة التى تقرع القلوب بالاهوال والافزاع . . . فلما كذبوا بها حقت عليهم القارعة التى قرعت قلوبهم فى

الحياة الدنيا .

وسميت القيامة بالقارعة لانها تقرع قلوب المنكرين المكذبين بها بالمخافة والفزع قال الله تعالى : « القارعة - يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » القارعة : ١ - ٤) كما ان «الطامة» فى قوله تعالى : «الطامة» النازعات : ٣٤) و «الصاخة» عبس : ٣٣) و «الواقعة» الواقعة : ١) أسماء ليوم القيامة . . . و أما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون قال الله تعالى : « و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله و كل أتوه داخرين - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل: ٨٧ - ٨٩) .

٥ - (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية)

فاما ثمود : هم قوم صالح كفروا بالله تعالى و كذّبوا بنبيه و وعيده ، و جحدوا آيات الله جل وعلا و انكروا البعث والحساب والجزاء ، و طغوا و سعوا فى الارض فساداً ، و عتوا عن أمر ربهم ، فأخذتهم أنواع العذاب متعاقبة فهلكوا بها جميعاً من الصاعقة والصيحة والرجفة المتجاوزة عن حدّ التصور وجاوز تأثيرها حتى وصل إلى مكان آخر غير مكانهم .

فلا منافات بين الايات التى تذكر عذابهم تارة بالصاعقة و اخرى بالصيحة و ثالثة بالرجفة و رابعة بالطاغية كما توهم بعض المفسرين .

و ذلك لان الصاعقة تحدث صوتاً عظيماً فذلك المراد بتسميتها بالصيحة ، و قد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال ترجف الافئدة من وقعها ، وقد تكون فى مكان يطغى تأثيرها حتى يصل إلى مكان آخر ، فما وصفه القرآن الكريم للصاعقة بتعابير شتى هو تعبير دقيق يصف آثارها وعواملها ومظاهرها . . . قال الله تعالى: « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » فصلت : ١٧) .

وقال : « وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم

الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين» الذاريات: ٤٣-٤٥).
وقال: «كذبت ثمود بالنذر - انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر» القمر: ٢٣ - ٣١).
وقال: «كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله و سقيها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها» الشمس: ١١-١٤).
وقال: «و إلى ثمود أخاهم صالحاً - وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين» الاعراف: ٧٣ - ٧٨).

٦ - (و أما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية)

و أما عاد: قوم هود بالاحقاف - و هم الذين كفروا بالله تعالى و جحدوا بآيات ربهم و عصوا رسله و اتبعوا أمر كل جبار عنيد، و استكبروا فى الارض بغير حق - فاهلكوا بريح شديدة البرد تجاوزت عن خزنتها و عتت و غضبت لغضب الله جل وعلا على عاد لعتوهم والطغيان، فليس جزاء السيئة الا مثلها، فالعاتية بالعاتية.

قال الله تعالى: «و اذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه و من خلفه ألاّ تعبدوا الاّ الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم - إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» الاحقاف: ٢١-٢٦).
و قال: «و فى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم» الذاريات: ٤١ - ٤٢).
وقال: «وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله و اتبعوا أمر كل جبار عنيد و اتبعوا فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة ألا ان عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود» هود: ٥٩ - ٦٠).
و قال: «فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق و قالوا من أشد منا

قوة أو لم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون » فصلت : ١٥) .

٧ - (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)

سخرالله تعالى الريح الصرصر ، وأرسلها بقهر و سلطها على عاد بقدرته - التسخير : استعمال الشيء بالقهر والاقتدار - سبع ليال و ثمانية أيام متتابعات بلافترة ، و متتاليات بلا انقطاع ، فترى القوم فى تلك الليالى والايام مصروعين، مطروحين على الارض هالكين كأنهم اصول نخل بالية لاجوف لها ، و لم يبق منهم أحد .

قال الله تعالى: « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر: ١٨-٢٠).

و قال : « ريح فيها عذاب أليم تدمّر كل شيء بأمر ربها فاصبحوا لايرى إلا مساكنهم » الاحقاف : ٢٤ - ٢٥) .

وقال : « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أخزى و هم لا ينصرون » فصلت : ١٦) .

وقال: «وقطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين» الاعراف:٧٢).

٨ - (فهل ترى لهم من باقية)

فهل ترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعاد من بقية ، فلم يبق منهم من يتحدث عنهم، و لا من نسلهم أحد الا الذين آمنوا و هم قليلون من قوم هود .

قال الله تعالى : « و لما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا و نجيناهم من عذاب غليظ » هود : ٥٨) .

وقال : « فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ١٣٩) .

٩ - (و جاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة)

و جاء فرعون و من قبله من امم مكذبة و أقوام طاغية عاتية كقوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط بالخطيئات والآثام . . .

«والمؤتفكات» : هم أهل قرى لوط، سميت بها لانها إئتفكت بهم أى إنقلبت إذ قلبها الله تعالى على أهلها و جعل عاليها سافلها أو إنقلبت جماعاتها فيها .

فلا ينافى الجمع ما جاء بالافراد فى قوله تعالى : « والمؤتفكة أهوى » النجم : ٥٣) على أن المراد بالافراد رأس القرى التى حولها فهى أشبه بالام لها .

والاية فى معنى قوله تعالى: « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون » التوبة : ٧٠) .

١٠ - (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)

فعصى هؤلاء المكذبون الذين سبق ذكرهم - من فرعون مصر و من كان قبله والمؤتفكات - رسل الله تعالى فأخذهم الله تعالى بالعقوبة أخذة زائدة فى الشدة لزيادتهم فى الكفر والعصيان على غيرهم فالزيادة والشدة بالشدة فمهما زاد الكفر والطغيان زادت العقوبة والنيران .

قال الله تعالى فى فرعون و أذنابه : « فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذاً وبيلا » المزمل : ١٦) .

و قال : « و لقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فاخذناهم أخذ عزيز مقتدر » القمر : ٤١ - ٤٢) .

و قال : « اذهب إلى فرعون انه طغى - فقال أنا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » النازعات : ١٧ - ٢٦) .

فجزاء سيئة سيئة مثلها قال الله تعالى: « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها» يونس : ٢٧) .

١١ - (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية)

انا حين ما فاض الماء و تجاوز حدّه فى الارتفاع والعلو ، و ملأ الآفاق ، حملناكم و أنتم فى أصلاب آباءكم فى سفينة نوح عليه السلام التى كانت تجرى على الماء لتكون الحادثة مذكرة واعظة لا تبرح الاذهان . . .

قال الله تعالى : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر و فجّرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح و دسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر » القمر : ١١ - ١٤) .

وقال : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك إلاّ من سبق عليه القول و من آمن و ما آمن معه الاّ قليل و قال اركبوا فيها بسم الله مجراها و مرساها - و هى تجرى بهم فى موج كالجبال - و قيل يا أرض ابلعى مائك و يا سماء اقلعى و غيض الماء و قضى الامر و استوت على الجودى و قيل بعداً للقوم الظالمين » هود : ٤٠ - ٤٤) .

١٢ - لنجعلها لكم تذكرة و تعيها اذن واعية)

لنجعل تلك الامور التى سبق ذكرها آنفاً من أول السورة إلى هنا اجمالاً - من هلاك المكذبين الطغاة ، و تسخير الريح على الكافرين العصاة و دمارهم بها وحملكم فى سفينة نوح عليه السلام و أنتم فى أصلاب آبائكم و ابقاء ألواح السفينة - تذكرة لكم فتتذكروا ، و عبرة فتعتبروا ، و موعظة فتتعظوا بها ، قال الله تعالى: «فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين» العنكبوت : ١٤ - ١٥) و لكن تحفظها اذن سامعة تعقل ما تسمعه ، و تنتفع عما تعقل، فيقرّر فيها كلام الله جل وعلا ، فلا تنسى ما سمعته ، ولا تعمل خلاف ما قرّر فيها من كتاب الله تعالى حيث انعكس فيها و انتقش فى نفس صاحبها الوحى فكأن الظرف والمظروف صارا متحداً و فى شرع سواء أحدهما صامت والآخر ناطق .

١٣ - (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)

فاذا نفخ فى الصور اسرافيل نفخة واحدة . و هى النفخة الاولى ، و عندها خراب العالم ، فلم يبق أحد فى السموات والارض الا ّمات الا ّمن شاء الله تعالى .

قال الله جل وعلا : « و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا ّمن شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون » الزمر : ٦٨) .

١٤ - (و حملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة)

و رفعت جملة الارض ، و جملة الجبال من أماكنها اذ ضرب بعضها على بعض ضربة واحدة ، فكسرتا و فتتّتا ، و تبدل الارض غير الارض و صارت الجبال كثيباً مهيلاً . والدك : كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغاره و تفرّقها . . . بعد ما قلعت عن مقارّها قال الله تعالى : « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار » ابراهيم : ٤٨) .

و قال : « و يوم نسيّر الجبال و ترى الارض بارزة » الكهف : ٤٧) .

وقال: «يوم ترجف الارض والجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلا» المزمل: ١٤).

١٥ - (فيومئذ وقعت الواقعة)

فعند رفع الارض بالرج ، و رفع الجبال بالبسّ و دكّ بعضها على بعض ، و تفرّق أجزائها قامت القيامة .

قال الله تعالى : « اذا وقعت الواقعة ـ اذا رجّت الارض رجاً و بست الجبال بساً » الواقعة : ١ ـ ٥) .

١٦ - (و انشقت السماء فهى يومئذ واهية)

ويومئذ انصدعت و انفطرت مع شدتها ، فالسماء حين وقوع الساعة باطلة مختلة ضعيفة كالصوف فى الضعف لاتماسك بين أجزائها، متمزقة بنيتها ، ومخترقة طبقاتها . . .

قال الله تعالى : « اذا السماء انشقت و أذنت لربها و حقت » الانشقاق : ١-٢).

وقال : «يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن» المعارج: ٨-٩).

١٧ - (والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)

و اذا انشقت السموات السبع عدلت الملائكة عن مواضعهم إلى جوانب السموات وأطرافها إذ كانت مكانهم، ويحمل عرش ربك فوقهم حين إنشقاق السموات ثمانية صفوف من الملائكة صفاً صفاً : سبعاً منها من السموات السبع و صفاً من ملائكة الكرسي . و في الاية دلالة على حفظ الكرسي والعرش بعد خراب السموات السبع .

قال الله تعالى : « و نفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الارض الا من شاء الله - و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » الزمر : ٦٨ - ٧٥) .

وقال : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » غافر : ٧) و بعض ما ورد في المقام فمن باب التأويل .

١٨ - (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

يوم وقوع الساعة تعرض أيها الناس على ربهم للفصل و القضاء ، و للحساب والجزاء ، لايخفى عليه جل وعلا شيء من عقائدكم و سرائركم ، و من أعمالكم و أقوالكم ، و ما في ضمائركم . . . و انما الغرض من ذلك العرض إفشاء الحال والمبالغة في العدل، وتقرير الاعمال و ما في الصدور على الخلق ، فتظهر الاحوال والسرائر ، و يصير الباطن كالظاهر ، و يتبدل الغيب شهادة والسرّ علناً، والخفي ظاهراً . . . و ليس الغرض من العرض أن يعلم الله جل وعلا به ما لم يكن عالماً به فانه تعالى يعلم جميع ما كان منهم يوم القيامة كما كان يعلم جميع ما كان منهم في الحياة الدنيا و محيط به .

قال الله تعالى : « ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً » الكهف . ٤٧ ـ ٤٩) و قال : « يوم تبلى السرائر » الطارق : ٩)

وقال : « يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » هود : ١٨)

وقال : « ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن ومايخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء » ابراهيم : ٣٨)

وقال : « يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء - يعلم خائنة الاعين و ماتخفي الصدور » غافر : ١٦-١٩)

وقال : « قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض » آل عمران : ٢٩)

وقال : « لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » البقرة : ٢٨٤)

١٩ـ (فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)

فاذا سيق الناس إلى المحشر، وعرضوا للفصل والقضاء، وللحساب والجزاء فاما من اوتي كتاب أعماله بيمينه يبتهج ويسر بما كان عليه من ايمان ويقين بالله تعالى ولقائه، ومن صالح الاعمال والاخلاص، ومن الاعتقاد بيوم القيامة والحساب والجزاء، فيقول هذا المؤمن لاهل الايمان : خذوا أيها المؤمنون كتاب أعمالي واقرؤه كيف يسر الناظرين فكأنه يحدث كل من يلقاه من المؤمنين، فيدعوهم إلى أن يقرؤا كتابه لان يروا ما في وثيقة النجاح التي في يده من الايمان وصالح

الاعمال . . .

قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب وجيء بالنبيين و الشهداء و قضى بينهم بالحق وهم لايظلمون » الزمر : ٦٨ ـ ٦٩)

وقال : « وكل انسان ألزمنا طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ـ يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً» الاسراء: ١٣-٧١)

وقال : « يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً الانشقاق : ٦-٩) وماورد في المقام فمن باب التأويل والانطباق فتأمل جيداً .

٢٠ ـ (اني ظننت اني ملاق حسابيه)

اذا اوتي كتاب المؤمن بيمينه يوم القيامة يسرّ ، ويدعو المؤمنين إلى أن يقرؤا كتابه ويقول لهم: لاني كنت على يقين سأبعث واحاسب حساباً يسيراً يوم القيامة بما عملت في الحياة الدنيا ، فآمنت بربي و أصلحت عملي ، اذ من كان يرجو لقاء مثوبة ربه يؤمن بالله جل وعلا ويعمل عملاً صالحاً .

وقد جاء الظن بمعنى اليقين بمواضع من القرآن الكريم منها :

قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاّ على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم و انهم إليه راجعون ـ قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » البقرة : ٤٦ ـ ٢٤٩)

و قوله تعالى : « حتى اذا استيئس الرسل و ظنوا انهم قد كذبوا جاءهم

نصرنا فنجّى من نشاء » يوسف : ١١٠)

وقوله جل وعلا : « ورأ المجرمون النارفظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً » الكهف : ٥٣)

٢١- (فهوفى عيشة راضية)

من اوتى كتاب أعماله بيمنه يوم القيامة فهوفى عيشة بالغة فى الرضا لثقل موازينه بالايمان وصالح العمل يتبعه دخوله فى الرضوان ورضوان الله تعالى أكبر من ذلك .

قال الله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهوفى عيشة راضية » القارعة: ٦-٧)

وقال : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه » البينة : ٧-٨)

وقال : « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » الفجر : ٢٧ - ٣٠)

وقال : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية » الغاشية : ٨-٩)

وقال : « اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ٢٢)

وقال : « الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله باموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة و رضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم - وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ٢٠-٧٢)

٢٢- (فى جنة عالية)

عالية علواً حسياً ومعنوياً: رفيعة المكان والمكانة، رفيعة الدرجات والمبانى، رفيعة فى القصور والاشجار، و عظيمة فى النفوس مالاعين رأت، ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، كل ذلك حسب درجات الايمان و صالح الاعمال...

قال الله تعالى: «ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ذلك جزاء من تزكى» طه: ٧٥ - ٧٦).

وقال: «لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة و كلاً وعد الله الحسنى و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه و مغفرة و رحمة» النساء: ٩٥ - ٩٦).

و قال: «و لكل درجات مما عملوا» الانعام: ١٣٢)

وقال: «لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا و كلاً وعدالله الحسنى والله بما تعملون خبيراً» الحديد: ١٠).

٢٣ - (قطوفها دانية)

ثمار الجنة قريبة من متناوليها دنواً يسهل أخذها من غير صعوبة ولا كلفة و لا شوك يقطفها القائم والقاعد والمضطجع لانها ذللت تذليلا.

قال الله تعالى: «ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً» الانسان: ١٤).

وقال: «ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة و لهم ما يدّعون» يس: ٥٥ - ٥٧).

وقال: «و فاكهة مما يتخيرون - وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة» الواقعة: ٢٠ - ٣٣).

٢٤ - (كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية)

يقال لهم : كلوا أيها المؤمنون أكلاً طيباً ، و اشربوا شرباً هنيئاً لكم لا مكروه و لا تكدير و لا تنقيص ولا أذى فيهما بسبب ما قدمتموه من الايمان و صالح الاعمال فى الايام الماضية : أيام التكليف والتشريع ، و أيام الامتحان والعمل فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « ان المتقين فى ظلال و عيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » المرسلات : ٤١ ـ ٤٣) .

٢٥ ـ (و اما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه)

و أما من اوتى يوم القيامة كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره ، ونظر فى صحيفته و رآى ما فيها من الفضائح القلبية والقبائح الفعلية والسيئات القولية و تذكر ، فيعتريه الرعب ويستشعر بالندم والحسرة ، وخجل منها و تمنى ، فيقول: يا ليتنى لم اوت كتاب أعمالى و لم أره و كنت اعذّب بالنار و لم أخجل هذا الخجل ، ولم ارعب هذا الرعب ولم استشعر بهذا الندم ولم اتحسّر بهذه الحسرة ...

و لم اتخذ الشيطان خليلاً لنفسى فى الحياة الدنيا ، و لم اكفر بالله تعالى و لم اكذّب رسوله و لم أجحد اليوم الاخر . . .

قال الله تعالى : « و أما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً » الانشقاق : ١٠ ـ ١١) .

و قال : « و ترى كل امة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون » الجاثية : ٢٨) .

وقال : « الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولاً » الفرقان : ٢٦ ـ ٢٩) .

٢٦ ـ (و لم أدر ما حسابيه)

و يقول هذا الكافر المتحسّر ، و هذا النادم المنكسر حين رآى حسابه و صحيفة أعماله و وبال أمره : يا ليتنى لم أعلم أىّ شىء حسابى الذى احاسب به إذ أراه كله وبالاً ونكالاً، ومآله ناراً وعذاباً وخلوداً . . . وهكذا حال الكافرين والمجرمين يوم القيامة إذ يرون حسابهم ومآل أمرهم فيندمون حين لا ينفعهم الندم.

قال الله تعالى : « و عرضوا على ربك ـ و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً » الكهف : ٤٨ ـ ٤٩) .

و قال : « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبة من خردل أتينابها و كفى بنا حاسبين » الانبياء : ٤٧) .

و قال : « يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى » الفجر : ٢٣) .

٢٧ - (يا ليتها كانت القاضية)

ياليت الموتة الاولى التى مت بها كانت هى القاضية القاطعة لأمرى والنهاية لحياتى ، فلم يكن بعدها بعث وحياة ، و لا حساب وجزاء ، و لم أنظر فى صحيفة أعمالى ، و لم أعلم أىّ شىء حسابى بعد موتى و لم ألق ما لقيته اليوم من نكال و وبال و سوء منقلب .

قال الله تعالى : « يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً » النبأ : ٤٠) .

٢٨ - (ما أغنى عنى ماليه)

لم يغن عنى مالى ، فانه لم يدفع عنى عذاب الله تعالى ، ولا من بأسه شيئاً ، فلم ينفعنى فى الاخرة ما جمعته فى الحياة الدنيا من الاموال والامتعة . . .

قال الله تعالى : « و ما يغنى عنه ماله اذا تردى » الليل : ١١) .

وقال : « ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب » المسد : ٣و٢) .

٢٩ - (هلك عنى سلطانيه)

ضاع عنی سلطانی ، و ذهبت عنی عزتی و شوکتی ، و فقدت عنی قوتی و هیبتی و عددی و عدتی یوم القیامة هذا علی ماکانت لی فی‌الحیاةالدنیا إذ کانت وهمیة واهیة باطلة لاثبات لها ولاقرار.

٣٠ - (خذوه فغلوه)

فحینئذ یأمرالله تعالی خزان جهنم فیقول: خذوا أیها الخزنة هذا الطاغی الباغی ، هذا الکافر الفاجر ، وهذا العاصی الفاسد ، فاجمعوا بین یدیه و رجلیه إلی‌عنقه، و شدّوه بالاغلال... کما انه غلّ نفسه فی‌الحیاةالدنیا بأغلال‌الشهوات...

قال‌الله‌تعالی: «الذین کذّبوا بالکتاب وبما أرسلنابه‌رسلنا فسوف یعلمون اذالاغلال فی أعناقهم والسلاسل یسحبون فی الحمیم » غافر : ٧٠ - ٧٢) .

وقال: « اولئک الذین کفروا بربهم و اولئک‌الاغلال فی‌أعناقهم » الرعد:٥).

و قال : « و أسرّوا الندامة لما رأوا العذاب و جعلنا الاغلال فی أعناق الذین کفروا هل یجزون الاّ ما کانوا یعملون » سباء : ٣٣) .

٣١ - (ثم الجحیم صلوه)

ثم ادخلوا أیها الخزنة هذا الکافر العاصی فی‌النارالموقدة ، شدیدةالاحراق، وألزموه إیاها لانجاة له منها، أویقول‌الخزان للکفرة : ادخلوا الجحیم وألزموه .

قال الله تعالی : « خذوه فاعتلوه إلی سواء الجحیم » الدخان : ٤٧) .

و قال : « والذین کفروا و کذّبوا بآیاتنا اولئک أصحاب الجحیم » الحدید : ١٩) .

وقال : « فاذا جائت الطامة الکبری یوم یتذکرالانسان ما سعی و برّزت الجحیم لمن یری فاما من طغی و آثر الحیاة الدنیا فان الجحیم هی المأوی » النازعات : ٣٤ - ٣٩) .

و قال : « وان‌الفجار لفی‌جحیم یصلونها یوم الدین وما هم عنها بغائبین » الانفطار : ١٤ - ١٦) .

و قال : « هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون » يس : ٦٣ - ٦٤) .

و قال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦) .

٣٢ - (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

ثم اجعلوا أيها الخزنة هذا الكافر الطاغى فى سلسلة طولها سبعون ذراعاً و جرّوه بها فى جهنم . السلسلة : حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة ، و كل شىء مستمر بعد شىء على الولاء والنظام ، فهو مسلسل ، و لم يقل : فاسلكوا السلسلة فيه لانه أراد أن السلسلة تكون ملتفة على جسده بحيث لا يقدر على حركة.

وهذه السلسلة الطويلة التى يسحب منها انما هو اذلال له وامتهان لكرامته بين الناس و معاملته الحيوان ، و خاصة الكلب الذى يقاد من مقوده و يربط فى موقفه .

قال الله تعالى: « انا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً » الانسان: ٤).

وقال : « اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون. ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » غافر: ٧١-٧٦).

٣٣ - (انه كان لا يؤمن بالله العظيم)

إفعلوا أيها الخزنة بهذا الطاغى على ذلك العذاب بأنواعه لانه كان مصمماً على بقاء الكفر والعناد فلا يؤمن بالله العظيم مهما طال عمره ، وهو من شر الدواب عند الله تعالى .

قال الله تعالى : « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » الانعام : ١٢) .

وقال : «ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون» الانفال : ٥٥).

و قال : « وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » يس : ١٠) .

و قال : « و لو اننا نزّلنا إليهم الملائكة و كلهم الموتى و حشرنا عليهم

كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا » الانعام : ١١١) .

٣٤ - (و لا يحض على طعام المسكين)

و لا يحرّض هذا الكافر العاصي نفسه على اطعام المساكين ، و لا يحثّ غيره على ذلك فيتساهل في أمرهم ، ولايبالي بما يقاسونه . وهذا هو دأب الكفرة والفجار في مدى الاعصار . . . و هذا ثاني سبب لدخوله في الجحيم .

قال الله تعالى : « أرايت الذي يكذّب بالدين فذلك الذي يدعّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » الماعون : ١ ـ ٣) .

و قال : « كلا بل لا تكرمون اليتيم و لا تحاضون على طعام المسكين » الفجر : ١٧ ـ ١٨) .

وقال: «ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين» المدثر : ٤٣ ـ ٤٤) .

٣٥ - (فليس له اليوم ههنا حميم)

فليس لهذا الكافر الطاغي يوم القيامة وهو في الجحيم صديق ينقذه من عذاب الله تعالى، ولاقريب ينجيه من بأس الله جل وعلا ، ولاحبيب يغيثه مما هو فيه من بلاء الله سبحانه .

قال الله تعالى : « ولايسئل حميم حميماً يبصّرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعاً ثم ينجيه كلاانها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فاوعى» المعارج: ١٠-١٨)

وقال : « ما للظالمين من حميم » غافر : ١٨)

وقال : « وبرزت الجحيم للغاوين ـ فكبكبوا فيها هم والغاون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون ـ فما لنا من شافعين ولاصديق حميم » الشعراء : ٩١ ـ ١٠١)

٣٦- (ولاطعام الامن غسلين)

ولاطعام لهذا الكافر الذى لايطعم المسكين ولا يرغّب فيه الاّ من غسلين كما ان الزقوم طعام الأثيم والمكذبين الضالين والظالمين .

قال الله تعالى : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم » الدخان : ٤٣-٤٦)

و قال : « شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم » الصافات : ٦٢-٦٧)

وقال : « ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم » الواقعة : ٥١-٥٤)

٣٧- (لايأكله الا الخاطئون)

لا يأكل هذا الطعام الجحيمى إلاّ الذين تلبّسوا بالخطايا . . . و أحاطت بهم الآثام كالذين اشير إليهم فى أوائل السورة: « وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة » الحاقة : ٩) وفى قوله تعالى : « ان فرعون و هامان وجنودهما كانوا خاطئين » القصص : ٨) وقوله جل وعلا : « وقد أضلّوا كثيراً ولاتزد الظالمين الاّ ضلالاً مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً » نوح : ٢٤-٢٥) . وهم ومن سلك مسلكهم فى شرع سواء قال الله تعالى : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٨١) .

٣٨ - (فلا اقسم بما تبصرون)

فلا اقسم بمشاهد الكون و ما تدركون من أسراره بأن الامر لا يحتاج إلى قسم - و ان كان هذا قسماً لو كنتم تعلمون - لانه واضح فى غاية الوضوح ، و ثابت كمال الثبوت ، و واقع فى نهاية الوقوع لامرية فيه ، فلا حاجة له إلى

قسم: انه حق، و انه صادر عن الحق، و انه ليس بشعر شاعر، و لا كهانة كاهن، و لا افتراء مفتر، و لا من أقاويل الاولين...

نظير قوله تعالى: «فلا اقسم بمواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم» الواقعة: ٧٥ - ٧٧).

و قوله جل وعلا: «فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم» التكوير: ١٥ - ١٩).

و قوله سبحانه: «لا اقسم بهذا البلد - لقد خلقنا الانسان فى كبد» البلد: ١ - ٤).

٣٩ - (ومالا تبصرون)

ولا اقسم بمالا تشاهدون من مكنونات الكون وموجودات خفية محجوبة أعينكم لا تدر كونها بغير سلاح بعضها، و إطلاقاً بعضها الاخر، و لا تدر كون بعضها فى هذه الحياة الدنيا، و بعضها حتى فى الاخرة.

قال الله تعالى: «سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض و من أنفسهم و مما لا يعلمون» يس: ٣٦).

و قال: «انه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم» الاعراف: ٢٧).

و قال: «و قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا - يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين» الفرقان: ٢١ - ٢٢).

و قال: «و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى و ما اوتيتم من العلم الاّ قليلا» الاسراء: ٨٥).

و قال: «قال رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى» الاعراف: ١٤٣).

و قال: «لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار» الانعام: ١٠٣).

٤٠ - (انه لقول رسول كريم)

ان القرآن الكريم لقول النبى الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله رسالة عن الله

جل وعلا ، فهذا القرآن هو بلاغ من رسول كريم لا انه من كلامه هو ، كريم على الله تعالى لكونه ﷺ جامعاً لخصال الخير كله.

قال الله تعالى : « فقل لهم قولاً ميسوراً ـ ذلك مما اوحى إليك ربك من الحكمة » الاسراء : ٢٨ ـ ٣٩) .

وقال : « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر ام القرى ومن حولها ـ فان أعرضوا فما أرسلنا عليهم حفيظاً ان عليك الاّ البلاغ » الشورى : ٧ـ٤٨) .

و قال : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته ـ ما على الرسول الاّ البلاغ » المائدة : ٦٧ ـ ٩٩) .

و قال : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ٧٩) .

و قال : « و لسوف يعطيك ربك فترضى » الضحى : ٥) .

٤١ ـ (و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون)

وليس هذا القرآن بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها « وماعلمناه الشعر و ما ينبغي له ان هو الاّ ذكر و قرآن مبين » يونس : ٦٩) .

كيف وهو يقول: « والشعراء يتبعهم الغاون الم ترانهم فى كل واد يهيمون و انهم يقولون مالا يفعلون » الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٦) .

ولكن قليلاً منكم أيها المشر كون تؤمنون بماجاء كم رسولنا محمد ﷺ.

قال الله تعالى : « أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق و اكثرهم للحق كارهون » المؤمنون : ٧٠) .

و قال : « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً و نذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » فصلت : ٣ ـ ٤) .

و قال : « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » يس : ١ ـ ٧) .

٤٢ - (و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)

وليس هذا القرآن بقول كاهن يؤخذ من شياطين الجن كما تزعمون كيف و قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسبّهم و يلعنهم ؟ أيمكن أن يكون بالهامهم ، و هم لا ينزلون شيئاً على من يسبّهم ؟! و لكن قليلاً منكم تذكرون ذلك وتقولون انه من كلام الكهان و تغفلون عن انه يعلو كل العلو عن متناول الشعراء والكهان و خاصته في الاهداف والجوهر والمدى . . .

قال الله تعالى: « فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولامجنون » الطور: ٢٩).

و قال : « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦) .

و قال : « و ما تنزلت به الشياطين وماينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢) .

و قال : « و قل رب أعوذ بك من همزات الشياطين و أعوذ بك رب أن يحضرون » المؤمنون : ٩٧ - ٩٨) .

٤٣ - (تنزيل من رب العالمين)

هذا القرآن منزّل نجوماً على الاحداث من عند رب العالمين بلا ريب بالروح الامين على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فليس من كلام بشر أياً كان : شاعراً أم كاهناً حكيماكان أو عالماً . . .

قال الله تعالى : « و قرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزّلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦) .

وقال : « و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥) .

و قال : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » السجدة : ٢) .

و قال : « انا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً » الانسان : ٢٣) .

٤٤ - (و لو تقول علينا بعض الأقاويل)

و لو افترى علينا محمد ﷺ كذباً و اختلق بعض الاقاويل ما لم نقله و أتى به من تلقاء نفسه و نسبه إلينا.

قال الله تعالى: « و من أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال اوحى إليّ و لم يوح إليه شيء » الانعام: ٩٣).

و قال: « قل إن إفتريته فعليّ إجرامي » هود: ٣٥).

و قال: « قل مايكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ مايوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدرا كم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلاتعقلون فمن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته انه لايفلح المجرمون »يونس :١٥ ـ ١٧)

٤٥ - (لاخذنا منه باليمين)

لاخذنا منه ما أنزلته عليه بالقوة والقدرة، و انتقمنا منه أشد الانتقام لافترائه علينا بعض الاقاويل، إذ ليس له أن يدخل في كلامنا من تلقاء نفسه كلاماً ثم ينسبه إلينا.

قال الله تعالى: « وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره و إذاً لا تخذوك خليلاً و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً إذاً لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » الاسراء: ٧٣ ـ ٧٥).

و قال: « قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً » الاحقاف: ٨).

٤٦ - (ثم لقطعنا منه الوتين)

ثم لقطعنا منه وريد القلب الذي هوينبوع الحياة فانه عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه.

و كيف يمكن أن ينسب النبي الكريم ﷺ إلى الله جل و علا مالم يوح إليه وهويقول ناهياً عن ذلك: « ولاتقولوا لماتصف ألسنتكم الكذب هذاحلال و

هذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » النحل : ١١٦)

وان الايات الثلاث : (٤٤و٤٥و٤٦) فى معنى قوله تعالى : « ولقد اوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » الزمر : ٦٥) بان ذلك لو تفوّه محالاً لكان كذا .

٤٧- (فمامنكم من أحد حاجزين)

فمامنكم أيها الكافرون المكذبون أحد أن يمنع عن محمد - لو تقوّل علينا بعض الاقاويل - هذا العقاب الذى ذكرناه من الاخذ باليمين ، وقطع وتينه .

ان الاية تكملة للآيات الثلاث كلها بصدد نفى إفتراء محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الله تعالى كذباً ، وتثبيت رسالته وحقيّة دعوته صلى الله عليه وآله وسلم كقوله تعالى : « قل انما أدعوا ربى ولا اشرك به أحداً - قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته » الجن : ٢٠-٢٣)

وقوله : « قل إنما امرت أن اعبد الله ولا اشرك به إليه أدعوا وإليه مآب و كذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » الرعد : ٣٦-٣٧)

٤٨- (وانه لتذكرة للمتقين)

وان ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن الكريم تذكرة ألبتة لاهل التقوى واليقين لانهم يتذكرون وان كاد القرآن ذكرا للعالمين ، و ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مذكر لهم أجمعين و لكن تذكرة لمن يتذكر ، و عظة لمن يتعظ ، وهدى لمن اهتدى ودرس لمن يتدرس . . .

قال الله تعالى : « وما هو إلا ذكر للعالمين » القلم : ٥٢)

وقال : «فذكر إنما أنت مذكر» الغاشية : ٢١):

وقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » القمر : ١٧)

وقال : « فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد » ق : ٤٥)

وقال : « وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين » الذاريات : ٥٥)

وقال : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » آل عمران : ١٣٨)

وقال : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذاتليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكّلون » الانفال : ٢)

وقال : « ان هذا القرآن يهدى للتى هيأقوم » الاسراء : ٩)

وقال : « وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدىلنفسه ومن ضلّ فقل انما أنامن المنذرين » النمل : ٩٢)

وقال : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى و رحمة و بشرى للمسلمين » النحل ٨٩)

وأما الذين كفروا فاذا سمعوا الذكرفاشمأزّت قلوبهم فولّوا على أدبارهم نفوراً .

قال الله تعالى : « و اذا ذكرالله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة » الزمر:٤٥)

و قال : « واذ اذكرت ربك فيالقرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء : ٤٦)

٤٩ـ (وانالنعلم ان منكم مكذبين)

و انا لنعلم ان فريقاً منكم أيها المشركون يكذبون نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويضيقون صدره بما يقولونفيه ،ويجادلون في آياتنا ،وينكرون البعث والحساب والجزاء ، ويدعون من دوني كمانعلم الذين آمنوا منكم .

قال الله تعالى : « وماكان له عليهم من سلطان الاّ لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هوفي شك » سباء: ٢١)

وقال : «قدنعلم انهليحزنك الذي يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين

بآيات الله يجحدون » الانعام : ٣٣)

وقال : « ولقدنعلم انك يضيق صدرك بمايقولون » الحجر:٩٧)

وقال : « ولقدنعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » النحل : ١٠٣)

وقال : « ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص » الشورى :٣٥)

وقال : « ان الله يعلم مايدعون من دونه من شيء » العنكبوت : ٤٢)

٥٠- (وانه لحسرة على الكافرين)

وان تكذيب القرآن الكريم والاستهزاء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم والانكار بيوم القيامة و . . . سبب لحسرة عظيمة على الكافرين فى الحياة الدنيا اذارأوا دولة المؤمنين وذلة الكافرين ، وفى الاخرة اذارأوا ثواب المؤمنين وتنعمهم بنعيم الجنة وموقف الكافرين وعذابهم بالنار .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » الانعام : ٣٦)

و قال : « وأنذرهم يوم الحسرة إذقضى الامروهم فى غفلة وهم لايؤمنون » مريم : ٣٩)

وقال : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون » يس : ٣٠)

وقال : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلمواله من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة و أنتم لاتشعرون أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرّطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أوتقول لوان الله هدانى لكنت من المتقين أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فاكون من المحسنين بلى قدجاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت و كنت

من الكافرين » الزمر: ٥٤-٥٩)

وقال : « وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » البقرة : ١٦٦)

٥١- (وانه لحق اليقين)

وان هذا القرآن وماجاء به في هذه السورة من الاخبار بالحاقة وهلاك الطاغية ونجاة أهل الطاعة في الحياة الدنيا، والاخبار بعذاب الكفرة و كون اهل التقوى في عيشة راضية في الاخرة ، والاخبار بصدق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحقيّة ماجاء به ، والاخبار بحسرة الكافرين لامر ثابت لايقبل الشك فانه يقين مؤكد بالحق حق لامرية فيه ، ويقين لايعتريه ريب وهو فوق علم اليقين بل هو عين اليقين ومحضه .

ونظير الاية ونطاقها قوله تعالى: « ان هذا لهو حق اليقين » الواقعة : ٩٥)

٥٢- (فسبح باسم ربك العظيم)

فنزه ربك العظيم عما لايليق بساحة قدسه من السوء والنقائص ، وعما ينسبه إليه جل وعلا هؤلاء المكذبون من عجزه عن هلاك الطاغية ونجاة أهل الطاعة في الحياة الدنيا ، و عن البعث والحساب و الجزاء وعقاب الكافرين وثواب المتقين في الاخرة .

﴿ جملة المعانى ﴾

٥٣٢٤- (الحاقة)

الحادثة التى يحق فيها الموعود من عذاب الله تعالى بسبب الكفر والطغيان .

٥٣٢٥- (ما الحاقة)

أى شىء هى الحادثة ؟ ومتى تقع ؟

٥٣٢٦- (وما أدراك ما الحاقة)

وأى شىء أعلمك وعرفك ماهى الحاقة ؟ وقد بلغت من الشدة والفزع من الصيحة والخوف ومن الرعب والهول أن لا يبلغها علم المخلوقين .

٥٣٢٧- (كذبت ثمود وعاد بالقارعة)

كذبت ثمود : قوم صالح ، وعاد : قوم هود بيوم القيامة التى تقرع القلوب بالاهوال والافزاع . . .

٥٣٢٨- (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية)

فاما ثمود : قوم صالح فاهلكوا بسبب طغيانهم بأنواع العذاب المتجاوزة عن حد التصور .

٥٣٢٩- (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية)

وأما عاد : قوم هود - وهم بالاحقاف - فاهلكوا بريح شديدة البرد تجاوزت عن خزنتها وعتت على عاد لعتوهم على أن جزاء السيئة سيئة مثلها .

٥٣٣٠- (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها

صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)

سخرالله تعالى الريح الصرصر، و أرسلها بقهر على عاد سبع ليال و ثمانية أيام متتابعات متتاليات ، فترى القوم فى تلك الايام والليالى هالكين مطروحين على الارض كأنهم اصول نخل بالية .

٥٣٣١- (فهل ترى لهم من باقية)

فهل ترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعاد من بقية تتحدث عنهم .

٥٣٣٢- (وجاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة)

وجاء فرعون وامم من قبله كقوم نوح وعاد وثمود . . . بالخطيئات والآثام.

٥٣٣٣- (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)

فعصى هؤلاءِ الامم السالفة رسل الله تعالى فعاقبهم عقوبة شديدة .

٥٣٣٤- (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية)

اناحين مافاض الماء وتجاوزعن حدّه حملناكم فى سفينة نوح عليه السلام وأنتم فى أصلاب آباء كم .

٥٣٣٥- (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية)

لنجعل تلك الامور : منها قصّة السفينة تذكرة لكم و لكن تحفظها اذن سامعة عاقلة يقرّ فيها كلام الله تعالى .

٥٣٣٦- (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)

فاذا نفخ اسرافيل فى الصور نفخة واحدة ، وهى النفخة الاولى يخرب عندها العالم .

٥٣٣٧- (وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة)

وخرجت الارض عن مدارها ، ورفعت الجبال من أماكنها فكسرتا وفتّتتا اذيضرب بعضها على بعض ضرباً شديداً .

٥٣٣٨- (فيومئذ وقعت الواقعة)

فعندئذ قامت القيامة .

٥٣٣٩- (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية)

ويومئذ إنفطرت السماء مع شدتها ، فالسماء حينئذ باطلة مختلة ضعيفة متمزقة بنيتها .

٥٣٤٠- (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)

والملائكة يومئذ على أطراف السموات ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية صنوف من الملائكة صفاً صفاً .

٥٣٤١- (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية)

يوم وقوع الساعة تعرضون أيها الناس على ربهم للفصل والقضاء لا يخفى على الله تعالى شيء من أعمالكم . . .

٥٣٤٢- (فامامن اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)

فاما من اوتى كتاب أعماله بيمينه يبتهج بماكان عليه من ايمان وصالح عمل ، فيقول للمؤمنين : خذوا أيها المؤمنون كتاب أعمالى واقرؤه .

٥٣٤٣- (انى ظننت انى ملاق حسابيه)

لانى كنت على يقين من البعث وعلى لقاء الجزاء يوم القيامة .

٥٣٤٤- (فهوفى عيشة راضية)

فهو فى عيشة بالغة فى الرضاء .

٥٣٤٥- (فى جنة عالية)

فى جنة عالية علوا حسياً : رفيعة فى القصور والاشجار ، وعالية علواً معنوياً : رفيعة المكانة ، وعظيمة فى النفوس .

٥٣٤٦- (قطوفها دانية)

ثمار الجنة قريبة من متناوليها قرباً يسهل أخذها من غير صعوبة .

٥٣٤٧- (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية)

يقال لهم : كلوا أيها المؤمنون أكلاً طيباً ، و اشربوا شرباً هنيئاً لكم بسبب ماقدمتموه من الايمان وصالح الاعمال في الحياة الدنيا .

٥٣٤٨ - (وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه)

وأما من اوتي كتاب أعماله بشماله من وراءِ ظهره ، ورآى مافيه من الكفر والعصيان ، فيقول : ياليتني لم اوت كتاب أعمالي ، ولم أره ، ولم اخجل هذا الخجل .

٥٣٤٩ - (ولم أدر ما حسابيه)

وياليتني لم أعلم أي شيء حسابي ، حيث أراه كله و بالاً ونكالاً و مآله ناراً وعذاباً .

٥٣٥٠ - (ياليتها كانت القاضية)

ياليت الموتة الاولى التي مت بها كانت هي قاطعة لامري ونهاية لحياتي .

٥٣٥١ - (ماأغنى عني ماليه)

لم يغن عني مالي ، فانه لم يدفع عني عذاب الله تعالى ، ولا من بأسه شيئاً .

٥٣٥٢ - (هلك عني سلطانيه)

ضاع عني سلطاني يوم القيامة مما كان لي في الحياة الدنيا .

٥٣٥٣ (خذوه فغلوه)

فحينئذ يأمر الله تعالى خزان جهنم ، فيقول لهم : خذوا أيها الخزنة هذا الغني الكافر في الدنيا والفقير في الآخرة ، وهذا السلطان الطاغي في الدنيا والذليل في الآخرة فشدّوه بالأغلال . . .

٥٣٥٤ - (ثم الجحيم صلوه)

ثم ادخلوه في النار الموقدة ، وألزموه اياها لانجاة له منها .

٥٣٥٥ - (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

ثم اجعلوا أيها الخزنة هذا الكافر في سلسلة طولها سبعون ذراعاً فجرّوه في جهنم .

٥٣٥٦- (انه كان لايؤمن بالله العظيم)

إفعلوا أيها الخزنة بهذا الطاغى ماأمرناكم به من أنواع العذاب لانه كان مصمماً على بقاء الكفر والعصيان فلايؤمن بالله العظيم مهما طال عمره .

٥٣٥٧- (ولايحض على طعام المسكين)

ولايحرّض هذا الكافر نفسه على إطعام المساكين ولاغيره على ذلك .

٥٣٥٨- (فليس له اليوم ههنا حميم)

فليس لهذا الكافر يوم القيامة وهو فى الجحيم صديق ينقذه من العذاب .

٥٣٥٩- (ولاطعام الامن غسلين)

ولاطعام له إلاّ من صديد أهل النار .

٥٣٦٠- (لايأكله الا الخاطئون)

لايأكل هذا الطعام الجحيمى إلاّ من تلبّس بالخطاياه . . . وأحاطته الآثام..

٥٣٦١- (فلااقسم بما تبصرون)

فلااقسم بمشاهد الكون وماتدركون من أسراره .

٥٣٦٢- (ومالاتبصرون)

ولااقسم بمغيبات الكون ومالاتدركون من أسراره.

٥٣٦٣- (انه لقول رسول كريم)

ان هذا القرآن لقول النبى الكريم محمد ﷺ قاله رسالة عن الله تعالى

٥٣٦٤- (وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)

وليس هذا القرآن بقول شاعر ولكن قليلا منكم تؤمنون بهذا القرآن .

٥٣٦٥- (ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون)

و ليس هذا القرآن الكريم بقول كاهن ، و لكن قليلاً منكم تذكّرون بذلك .

٥٣٦٦- (تنزيل من رب العالمين)

هذا القرآن منزّل نجوماً على الاحداث من عند رب العالمين بلاريب.

٥٣٦٧- (ولوتقول علينا بعض الاقاويل)

ولو افترى علينا محمد ﷺ كذباً ، واختلق بعض الاقاويل مالم نقله .

٥٣٦٨- (لاخذنا منه باليمين)

لانتقمنامنه أشد الانتقام بالقوة والقدرة .

٥٣٦٩- (ثم لقطعنا منه الوتين)

ثم لقطعنا منه وريد القلب الذى هوينبوع الحياة .

٥٣٧٠- (فما منكم من احد عنه حاجزين)

فما منكم أيها الكافرن أحدأن يمنع عن محمد ﷺ - لو تقوّل علينا بعض الاقاويل- هذا العقاب الذى سبق ذكره .

٥٣٧١- (وانه لتذكرة للمتقين)

وان هذا القرآن لتذكرة ألبتة لأهل التقوى واليقين .

٥٣٧٢- (وانا لنعلم ان منكم مكذبين)

وانا لنعلم انأكثر كمأيها المشركون يكذبون بآياتنا ونبينامحمدﷺ

٥٣٧٣- (وانه لحسرة على الكافرين)

وان تكذيبالقرآن، واستهزاء النبى ﷺ وانكاريوم القيامة سببلحسرة عظيمة على الكافرين فىالدنيا والاخرة .

٥٣٧٤- (وانه لحق اليقين)

وان هذا القرآن وما أنبأه لامرثابتلايقبل الشك فانهيقين مؤكدبالحق .

٥٣٧٥- (فسبح باسم ربك العظيم)

فنزه ربك العظيم عمالايليق بساحة قدسه من السوء والنقائص . .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : «الحاقة» قال: الحذر من نزول العذاب و الدليل على ذلك قوله سبحانه : «وحاق بآل فرعون سوء العذاب» وفي قوله تعالى : « كذبت ثمود و عاد بالقارعة » قال : أي قرعهم بالعذاب ، و في قوله جلاوعلا : « بريح صرصر » قال : أي باردة ، و «عاتية» قال : أي خرجت أكثر مما امرت به .

و في الكافي : باسناده عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال : و أما الريح العقيم فانها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الارحام ولا شيئاً من النبات ، و هي ريح تخرج من تحت الارضين السبع و ما خرجت منها ريح قط إلاّ على قوم عاد حين غضب الله عليهم ، فأمر الخزان أن يخرجوا منها على قدر سعة الخاتم ، فعتت على الخزان فخرج منها قدر منخر الثور تغضباً منها على قوم عاد قال : فضج الخزان إلى الله عزوجل من ذلك ، فقالوا : يا ربنا انها عتت عن أمرنا إنا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك و عمّر بلادك ، قال : فبعث الله عزوجل إليها جبرئيل فاستقبلها بجناحه فردّها إلى موضعها ، و قال لها : اخرجي ما امرت به قال : فخرجت على ما امرت به و أهلكت قوم عاد و من كان بحضرتهم .

أقول : ان الرواية وإن كانت بعيدة عن درك عامة الناس و لكنها غير بعيد عند خاصتهم ، فتدبر جيداً .

و في الفقيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما خرجت ريح قط إلاّ بمكيال إلاّ

زمن عاد، فانها عتت على خزانها، فخرجت في مثل خرق الابرة فاهلكت قوم عاد.

و في تفسير القمي : في قوله تعالى: «سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام» قال : كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال و ثمانية أيام حتى هلكوا.

و في العلل : مرفوعاً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: الاربعاء يوم نحس مستمر لانه أول يوم، وآخر يوم من الايام التي قال الله عزوجل: «سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام».

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : «والمؤتفكات بالخاطئة» قال : والمؤتفكات : البصرة و «الخاطئة» : فلانة.

و في البرهان : بالاسناد عن حمران قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول (يقرء خ) : «وجاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة» قال : وجاء فرعون يعني الثالث ومن قبله الاولين والمؤتفكات بالخاطئة يعني عائشة وقوله: والمؤتفكات أهل البصرة فقال : جاء في كلام أمير المؤمنين لاهل البصرة : يا أهل المؤتفكة ايتفكت بأهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة، ومعنى ائتفكت باهلها أي خسفت بهم.

و في تفسير القمي : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فاخذهم أخذة رابية» التي اربيت على ما صنعوا.

وفيه : في قوله تعالى : «انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» يعني أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه.

و في الدر المنثور : أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: «لنجعلها لكم تذكرة» قال : لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و كم من سفينة قد هلكت و أثر قد ذهب يعني ما بقي من السفينة حتى أدركته امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرأوه كانت ألواحها ترى على الجودي.

و في البرهان : بالاسناد عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : «و تعيها اذن واعية» قال: وتعيها اذن واعية أمير المؤمنين

عليه السلام من الله و ما كان و ما يكون .

و فى معانى الاخبار : فى خطبة للامام أمير المؤمنين على عليه السلام - يذكر فيها نعم الله تعالى عليه - « الأوانى مخصوص فى القرآن باسماء احذروا أن تغلبوا عليها، فتضلّوا فى دينكم - إلى أن قال - : و أنا الاذن الواعية يقول الله عزوجل: « و تعيها اذن واعية » .

و فى العيون : باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قول الله عزوجل : « و تعيها اذن واعية » قال : دعوت الله عزوجل أن يجعلها اذنك يا على .

و فى بصائر الدرجات : باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن على عليه السلام انه قال- فى حديث - : أنا الذى أنزل الله فىّ : « و تعيها اذن واعية » فانا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحى فاعيه ويفوتهم ، فاذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً .

و فى البرهان : بالاسناد عن سالم بن طريف عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل : « و تعيها اذن واعية » قال : الاذن الواعية اذن على عليه السلام وعى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حجة الله على خلقه من أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصى الله .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « و حملت الارض والجبال » قال : وقعت فدك بعضها على بعض . و قوله : « فهى يومئذ واهية » قال : باطلة .

و فى الارشاد : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلاّ نشر، ولاحى إلاّ مات إلاّ ماشاء الله ،ثم يصاح بهم صيحة اخرى، فينشر من مات و يصفون جميعاً ، و ينشق السماء و تهدّ الارض و تخرّ الجبال ، وتزفر النار بمثل الجبال شرراً . الحديث .

و فى الكافى : باسناده عن أبى حمزة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: حملة العرش والعرش العلم أربعة منا ، و أربعة ممن شاء الله .

و فى الخصال : باسناده عن حفص بن غياث النخعى قال: سمعت أبا عبدالله

عليه السلام يقول : ان حملة العرش ثمانية كل واحد منهم له ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا .

وفيه : مرسلاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : ان حملة العرش ثمانية أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم ، والثانى على صورة الديك يسترزق الله للطير ، والثالث على صورة الاسد يسترزق الله للسباع ، والرابع على صورة الثور يسترزق للبهائم ، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل ، فاذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية .

وفيه : فى سؤال بعض اليهود علياً عليه السلام عن الواحد إلى المأة قال له اليهودى : فربك يحمل أو يحمل ؟ قال : ان ربى يحمل كل شىء بقدرته ، ولا يحمله شىء قال : فكيف قوله عزوجل : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : يا يهودى ! ألم تعلم أن الله ما فى السموات و ما فى الارض و ما بينهما و ماتحت الثرى ، فكل شىء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كل شىء .

و فى البرهان : بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول فى قول الله عزوجل : « الذين يحملون العرش و من حوله » قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وآله و علياً و الحسن و الحسين و نوح و ابراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام يعنى ان هؤلاء الذين حول العرش.

وفى اعتقادات الصدوق رضوان الله تعالى عليه قال : و أما العرش الذى هو العلم فحملته أربعة من الاولين ، وأربعة من الآخرين ، فاما الاربعة من الاولين : فنوح و ابراهيم و موسى و عيسى ، و أما الاربعة من الاخرين : فمحمد و على والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين . هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام .

اقول : و فى تقييد الحاملين فى الاية بقوله : « يومئذ» إشعار بل ظهور فى إختصاص العدد بالقيامة ، و فى غير واحد من الروايات : ان الثمانية

مخصوصة بيوم القيامة .

و في التوحيد : باسناده عن سلمان الفارسى انه قال : سئل بعض النصارى أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فأجابه عنها، فكان فيما سئله أن قال له: أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل ؟ فقال عليه السلام : ربنا جل جلاله يحمل ولا يحمل ، قال النصرانى : و كيف ذلك و نحن نجد فى الانجيل : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ فقال على عليه السلام : ان الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير و لكنه شىء محدود مخلوق مدبر ، و ربك عزوجل مالكه لا انه عليه ككون الشيء على الشيء ، و أمر الملائكة يحمله يحملون العرش بما أقدرهم عليه ، قال النصرانى : صدقت رحمك الله .

وفيه : عن الامام على بن الحسين عليهما السلام قال ـ فى حديث يصف فيه العرش ـ: له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة مالا يحصى عددهم الا الله عزوجل يسبحون الليل والنهار لايفترون .

و فى روضة الواعظين للشيخ المفيد قدس سره: و روى من طريق المخالفين فى قوله : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : ثمانية صفوف لايعلم عددهم إلا الله ، لكل ملك منهم أربعة وجوه ، لهم قرون كقرون الوعلة من اصول القرون إلى منتهاها مسيرة خمسمأة عام والعرش على قرونهم و أقدامهم فى الارض السفلى و رؤسهم فى السماء العليا ، و دون العرش سبعون حجاباً من نور .

و فى الدر المنثور : فى قوله تعالى : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » أخرج ابن جرير عن إبن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يحمله اليوم أربعة و يوم القيامة ثمانية .

وفى الكافى : سئل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرنى عن قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» فكيف قال ذاك ، و قلت : انه يحمل العرش و السماوات و الارض ؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان العرش

خلقه الله تعالى من أنوار أربعة : نور أحمر منه احمرت الحمرة ، و نور أخضر منه اخضرت الخضرة ، و نور أصفر منه اصفرت الصفرة ، و نور أبيض منه أبيض البياض ، و هو العلم الذى حمله الله الحملة ، و ذلك نور من عظمته فبعظمته و نوره أبصر قلوب المؤمنين ، و بعظمته و نوره عاداه الجاهلون ، و بعظمته و نوره ابتغى من فى السماء و الارض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالا عمال المختلفة والاديان المتشتتة .

فكل محمول يحمله الله بنوره و عظمته و قدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، فكل شيء محمول ، والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من كل شيء ، وهو حياة كل شيء ونور كل شيء سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه ، و ليس يخرج عن هذه الاربعة شيء خلق الله فى ملكوته و هو الملكوت الذى أراه الله أصفياءه و أراه خليله عليه السلام فقال :

« و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض و ليكون من الموقنين »

و كيف يحمل حملة عرش الله و بحياته حييت قلوبهم ، و بنوره اهتدوا إلى معرفته ؟ الحديث .

اقول : ومن ينظر فى الروايات بالبصر لا بالبصيرة فانها بعيدة لديه عن الصحة.

وفى صحيح الترمذى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضيات ، فأما عرضتان فجدال و معاذير ، و أما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه و آخذ بشماله » .

و فى البرهان : بالاسناد عن حنان بن سدير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه » قال : هذا أمير المؤمنين عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال عزوجل : « فاما

من اوتى كتابه بيمينه » إلى آخر الايات فهو أمير المؤمنين عليه السلام « و أما من اوتى كتابه بشماله » فهو الشامى .

وفيه : إبن شهر آشوب عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى :« و اما من اوتى كتابه بيمينه » : على بن أبى طالب عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه : قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان حافظى على عليه السلام ليفتخران على جميع الحفظة لكينونتهما مع على عليه السلام و ذلك انهما لم يصعدا إلى الله عز وجل بشىء منه يسخط الله تبارك وتعالى .

وفى تفسير العياشى : عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام انه اذا كان يوم القيامة يدعى كل اناس بامامه الذى مات فى عصره ، فان اثبته اعطى كتابه بيمينه لقوله: « يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم » واليمين إثبات الامام لانه كتابه يقرؤه لان الله يقول : « فمن اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه » الاية . والكتاب : الامام فمن نبذه وراء ظهره كما قال : « ونبذوه وراء ظهورهم » ومن أنكر كان من أصحاب الشمال الذين قال الله : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم . . إلى آخر الاية »

وفى التوحيد : - فى حديث سئل رجل علياً عليه السلام عما اشتبه عليه من الآيات القرآنية -وأما قوله :« انى ظننت انى ملاق حسابيه» وقوله : « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين » وقوله للمنافقين : « وتظنون بالله الظنونا » فان قوله : « انى ظننت انى ملاق حسابيه » يقول : انى ظننت انى ابعث فأجاب وقوله للمنافقين : « وتظنون بالله الظنونا » فهذا الظن ظن شك ، و ليس الظن ظن يقين ، والظن ظنان : ظن شك وظن يقين ، فما كان من أمر معاد من الظن فهو ظن يقين ، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك فافهم ما فسرت لك .

وفى الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام - فى جواب بعض

الزنادقة ـ قال : وأماقوله عزوجل: « ورای المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها» يعنى تيقّنوا انهم داخلوها وكذلك قوله : « انى ظننت انى ملاق حسابيه»

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « فى جنة عالية » وقد ورد الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يدخل الجنة أحد الاّ بجواز بسم الله الرحمن الرحيم : « هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « قطوفها دانية » قال : يقول : مدلية ينالها القاعد والقائم .

وفى الكافى : باسناده عن الحسين بن أبى العلا قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : كان معاوية صاحب السلسلة التى قال الله عزوجل : « فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم » وكان فرعون هذه الامة .

وفى الدر المنثور : أخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو أن دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لأنتن بأهل الدنيا .

وفيه : أخرج البيهقى فى شعب الايمان عن صعصعة بن صوحان قال : جاء أعرابى إلى على بن أبيطالب عليه السلام فقال: كيف هذا الحرف: لا يأكله الاّ الخاطئون كل والله يخطو فتبسّم علىّ وقال : ياأعرابى : «لا يأكله الاّ الخاطئون » قال : صدقت والله ياأمير المؤمنين ماكان الله ليسلّم عبده .

ثم التفت علىّ إلى أبى الاسود فقال : ان الاعاجم قد دخلت فى الدين كافة ، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم فرسم لهم الرفع والنصب والخفض .

وفى نور الثقلين : عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لو أن حلقة واحدة من السلسلة التى طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها .

وفى البرهان : عن ابن بابويه فى الدروع الواقية فى حديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ولو أن ذراعاً من السلسلة التى ذكرها الله فى كتابه وضع على جميع

جبال الدنيا لذابت عن حرّها.

وفى الكافى: باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت: قوله: «انه لقول رسول كريم» قال: يعنى جبرئيل عن الله فى ولاية على عليه السلام قلت: «وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون» قال: قالوا: ان محمداً كذاب على ربه وماأمره الله بهذا فى على عليه السلام فأنزل الله بذلك قرآناً، فقال: ان ولاية على تنزيل من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» ثم عطف القول ان ولاية علىّ لتذكرة للمتقين للعالمين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وان علينا لحسرة على الكافرين وان ولاية علىّ لحق اليقين.

وفى العلل: قال: العلة فى قوله: «اياك أعنى واسمعى ياجاره» قول الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً» وقوله: «ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» وقوله: «ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين» ومثله كثير مما هو مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى على امته فذلك علة قولك: اياك اعنى واسمعى ياجاره.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «لاخذنا منه باليمين» قال: انتقمنا منه بالقوة وفى قوله: «لقطعنا منه الوتين» قال: عرق فى الظهر يكون منه الولد وفى قوله: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» قال: يعنى لايحجز الله أحد ولا يمنعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ بحث فقهي ﴾

قداستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: « ولا يحضّ على طعام المسكين » الحاقة: ٣٤) على أن الكافر مخاطب بالفروع كما انه مخاطب بالاصول ولكن لاتصح منه الفروع قبل الايمان بالاصول . . .

وقد استدل بعض الفقهاء على وجوب الذكر معيناً في الركوع بقوله تعالى: « فسبح باسم ربك العظيم » الحاقة : ٥٢)

وذلك لما روى عقبة بن عامر قال: لما نزل: « فسبح باسم ربك العظيم » قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اجعلوها في ركوعكم ، ولما نزل : « سبح اسم ربك الاعلى» قال : اجعلوها في سجودكم .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن هشام بن سالم قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن التسبيح في الركوع والسجود فقال : تقول في الركوع : سبحان ربي العظيم وفي السجود : سبحان ربي الاعلى ، الفريضة من ذلك تسبيحة والسنة ثلاث والفضل في سبع .

فالروايتان تدلان على كون الذكر الخاص فيهما ولكن بحذف « وبحمده» وتدل غيرهما على زيادته وهي مقبولة كما ثبت في الاصول ، وكذا على إجزاء مطلق التسبيح بل مطلق الذكر و ذلك غير بعيد ، والاحتياط قولهما ثلاثاً مع زيادة « وبحمده »

وأما اجزاء مطلق الذكر لما رواه الهشامان عن الامام جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام: « أيجزىء أن يقول مكان التسبيح فى الركوع والسجود : لا اله الا الله والحمدلله و الله اكبر ؟ قال : نعم كل هذا ذكر »

وفيه معنى التعليل ، فلولم يكن الذكر كافياً لما سمّاه بالذكر نعم لفظ التسبيح أولى للاية والحديث .



﴿ بحث مذهبي ﴾

تستدل المشبهة على أن العرش هو سرير ملكه تعالى و هو متربع عليه بقوله : « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » الحاقة : ١٧) و قالوا : لولم يكن الله على العرش لماكان لحمله فائدة و أكدوا شبهتهم بقوله تعالى : « يومئذ تعرضون » للمحاسبة والمسائلة ، فلو لم يكن الله حاضراً لما كان للعرض معنى.

أجاب عنه بعض المفسرين بأن الدليل على أن حمل الاله محال ثابت ، فلابد من التأويل ، و هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه ، فخلق لنفسه بيتاً يزورونه ليس ليسكن فيه، و جعل فى ذلك البيت حجراً هو يمينه فى الارض إن كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم بتقبيل أيمانهم، وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه بل لانه المتعارف ، فكذلك لماكان من شأن الملك إذا أراد محاسبة عماله أن يجلس لهم على سرير ويقف الاعوان حواليه صوّر الله تعالى تلك الصورة المهيبة لا لانه يقعد على السرير .

و أجاب بعض الاخرين منهم : ان العرش هو عرش التدبير و إدارة شئون الملك يوم لاملك الا ملكه ، و عرش التدبير منبعث عن علم وقدرة وان الملائكة هم ينفذون تدبيراته . . .

اقول : و ما سبق فى التفسير والتأويل من الكلام ، و ما أوردناه فى البحث الروائى يغنينا عن البحث فى المقام .

و قد زعمت المشبهة أن الله سبحانه أعضاء و جوارح كالانسان و استدلوا

على ذلك بقوله تعالى : « لاخذنا منه باليمين » الحاقة : ٤٥) .

اقول : و هذا مدفوع بما ذكرنا فى‌التفسير بان المعنى : لوادعى محمد ﷺ علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً كما يفعل الاقوياء بمن يتكذب عليهم معالجة بالسخط والانتقام ، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول ، و هو أن يؤخذ بيد المقتول وتضرب رقبته ، و خصّ اليمين عن اليسار لان القاتل اذا أراد ايقاع الضرب فى قفاه أخذ بيساره ، واذا أراد ايقاعه فى جيده ، وأن يكفحه بالسيف - و هو أشد على المصبور لنظره إلى السيف و هو واقع به - أخذ بيمينه ، و على أى حال فهذا التعبير كناية عن قتل الذل والهوان ، فلا دلالة للاية على ثبوت اليد اليمنى كما زعمت المشبهة .



﴿الامام علي عليه السلام اذن واعية﴾

قال الله تعالى : « لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية » الحاقة : ١٢) .

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة : ان الاية الكريمة نزلت فى الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام وانه هو اذن واعية نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ روى الطبرى فى تفسيره (جامع البيان) عن على بن حوشب قال : سمعت مكحولاً يقول : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و تعيها اذن واعية » ثم إلتفت إلى على عليه السلام فقال : سئلت الله أن يجعلها اذنك قال على رضى الله عنه : فما سمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنسيته .

رواه جماعة منهم : الحسكانى فى (شواهد التنزيل)

٢ ـ روى الطبرى فى تفسيره عن بريدة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلى : يا على ان الله أمرنى أن ادنيك ولا اقصيك ، و ان اعلمك و أن تعى و حق على الله ان تعى قال : و نزلت اذن واعية .

رواه الحسكانى فى (شواهد التنزيل) والسيوطى فى (الدر المنثور) مذيلة بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فانت اذن واعية لعلمى » .

٣ـ روى المراغى فى (تفسيره) : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لعلىّ : « انى دعوت الله أن يجعلها اذنك يا على » قال على كرم الله وجهه : فما سمعت شيئاً فنسيته و ما كان لى أن أنسى .

٤ - روى الحاكم الحسكانى فى (شواهد التنزيل) باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبيطالب: ياعلى ان الله أمرنى أن ادنيك ولا اقصيك و ان احبك و احب من يحبك وان اعلمك وتعى وحق على الله أن تعى، فأنزل الله: «و تعيها اذن واعية» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سئلت ربى أن يجعلها أذنك ياعلى قال على: فمنذ نزلت هذه الاية ما سمعته اذ ناى شيئاً من الخير والعلم والقرآن الا وعيته و حفظته.

٥- فى تفسير محيى الدين بن العربى: لما نزلت الاية: «لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية» قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: سئلت الله أن يجعلها اذنك ياعلى.

قال ابن العربى: اذ هو عليه السلام الحافظ لتلك الاسرار كما قال: ولدت على الفطرة و سبقت إلى الايمان والهجرة. ومعنى «و تعيها اذن واعية» أى تحفظها اذن حفظة لما سمعت من الله فى بدء الفطرة باقية على حالها الفطرية غير ناسية لعهده و توحيده، و ما أودعها من أسراره بسماع اللغو فى هذه النشأة و حفظ الباطل من الشيطان والاعراض عن جناب الرحمن.

٦ - روى الميبدى فى تفسير (كشف الاسرار) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «أفلح من جعل الله له قلباً واعياً».

ثم قال الميبدى: الوعى أن يحفظ السامع ما يسمعه و يعمل به.

٧ - روى الحافظ أبونعيم فى (حلية الاولياء ج ١ ص ٦٧ ط مطبعة السعادة بمصر) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعلى: فانت اذن واعية لعلمى.

٨ - فى (شواهد التنزيل) عن على بن أبيطالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله أمرنى أن ادنيك ولا اقصيك وأعلمك لتعى وأنزلت على هذه الاية: «وتعيها اذن واعية» فانت الاذن الواعية لعلمى يا على و أنا المدينة وأنت الباب ولايؤتى المدينة الا من بابها.

٩ - روى الزمخشرى فى تفسيره (الكشاف) عن النبى انه قال لعلى عليه السلام

عند نزول الاية : سئلت الله أن يجعلها اذنك يا على قال على عليه السلام : فما نسيت شيئاً بعد و ما كان لى أن انسى .

و قد ذكر الشيخ أحمد بن منصور المالكى عند الكلام على الاية : ١٠٤ من سورة آل عمران و ذلك فى هامش الكشاف قال : « و كذلك « اذن واعية » حتى ورد فى التفسير اذن واحدة مخصوصة و هى اذن على بن ابيطالب رضى الله عنه »انتهى كلامه .

١٠ ـ قال ابن أبى الحديد فى شرح قول الامام على عليه السلام : « ما شككت فى الحق مذ اريته » : والمراد من هذا الكلام ذكر نعمة الله عليه فى انه منذ عرف الله سبحانه لم يشك فيه ، أو منذ عرف الحق فى العقائد الكلامية والاصولية والفقهية لم يشك فى شىء منها ، وهذه مزية له ظاهرة على غيره من الناس ، فان أكثرهم او كلهم يشك فى الشىء بعد أن عرفه و تعتوره الشبه والوساوس ، ويران على قلبه و تختلجه الشياطين عما أدّى إليه نظره . و قد روى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما بعثه إلى اليمن قاضياً ضرب على صدره و قال : « اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه » فكان يقول : ما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين . و روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قرأ : « و تعيها اذن واعية » قال : «اللهم اجعلها اذن على » وقيل له : « قد أجبت دعوتك » .

أقول : و ممن أورد الرواية باسانيد من العامة فكثير منهم :

١ ـ الواحدى النيسابورى فى (اسباب النزول) .

٢ ـ المناوى فى (الكواكب الدرية) .

٣ ـ عبدالعزيز الدهلوى فى (تفسيره) .

٤ ـ ابن بطريق فى (العمدة) .

٥ ـ الفخر الرازى فى (تفسيره) .

٦ ـ الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب) .

٧ ـ النظام النيسابورى فى تفسير (غرائب القرآن).

٨ ـ القرطبى فى تفسير (الجامع لاحكام القرآن) ثم قال : روايات دالة على ان المراد باذن واعية اذن على بن ابيطالب عليه السلام .

٩ ـ المتقى الهندى فى (منتخب كنز العمال بهامش المسند ج ٥ ص ٤٨ ط القديم بمصر) عن عدة .

١٠ ـ ابوحيان الاندلسى فى تفسير (البحر المحيط) .

١١ ـ ابن كثير الدمشقى فى (تفسيره) عن طرق متعددة . . .

١٢ ـ ابن الصباغ فى (فصول المهمة) .

١٣ ـ السيوطى فى (لباب النقول فى أسباب النزول) و فى الدر المنثور عن طرق متعددة . . .

١٤ ـ المير محمد صالح الترمذى فى (مناقب مرتضوى) عن عدة .

١٥ ـ محمود الآلوسى فى تفسير (روح المعانى) .

١٦ ـ الشبلنجى فى (نور الابصار) .

١٧ ـ القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة) .

وغيرهم من أعلام العامة وحملة آثارهم...

و نختم البحث بذكر رواية واحدة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية و هى :

فى بصائر الدرجات : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله تعالى : « و تعيها اذن واعية » قال : وعت اذن أميرالمؤمنين ما كان و ما يكون .

و الحمدلله الذى هدا نالهذا و ما كنا لنهدى لولا أن هدانا الله و السلام على من اتبع الهدى .

تمت سورة الحاقة والحمدلله فى الاولى و الاخرة
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

فهرس ماجاء في تفسير سورة الملك

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانى: فى مواضيع الحكم القرآنيةوالمعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة الملك وفيها بصيرتان :

البصيرة الاولى : وفيها ستة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امور خمسة :

فهرس ماجاء في تفسير سورة القلم

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة القلم وفيها ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى: وفيها أمران :

البصيرة الثانية: وفيها تسعة عشر أمراً :

البصيرة الثالثة : وفيها امور خمسة :

فهرس ماجاء فى تفسير سورة الحاقة

يدور البحث حولها على فصلين :

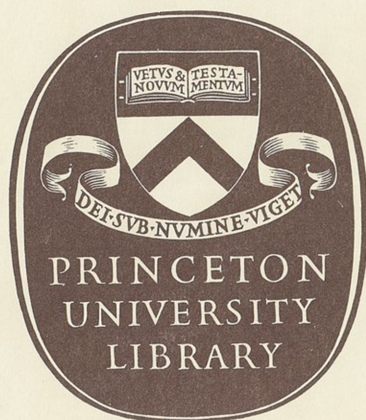
الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الملك و فيها

بصيرة واحدة: وفيها أمر واحد:

تمام شد

[illegible]


VETUS & NOVUM
TESTA-MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

